تأويلات القرآن

١٤٢٥

لأبي منصور محمد بن محمد الماتريدي السمرقندي

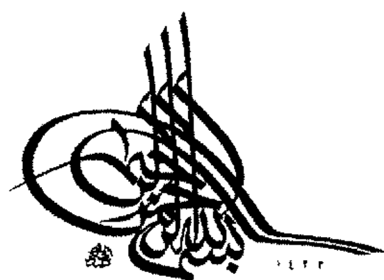
تحقيق
محمد معصوم وانلي اوغلي

مراجعة
الاستاذ الدكتور بكر طوبال اوغلي

الجزء الرابع عشر

الفتح - الحديد

دار الميزان



ISBN 978-975-9048-01-3 (Tk.)
ISBN 978-975-9048-10-5

الكتابة والتنسيق

علي حيدر أولوصوي

عيسى يوجل

دار الميزان
MİZAN YAYINEVİ

استانبول ٢٠٠٧

تأويلات القرآن

١٤٢٥

لأبي منصور محمد بن محمد الماتريدي السمرقندي

٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م

تحقيق
الدكتور خليل إبراهيم قجار

مراجعة
الأستاذ الدكتور بكر طوپال أوغلى

استانبول ٢٠٠٧

دار الميزان
MİZAN YAYINEVİ

النسخ الخطية لكتاب *تأويلات القرآن* التي التزمنا بها في التحقيق

ر: نسخة راشد أفندي – مكتبة راشد أفندي بمحافظة قيصري، تحت رقم ٤٧.

ن: نسخة نور عثمانية – مكتبة نور عثمانية، تحت رقم ١٢٤.

ث: نسخة نور عثمانية – مكتبة نور عثمانية، تحت رقم ١٢٣.

م: نسخة مهرشاه – مكتبة سليمانية، قسم مهرشاه، تحت رقم ٨.

شرح تأويلات القرآن: لأبي بكر علاء الدين محمد بن أحمد السمرقندي، نسخة ولي الدين – مكتبة بايزيد، قسم ولي الدين أفندي، تحت رقم ٤٢٦.

الاختصارات:

صح هـ: ورد التصحيح بهامش النسخة الخطية.

ر هـ: هامش النسخة الخطية بمكتبة راشد أفندي الخ.

و: وجه الورقة لنسخة مهرشاه التي اتخذت أصلا للتحقيق.

ظ: ظهر الورقة لها.

– : إشارة إلى الكلمة أو العبارة الناقصة في النسخة.

+ : إشارة إلى الكلمة أو العبارة الزائدة في النسخة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الفتح[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾[١]

قوله عز وجل:[2] **إنا فتحنا لك فتحا مبينا**، قال بعضهم: هو فتح مكة، وقال بعضهم: هو صلح الحديبية[3] الذي [كان] بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أهل مكة حين صَدُّوهم عن دخولهم مكة وحالوا بينه وبين زيارة البيت. وكان له فيها، أعني[4] في قصة الحديبية، أمران وآيتان ظاهرتان عظيمتان. أحدهما[5] أنه أصابه ومن معه من أصحابه عطش فأُتي[6] بإناء ماء،[7] فنبع من ذلك الإناء من الماء مقدار ما شرب منه زُهاءُ ألفٍ وخمسَمائةٍ حتى رَوُوا جميعا،[8] فذلك آية عظيمة حسية على رسالته. والثاني أخبر بغلبة الروم الفارس، وذلك علم غيبٍ وكان كما ذكر وأخبر، فدل أنه إنما علم ذلك بالله تعالى.

---

[1] ر ن – سورة الفتح؛ ث + مدنية وهي تسع وعشرون آيات؛ م + مدنية.

[2] ر ن – قوله عز وجل.

[3] روى قتادة عن أنس رضي الله عنه: ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا﴾، قال: الحديبية. انظر: صحيح *البخاري*، المغازي ٣٥، التفسير ٤٨.

[4] ث: أي.

[5] ث: إحداهما.

[6] ن: فأتا.

[7] ن ث – ماء.

[8] عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: عطش الناس يوم الحديبية والنبي صلى الله عليه وسلم بين يديه رَكْوة فتوضأ فجَهَش الناس نحوه فقال: «ما لكم؟» قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك. فوضع يده في الركوة فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا. قلت: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائةً. (مسند *أحمد بن حنبل*، ٣٢٩/٣؛ وصحيح *البخاري*، المناقب ٢٥).

وقصة الحديبية روي عن رجل، يقال له مُجَمِّعُ بنُ جارِيَة،[1] قال: شهدت الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلمَّا انصرفنا عنها إذ[2] الناس يُوجِفون الأباعر.[3] فقال بعض الناس لبعض: ما للناس؟ قال: أوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فخرجنا نُوجف مع الناس حتى وجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا عند كُراع الغميم،[4] اسم موضع. فلما اجتمع إليه بعض ما يريد من الناس قرأ عليهم: **إنا فتحنا لك فتحا مبينا**. قال: قال رجل من أصحاب رسول الله[5] صلى الله عليه وسلم: أَوَ فتحٌ هو يا رسول الله؟ قال: «إي[6] والذي نفسي بيده إنه لفتح».[7] قال: ثم قُسمت الحديبية على ثمانيةَ عشرَ سهما وكان الجيش ألفا[8] وخمسمائةٍ.[9] وفي بعض الأخبار أن[ه هو] الصلح الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين، ولم نر قتالا ولو نرى لقاتلنا. قال: فنَزلت سورة الفتح، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمر رضي الله عنه فأقرأها إياه، فقال: يا رسول الله فتح هو؟ قال: «نعم».[10] وعن عامر[11] أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بالحديبية فأنزل الله تعالى: **إنا فتحنا لك فتحا مبينا، فقال** رجل: إنها فتح هو؟ قال: «نعم».[12] وعن جابر أنه قال: ما كُنَّا نَعُد الفتح إلا يوم الحديبية.[13]

---

[1] جميع النسخ: حارثة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٣٩و. هو مُجمِّع بن جارية بن عامر، أو ابن يزيد بن جارية بن عامر، صحابي، من بني العطاف ابن ضبيعة الأوسي الأنصاري: أحد مَن جمع القرآن، إلا يسيرا منه. عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكان ذلك في صِباه. ويقال: إن عمر رضي الله عنه بعثه أيام خلافته إلى أهل الكوفة يعلمهم القرآن، ومات بالمدينة في خلافة معاوية نحو ٥٠هـ/٦٧٠م. (انظر: *الأعلام* للزركلي، ٢٨٧/٥).

[2] جميع النسخ: أن. والتصحيح من *الشرح* نسخة حميدية ١٧٦، ورقة ٧١٣ ظ.

[3] أي يسرعون الإبل الصالحة للركوب.

[4] ر ن ث: الغنم؛ م: الغم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٣٩و.

[5] ن: النبي.

[6] ث – أو فتح هو يا رسول الله قال إي.

[7] ر ث م: يفتح.

[8] جميع النسخ: ألف. والتصحيح من المرجع السابق.

[9] *مسند أحمد بن حنبل*، ٤٢٠/٣.

[10] *تفسير الطبري*، ٩٣/٢٦.

[11] «عامر بن شراحيل، أبو عمرو الشعبي، من شَعْب هَمْدان، علّامة أهل الكوفة؛ ولد في وسط خلافة عمر بن الخطاب، وروي عن علي يسيرًا وعن المغيرة بن شعبة وعمران بن حُصين وعائشة وأبي هريرة وجرير البجلي وعدي بن حاتم وابن عباس ومسروق وخلقٍ كثير» (*الوافي بالوفايات*، ٥٨٧/١٦).

[12] الدر المنثور للسيوطي، ٥١٠/٧.

[13] *تفسير الطبري*، ٩٣/٢٦؛ *وتفسير ابن كثير*، ٣٠٧/٧.

وكذلك روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: نزلت هذه الآية: **إنا فتحنا لك فتحا مبينا** بالحديبية.[١] وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه[٢] قال: لم يكن في الإسلام فتح أعظم من صلح الحديبية، وضعت الحربُ أوزارَها، وأَمِنَ[٣] الناس كلهم، ودخل في الإسلام في السَّنَتَين أكثر مما كان دخل قُبَيلَ[٤] ذلك، فلمّا رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة من الحديبية ... وفي الحديث طول تركنا ذكره.[٥] *والله أعلم*.[٦]

وقوله عز وجل: **إنا فتحنا لك فتحا مبينا،**[٧] يخرج على وجوه ثلاثة.[٨] أحدها، أي إنا قضينا ذلك قضاء بَيِّنا بالحجج والبراهين على رسالتك ونُبُوَّتك، لِيُعلم أنك محق على ما تدّعي صادق في قولك، لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ بما أكرمك وعظَّم أمرك بالرسالة والنبوّة، أي أعطاك ذلك وأكرمك به ليغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر.

والثاني **إنا فتحنا لك فتحا مبينا،**[٩] ما لم يطمع أحد من الخلائق أنه يَفتح عليك أمثال ذلك الفتوح، لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ.[١٠]

والثالث **إنا فتحنا لك** جميعَ أبواب الحكمة والعلوم وجميع أبواب الخيرات والحسنات، لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ، بما أكرمك من أبواب الحكمة والخيرات؛ يخرج على هذه الوجوه الثلاثة. *والله أعلم*.

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾[٢]

ثم قوله عز وجل: **ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر**، يخرج على وجهين. أحدها يرجع إلى ذنبه، أخبر أنه غفر له. ثم لا يجوز لنا أن نبحث عن ذنبه ونتكلف أنه ما كان ذنبُه،

[١] روي ذلك عن الشعبي في *تفسير الطبري*، ٢٦/٩٣.
[٢] ث – انه.
[٣] ر + من.
[٤] ن: قبل.
[٥] انظر: *تفسير الطبري*، ٢٦/١٤٠.
[٦] ن – والله أعلم.
[٧] ن: فتحا عظيما.
[٨] ن ث – ثلاثة.
[٩] ن: فتحا بينا.
[١٠] الآية التالية.

وأَيْشٍ كان زلته؟ لأن البحث عن زلته مما يوجب[1] التنقيص[2] فيه، فمن تكلف البحث عن ذلك يُخاف عليه الكفر. لكن ذنبه وذنب سائر الأنبياء عليهم السلام ليس نظير ذنبنا، إذ ذنبهم بمنزلة فعلٍ مباح منا لكنهم نُهوا عن ذلك، *والله أعلم*. وجائز أن يكون قوله عز وجل: **ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر**، أي يغفر ذنبه ابتداءً غفرانٍ، أي عصمه عن ذلك، وذلك جائز في اللغة. ***والله أعلم***.

[٧٣٣و] والوجه الثاني / يرجع إلى ذنوب أمته، أي ليغفر لك الله ذنوب أمتك، وهو ما يشفع لأمته فيَغفِر هم[3] له، أي لشفاعته، وهو كما روي في الخبر: «يُغْفَرُ لِلْمُؤَذِّنِ مَدَّ صوته»،[4] أي يجعل له الشفاعة.[5] فعلى ذلك جائز أن يكون قوله: **ليغفر لك الله**، أي يغفر له أمته[6] بشفاعته. ***والله أعلم***.

[٧٣٣و س١٩] *وجائز أن يكون قوله: **ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك**، أي من ذنب أمتك،[7] **وما تأخر** من ذنبهم، على ما قاله[8] بعض أهل التأويل، ويتم نعمته عليهم من أنواع الخيرات والأمن[9] لهم والإياس لأولئك الكفرة عنهم.* [٧٣٣و س٢١]

وقوله عز وجل: **ويُتِمَّ نعمته عليك**، يحتمل إتمامُ نعمته عليه هو ما ذكرنا من الرسالة والنبوة وفتحِ ما ذكر من أبواب الخيرات والحكمة في الدنيا والآخرة، أو الشفاعةُ له في الآخرة، أو إظهار دينه على الأديان كلها وإياس أولئك الكفرة عن عَوْده إلى دينهم، كقوله: ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ،[11] الآية. ***والله أعلم***.

[وقوله تعالى: **ويهديك صراطا مستقيما**، هو ظاهر].[12]

---

[1] م: وأيش كان زلته ما يوجب.

[2] ر: التنقص؛ م: النقص.

[3] ر م – هم.

[4] «المؤذن يغفر له مَدَّ صوته ويصدّقه من يسمعه من رطب ويابس، وله مثل أجر من صلى معه» (*مسند أحمد بن حنبل*، ١٣٦/٢، ٢٦٦؛ وانظر: صحيح *البخاري*، الأذان ٥؛ وسنن *أبي داود*، الصلاة ٣١. قارن معناه: *النهاية في غريب الحديث* لابن الأثير، «مد» و«مدى»).

[5] أي يغفر لمن كان في حدود مدّ صوته بسبب المؤذن وأذانه.

[6] ن – أي يجعل له الشفاعة فعلى ذلك جائز أن يكون قوله ليغفر لك الله أي يغفر له أمته.

[7] ث – أي من ذنب أمتك، صح هـ.

[8] ر ث م: قال.

[9] ر ث م: والأمر.

* ورد ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٧٣٣و/ سطر ١٩–٢١.

[11] سورة المائدة، ٣/٥.

[12] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٣٩و.

﴿وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾[٣]

وقوله عز وجل: **وينصرك الله نصرا عزيزا**، يحتمل أن يَنصُرك[1] نصرا عزيزا بالغلبة عليهم والقهر والظفر لا صلحا ولا موادعة. وعلى ذلك يخرج قول أهل التأويل: **نصرا عزيزا** لا يُستَذَلّ ولا يُستَرذَل. وظاهر الآية ليس على ذلك لأنه قال على إثره:[2] لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ،[3] لأن الخيرات والحسنات يكون سببا للمغفرة. فجائز أن يكون ما ذكر من الفتح له والمغفرة هذا، لا ما ذكروه،[4] إلا أن يقال: إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يُسأل من الفتح[5] لما أقدم على أسباب الفتح، وهو القتال مع الكفرة ونحوُ ذلك، وذلك من الخيرات التي تكون[6] سبب المغفرة، إلا أن الله أضاف الفتح إلى نفسه لقوله: فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا،[7] لما أنه هو الخالق لذلك الأسباب ومنشئ فعل الجهاد[8] والقتال منهم. *والله أعلم*. ويحتمل أن يكون ما ذكر من الفتح له ليغفر له[9] هو أن الله جعل رسوله[10] بحيث لا يَخُطُّ بيده خطا ولا يكتب كتابا ولا يفهم كتابة، وهو ما وصفه الله جل وعلا بقوله: وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ،[11] لِدفع ارتياب المبطلين فيه على ما ذكر.

ثم مع أنه جعله هكذا أحوج جميع حكماء الخلق إليه وأحوجَ أيضا جميع أهل الكتب السالفة إليه في معرفة ما ضمَّن كتابه المنزل عليه وجعله رسولا إليهم، فيكون كأنه قال: إنا فتحنا لك النبوة والحكمة وأنواع العلوم والخيرات والحسنات. لِيَغْفِرَ لَكَ، أي إنما فتح لك ما ذكر ليغفر لك ويتم نعمته عليك من النبوة والحكمة وإظهار دينه على الأديان كلها، ويهديه صراطا مستقيما وينصُره نصرا عزيزا، أعطاه ما ذكرنا وذلك كله النصر العزيز. *والله أعلم*.*

---

[1] جميع النسخ: أي ينصرك. والتصحيح مستفاد من *الشرح* نسخة حميدية، ورقة ٧١٣ ظ.

[2] أي على إثر قوله تعالى: ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا﴾.

[3] الآية السابقة.

[4] جميع النسخ: ذكره. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ١٣٩ظ. أي لا ما ذكره أهل التأويل.

[5] ن: على الفتح.

[6] ر م: يكون.

[7] الآية ١ من هذه السورة.

[8] ر ث م – لقوله فتحنا لك فتحا لما أنه هو الخالق لذلك الأسباب ومنشئ فعل الجهاد.

[9] ث – ليغفر له.

[10] ر م: ورسوله.

[11] سورة العنكبوت، ٤٨/٢٩.

* وقع هنا قسم من تفسير الآية السابقة فنقلناه إلى موضعه انظر: ورقة ٧٣٣و/ سطر١٩-٢١.

ويهديهم صراطا مستقيما وينصرهم نصرا عزيزا، أي فتحنا لك ما ذكر ليكون لأمتك ما ذكرنا من المغفرة لهم وإتمام النعمة، والهداية لهم الصراط المستقيم، والنصر لهم النصر العزيز، أي نصرا يَعِزّون به في حياتهم وبعد وفاتهم[1] في الدنيا والآخرة. **والله أعلم**.

ومن الناس من يقول: إن الله جل وعلا امتحن رسوله عليه الصلاة والسلام في الابتداء بالخوف حين قال: وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ،[2] وجد[3] النبي صلى الله عليه وسلم لذلك وجدا شديدا ونزل بعده: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ، إلى آخره، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك: «قد[4] نزلت عليَّ آية أحبُّ إليَّ مما على الأرض»، ثم قرأها النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: هنيئا مريئا يا نبي الله، قد بين الله[5] لك[6] ماذا يفعل بك ولم يبين ماذا يفعل بنا، فنزل قوله تعالى: لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ، الآية.[7] **والله أعلم**.

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[٤]

وقوله عز وجل: **هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين**، قال بعضهم: السكينة هي كهيئة الريح لها جناحان ولها رأس كرأس الهِرّ. لكن هذا ليس بشيء [لأنه قال: **أنزل السكينة في قلوب المؤمنين** وما فسروا من السكينة كيف يكون نزولها في القلوب ولا يعلم ذلك. **والله أعلم**. وقيل: **أنزل السكينة**، هي الطمأنينة والرحمة، وأصل السكينة ما يسكن بها القلوب. والآية حجة على المعتزلة][8] فإنه عز وجل قال: **أنزل السكينة في قلوب المؤمنين** بحقيّة[9] الدين،

---

[1] ر: فاتهم.
[2] سورة الأحقاف، ٩/٤٦.
[3] وَجَد عليه في الغضب يَجُد ويَجِد وَجْدً وجِدَة وموجَدَة ووِجْدانا: غضب (*لسان العرب*، «وجد»).
[4] ث م - قد.
[5] ر م - الله.
[6] ر م: لكم.
[7] الآية ٥ من هذه السورة. عن أنس رضي الله عنه قال: نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ مَرْجِعَه من الحديبية فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لقد نزلت علي آية أحب إلي مما على الأرض» ثم قرأها النبي صلى الله عليه وسلم عليهم فقالوا: هنيئا مريئا يا نبي الله، قد بين الله لك ما ذا يفعل بك، وما ذا يفعل بنا؟ فنزلت عليه: ﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ حتى بلغ ﴿فوزا عظيما﴾، وفيه عن مُجَمِّع بن جارية (*سنن الترمذي*، تفسير القرآن ٤٨).
[8] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٣٩ظ.
[9] ر م: بحقيقة.

وهو[1] تفسير العلم. وهذا يدل على أن خالق العلم الاستدلالي ومنزله ومنشئه هو الله تعالى، وهم يقولون: إن خالقه هو المستدل،[2] فيكون حجة عليهم. قال بعض المعتزلة: إضافة إنزال السكينة إلى نفسه على سبيل المجاز ليس على التحقيق، كما يقال: فلان أنزل فلانا في منزله[3] أو مسكنه، وإن لم يكن منه حقيقةُ إنزاله إياه في المنزل لكن أضيف إليه ذلك لأنه وُجد منه أمر[4] وسبب به يصل ذلك إلى نزوله[5] في منزله ومسكنه، فعلى ذلك أضاف إنزال السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا، [لأمر كان منه وسبب ليس على حقيقة الإنزال وإثبات العلم وإحداثه في قلوبهم. لكنا نقول: إنزال الشيء للشيء لا يكون على ما ذكروا ولا إنشاء الشيء للشيء. وأخبر أنه أنزل السكينة ليزدادوا إيمانا]،[6] فلا يقال في مثله لأمر كان منه أو بسبب جعل له ذلك، وهو كقوله تعالى: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ،[7] وإنما يقال ذلك لتحقيق إنزال ذلك ليكون ما ذكر على ما أخبر أنه فتح ليغفر له ما ذكر. *والله أعلم*.

ثم قوله عز وجل: **ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم**، يخرج على وجوه. أحدها ما قال أبو حنيفة رحمه الله: **ليزدادوا إيمانا**، بالتفصيل[8] على / إيمانهم بالجملة. والثاني **ليزدادوا إيمانا** بمحمد صلى الله عليه وسلم وبكتابه **مع إيمانهم** بسائر الرسل والكتب التي كانوا آمنوا بها وصدقوها، وهذا في أهل الكتاب خاصة. والثالث[9] **ليزدادوا إيمانا** في حادث الوقت **مع إيمانهم** فيما مضى من الأوقات. فإذا وُصل هذا بالأول فيكون بحكم الزيادة. وإن شئت جعلته بحكم الابتداء، إذ للإيمان حق التجدد والحدوث في كل وقت. *والله أعلم*. |٧٣٣ظ|

وقوله عز وجل: **ولله جنود السماوات والأرض**، فإن كان نزوله على إثر قول ذلك المنافق على ما ذكر بعض أهل التأويل حيث قال لأصحابه: يزعم[10] محمد أن الله قد غفر له،

---

[1] م + وهو.
[2] ر م: المستبدل.
[3] ن: على منزله.
[4] ر م – أمر.
[5] ن + ولد.
[6] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٣٩ظ.
[7] الآية ١–٢ من هذه السورة.
[8] جميع النسخ: بالتفسير. وفي هامش *الشرح*: أي بتفصيل، ورقة ١٣٩ظ.
[9] ن – ليزدادوا إيمانا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبكتابه مع إيمانهم بسائر الرسل والكتب التي كانوا آمنوا بها وصدقوها وهذا في أهل الكتاب خاصة والثالث.
[10] ث: هو عمر.

وأن له على عدوه ظفرا،[1] ويهديه صراطا مستقيما، وينصره نصرا عزيزا، هيهات هيهات! لقد بقي له من العدو أكثر وأكثر[2] فأين أهل فارس والروم هم أكثر عددا؟ فعند ذلك نزل: **ولله جنود السماوات والأرض**، فمعناه أي لله تدبير جنود السماوات والأرض ينصر من يشاء على من يشاء، ويجعل الأمر لمن يشاء على ما[3] يشاء، ليس لهم التدبير وإنفاذُ الأمر على من شاءوا، ولكن ذلك إلى الله تعالى. وهو كقوله تعالى: فَلِلّٰهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا،[4] أي لله تدبير مكرهم لا يَنفُذ مكرهم إلا بالله تعالى، فعلى ذلك هذا. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وكان الله عليما حكيما**، أي عن علم بما يكون منهم من إيثارهم عداوة الله على ولايته واختيار الخلاف له أنشأهم لا عن جهل، ليُعْلَم أنه لم ينشئهم و لم يأمرهم بما أمرهم وامتحنهم بما امتحن لحاجة[5] نفسه أو لمنافعَ يرجع إليه، ولكن لحاجة أولئك ولمنافعهم. ولذلك قال: **حكيما**، لأن الحكيم هو الذي لا يلحقه الخطأ في التدبير. فإذا كان إنشاؤه إياهم وما أمرهم به ونهاهم عنه لا لحاجة له في نفسه[6] ولا منفعة ولكن لحاجتهم ومنفعتهم كان حكيما في إنشائه إياهم على علم منه بما يكون منهم من إيثار العداوة له على ولايته واختيار الخلاف له والمعصية. *والله الموفق*.

﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذٰلِكَ عِنْدَ اللهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[٥]

وقوله عز وجل: **ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها**، الآية، كأن هذا صلة قوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ،[7] **ليدخل المؤمنين والمؤمنات**، الآية، أنزل السكينة في قلوبهم، أي أنزل ما تسكن بها قلوبهم ليزدادوا بذلك إيمانا، وأنزل السكينة أيضا ليدخلهم فيما ذكر، كما ذكر في رسول الله صلى الله عليه وسلم: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ،[8] فتح له ليغفر له،

[1] جميع النسخ: ظفر.
[2] ن: وأكبر.
[3] ن ث: على من.
[4] سورة الرعد، ٤٢/١٣.
[5] ر م: لحاجته.
[6] ن ث: ذلك.
[7] الآية السابقة.
[8] الآية ١-٢ من هذه السورة.

فعلى ذلك أنزل السكينة في قلوبهم ليزداد[1] لهم الإيمان وليدخلهم جنات التي وصف. ثم أخبر أن ذلك لهم عند الله فوز عظيم[2] لا هلاك بعده ولا تَبِعَة. *والله أعلم*.

﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[٦]

وقوله عز وجل: **ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات**، ذكر للمنافقين والمشركين من العذاب مقابل ما ذكر للمؤمنين من إنزال السكينة عليهم وإدخالهم الجنة. حَرَمَ[3] هؤلاء السكينة التي ذكر أن قلوب المؤمنين بها تسكن،[4] لما علم أنهم يختارون عداوته[5] ويؤثرون عداوة أوليائه على ولايته وولايتهم،[6] وعلم من المؤمنين أنهم يؤثرون ولايته على عداوته وولاية أوليائه على عداوتهم، فأنزل[7] السكينة في قلوبهم ولم ينزل على أولئك هذا، ليعلم أن من بلغ في الإيمان الحد الذي ذكر إنما بلغ ذلك بالله تعالى وبفضله وبرحمته. *ولا قوة إلا بالله*.

وقوله: **الظانّين بالله ظن السَّوْء**، جائز أن يكون قوله[8] عز وجل: **الظانين بالله ظن السوء** هم المنافقين[9] الذين ذكرهم في آية أخرى حيث قال: بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ،[10] ظنوا[11] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرجع إلى أهله وكذلك المؤمنون لا يرجعون إلى أهليهم أبدا. ثم أخبر أن ذلك الظن منهم ظن السّوء، فيحتمل ما ذكر هاهنا: **الظانين بالله ظن السوء** هو[12] ما ذكرنا. *والله أعلم*. وجائز أن يكون قوله: **الظانين بالله ظن السوء** هم المشركين.[13] ثم إن كانوا من المنافقين

[1] جميع النسخ: ليزدادوا.
[2] جميع النسخ: عند الله فوزا عظيما.
[3] ر م: جزم.
[4] ر ث م: يسكن.
[5] ن - عداوته.
[6] ر م: على ولايتهم؛ ث: على ولايته وفي ولايتهم.
[7] ر م: فإنزال.
[8] ث - قوله.
[9] جميع النسخ: المنافقون.
[10] الآية ١٢ من هذه السورة.
[11] ر - ظنوا.
[12] ر ث م: هذا.
[13] جميع النسخ: المشركون.

فيكون ظنهم بالله ظن السوء أن لا يرجع هو وأصحابه إلى أهليهم أبدا، وإن كانوا من مكذبي الرسول صلى الله عليه وسلم فيكون ظنهم بالله ظن السوء أن لا يُكْرِم محمدا صلى الله عليه وسلم بالرسالة ولا يعظّمه بالنبوة ولا يختاره[1] ولا يؤثره[2] على غيره من الناس الذين[3] يختارون هم، كقوله:[4] لَوْلَا نُزِّلَ هٰذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ،[5] فيكون ظنهم بالله ظن السوء على هذا: أن لا يكرم الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ولا يختاره[6] لرسالته ونبوته. *والله أعلم*. وإن كانوا[7] من مكذبي البعث ومنكريه فيكون ظنهم بالله ظن السوء، وهو أن لا يقدر على البعث والإحياء بعد الموت. ثم أخبر أن عليهم دائرةَ السوء الذي ظنوا، فإن كانوا من المنافقين ظنوا[8] أن لا يرجع[9] رسول الله صلى الله عليه وسلم [إلى أهله] فصار عليهم ما ظنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث تفرقوا من أوطانهم وهُتِك أستارهم ونحو ذلك. [٧٣٤و] وإن كانوا من مكذبي الرسول صلى الله / عليه وسلم أنه لا يرسله، فعليهم[10] كان ما ظنوا، لأنه بُعث هو رسولا ولم يبعث من[11] اختاروا هم،[12] وإن كانوا من منكري البعث فعليهم كان عذاب [ذلك][13] اليوم وفيه هلاكهم. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا**، أخبر[14] عز وجل أنهم استوجبوا غضب الله ولعنه بالذي كان منهم من سوء ظنهم بالله وبرسوله[15] وأعدّ لهم جهنم بذلك وساءت مصيرا لهم.

---

[1] ر ث م: لا يختاره.
[2] ر م: ولا يؤثر.
[3] م: الذي.
[4] جميع النسخ: كقولهم.
[5] سورة الزخرف، ٤٣/٣١.
[6] ر ث م: ولا يختار.
[7] جميع النسخ + ذلك.
[8] ر م – فإن كانوا من المنافقين ظنوا.
[9] جميع النسخ + إلى.
[10] جميع النسخ: فظنهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٤٠ظ.
[11] ث: من.
[12] ن: اختاروهم.
[13] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٤٠ظ.
[14] ن + أنه.
[15] ث م: ورسوله.

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[٧]

وقوله عز وجل: **ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عزيزا حكيما**، ذكر على إثر ما ذكر **عزيزا حكيما** ليعلم أن عزه ليس بما ذكر من الجنود الذين له في السماوات والأرض ولكنه عزيز[١] بذاته، له العز الذاتي الأزلي. ***والله أعلم***.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[٨]

وقوله عز وجل: **إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا**، قوله: **شاهدا**، لله بما[٢] لله تعالى على عباده وما[٣] لبعضهم على بعض. فعلى هذا التأويل يكون قوله: **شاهدا**، أي مبينا، أي ليتبين ما لله عليهم وما لبعضهم على بعض، وهو قول أبي بكر الأصم.[٤] وقال بعضهم: أي شاهدا للرسل عليهم السلام بالتبليغ بالإجابة لمن أجابهم، وشاهدًا على من أبى الإجابة بالإباء والرد. فعلى هذا التأويل يكون قوله: **شاهدا** على حقيقة الشهادة على ما ذكرنا.[٥] ***والله أعلم***. وقال بعضهم: أي أرسلناك شاهدا على أمتك وعلى[٦] الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالتبليغ ومن ذكرنا. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ومبشرا ونذيرا**، البِشارة هي تذكير[٧] عواقب الخيرات والحسنات والإخبارُ عن أحوالها أنها إلى ماذا تفضي[٨] أربابَها وعُمّالها ليرغّبهم فيها، والنِذارة هي[٩] تذكير[١٠] عواقب الشرور والسيئات والإخبار عن أحوالها أنها إلى ماذا تفضي[١١] أربابها ومرتكبيها ليزجرهم عنها. ***والله أعلم***.

---

[١] ر م: عزيزا.
[٢] ر م: عما؛ ن - لله مما.
[٣] ر م: ما.
[٤] هو أبو بكر عبد الرحمن بن كيسان الأصم (ت نحو ٢٢٥هـ/٨٤٠م)؛ فقيه معتزلي مفسر. وله «*تفسير*»، و «*مقالات*» في الأصول، و «*مناظرات*» مع العلاّف. وله أيضا *أنباء في الرفض والتجسيم*. انظر: *لسان الميزان* لابن حجر، ٥١٩/٣.
[٥] ن: ذكرناه.
[٦] جميع النسخ: على أمتك على. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٤٠ظ.
[٧] ر ث م: تذكر.
[٨] جميع النسخ: يفضي.
[٩] ن - عواقب الخيرات والحسنات والإخبار عن أحوالها أنها إلى ماذا تفضي أربابها وعمالها ليرغبهم فيها والنذارة هي.
[١٠] ر ث م: تذكر؛ ن - تذكير. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] جميع النسخ: يفضي.

﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾[٩]

وقوله عز وجل: **لتؤمنوا بالله ورسوله**، خاطب بهذا البشر كلَّه وفي الأول خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم، كأنه يقول على الجمع[١] بينهما في الخطاب: أرسلناك رسولا شاهدا لتؤمنوا[٢] أنتم بالله ورسوله. ويحتمل أن يكون على الإضمار، أي إنا أرسلناك مبشرا ونذيرا، وقل لهم: إنما أرسلت لتؤمنوا بالله ورسوله، وهو كقوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ،[٣] معناه: يا أيها النبي قل لهم: إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن،[٤] فعلى ذلك جائز ما ذكرنا. *والله أعلم*. وقرئ بالياء[٥] وهي ظاهرة. ثم الإيمان بالله تعالى هو أن يَشهد له بالوحدانية والألوهية وأن له الخلق والأمرَ في كل شيء وكل أمر، والإيمانُ برسوله هو[٦] أن يشهد له بالصدق في كل أمر والعدالةِ[٧] له فيما يحكم ويقضي ويصدقه في كل ما يقوله ويجيبه في كل ما يدعو إليه ويطيعه في كل أمر يأمر به[٨] وينهى عنه. *والله أعلم*.

قوله عز وجل: **وتُعَزِّروه**، اختلف فيه. قال بعضهم: أي تنصروه وتعينوه،[٩] وقال بعضهم: أي تطيعوه،[١٠] وقال بعضهم: أي تعظموه.[١١] فمن يقول: إن قوله: **وتعزروه** ليس على النصر والإعانة ولكن على التعظيم أو على الطاعة استدل بما قال في آية أخرى: وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ،[١٢] ذكر التعزير وعَطَفَ النصر عليه، والمعطوف غير المعطوف عليه فدل أنه غير النصر. ولكن جائز أن يذكر الشيء الواحد بلفظين مختلفين، ومعناهما واحد، على التأكيد. وكذلك من يقول بالتعظيم يقول: أمرهم بتعظيمه في الحرفين، أعني قوله: **وتعزروه وتوقروه**، وذلك جائز في الكلام.

---

[١] م: على الجميع.
[٢] ن: ليؤمنوا.
[٣] سورة الطلاق، ٦٥/١.
[٤] ث – معناه يا أيها النبي قل لهم إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن.
[٥] قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿ليؤمنوا بالله ورسوله ويعزروه ويوقروه ويسبحوه﴾ كله بالياء (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤١٠).
[٦] ن – هو.
[٧] ر ن م: وبالعدالة.
[٨] ر ن م: ربه.
[٩] جميع النسخ: ينصروه ويعينوه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٤٠ظ.
[١٠] ر ن م: أي يطيعوه.
[١١] ر ن م: أي يعظموه.
[١٢] ﴿فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾ (سورة الأعراف، ١٥٧/٧).

ويحتمل أن يكون التعزير هو الطاعة له، والتوقير هو التعظيم، وفي الطاعة له تعظيمه. *والله أعلم*.
ومن قال بالنصر والمعونة في التبليغ [فمراده] تبليغ الرسالة إلى الخلق والدفع عنه والذب، والتعظيم له في قلبه وجميع جوارحه. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وتسبحوه بكرة وأصيلا**.[١] أجمع أهل التأويل أن قوله تعالى: **وتسبحوه بكرة** راجع إلى الله تعالى، وكذلك ذكر في بعض القراءة:[٢] وتسبحون[٣] الله بكرة وأصيلا. والتسبيح[٤] هو التنزيه عن العيوب والآفات فإن كان المراد بالتسبيح هو التنزيه[٥] في الأفعال والأقوال فجائز نسبة[٦] ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه كان بريء العيوب في أفعاله وأقواله لا يدخل في أفعاله وأقواله عيب، وإن كان هو تنزيها عن الحدثية[٧] والفناء وآفات تحل[٨] في نفسه فذلك لا يجوز إضافته ونسبته إلا إلى الله[٩] عز وجل، فأما غيره لا يجوز إضافة ذلك إليه. وأصله ما ذكر أهل التأويل من صرفه إلى الله تعالى.

وقوله عز وجل: **بكرة وأصيلا**، صرف أهل التأويل البكرة إلى صلاة الفجر والأصيل إلى صلاة المغرب والعشاء، ولكن جائز أن يكون البكرة كناية عن النهار والأصيل كناية وعبارة[١٠] عن الليل، فكأنه يقول: سبحوا بالليل والنهار جملة في كل وقت. *والله أعلم*.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله**، أجمع أهل التأويل أو عامتهم على أن المبايعة[١١] المذكورة في هذه الآية هي البيعة التي كانت بالحُدَيْبِيَة بايعوه على أن لا يفروا إذا لَقُوا عدوا.

---

[١] ر م + والتسبيح.
[٢] ن: القرآات.
[٣] ر ن م: ويسبحون.
[٤] ن: التسبيح.
[٥] ر ث م – عن العيوب والآفات فإن كان المراد بالتسبيح هو التنزيه.
[٦] ن: شبه.
[٧] م: عن الحديثة.
[٨] ر م: كل؛ ن: يحل.
[٩] ر: ونسبة إلى الله؛ م: ونسبته إلى الله.
[١٠] م – وعبارة.
[١١] ر: المبالغة.

[٧٣٤ظ] قال مَعْقِل بن يسار: لقد رأيتني يوم الشجرة / والنبي صلى الله عليه وسلم يبايع الناس، وأنا رافع غصنا من أغصانها عن رأسه ونحن أربعَ عَشْرَةَ مائةً، أي ألفُ وأربعُ مائةِ نفرٍ، وقال: لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على أن لا نَفِرّ.[١] وجائز أن تكون[٢] المبايعة على أن لا يفروا كما[٣] ذكر في آية أخرى: وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ.[٤] والمبايعة هي[٥] المعاهدة، ألا ترى أنه قال:[٦] **ومن أوفى بما عاهد عَلَيْهُ الله**، ذكر في أول الآية المبايعة وفي آخرها المعاهدة[٧] ليعلم أن المبايعة والمعاهدة سواء. *والله أعلم*. ثم إضافة مبايعتهم رسوله إلى نفسه يحتمل[٨] وجهين. أحدهما لما بأمره يبايعونه. [والثاني][٩] ذكر ونَسَب إلى نفسه لعظم[١٠] قدره وجليل منزلته عنده. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **يد الله فوق أيديهم**، قال بعضهم: يد الله في جزاء المبايعة فوق أيديهم في المبايعة أو كلام نحوه. وجائز أن يكون قوله تعالى: **يد الله فوق أيديهم**، أي يد الله في الجزاء إذا وَفَوْا بالعهد فوق أيديهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه لما بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، كانت لهم عنده[١١] يد فيخبر أن جزاء الله الذي يَجزيهم بوفاء ذلك المبايعة فوق أيديهم التي لهم عند[١٢] رسول الله صلى الله عليه وسلم. *والله أعلم*. ويحتمل أن يكون ما ذكر من يد الله وإضافتها إليه يريد بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، كأنه يقول: يد رسول الله صلى الله عليه وسلم عندكم فيما بايعكم فوق أيديكم عنده، لما يحتمل أن يقع عندهم[١٣] أن يكون لهم يد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بما بايعوه، كقوله تعالى: يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا،[١٤] الآية،[١٥]

[١] صحيح مسلم، الإمارة ٧٦.
[٢] ر ث م: أن يكون.
[٣] ن ث – كما.
[٤] سورة الأحزاب، ١٥/٣٣.
[٥] ث – هي.
[٦] جميع النسخ + في آية أخرى.
[٧] ث – وفي آخرها المعاهدة.
[٨] ن: ويحتمل.
[٩] جميع النسخ: أو.
[١٠] ر ن م: لعظيم.
[١١] ث: له عندهم.
[١٢] ن – عند.
[١٣] ث: عنده.
[١٤] سورة الحجرات، ١٧/٤٩.
[١٥] ن – الآية.

فيخبر أن يد رسول الله عندكم[١] فوق أيديكم عنده بالمبايعة التي بايعتم. *والله أعلم*. ويحتمل: أي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم[٢] بالمدّ والبسط بالمبايعة فوق أيديهم. *والله أعلم*. ويحتمل قوله: **يد الله فوق أيديهم**، أي توفيق الله تعالى إياكم ومعونته على مبايعتكم رسوله فَوْقٌ وخيرٌ من وفائكم ببيعته وعهده. *والله أعلم*. وجائز أن يكون قوله: **يد الله فوق أيديهم**، أي يد الله في النصر لرسوله فوق أيديهم، كقوله تعالى: وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ،[٣] حقيقةُ النصر إنما يكون بالله تعالى. ***ولا قوة إلا بالله***.

وقوله عز وجل: **فمن نكث فإنما يَنكُث على نفسه**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما كقوله جملة:[٤] مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا،[٥] فعلى ذلك من نكث فإنما له جزاء نَكْثه وهي النار، ومن أوفى فله ما ذكر من جزاء الوفاء. والثاني **فمن نكث فإنما ينكث على نفسه**، أي من نكث فعليه ضرر نكثه وإليه يرجع ذلك الضرر لا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، لأن الله جل وعلا قد[٦] وعد النصر له والظفر بأولئك، فمن نكث فإنما يرجع ضرر نكثه إليه، إذ الله يفي لرسوله صلى الله عليه وسلم ما وعد[٧] من النصر له. *والله أعلم*.

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[١١]

وقوله عز وجل: **سيقول لك المخلفون من الأعراب**، قوله تعالى: **المخلفون**، سماهم مخلَّفين ولم يخلِّفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه، ولكن الله تعالى خلَّفهم عن ذلك بأن أحدث فيهم فعل التخلّف لما علم منهم ما كان من اختيارهم التخلف، وهو[٨] كقوله تعالى:

---

[١] ر ث م – عندكم.
[٢] ن – صلى الله عليه وسلم.
[٣] سورة آل عمران، ١٢٦/٣.
[٤] ث – جملة.
[٥] سورة فصلت، ٤٦/٤١.
[٦] ر ث م – قد.
[٧] ر م + الله.
[٨] ر ث م – وهو.

وَلَٰكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ،[1] أي منعهم؛ فعلى ذلك ما ذكر من المخلَّفين أن الله سبحانه[2] وتعالى[3] خلَّفهم عن ذلك، وهم اكتسبوا فعل التخلف في أنفسهم. دل أن خالق أفعال[4] العباد[5] هو[6] الله تعالى. *والله الموفق*.

وقوله عز وجل خبرا عنهم: **شغلتنا أموالنا وأهلونا**، هذا القول منهم قول اعتذار وطلب العذر من رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقولهم:[7] **فاستغفر لنا**، طلبوا منه الاستغفار مع إظهارهم العذر في التخلف بقولهم: **شغلتنا أموالنا وأهلونا**، يقولون: وإن حبَسَتْنَا أموالنا[8] وأهلونا لم يكن لنا التخلف عنك: **فاستغفر لنا**. ولكن مع هذا لم يُقبَل عذرهم، لأنهم كانوا لا يحققون في طلبهم الاستغفار منه لأنهم أهل نفاق لا يؤمنون برسالته ولا بالبعث كي ينفعهم المغفرة في الآخرة. ألا ترى أنه قال في آية أخرى: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ،[9] الآية، دل هذا الفعل منهم[10] على أنهم كانوا غير محققين طلب الاستغفار منه بقولهم: **فاستغفر لنا**، حيث قال: **يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم**، أي يقولون بألسنتهم قولهم: **فاستغفر لنا** ما ليس في قلوبهم حقيقة ذلك. ولا جائزٌ أن يُصرف قولهم: **يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم**، إلى قولهم: **شغلتنا أموالنا وأهلونا**، أي كانوا[11] كاذبين في العذر ولكن طلبوا[12] الاستغفار حقيقة، لا يقال هذا لأنهم كانوا صادقين في أن أموالهم وأهليهم[13] شغلتهم عن ذلك فلا يمكن صرف الآية إلى ذلك. *والله الموفق*.

---

[1] ﴿ولو أرادوا الخروج لأَعَدّوا له عُدّة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين﴾ (سورة التوبة، ٩/٤٦).
[2] ن – سبحانه.
[3] ن + هو.
[4] ن: الأفعال.
[5] ن – العباد.
[6] ث: وهو.
[7] ن – وقولهم.
[8] أي ولو لم يكن حبستنا أموالنا.
[9] سورة المنافقون، ٦٣/٥.
[10] ن + على.
[11] ر ث م – كانوا.
[12] م + الاسعة.
[13] ر ن م: وأهلوهم.

وقوله عز وجل: **قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضَرًا أو أراد بكم نفعا**، قد ذكرنا أن حرف الاستفهام من الله تعالى يكون على الإيجاب،[١] فيُنظَر أن لو كان ذلك السؤال من مستفهم كيف يجاب / له؟ فيكون من الله تعالى على الإيجاب: أن[٢] لا أحد يملك لكم نفعا [٧٣٥و] إن كان الله أراد بكم ضَرًا، ولا أحد يملك لكم ضرا إن كان الله أراد بكم نفعا. يخبر أنكم وإن تخلفتم لحفظ أموالكم وأهليكم فإن الله تعالى لو أراد بكم ضرا لا تملكون[٣] دفعه عن أنفسكم، وإن لم تتخلفوا[٤] ولكن خرجتم معه فلا يملك أحد الضرر لكم. غير أنه لا عذر لهم[٥] في التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم أوعدهم فقال: **بل كان الله بما تعملون خبيرا**. جعل الله أنفس المنافقين وصنيعهم آية ودلالة[٦] على رسالة رسوله صلى الله عليه وسلم في حق المنافقين حين كان يُطْلع رسوله على جميع ما أسرّوا في أنفسهم وأضمروا في قلوبهم ليعلموا أنه إنما عرف ذلك بالله تعالى وجعل الآية له في حق غيرهم من الكفرة من غير صنيعهم وأنفسهم حتى علموا بذلك أنه بالله قدر على ذلك. ***والله أعلم***. وقال أهل التأويل: **إن أراد بكم ضَرًّا**، أي الهزيمة، **أو أراد بكم نفعا**، ظهورا على عدوكم وغنيمة. يحتمل أن يكون الخطاب بهذا أهل[٧] الإيمان والوعظ لهم[٨] بذلك، لأن أهل النفاق كانوا لا يصدقون رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يقبلون ما يقول من المواعظ وغيره.

﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا**. فإن قيل: ما الذي حملهم على الظن الذي ظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون لا يرجعون إلى أهليهم أبدا؟ إذا[٩] كان ذلك في خروجهم إلى الحديبية، على ما قال أهل التأويل:

---

[١] ن - يكون على الإيجاب؛ ن هـ: يكون على الإيجاب؛ ن + واجب.
[٢] ن: أي.
[٣] ن: لا يملكون.
[٤] ن: وإن لم يتخلفوا.
[٥] جميع النسخ: له. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٤١ظ.
[٦] ر: ودلالته.
[٧] جميع النسخ: الأهل.
[٨] ث - لهم.
[٩] ن: إذ.

إن ذلك كان في خروجهم إلى الحديبية، وكان خروجهم للحج[1] وقضاء المناسك لا للقتال والحرب معهم، حتى يقع عندهم أنهم لا يرجعون بل يَهلِكون في ذلك، وأهل مكة لم يكونوا يمنعون[2] أحدا من أهل الآفاق[3] يدخل مكة للحج وقضاء المناسك.

قيل: لأن أهل النفاق كانوا قد كتبوا إلى أهل مكة وأعلموهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم خرجوا إليكم[4] للحج وزيارة البيت، فقالوا: إنا لا نَدَعُهم يدخلون مكة بل نقاتلهم ونحاربهم ولا نتركهم[5] يدخلونها. فإذا كان منهم ما ذكرنا فجائز أن يكونوا ظنوا ما ذكرنا من ظنهم، فأما على غير ذلك فلا يحتمل مع اجتماع أهل التأويل على أن ذلك كان في أمر الحديبية. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **وظننتم ظن السَّوْء**، أي ظننتم برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ظن السوء أنهم لا يرجعون إلى أهليهم، ويحتمل: ظننتم بالله ظن السوء أنه لا ينصر رسوله ولا يعينه.[6]

وقوله عز وجل: **وكنتم قوما بورا**، قال بعضهم: **بورا** أي هَلْكَى، أي تصيرون[7] قوما هلكى. فيه دليل أنهم يموتون على نفاقهم. وقال الحسن: **كنتم قوما بورا**، أي فاسدون لا خير فيكم[8] وكذلك يقول ابن عباس رضي الله عنهما: إن البُور هو الفاسد.[9] وقال بعضهم: البور في كلام العرب لا شيء،[10] وقال القُتَبِي: البور الهلكى.[11]

﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا**، فهو ظاهر.

---

[1] ر: للحجج.

[2] جميع النسخ: يتبعون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٤١ظ.

[3] ر ث م: الإيمان.

[4] ر ن - إليكم.

[5] ر م: ولا يتركهم.

[6] ن + والله أعلم.

[7] ر م: يبصرون؛ ن ث: يصيرون. والتصحيح من المرجع السابق.

[8] جميع النسخ: فيهم. والتصحيح من المرجع السابق.

[9] *معاني القرآن* للفراء، ٦٦/٣؛ وتفسير غريب *القرآن* للقتبي، ٤١٢.

[10] تفسير غريب *القرآن* للقتبي، ٤١٢.

[11] تفسير غريب *القرآن* للقتبي، ٤١٢.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **ولله ملك السماوات والأرض**، قيل فيه بوجوه. أحدها ولله خزائن السماوات والأرض، وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقرأه: ولله خزائن السماوات[١] والأرض. والثاني ولله مُلْك كلّ مُلْكٍ في السماوات والأرض، أي لله حقيقة مُلك كل مُلك في السماوات والأرض.[٢] والثالث ولله ولاية أهل السماوات والأرض وسلطانه، أي الولاية والسلطان له على أهل السماوات والأرض. ثم يحتمل ذكره هذا وجهين. أحدهما يخبر أنه فيما يأمرهم وينهاهم ويمتحنهم بأنواع المحن بما يأمر[٣] وينهى ويمتحن لا لحاجة نفسه ولا لمنفعة له، إذ له ملك السماوات والأرض، ولا يحتمل من له[٤] ملك ما ذكر أن يقع له الحاجة إلى ما ذكر أو المنفعةُ، لأنه غني بذاته، ولكن يأمرهم وينهاهم ويمتحنهم بما امتحن لحاجتهم ولمنفعتهم. ***والله أعلم***.

والثاني يذكر هذا ليقطعوا الرجاء عما في أيدي الخلق ويصرفوا الطمع والرجاء[٥] إلى الله تعالى، ومنه يرون كل نفع وخير يصل إليهم، ومنه يخافون في كل أمر فيه خوف لا يخافون سواه ولا يطمعون غيره، وهو ما أخبر: يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ،[٦] ***ولا قوة إلا بالله***.

وقوله عز وجل: **يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء**، يقول -والله أعلم- هو يغفر لمن يشاء[٧] وهو المالك لذلك، وهو يعذب من يشاء؛ أي ليس يملك أحد مغفرة ذنوب أحد سواه ولا تعذيبَه، إنما ذلك منه وله ملك ذلك، وله الفعل[٨] دون خلقه ليصرفوا طمعهم ورجاءهم في كل أمر إلى الله تعالى، ومنه يخافون في كل أمر فيه خوف. ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **وكان الله غفورا رحيما**، أي وكان الله لم يزل رحيما لا أنه حدث ذلك له بخلقه.[٩] ***والله الموفق***.

---

[١] ن – وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقرأه ولله خزائن السماوات.
[٢] ر – والثاني ولله ملك كل ملك في السماوات والأرض أي لله حقيقة ملك كل ملك في السماوات والأرض.
[٣] ر ث م + هم.
[٤] ن – من له.
[٥] ن: الرجاء والطمع.
[٦] سورة فاطر، ١٥/٣٥.
[٧] ن + ويعذب من يشاء.
[٨] ن: الفضل.
[٩] م: يخلفه.

﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذٰلِكُمْ قَالَ اللهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[١٥]

[٧٣٥ظ] وقوله: **سيقول المخلفون**، أي المخلفون[١] من الحديبية خلّفهم / الله عز وجل لما علم منهم من اختيار التخلف. وقوله:[٢] **إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم**، الآية.[٣] ذكر أهل التأويل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صالح أهل مكة عام الحديبية ورجع [و]اشتد ذلك على أصحابه رضي الله عنهم لما كانوا طمعوا دخول مكة والزيارة لبيته بشره ربه بفتح خيبر والغنيمة لهم، فعند ذلك لما انتهى إلى المنافقين المخلفين عن الحديبية تلك البشارة له بفتح خيبر عليهم قالوا: **ذرونا نتبعكم**، فنصيب معكم الغنائم. وإنما رغبوا في اتباعهم معهم[٤] لما علموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصدُق فيما يخبر من البشارة له بالفتح[٥] والغنيمة له[٦] بلا مئونة قتال ولا حرب يقع هنالك.

وقوله: **يريدون أن يبدلوا كلام الله**، لأن البشارة بفتح خيبر وجَعْلِه[٧] غنيمة لمن شهد الحديبية، فأما من تخلّف عنها فليس له في ذلك من[٨] نصيب. فأخبر الله[٩] تعالى أنهم يريدون أن يبدلوا ما وعد الله تعالى للمؤمنين الذين شهدوا الحديبية [من] فتح خيبر خاصة بأن يشركوهم فيها، وفي ذلك تبديل ما وعد الله –والله أعلم–[١٠] إذ لم يشهدوا هم الحديبية، والبشارة بالفتح لمن شهدها فأما من تخلف عنها فلا.[١١] وقال بعضهم: تبديل كلام الله ما قال في سورة براءة: فَإِنْ رَجَعَكَ اللهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا،[١٢]

---

[١] ر م – أي المخلفون.
[٢] ن: قوله.
[٣] ن – الآية.
[٤] ن – معهم.
[٥] ر م: والفتح.
[٦] ن – له.
[٧] ث: وفعله.
[٨] ن – من.
[٩] ن – الله.
[١٠] ر م – الله والله اعلم.
[١١] ن ث – إذ لم يشهدوا هم الحديبية والبشارة بالفتح لمن شهدها فأما من تخلف عنها فلا.
[١٢] سورة التوبة، ٨٣/٩.

فلما سألوا الخروج إلى خيبر[١] والاتباع لهم وقد نهاهم عن الخروج معه[٢] أبدا يريدون أن يبدلوا ذلك النهي الذي نُهُوا في سورة براءة. فيحتمل الأمرين جميعا.

كذا ذكر {الشيخ رحمه الله}. وعامة أهل التأويل على أن قوله: فَإِنْ رَجَعَكَ اللهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا،[٣] نزل[٤] في غزوة تبوك وأنها بعد خيبرَ فلم يكن خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر تبديلَ النهي الذي نُهوا عن الخروج معه. لكن كأنه لم يثبت عنده نزول الآية في غزوة تبوك أو وقع الخطأ من الذين تلقنوا[٥] منه وكتبوه. *والله أعلم*.[٦]

وقوله عز وجل: **قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل**، يحتمل قوله: **كذلكم قال الله من قبل**، هي البشارة التي ذكرنا لمن شهد الحديبية، قال: إن "مغانم خَيْبَرَ" لمن شهد الحديبية وأما من لم يشهد فلا. ويحتمل قوله: **من قبل**، ما ذكر في سورة براءة: فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا.[٧] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فسيقولون بل تَحْسُدوننا بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا**. كانوا يقيسون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنفسهم، لأنهم إذا أصابوا شيئا، أعني المنافقين، كانوا يحسدون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا أن لا يكون[٨] لهم[٩] في ذلك نصيب[١٠] ولا حظ حسدا منهم لهم. فلما منعهم المؤمنون عن الخروج إلى خيبر وقالوا: إن الله نهاكم أن تخرجوا معنا وقد بُشِّروا بالفتح، قالوا عند ذلك: بل تحسدوننا في إصابة تلك الغنائم، لم يَنْهَنا الله تعالى عن الخروج معكم. قاسوا[١١] المؤمنين بأنفسهم. **بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا**،

[١] م: إلى الخير.
[٢] ر م: معهم؛ ن – معه.
[٣] سورة التوبة، ٨٣/٩.
[٤] ر: أنزل.
[٥] ن: يلقنوا.
[٦] يبدو أن هذه القطعة ليست من إملاء الإمام رحمه الله، بل هي نقلت من الناسخين الذين اهتموا *بتأويلات القرآن* ومعانيها.
[٧] سورة التوبة، ٨٣/٩.
[٨] ر م: أن لا يكونوا.
[٩] ن + شيء.
[١٠] ن – نصيب.
[١١] ن: قالوا.

الفقه[1] هو الاستدلال بما عرفوه[2] وشهدوه على الذي لم يعلموه وغاب عنهم، يخبر أن هؤلاء لا يعرفون الاستدلال؛ وقال بعضهم: الفقه[3] هو معرفة الشيء بنظيره الدال على غيره. ***والله أعلم***.

﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **قل للمخلفين من الأعراب**، وهم الذين تخلفوا عن الحديبية، **ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد**، على قول ابن عباس رضي الله عنه ومقاتل، وهؤلاء هم بنو[4] حنيفة وفيهم مُسَيْلِمة الحنفي الكذّاب اسْتُنْفِرت[5] إليهم الأعراب بعد نبي الله صلى الله عليه وسلم فدعا هم[6] أبو بكر الصديق إلى قتالهم.[7] وقال الحسن: هم أهل فارس والروم، وقال قتادة وغيره: دُعوا إلى قتال هَوازنَ وثقيف يومَ حُنَيْن. ويروى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول: دُعوا يوم حنين إلى هوازن وثقيف فمنهم من أحسن الإجابة ورغب في الجهاد ومنهم من أبى.[8] لكن ما قال قتادة غير محتمل، لأن قتال هوازن وثقيف يوم حنين كان في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو تولَّى ذلك. وقال في آية أخرى: فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا،[9] الآية، فلا يحتمل أن يُدْعَوْا إلى قتال هؤلاء وهو تولى قتالهم؛ وقد قال الله[10] تعالى خبرا عنه: وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا، فإذا[11] لم يحتمل هذا رجع التأويل إلى ما قال ابن عباس ومقاتل رضي الله عنهما: إنهم إنما دُعوا إلى قتال أهل اليمامة، وهم بنو حنيفة، دعاهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه. لكن لو كان ما قال أهل التأويل: إن قوله تعالى: فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا،[12] نزل في غزوة تبوك وهي بعد يوم حنين فيكون ما قاله قتادة محتملا. ***والله أعلم***.

---

[1] ر: القصة.

[2] ر م: عرفوا.

[3] ر: القصة.

[4] ن: بنوا.

[5] ر ث م: استقرت.

[6] ن – فدعاهم.

[7] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٣/٢٥٠.

[8] *تفسير الطبري*، ٢٦/١٠٨.

[9] سورة التوبة، ٩/٨٣.

[10] ن – الله.

[11] ن: فإذ.

[12] سورة التوبة، ٩/٨٣.

أو أن يكون قوله: وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا، في قوم خاص وهو ما قال: اِسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ،[١] أي أهل الغناء والثروة.[٢] إنما قال ذلك لأولي[٣] الطول الذين استأذنوه القعود مع القاعدين. *والله أعلم*. ويحتمل قوله تعالى: **ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد**، في أهل / فارس والروم [٧٣٦و] على ما قال الحسن، وذلك إنما فتح في زمن عمر رضي الله عنه. وقوله عز وجل: **تُقاتلونهم أو يُسلمون**، ومن قرأها:[٤] "تقاتلونهم[٥] أو يسلموا" بالألف، فيكون تأويله: تقاتلونهم حتى يسلموا.[٦]

وقوله تعالى: **فإن تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا**، أي إن تطيعوا فيما دُعِيتم إلى الجهاد يؤتكم الله أجرا حسنا.[٧] ذكر أنه يؤتهم أجرا[٨] حسنا لأن توبتهم تكون[٩] فيما كان كفرهم، وكان نفاقهم إنما ظهر[١٠] بتخلفهم عن الجهاد، فعلى ذلك يكون توبتهم في تحقيق الجهاد. وقوله: **وإن تتولوا**، فيما دعيتم إليه **كما توليتم**، عن الحديبية وغيره **يعذّبكم عذابا أليما**.

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[١٧]

ثم عذر أهل العذر منهم بقوله تعالى: **ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج**، كما عذر[١١] أهل العذر من المؤمنين بقوله: لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ،[١٢] الآية. وقوله عز وجل: **ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتول يعذبه عذابا أليما**، لأنهم إذا تولوا عادوا إلى ما كانوا.

---

[١] ﴿وإذا أنزلت سورة أن آمِنوا بالله وجاهِدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطَّول منهم وقالوا ذَرْنَا نكنْ مع القاعدين﴾ (سورة التوبة، ٨٦/٩).
[٢] ر: والثرو.
[٣] ث: لأن.
[٤] ن: ومن قرأ.
[٥] جميع النسخ: يقاتلونهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٤٢ظ.
[٦] نسبه القرطبي إلى أبي. *تفسير الطبري*، ١٠٩/٢٦؛ *والجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٢٧٣/١٦.
[٧] ن – أي إن تطيعوا فيما دعيتم إلى الجهاد يؤتكم الله أجرا حسنا.
[٨] ر: أجر.
[٩] ن: يكون.
[١٠] ث: يظهر.
[١١] جميع النسخ: كما عجز. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٤٢ظ.
[١٢] سورة التوبة، ٩١/٩.

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[١٨] ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[١٩]

وقوله[١] عز وجل: **لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة**، يحتمل قوله:[٢] **لقد رضي الله عن المؤمنين**،[٣] لِما عزموا من الوفاء على ما بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والصدقِ لذلك والتحقيق لما عهدوا من الوفاء، لذلك أخبر الله أن قد رضي[٤] عنهم لذلك. فنحن نستدل به على صدق[٥] ذلك وتحقيقه وإن لم يخبرنا الله تعالى أنهم قد عزموا على ذلك، فيجوز لنا أن نشهد أنهم قد عزموا على الوفاء لذلك والصدق له. وقد يكون من الاستدلال ما تجوز[٦] الشهادة له بالحق والصدق إذا[٧] كان في الدلالة مثل ما ذكرنا. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فعلم ما في قلوبهم**، هذا يحتمل وجوها. أحدها ما ذكرنا [أنه] عَلِم[٨] ما في قلوبهم من العزم على الوفاء والصدق لما أعطوا بأيديهم من أنفسهم.

والثاني علم[٩] ما في قلوبهم من الخوف والخشية، وذلك يتوجه وجهين. أحدهما أنهم خَشُوا أن لا يتهيأ لهم القيام بأهل مكة، لأنهم كانوا مستعدين للحرب والقتال، وهم كانوا خرجوا لقضاء المناسك وزيارة البيت، خَشُوا أن لا يقوموا لهم فلم يَفُوا ما عاهدوا. والثاني خشوا أن لا يقدروا على وفاء ما بايعوا وأعطوه، لأن في ذلك مناصبةَ جميع أهل الأديان والمذاهب. *والله أعلم*.

والثالث علم ما في قلوبهم من الكراهة التي يذكرها أهل التأويل؛ لكن تلك الكراهة كراهة الطبع لا كراهة الاختيار، لأنهم طمعوا الوصول إلى البيت ورجوا دخولها، فلما جرى الصلح بينهم على أن لا يدخلوا[١٠] عامَهم ذلك وينصرفوا[١١] فاشتد ذلك عليهم فكرهوا[١٢] ذلك

---

[١] ر – وقوله.
[٢] ث – قوله.
[٣] ن – إذ يبايعونك تحت الشجرة يحتمل قوله لقد رضي الله عن المؤمنين.
[٤] ر ث م + الله.
[٥] ر م: على الصدق.
[٦] ر م: ما يكون؛ ن ث: ما يجوز. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ١٤٢ظ.
[٧] ث: وان.
[٨] ن: على.
[٩] ر م: على؛ ن – علم.
[١٠] ر ث م: لا تدخلوا.
[١١] ر ث م: فانصرفوا.
[١٢] ن: وكرهوا.

لكن كراهة الطبع لا كراهةَ الاختيار. وقد يكره طبع الإنسان شيئا والخيارُ غيره، كقوله عز وجل: وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا،[١] وكقول يوسفَ: رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ،[٢] محبة الاختيار لا محبة الطبع بل الطبع إلى ما يدعونه أميل من السجن.

وقوله عز وجل: **فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا**، أي أنزل عليهم ما تسكن[٣] به قلوبهم لما علم تحقيق الوفاء لَمّا بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصِدْق ما أعطوا من أنفسهم. **وأثابهم** مكان ما كانوا يرجون ويطمعون من دخول مكة وما كرهت أنفسهم من الرجوع، **فتحا قريبا**[٤] وهو[٥] فتح مكة أو فتح خيبر. ***والله أعلم***.

ثم قوله[٦] تعالى: **وأثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة يأخذونها**، اختلف فيه. منهم من صرف الفتح القريب المذكور في الآية إلى فتح خيبر وإلى مغانم خيبر حين بُشِّروا بالحديبية بفتح خيبر وجَعْلِ المغانم لهم مكان ما مُنعوا من دخول مكة وحِيلَ بينهم وبين ما قصدوا، أو في الطريق بعد مُنْصَرَفِهم من الحديبية على ما ذكر في[٧] القصة. ***والله أعلم***. ومنهم من صرف الفتح إلى مكة، لأنه ذكر في القصة أنهم بشروا في الطريق بعد انصرافهم[٨] من الحديبية بفتح مكة، ويكون قوله: **وأثابهم**، على هذا التأويل بمعنى: ويثيبهم، وذلك جائز في اللغة فَعَل بمعنى يَفْعَل، كقوله عز وجل: وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ،[٩] كذا، بمعنى[١٠] يقول له.

[وجائز أن يكون قوله: **وأثابهم فتحا قريبا**، هو فتح الروم وفارسَ، لأنه ذكر أنهم بُشروا يوم الحديبية بفتح الروم وفارس وفيه نزل قوله: وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللهِ.[١١] ***والله أعلم***].[١٢]

---

[١] سورة النساء، ١٩/٤.

[٢] سورة يوسف، ٣٣/١٢.

[٣] جميع النسخ: ما يسكن.

[٤] ن + ومغانم كثيرة يأخذونها.

[٥] ر: هو.

[٦] ن: وقوله.

[٧] ن + بعض.

[٨] ر: انصرفهم.

[٩] ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾ (سورة المائدة، ١١٦/٥).

[١٠] ر ث م: يعني.

[١١] سورة الروم، ٤/٣٠-٥.

[١٢] الزيادة من الشرح، ورقة ١٤٣و.

﴿وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾[٢٠]

وقوله تعالى: **مغانم كثيرة تأخذونها**،[1] على هذا ينصرف إلى غيره من المغانم لأنه لم يكن بمكة غنائم. ***والله أعلم***. ومنهم من قال: وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا،[2] الفتوح كلها التي كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأمته، وكذلك قوله: وَمَغَانِمَ *[كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا،[4] وكذلك قوله: **وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها**. وقوله: **فعجّل لكم هذه**، على هذا التأويل، أي عجل لكم هذه الفتوح والمغانم في الدنيا مع ما يثيبكم في الآخرة ثوابا عظيما. ***والله أعلم***. ومنهم من قال: **فعجل لكم هذه**، أي غنائم خيبر. ثم قوله: **وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها** بعد ذلك إلى يوم القيامة. ***والله أعلم***.

وقوله تعالى: **وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين**، يحتمل هذا وجوها. أحدها ما كف أيدي أهل مكة عنهم عام الحديبية، وهم كانوا مستعدّين للحرب والقتال، والمؤمنون لم يكونوا استعدّوا للحرب ولم يكن معهم سلاح وإنما خرجوا للحج وزيارة البيت، فمع ما كانوا كذلك ألقى الله تعالى الرعب في قلوبهم، أي قلوب أهل مكة، حتى صالحوهم، وكان ذلك آية للمؤمنين. وقال بعضهم: أي كف أيدي أهل غَطَفانَ وأَسَدٍ منهم، لأن غطفان وأسدا كانوا مع أهل خيبرَ وظاهَروهم على ذلك، وكانوا حُلَفاء لأهل خيبرَ، فلما رأوا ذلك منه سألوه الصلح فصالحوه على أن يخرجوا عنه فلا يقاتلوه ويَدَعُوه وأهل خيبر ففعل ذلك فخرجوا عنه فلم يقاتلوه، فذلك قوله: **وكف أيدي الناس عنكم**، فلم يقاتلوه مع أنهم حلفاء أهل خيبر.

وقوله: **ولتكون آية للمؤمنين**، يقول: هزيمةً من غير قتال. ويقال: فتح خيبر آية لهم، أي حجة لهم على الكفرة كلهم، ويقال: **آيةً للمؤمنين** فيزدادون بالإسلام تصديقا وقوة من الله، كقوله: وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا،[5] بمحمد صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من القرآن. ***والله أعلم***.

---

[1] جميع النسخ: يأخذونها.
[2] الآية ١٨ من هذه السورة.
* من هنا إلى آخر تأويل الآية ٢٢ لا توجد في النسخ. وقد نقلت من *الشرح*، ورقة ١٤٣و-١٤٣ظ.
[4] الآية السابقة.
[5] سورة المدثر، ٣١/٧٤.

وجائز أن يكون قوله: **وكف أيدي الناس عنكم**، هو إياسَ أولئك الكفرة عن عود أهل الإسلام والإيمان في دينهم وانقطاع طمعهم عن رجوعهم إليهم، ولذلك قال الله تعالى: ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ، وقال: ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي،[١] هذا يحتمل ما ذكر من كف أيدي الناس عنهم. ***والله أعلم***.

﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللهُ بِهَا وَكَانَ ٱللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾[٢١]

وقوله تعالى: **وأخرى لم تقدروا عليها**، قيل: لم تملكوها، على التأويل الذي ذكرنا في قوله: وَعَدَكُمُ ٱللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا،[٢] أن ذلك غنائم خيبر، فيكون تأويل قوله: **وأخرى لم تقدروا عليها** غير ذلك من الغنائم التي لم يغتنموها، وعد أنهم سيغتنمون بعد ذلك ويجعلها لهم. وجائز أن يكون قوله: **وأخرى لم تقدروا عليها**، قرًى سوى قرية خيبر التي فتحوها. يقول: **وأخرى** من القرى، **لم تقدروا عليها**، أي لم يفتحوها، **قد أحاط الله بها**، أي قد جعلها لكم بعد إذ لم تقدروا عليها. وقد أخبر أنه قد أحاط بها وجعلها لهم ليعلم أن القدرة إنما يعطيهم[٣] حين وقوع الفعل منهم ووقتِه لا يتقدم عنه. **وكان الله على كل شيء قديرا**.

﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[٢٢]

وقوله تعالى: **ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار**، يحتمل قوله: **ولو قاتلكم الذين كفروا** أي أهل مكة، **لولوا الأدبار**، منهزمين مع كثرتهم وقوتهم وعُدّتهم وقلة عددكم وضعف أحوالكم لتكون آية للمؤمنين على أحد التأويلات الثلاثة التي ذكرنا. ***والله أعلم***. ويحتمل قوله: **ولو قاتلكم الذين كفروا**، حلفاء أهل خيبر أسدا وغَطَفَانَ ومن ذكروا،[٤] أي لو قاتلكم لولوا الأدبار هاربين منهزمين، **ثم لا يجدون وليا**، في دفع ذلك عنهم، **ولا نصيرا**، ينصرهم ويمنع ذلك عنهم].[٥]

وجائز أن يكون الكفرة جملة،[٦] أي لو قاتلوكم لولّوا الأدبار. ***والله أعلم***.

[١] سورة المائدة، ٥/٣.
[٢] الآية السابقة.
[٣] أي إنما يعطيها لهم.
[٤] أي ومن ذكرهم أهل التفسير في إيضاح هذه الآيات.
[٥] تم المتن هنا المنقول من *الشرح*، ورقة ١٤٣و - ١٤٣ظ.
[٦] ث: حمله.

﴿سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **سنة الله التي قد خلت من قبل**، ما سن في كل أمة من هلاك؛ لم يجعل عين[1] ذلك ومثل ذلك[2] الهلاك في غيرها من الأمم، نحو ما جعل هلاك قوم نوح الغَرَق، وكذلك قومِ فرعون، وكذلك جعل هلاك عاد بريح صرصر وثمودَ بالطاغِيَة، جعل الله تعالى هلاك كل أمة بنوع لم يجعل ذلك لغيرها، يقول: لم يكن لذلك تبديل إلى غيره. وكذلك ما جعل لكل أمة من هلاك لم يبدل ذلك ولم يجعل / ذلك في غيره. وجائز أن يكون قوله: [٧٣٦ظ] **سنة الله التي قد خلت من قبل**، أن جعل عاقبة الأمر للمؤمنين. وقوله عز وجل: **ولن تجد لسنة الله تبديلا**، في أمتك، ولكن جعل عاقبة الأمر لهم كما جعل عاقبة الأمر في سائر الأمم للمؤمنين.

﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **وهو الذي كف أيديهم عنكم**، مع كثرة أولئك وقوتهم وتأهُّبهم للقتال وضعف هؤلاء وقلة عددهم، لأن أولئك كانوا خرجوا للقتال والحرب مستعدين لذلك متأهبين، وهؤلاء كانوا[3] خرجوا لقضاء المناسك وزيارة البيت. فكفّ أيديَ أولئك مع عُدتهم وقوتهم وكثرتهم عن هؤلاء مع ضعفهم وقلة عددهم حتى أظفرهم بأولئك؛ بما ذكر في القصة أن المسلمين كانوا اشتغلوا بالترامي بالنبل والحجارة حتى هزموهم وأدخلوهم بطن مكة على ما ذُكر. ثم إذا[4] أظفرهم بهم كفّ أيدي هؤلاء عنهم ولم يُتم[5] لهم الظفر بهم ليعلم هؤلاء أن التدبير في الأمر إلى الله تعالى دونهم، وله السلطان على الخلق جميعا لا سلطانَ لأحد[6] في سلطانه. *ولا قوة إلا بالله*. وأما ما ذَكر من الامتنان هو ما ذكر من كف أيدي أولئك عن هؤلاء عند شدة خوفهم منهم وفزعهم لما[7] ذكرنا من قوة أولئك وكثرتهم[8]

[1] ر ث م: عن.
[2] ر ث م - ومثل ذلك.
[3] م - كانوا.
[4] ر م - إذا.
[5] ر ث م: ويتم.
[6] ر: الأحد.
[7] ر ث م: بما.
[8] ر م: كثرتهم.

وضعف هؤلاء وقلة عددهم حتى أظفرهم؛ يذكر[1] منته عليهم ليستأدي[2] بذلك[3] شكره ويكفَّ أيديَ هؤلاء عنهم.

فإن قيل: أمّا[4] [في][5] كف أيدي أولئك عن هؤلاء المنة ظاهرة، ولكنْ أيّةُ منةٍ تكون[6] في كف أيدي المؤمنين عن أولئك الكفرة؟

فيقال: جائز أن يكون المنة في كف أيدي المؤمنين عن أولئك الكفرة ليستأدي[7] منهم شكره بذلك، وهو الإسلام، ولله تعالى على جميع خلقه منة يستأدي منهم بذلك شكرا[8] على الكافرين والمسلمين جميعا. ويحتمل أن يكون المنة في كف أيدي المؤمنين عن أولئك على المؤمنين أيضا هو ما ذكر على إثره: وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ،[9] أنه لو لم يَكُفَّ أيديَ المؤمنين عنهم حتى يُتم لهم الظفر بهم فدخلوا مكة -وهنالك مؤمنون- لَأَصابهم ما ذكر من المعرة وغيره، فكان في كف أيدي المؤمنين عن أولئك منة عظيمةٌ عليهم لما بينا مِن قبلُ مَن فيها[10] من المؤمنين من غير علم منهم.[11] ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **ببطن مكة**، وهم لم يكونوا في بطن مكة إنما كانوا بالحديبية، وبينها وبين مكة أميال، لكن يخرج على وجهين. أحدهما أظفرهم بهم وقهرهم وهزمهم حتى أدخلهم بطن مكة على ما ذُكر أنهم هزموهم حتى أدخلوهم في بيوتات مكة. والثاني **ببطن مكة**، أي بقرب مكة. وجائز أن يُكنِّي **ببطن مكة**، أي قربها، وقال بعضهم: **ببطن مكة**، أي[12] الحرم، [والحرم] كله مكة، والوجه فيه ما ذكرنا.[13] ***والله أعلم.***

---

[1] ر ن م: بذكر.
[2] ن: يستأدي.
[3] ر ث م - بذلك.
[4] ر م: ما.
[5] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٤٣ظ.
[6] جميع النسخ: يكون.
[7] ن: يستأدي.
[8] ر م ليستأدي منهم شكرا؛ ث: يستأدي منهم شكرا.
[9] الآية التالية.
[10] ن: عظيمة لما بينا من قبل من فيهم؛ ث: ث: فيهم.
[11] ث م + منهم.
[12] ر + الحدم و.
[13] ن ث - والثاني ببطن مكة أي بقرب مكة وجائز أن يكني ببطن مكة أي قربها وقال بعضهم ببطن مكة أي الحرم كله مكة والوجه فيه ما ذكرنا.

وقوله عز وجل: **وكان الله بما تعملون بصيرا**، لم يزل الله تعالى عالما بأعمالهم بصيرا. وفيه دلالة خلق أفعالهم لأنه ذكر أنه كف أيدي هؤلاء عن أولئك وأيديَ أولئك عن هؤلاء، ثم قال: هو عالم بما تعملون بصير[1] ليعلم أن له في فعلهم صنعا. *والله أعلم*.

﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام**، أي صدوهم عما قصدوا، وهو الطواف بالبيت والزيارة له وذلك في المسجد الحرام. ذكر صدهم عن المسجد الحرام لما كان الذي قصدوه هو في المسجد الحرام فإذا صدوهم عن المسجد الحرام[2] صدوهم عما فيه. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **والهَدْيَ معكوفا أن يبلغ مَحِلَّه**، وقوله: **معكوفا**، أي محبوسا، والعكوف هو الحبس ومنه سمي العاكف والمعتكف. ثم قوله: **والهديَ معكوفا أن يبلغ محله**، مَحِلُّ دمِ هديِ المتعة هو مكةُ أو مِنى،[3] فأما الحرم نفسه فليس هو محله. فكأنه قال: وصدوا الهدي عن أن يبلغ محل الذي جعل لهدي المتعة وهو منى[4] أو مكة، لأنه ذكر في الخبر أنه كان صلى الله عليه وسلم معتمرا، وذكر أنه كان متمتعا. وفيه أن دم المتعة إن[5] مُنع عن محله سقط وخرج عن حكم[6] المتعة ويعود إلى ملكه، وله أن يصرفه إلى ما شاء. ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم نحر تلك البُدْنَ التي ساقها عن الإحصار في الحرم.[7] دل أن هدي المتعة إذا منع عن المحِلّ سقط ويخرج عن حكم المتعة. وفيه أن دم الإحصار لا يجوز إراقته إلا في الحرم إذ الحديبية[8] يجمع الحرم والحل جميعا عندنا، فإنما كان نحرها في الحرم. *والله أعلم*.

---

[1] ر م: بصيرا.
[2] ر ث م – لما كان الذي قصدوه هو في المسجد الحرام فإذا صدوهم عن المسجد الحرام.
[3] ر م: أو منا.
[4] ر ن م: منا.
[5] م: إذا.
[6] ن: عن حد.
[7] *تفسير الطبري*، ٢٦/١٢٤.
[8] ر: أن الحديبية.

وقوله عز وجل: **ولو لا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم**، أي تقتلوهم وتُهلكوهم، **فتصيبَكم منهم مَعَرَّةٌ بغير علم**، أي لو لا ما فيها أعني في مكة من رجال مؤمنين ونساء مؤمنات لأتم لكم الظفر بهم ودخلتم عليهم، لكن[1] مَنَعَكم عن دخولكم مكة لما ذكر.

ثم اختلف في قوله تعالى: **فتُصيبَكم منهم مَعَرَّةٌ بغير علم**، قال بعضهم: لزمتكم[2] الدية بقتلهم، وكذا روى عن محمد بن إسحاق.[3] وقال بعضهم: الكفارة، وقال بعضهم: الإثم والذنب، أي يصيبكم منهم الإثم بقتلكم إياهم؛ وهذا لا يحتمل لأنهم إذا قتلوهم وهم لا يعلمون لا يلحقهم الإثم والذنب لأن الله تعالى وضع الإثم عنا فيما لا نعلمه و لم يضع طريق العلم به، قال الله تعالى: وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلٰكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ.[4]

[٧٣٧و] وعندنا يخرج على وجهين. أحدهما / أي فيصيبكم[5] من الكفرة وأهل النفاق ما يسوءكم بقتلكم إياهم من اللائمة والتعيير وغير ذلك من القيل والقال، يقولون: إنهم قتلوا أصحابهم ومن كان على دينهم من أهل الإسلام، فيجدون بذلك سبيلا إلى ما ذكرنا فيسوءكم ذلك. *والله أعلم*. والثاني يصيبكم الأسف والحزن والندامة الدائمة[6] بقتلكم[7] أهل الإيمان وأهل الإسلام إذا علمتم أنكم قتلتم أصحابكم وأهل دينكم. *والله أعلم*.

ثم المخالف لنا تعلق بهذه الآية في مسألتين. إحداهما فيمن أسلم ولم يهاجر إلينا أنه تجب[8] الدية في قتله لقوله تعالى: **فتصيبكم منهم مَعَرَّةٌ بغير علم**، وهي غُرْم[9] الدية. والثانية هل يباح الرمي إلى حصون المشركين إذا كان فيها أُسَارَى المسلمين وأطفالُ المسلمين،

---

[1] ر – الظفر بهم ودخلتم عليهم لكن.

[2] ر ث م: لزمكم.

[3] محمد بن إسحاق بن يسار، كنيته أبو عبد الله، المطَّلِبي القرشي مولاهم المدني، صاحب السيرة النبوية. كان علامة حافظًا أخباريًا، رأى أنس بن مالك وروى عن كثير من التابعين، وروى عنه الكثير. وهو من دون العلم. توفي سنة ١٥١هـ/٧٦٨م. انظر: *الطبقات الكبرى* لابن سعد، ٥٥٢/٧؛ وسير *أعلام النبلاء* للذهبي، ٣٣/٧-٥٥؛ و*تهذيب التهذيب* لابن حجر، ٢٦/٥-٣٠.

[4] سورة الأحزاب، ٥/٣٣.

[5] ن: فتصيبكم.

[6] ث – الدائمة؛ ن ث + بقتلهم.

[7] ر: بقتلهم.

[8] ر ث م: يجب.

[9] ر م: عزم.

أو إحراق[1] الحصون أو الرمي إلى الكفار الذين تَتَرَّسُوا[2] بأطفال المسلمين؟ قال أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد وزفر والثوري: لا بأس[3] برمي[4] حصون المشركين وإن كان فيهم أسارى المسلمين وأطفالهم، ولا بأس بأن يحرقوا الحصن ويقصدوا به المشركين دون المسلمين، وكذلك إحراق سفينة الكفار إذا كان فيها أسارى المسلمين. وقال مالك: لا تحرق[5] سفينة الكفار إذا كان فيها أسارى المسلمين.[6] وقال الأوزاعي: إذا تترس[7] الكفار بأطفال المسلمين لم يُرْمَوا ولا يُحرق الحصن، ولكن لا بأس بأن يرمي الحصن بالمنجنيق ونحو ذلك. وقال الشافعي: لا بأس بأن يرمي الحصن وفيه أسارى وأطفال المسلمين و لم يَتَتَرَّسُوا[8] بهم، فله قولان.

*[واحتج هؤلاء بقوله: **ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات**، وبقوله: **لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما**. أخبر أنه إنما منع النبي والمؤمنين عنهم لما كان فيهم من المؤمنين. **ولو تزيلوا**، أي لو تميّز الكفار من المسلمين لعذَّبهم، دل أنه لا يباح ذلك. لكنا نقول: إن أهل السير نقلوا أن النبي عليه السلام حاصر أهل طائف ورماهم بالْمَنْجَنِيق مع نهيه عن قتل النساء والولدان، وقد عَلِم أنه يصيبهم، دل أن كون المسلمين فيهم لا يمنع من الرمي إذا لم يقصدوا المسلمين. وروي عن النبي عليه السلام أنه سئل عن أهل ديار المشركين يُبَيَّتُون فيصاب من ذراريهم ونسائهم. فقال عليه السلام: «هم منهم».[10] وعن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أنهم كانوا يأمرون السرايا بأنهم إذا سمعوا الأذان أمسكوا عنهم وإن لم يسمعوا الأذان أغاروا عليهم، ولا يخلو من أن يصيبوا ذَرارِيَهم ونساءهم، وكذلك لا يخلو من أن يكون فيهم من المسلمين من التجار وغيرهم. دل أنه لا بأس بذلك. فأما الآية فلا حجة لهم فيها لأن فيها بيانَ أن المندوب هو الكف عن ذلك، أمّا ليس فيها حظر الإقدام.

---

[1] ر م: وإحراق.

[2] ر ن م: يترسوا.   أي توَقَّوْا بأطفال المسلمين كأنهم تُرُسٌ واختفوا بهم.

[3] ن – لا بأس.

[4] ن: يرمى.

[5] ر ث م: لا يحرق.

[6] ن ث – وقال مالك لا تحرق سفينة الكفار إذا كان فيها أسارى المسلمين؛ صح هـ.

[7] ن: ترس؛ ر م: يترس.

[8] ر م: و لم ترسوا.

[9] من هذه الفقرة إلى آخر أول فقرة من تأويل الآية التالية لا توجد في النسخ، وقد نقلت من *الشرح*، ورقة ١٤٤ظ؛ ومن نسخة حميدية، ورقة ٧١٦ظ.

[10] صحيح البخاري، الجهاد والسير ١٤٦؛ صحيح مسلم الجهاد والسير ٢٦.

ولا يقال إن ظاهر الآية على التحريم ألا ترى أنه قال: **لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم مَعَرَّة بغير علم**، لولا الحظر وإلا لما أصابتهم المعرة، لأن الناس قد اختلفوا في تأويلها والصحيح ما ذكرنا من الوجهين من تعيير الكفار أو لحوق الحزن والغم بسبب إصابة المسلمين، وذلك يكون بترك الندب. ويحتمل أن يكون ذلك كان خاصا في أهل مكة لحرمة الحرم، ألا ترى أن المستحق للقتل إذا التجأ إليها لم يُقتل عندنا، وكذلك الكافر الحربي إذا دخله ملتجئا لحرمة الحرم. ***والله أعلم***.

وقوله تعالى: **ليدخل الله في رحمته من يشاء**، كأنه كفَّ أيديهم عنكم ليدخل الله في رحمته من يشاء. جائز أن يكون هذا أيضا جهة الامتنان في كف أيدي المؤمنين عنهم، أي كفَّ أيديكم عنهم ليدخل الله في دينه من يشاء. ***والله أعلم***.

وقوله تعالى: **لو تزيلوا**، أي لو تميّز أولئك الكفرة عن المؤمنين، **لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما**، بقتلكم إياهم، أي سلّطناكم عليهم لو تميز أولئك عنهم. ***والله أعلم***.

قال أبو عبيدة: **فتصيبكم منهم معرة**، أي جناية كجناية العَرّ وهو الجَرَب.[1] وقال أبو عَوْسَجَة: المعرة الشر، والمعرّات الجميع؛ يقال: عرَّني فلان، أي أصابني بشرّ والعَرُّ في الأصل الجَرَب، ويقال رجل معرور أي جَرِبٌ؛ والتَّزَيُّل التفرق. وقال القُتَبِي: **تزيلوا**، أي تميَّزوا.[2] وقال أبو عَوْسَجَة:[3] **أَنْ تطئوهم**، هذا الوطء ليس من الوطء بالرِّجلين ولكن أن تصيبوهم بالشر.

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[٢٦]

وقوله تعالى: **إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية**، لسنا نعلم ما تلك الحمية التي جعلوها في قلوبهم، لكن أخبر الله تعالى أنها **حمية الجاهلية**، فلا نفسرها ولا نشير أنها كذا، وهم قد عرفوا ما تلك الحمية حتى صدوا[4] رسول الله وأصحابه عن دخولهم مكة ومنعوهم عما قصدوا. ثم يخرج على وجهين. أحدهما أن من عادتهم أن واحدا منهم إذا جنى جناية أو قتل قتيلا كانوا يأخذون القاتل والجاني والمتصلين بالقاتل والجاني بَعُدوا أو قَرُبوا.

---

[1] *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢/٢١٧.

[2] *تأويل مشكل القرآن* لابن قتيبة، ٣٦٨.

[3] «هو أبو عوسجة توبة بن قتيبة الهُجَيمي النحويّ الأعرابي، دخل سمرقند وأقام بها، وكان يذهب مذهب أبي عبيدة معمر بن المثنى في باب الأدب، كان أستاذ الشيخ الإمام أبي منصور الماتُريدي في الأدب، روى عنه سَيحان بن الحسين ابن حازم المؤدب من محلة أشتابديزة» (*القند في ذكر علماء سمرقند* لأحمد النسفي، ١١٥).

[4] [ح: صرفوا].

فجائز أ ن يكونوا منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه[1] وصدوهم عن دخول مكة لما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من بعض أصحابه قتل أحد منهم أو جناية على أحد أو قد كان[2] بينهم وبين أولئك قتال وحرب. فيحتمل ما ذكر من الحمية التي أحدثوها وجعلوها[3] في قلوبهم حتى حملتهم على ذلك هو ما ذكرنا. *والله أعلم*].*

والثاني[5] من عادتهم أنهم كانوا يعبدون ما يَهوَوْن ومالت إليهم أنفسهم من الأصنام والأوثان وغيرها وينصرون من عبدوها[6] ويدفعون عنهم فيذبون عنها. فجائز أن يكون الذي حملهم على ذلك هو نصرهم أولئك الأصنام وعُبّادَها والذبُّ عنهم حميةً منهم[7] حميةَ الجاهلية. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين**، جائز أن يكون ما ذكر من السكينة التي أخبر أنه[8] أنزلها على رسوله ومن ذكر هو شيء أنزله من السماء لطفا منه عليهم حتى سكنت بذلك[9] قلوبهم. وجائز أن يكون لا على حقيقة إنزال شيء من مكان إلى مكان ولكن أنشأ في قلوبهم ما يَسكن به قلوبهم، كقوله تعالى: وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ،[10] أي أنشأ لكم من الأنعام ما ذكر وخلقها لهم، ليس أن أنزلها عليهم من مكان إلى مكان ولكن على الإنشاء والخلق، فعلى ذلك الأول. *والله أعلم*. ثم السكينة تحتمل[11] أسبابا لديها[12] تسكن[13] قلوبهم وأنفسهم، والأسباب تختلف، وتحتمل[14] شيئا آخر سوى ذلك وهو اللطف الذي جعل لهم فسكنت[15] قلوبهم بذلك اللطف. *والله أعلم*.

---

[1] [ح: وأصحابهم].
[2] [ح: إذا قد كانوا].
[3] [ل: أحدثهم وجعلوا].
[4] تم المتن هنا المنقول من *الشرح*، ورقة ١٤٤ظ؛ ومن نسخة حميدية، ورقة ٧١٧و.
[5] جميع النسخ: واحتج هؤلاء. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٧١٧و.
[6] ن ث: عبدها.
[7] ر ن م – حمية منهم.
[8] ن: أنها.
[9] ر ث م: لذلك.
[10] سورة الزمر، ٦/٣٩.
[11] جميع النسخ: يحتمل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٧١٧و.
[12] ر م: لذيها؛ ث: لذيها.
[13] جميع النسخ: يسكن. والتصحيح من المرجع السابق.
[14] جميع النسخ: يختلف يحتمل. والتصحيح من المرجع السابق.
[15] جميع النسخ: فسكن. والتصحيح من المرجع السابق.

وقوله عز وجل: **وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها**، يحتمل هذا وجهين. أحدهما **ألزمهم كلمة التقوى**[١] بها يتقون النار. ثم تحتمل[٢] **كلمة التقوى** كلمة الإخلاص وغيرها ما يقيهم النار. *والله أعلم*. ويحتمل قوله: **وألزمهم** إظهار كلمة التقوى حتى تصير[٣] ظاهرة في الخلق أبدا إلى يوم القيامة. *والله أعلم*. وقال بعضهم: **كلمة التقوى**، هي بسم الله الرحمن الرحيم، وذلك أنه لما كُتب كتاب الصلح فيما بين أهل مكة وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم كُتب بسم الله الرحمن الرحيم، فقال ذلك الكافر:[٤] اكتب كذا، لا ندري ما الرحمن الرحيم؟ وذلك كلمة التقوى. *والله أعلم*. والوجه فيه ما ذكرنا.

وقوله: **وكانوا أحق بها وأهلَها**، أي بتلك الكلمة وكانوا أهلا لها، **وكان الله بكل شيء عليما**. وقال بعض أهل التأويل: **كلمة التقوى** هي[٥] كلمة الإخلاص، **وكانوا أحق بها وأهلها** من الأمم السالفة وأهلها.[٦] *والله أعلم*. أو كانوا أحق بها في الإظهار في الخلق والقيام بذلك، أو كانوا أحق بها في التزامها[٧] في أنفسهم. *والله أعلم*.

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[٢٧]

وقوله عز وجل: **لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق**، قال أهل التأويل: قوله: **صدق الله رسوله**، أي حقق الله رسوله الرؤيا التي أراها إياه بالحق، أي بالوفاء لذلك. ويحتمل أي صيّر النبيَّ صلى الله عليه وسلم صادقا عندهم فيما أخبرهم أنه رأى وجعله صادقا في ذلك، والأول أشبه.

وقوله عز وجل: **لتدخلُنَّ المسجد الحرام إن شاء الله آمنين**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما على الأمر أن ادخلوا المسجد الحرام وإن كان في الظاهر خبرًا[٨] كرؤيا إبراهيم عليه السلام

---

[١] ر ث م – التقوى.
[٢] جميع النسخ: يحتمل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٤٥و.
[٣] ر م: يصير.
[٤] ر م – الكافر.
[٥] ث – هي.
[٦] ن + وأهلها.
[٧] م: في إلزامها.
[٨] ن ث م: خبر.

حيث قال: إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ، ثم قال الله تعالى: اِفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ،[1] دل هذا[2] على أن ما رأى إبراهيم صلوات الله عليه من الذبح هو أمرٌ أُمِر[3] بذلك. فإن كان التأويل هذا فيخرج الثُّنْيَا[4] المذكور فيه على إثره كأنه يقول: ادخلوا المسجد الحرام محلقين ومقصرين إن شاء الله أن تَأْمَنوا في دخولكم وإذا لم تأمنوا لم يشأ أن تدخلوه. *والله أعلم*. ويحتمل أن يكون قوله: **لتدخلن المسجد الحرام**، على الوعد فيخرج الثُّنْيَا المذكور على وجهين. أحدهما على التبرك والتيمن كما يُتبرّك بذكر اسمه في فعلٍ يُفعَل. *والله أعلم*. والثاني على الأمر لكل في نفسه إذا أخبر غيره أنه يدخل أن يقول: إن شاء الله، كما يؤمر بالثنيا من أخبر آخر شيئا أنه يفعله، كقوله عز وجل: وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ / ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ.[5] ويحتمل أن يذكر [٧٣٧ظ] الثنيا لأن الوعد في الظاهر وإن كان للجملة كقوله: **لتدخلن المسجد الحرام**، فجائز أن يكون المراد منه بعضا[6] منهم لا[7] الجملة لاحتمال أن يموت بعض منهم، إذ[8] لا يكون هو مرادا من الجملة،[9] فذكر الثنيا لئلا يكونَ خلفٌ في الوعد من النبي صلى الله عليه وسلم. ثم ما ذكر من رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم وأخبر أنه حققها[10] يحتمل ما ذكر من دخول المسجد الحرام على إثره. فإن كان ذلك فيكون قوله تعالى: **لتدخلن المسجد الحرام**، هو تفسيرًا[11] لتلك[12] الرؤيا، وجائز أن يكون الرؤيا في غير ذلك. وقوله: **لتدخلن المسجد الحرام**، ابتداء وعد وأمرٍ من الله تعالى، وكذلك ما ذكر من قوله حيث قال: وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ،[13]

---

[1] ﴿فلما بلغ معه السعيَ قال يا بُنَيَّ إني أرى في المنام أني أَذْبَحُك فانظرْ ماذا ترى قال يا أَبَتِ افْعَلْ ما تؤمر﴾ (سورة الصفات، ١٠٢/٣٧).

[2] ر م – هذا.

[3] ر م – أمر.

[4] الثنيا: الاستثناء، وهو قوله تعالى: ﴿إن شاء الله آمنين﴾.

[5] سورة الكهف، ٢٣/١٨-٢٤.

[6] ر ث م: بعض؛ ن – بعضا. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ١٤٥و.

[7] ر م: ليس.

[8] ر م: أن.

[9] ر م: والجملة؛ ث: وبالجملة.

[10] ر م: حققهما.

[11] جميع النسخ: تفسير. والتصحيح من المرجع السابق.

[12] جميع النسخ: لذلك. والتصحيح من المرجع السابق.

[13] سورة الإسراء،٦٠/١٧.

يحتمل ما ذكر في هذه الآية **لتدخلن المسجد الحرام**، إلى آخر ما ذكر. ويحتمل غير هذا أيضا وقد أخبر أنه حققها وصدقها. ***والله أعلم***.

ثم قوله عز وجل: **محلقين رءوسكم ومقصرين**، يخبر أنهم يدخلون المسجد الحرام محلقين مقصرين، ثم يخرج على وجهين. أحدهما في ابتداء الإحرام يخرج على التزين على ما يتزين[١] المحرم في ابتداء إحرامه من نحو التطيب واللباس والحلق والقصر ونحو ذلك. [والثاني] يخبر[٢] أنهم يدخلون على التزين في المسجد الحرام آمنين من الكفار، فإن كان على ذلك فهو على الثياب والطيب وغير ذلك. وذكر أن[٣] النبي صلى الله عليه وسلم كان[٤] معتمرا فسميت تلك عمرة القضاء، حيث مُنع في عام الحديبية وكان معتمرا فسميت[٥] تلك عمرة،[٦] وإن كان حاجا، فيكون قوله: **لتدخلن المسجد الحرام**، بعد رجوعهم من مِنًى[٧] إلى طواف الزيارة في ذلك الوقت يكونون محلقين مقصرين. ***والله أعلم***.

فإن قيل: ما الحكمة في أمره رسوله صلى الله عليه وسلم بالخروج للحج عام الحديبية على علم منه أنه لا يصل إلى مكة، وأنه يحال بينه وبين دخول مكة وقضاء النسك؟ إذ لا يحتمل[٨] ذلك إلا بأمر من الله[٩] تعالى، ليس هو كغيره من الناس أنهم يفعلون أفعالا بلا أمر، ثم يُمنعون أو يُنهون عن ذلك، فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يفعل شيئا إلا عن أمر منه له بذلك.

قيل: يحتمل إنما أمر بذلك مع علم بأنهم[١٠] يُمنعون عن ذلك تعليما منه رسوله وأمته حكم الإحصار، أن من أُحصر[١١] عن الحج ومُنع عن دخول مكة لقضاء النسك ما ذا يلزمه وبم[١٢] يخرج منه؟

---

[١] ر م: تزين.
[٢] جميع النسخ: غير. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٤٥و.
[٣] ن: أنه كان.
[٤] ن – كان.
[٥] ر م – فسميت.
[٦] ن – فسميت تلك عمرة.
[٧] ر ن ث م: من منا.
[٨] ر م: أو لا يحتمل؛ جميع النسخ + إلى. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ن: بأمر الله.
[١٠] ث: مع أنهم.
[١١] ر م: حصر.
[١٢] ر: وثم.

ولله تعالى أن يعلم خلقه أحكام شريعته مرة بأمر يأمرهم بذلك أو بخبر يخبرهم، ومرة بفعل[1] النبي صلى الله عليه وسلم يمتحنهم بما شاء، له الحكم والأمر في الخلق. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **لا تخافون**، أي تدخلون مكة آمنين، لا تخافون عدوكم ولا منعهم إياكم.

وقوله عز وجل: **فعلم ما لم تعلموا**، هذا يخرج على وجوه. أحدها أي علم ما وعد لكم من فتح خيبر وغنائمه ما لم تعلموا، ويحتمل أي علم ما أرى رسوله صلى الله عليه وسلم من الرؤيا وتحقيقها ما لم تعلموا، ويحتمل أي علم في رجوعكم عن الحديبية أشياءَ لم تعلموها أنتم من إظهار ما أظهر من نفاق[2] أهل النفاق فيهم وأهل الاضطراب من المحققين والمصدقين وغير ذلك. *والله أعلم*. وعن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: **فعلم ما لم تعلموا** يقول: إن ذلك الدخول إلى سنة ولم تعلموا أنتم.[3] *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **فجعل من دون ذلك فتحا قريبا**، قال بعضهم: جعل من قبل أن يدخلوا مكة **فتحا قريبا**، أي عاجلا فتح خيبر.[4] *والله أعلم*. وقول أهل التأويل: إنه اشتد على الناس رجوعهم من الحديبية وصدّ المشركين[5] عما قصدوا بعد ما أخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم أنه رأى في المنام أنهم يدخلون، على ما وقع عندهم أن رؤيا الأنبياء عليهم السلام حق كالوحي. لكن هذا لا يحتمل من المسلمين، إنما[6] يحتمل من المنافقين على ما ذكر أنهم قالوا حين نحر[7] رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية أن الرؤيا [حق] أو كلام نحوه، فدل أن[8] هذا يحتمل من المنافقين. فأما من المسلمين فلا يحتمل أن يقع في قلوبهم شيء من ذلك، لما لم يكن في الآية بيان ولا توقيت أنهم متى يدخلون، بل فيها الوعد بالدخول ليس فيها أنه متى؟ ألا ترى أن يوسف عليه السلام رأى رؤيا[9] وخرجت تلك بعد أربعين سنة أو أقل أو أكثر، فعلى ذلك لا يحتمل أن يخفى عليهم إذا لم يكن في الوعد توقيت أنه يجوز أن يتأخر وأن يتقدم. *والله أعلم*.

---

[1] ن: يفعل.
[2] م: انفاق.
[3] روي ذلك عن الكلبي، انظر: بحر *العلوم* للسمرقندي، ٣/٢٥٨؛ والنكت *والعيون* للماوردي، ٥/٣٢٢.
[4] ن + وقال بعضهم فجعل من دون التحريم بالحديبية والحل فتحا قريبا وهو فتح خيبر.
[5] ر م: وصدهم المشركون.
[6] ر م: أما.
[7] ر ث م: يخبر.
[8] ر ن م – أن.
[9] ن – رؤيا.

ثم فيما ذكرنا من أمر الحديبية وصد المشركين إياهم عن دخول مكة والحيلولة بينهم وبين ما قصدوا أنه لا يحتمل أن يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لقصد الحج وزيارة البيت مع أصحابه بلا أمر منه بذلك لما ذكرنا. ثم إن ثبت له الأمر بذلك على علم من الله تعالى أنه لا يصل إلى تحصيل المأمور به وما قصدوا من دخول مكة زائرين وما يكون من المشركين من المنع لهم والصد عن ذلك[1] وما أرادوا[2] تحصيل ما أمرهم بذلك فهذا دليل على أن الله تعالى قد يأمرهم ويريد غير الذي أمر به / وأنه يريد ما علم أنه يكون منهم دون[3] الذي أمر به. [٧٣٨و] وهو كما أمر إبراهيم عليه السلام بذبح ولده، ثم كان حقيقة المراد بالأمر بذبح الولد ذبح الشاة والكبش، دل أن الأمر بالشيء لا يدل على أنه أراد الذي أمره به، بل يريد ما علم أنه يكون منهم من خلافه وضده. ***والله أعلم.***

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا﴾ [٢٨]

وقوله عز وجل: **هو الذي أرسل رسوله بالهدى**، أي أرسله بالهدى من كل ضلال وحيرة،[4] أو أرسله بالبيان من كل عمى وشبهة، وهو هذا القرآن الذي سماه مرة بيانا و[5] مرة هدى ورحمة ونورا ونحو[6] ذلك. وهو ما وصفه جل وعلا أن من تمسك به يكون له[7] ما ذكر[8] هدى من كل ضلالة وحيرة ونورا من كل ظلمة وبيانا من كل عمى وشبهة. ***ولا قوة إلا بالله.*** وقوله عز وجل: **ودين الحق**، جائز أن يكون الحق هو نعت الدين وهو الإسلام، وهو الدين الحق وسائر الأديان باطلة. ويحتمل أن يكون قوله تعالى: **ودين الحق**، أي دين الإله الذي هو الإله الحق وهو الإله المستحق للألوهية،[9] وغيره من الأديان دين الشيطان. ***ولا قوة إلا بالله.***

---

[1] ن + ثبت أنه أراد ما علم أنه يكون منهم من الامتناع عن مقصودهم والصد عن ذلك.
[2] ن ث: وما أراد.
[3] ر م – دون.
[4] ر م: أو حيرة.
[5] ر م – مرة بيانا و.
[6] ث: ويحق.
[7] جميع النسخ – له. والزيادة من *الشرح*، ورقة ١٤٦و.
[8] ن: أما ذكر.
[9] جميع النسخ: الألوهية. والتصحيح من المرجع السابق.

وقوله عز وجل: **ليظهره على الدين كله،** الإظهار هو الغلبة، ثم يخرج غلبته على الدين كله على وجهين.[1] أحدهما أي غلب هذا الدين على الأديان كلها بالحجج والبراهين أنه حق وأنه من عند الله جاء، وقد كان بحمد الله كما ذكر حتى عرف أهل الأديان كلّها بالحجج والبراهين أنه حق إلا من كابر عقله وعاند الحق أو غفل عن دلائله. *ولا قوة إلا بالله*.

والثاني يغلب على الأديان كلها، أي يغلب على أهل الأديان كلهم حتى يصيرَ أهل الإسلام ظاهرين غالبين من بين غيرهم ويتوارى جميع أهل الأديان ويختفوا. ولكن ذلك في وقت دون وقت وهو الوقت الذي ذكره بعض أهل التأويل وهو في وقت خروج عيسى عليه السلام يصير أهل الأديان كلهم أهل دين واحد وهو الإسلام. وجائز أن يكون قوله: **ليظهره على الدين كله،** أي يُظهر ما يحتاج أهل هذا الدين كله وما يحدث لهم من الحاجة على الأديان كلّها بما ضمّن في القرآن معاني يقع الكفاية بها في الحوادث كلها. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وكفى بالله شهيدا،** هذا يحتمل وجهين. أحدهما **وكفى بالله شهيدا،** بأن ما جاء به سيدنا[2] محمد صلى الله عليه وسلم إنما[3] جاء به من عند الله، فإن كان التأويل هذا فإنما يكون هذه الشهادة في الآخرة. والثاني يحتمل قوله تعالى: **وكفى بالله شهيدا** بما أنشأ له من الآيات والحجج والبراهين وجعلها آيات رسالته ونبوته، أي كفى بما أنشأ له من الآيات والحجج[4] شهادة منه على رسالته ونبوته وذلك في الدنيا. *والله أعلم*.

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **محمد رسول الله.** من الناس من احتج على تفضيل محمد صلى الله عليه وسلم على غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بهذه الآية وبغيرها من الآيات، يقول: لم يذكر محمدا صلى الله عليه وسلم في القرآن إلا وخاطبه باسم الرسالة أو النبوة،[5]

---

[1] ن + كله.

[2] ن – سيدنا.

[3] ر ث م: أي بما.

[4] ر ث م – والبراهين وجعلها آيات رسالته ونبوته أي كفى بما أنشأ له من الآيات والحجج.

[5] ر م: والنبوة.

كقوله تعالى: يَاَ أَيُّهَا النَّبِيُّ،[١] و يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ،[٢] وقوله:[٣] **محمد رسول الله**، ونحو ذلك، وسائر الأنبياء عليهم السلام إنما خاطبهم بأسمائهم التي جعلت لهم خلقة دون ضم[٤] الرسالة والنبوة، كقوله: يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا، ويَالُوطُ،[٥] ويَا مُوسَى،[٦] ويَا هَارُونُ،[٧] ويَا هُودُ،[٨] ويَا صَالِحُ،[٩] جميع من ذكرهم سواه إنما ذكرهم بأسمائهم الموضوعة في أصل الخلقة، و لم يُحَلَّوا و لم يُسَمَّوا بأسماء الرسالة والنبوة، وذلك[١٠] لفضل جعل له من بين غيرهم. وكذلك يَحتجّ لتفضيل أمته وأصحابه على سائر الأمم حيث خاطب هذه الأمة[١١] بأحسن الأسماء فقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا،[١٢] وقوله: أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ،[١٣] وقال في سائر الأمم: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ،[١٤] ويَا بَنِي آدَمَ،[١٥] ونحو ذلك. ومما يدل على فضيلتهم قوله تعالى: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ،[١٦] الآية، أي كنتم خير أمة في الكتب المتقدمة بما ذكر. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **والذين معه أَشِدَّاء على الكفار رحماء بينهم**، الآية، يحتمل[١٧] ما وصفهم ونعتهم يرجع إلى أصحابه على الاجتماع، أي الكل موصوفون بهذه الصفات[١٨] التي ذُكِر في الآية وأنها كلها فيهم، وهو كقوله تعالى في صفتهم: أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ،[١٩]

---

[١] سورة الأنفال، ٨/ ٦٤، ٧٠.
[٢] سورة المائدة، ٥/٦٧.
[٣] ر ن م: وقول.
[٤] ر م: ختم.
[٥] سورة هود، ١١/٤٨، ٨١.
[٦] سورة الأعراف، ٧/١٤٤.
[٧] سورة الصافات، ٣٧/١٢٠.
[٨] سورة هود، ١١/٥٣.
[٩] سورة الأعراف، ٧/٧٧.
[١٠] جميع النسخ: ولذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٤٦و.
[١١] م: الآية.
[١٢] سورة البقرة، ٢/ ١٠٤.
[١٣] سورة النور، ٢٤/٣١.
[١٤] ر – يا بني إسرائيل. سورة البقرة، ٢/٤٠، ٤٧.
[١٥] سورة الأعراف، ٧/٢٦، ٢٧، ٣١، ٣٥.
[١٦] ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ (سورة آل عمران، ٣/١١٠).
[١٧] ر م – يحتمل.
[١٨] ر م: الصفاة.
[١٩] ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ (سورة المائدة، ٥/٥٤).

أي أشدّاءَ على الكفار ورحماءَ على المؤمنين، وصفهم بذلك جملة فعلى ذلك هاهنا. ويحتمل أن يكون ذلك وَصْفَ بعضهم دون بعض أو وصفَ عامّتهم فأما الكل فلا، وذلك نحو ما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حيث[1] قال: لولا قوله تعالى: مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا،[2] ما كنا نعرف أن[3] أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا.[4] فإنما يكون ذلك وصف أمثال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

ثم قد جعل الله تعالى الرحمة والرأفة نعتا للمؤمنين يتراحم بعضهم بعضا. وكذلك روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تدخلوا الجنة حتى تراحموا»،[5] قالوا:[6] كلنا نتراحم ولده. فقال: «ليس ذلك برحمة إنما الرحمة أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ولولده»،[7] أو كلام نحوه. وروى عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المؤمنون كلهم كرجل واحد إن اشتكى عنه تداعى[8] له سائر جسده / بالسَّهَر والحُمَّى».[9] وليس فيما وصفهم بالشدة [٧٣٨ظ] على الكفار على أن ليس لهم شَفَقَةٌ عليهم، فإن النبي صلى الله عليه وسلم له شفقة عظيمة عليهم حتى كادت يُهلك نفسه لذلك. قال الله تعالى: فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ،[10] وقال:[11] لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ،[12] فعلى ذلك أصحابه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

---

[1] م – حيث.

[2] ﴿ولقد صدقكم الله وعدَه إذ تَحُسونَهم بإذنه حتى إذا فَشِلْتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة﴾ (سورة آل عمران، ١٥٢/٣).

[3] م – أن.

[4] قال ابن مسعود: ما كنت أظن في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ أحدًا يريد الدنيا، حتى قال الله ما قال. (*تفسير الطبري*، ١٧٣/٤–١٧٤).

[5] ن ر: تراحموا. روي أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «لن تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أدلكم على ما تحابوا عليه؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «أفشوا السلام بينكم تحابوا والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تراحموا» قالوا: يا رسول الله كلنا رحيم. قال: «إنه ليس برحمة أحدكم ولكن رحمة العامة رحمة العامة» (*المستدرك على الصحيحين*، للنيسابوري ١٨٥/٤).

[6] ر م: قال.

[7] عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يُحبَّ لأخيه ما يحب لنفسه» (*صحيح البخاري*، الإيمان ٧؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٧١).

[8] ن: يداعي.

[9] مسند *أحمد بن حنبل*، ٢٧٠/٤؛ وصحيح *البخاري*، الأدب ٢٧؛ وصحيح *مسلم*، البر ٦٦.

[10] سورة فاطر، ٨/٣٥.

[11] ر م: قال.

[12] سورة الشعراء، ٣/٢٦.

ثم القتال الموضوع فيما بينهم رحمة في الحقيقة، وإن كان في الظاهر ليس برحمة، لأنه وُضع لِيَضْطَرَّهم ذلك إلى قبول الإسلام والتوحيد وفي قبولهم ذلك نجاتهم. وما وصفهم بالرحمة على المؤمنين ليس فيه أنهم ليسوا بأشدّاء عليهم إذا عاينوا منهم المناكير والفواحش حتى يتركوا التغيير عليهم، بل من الشفقة لهم عليهم ما يغيّرون عليهم المنكر، إذ في ذلك نجاتهم؛ وذلك لا يزيل عنهم الرحمة التي وصفهم بها، بل ذلك من الشفقة لهم والرحمة. *والله أعلم*.

ثم نعتهم وقال: **تراهم رُكَّعا سُجّدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود.** وقوله عز وجل: **تراهم ركعا سجدا**، يحتمل وجهين. أحدهما وصف لهم بالمداومة في إقامة الصلوات بالجماعات وأراد بالركوع والسجود[1] الصلاة على طريق الكناية. والثاني عبارة عن الخضوع لربهم والتواضع للمؤمنين. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **يبتغون فضلا من الله ورضوانا**، يحتمل قوله: **يبتغون فضلا من الله**، أي[2] الجنة، أي يبتغون بكل ما وصفهم من الرحمة والشدة والركوع والسجود الجنة؛ والفضل يُذكر عبارة عن الجنة في القرآن في غير موضع.[3] وجائز أن يكون ما ذكر من ابتغائهم الفضل من الله تعالى ما يتعيّشون به.[4] وقال بعضهم: **يبتغون فضلا من الله**، أي يبتغون[5] معيشة يَتَقَوَّوْنَ بها على طاعة الله. وقوله عز وجل: **ورضوانا**، أي رضاء ربهم،[6] وهو بمعنى الفضل أيضا على التكرار للتأكيد، كقوله تعالى: وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ،[7] لكنه أخبر أنهم يبتغون ذلك الفضل والرضوان من الله تعالى. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **سيماهم في وجوههم من أثر السجود**، اختلف فيه. قال الحسن وغيره: أي أثرُ الخشوع والصلاة في وجوههم. وقال بعضهم: إن الرجل إذا قام من الليل فأطال القيام والسَّهرَ تَبَيَّنَ سهر الليل في وجهه إذا أصبح من الصفرة وتغير اللون وذلك كله في الدنيا.

---

[1] جميع النسخ + هو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٤٦ظ.

[2] م – أي.

[3] ر ث م: مواضع.

[4] جميع النسخ + وقال بعضهم يبتغون فضلا من الله أي يبتغون ما يتعيشون به (م – به).

[5] ث – ما يتعيشون به وقال بعضهم يبتغون فضلا من الله؛ م + فضلا من الله يبتغون.

[6] ر: رضاء بهم.

[7] ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾ (سورة الجمعة، ١٠/٦٢).

وكذلك روي عن الحسن قال: قال[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رحم الله قوما يَحْسَبهم الناس مرضى وما هم بمرضى»، قال الحسن: أَجْهَدَتْهم[2] العبادة.[3] وقال قتادة: أثر الصلاة في وجوههم، وهو أثر التراب.[4] لكن ذلك بعيد. وقال بعضهم:[5] **سيماهم في وجوههم من أثر السجود**، يوم القيامة وهو بياض وجوههم من أثر السجود والوضوء. وكذلك روي في الخبر عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إني أعرف أمتي من بين غيرها من الأمم»، قيل: وكيف تعرف يا رسول الله أمتك من بين الأمم؟ فقال: «أمتي غُرٌ مُحَجَّلون[6] يوم القيامة من أثر السجود»،[7] ولا يكون ذلك لأحد من الأمم غيرهم. ***والله أعلم***. وجائز أن يكون على غير ذلك يجعل الله تعالى في وجوههم من آثار العبادة له والجهد فيها من النور والحلاوة والحُسْن ما يُعرَفون أنهم أهل عبادة الله[8] تعالى وطاعته. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل**، يحتمل وجوها. أحدها[9] أي شِبْهُهم في التوراة والإنجيل كشِبْه الأَجِلَّة من أهل التوراة والإنجيل:[10] الآحاد والأفراد منهم المختارين[11] من بين غيرهم الذين يعظِّمونهم الأتباع والملوك ويُبَجِّلونهم،[12] فما بالكم لا تعظِّمون أنتم هؤلاء ولا تتبعونهم[13] كأولئك. ***والله أعلم***. والثاني يحتمل **ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل**، أي ذلك نعتهم ووصفهم في التوراة والإنجيل، أي على ذلك نعتوا ووُصفوا في التوراة والإنجيل،

---

[1] ر م – قال.

[2] ر م: أجهدتم.

[3] *كتاب الزهد والرقائق* لابن المبارك، ٩٨/١.

[4] نسبه الطبري إلى عكرمة، انظر: *تفسير الطبري*، ١٤٤/٢٦.

[5] ر م – بعضهم.

[6] «أمّتي الغُرُّ المُحَجَّلُون» أي بيضُ مَواضع الوُضوء من الأيدي والوجه والأقْدام. استَعار أثرَ الوضوء في الوجْه واليَدَين والرِّجلين للإنسان من البَياضِ الذي يكون في وجْه الفَرس ويَدَيْه ورِجْلَيْه (*النهاية في غريب الحديث* لابن الأثير، «حجل»).

[7] مسند *أحمد بن حنبل*، ١٨٩/٤.

[8] ن: لله.

[9] ر: أحدهما.

[10] ر م – كشبه الأجلة من أهل التوراة والإنجيل.

[11] جميع النسخ: المختارون.

[12] ر م: ويجلونهم.

[13] ر ث م: ولا يتبعونهم.

وقد عرفتم ذلك فهلّا اتبعتموهم إذا نعتوا ووصفوا[١] في القرآن.[٢] و[الثالث] قال بعضهم: قوله: **ذلك مثلهم في التوراة**، مقطوع مقصود وهو ما تقدم من قوله: **والذين معه أشداء على الكفار** -إلى قوله- **من أثر السجود**، ثم ابتدأ[٣] فقال: **ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شَطْأه**، الآية، وهذا يحتمل وهو[٤] وجه حسن. وعلى التأويلين الأولين ما ذكرنا من وصفهم كأنه في التوراة والإنجيل جميعا، ثم نعتهم أيضا بقوله تعالى: **كزرع أخرج شطأه**. *والله أعلم*. ثم ذكر نعت أصحابه رضي الله عنهم في هذه الآية ولم يذكر نعت رسوله صلى الله عليه وسلم وإنما ذكر نعته في آية أخرى وهو قوله تعالى: ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَاةِ،[٥] الآية؛ ذكر نعته وصفته في الآية صلى الله عليه وسلم ونعتَ أصحابه رضي الله عنهم في هذه السورة. *والله أعلم*.

ثم [في][٦] قوله عز وجل: **ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل**، الآية، دلالةُ الرسالة، لأنه أخبر أن نعتهم في الكتب المتقدمة كما ذكر في القرآن، ثم لم يقل أحد من أهل الكتب المتقدمة، أَنْ[٧] ليس ذلك نعتهم أو شِبْهَهم في تلك الكتب، ثبت أنه بالله عرف. / *ولا قوة إلا بالله*. [٧٣٩و]

ثم قوله عز وجل: **كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه**، الآية،[٨] شبههم بالزرع الذي ذكر -والله أعلم- لأنهم أَحْيَوا[٩] سنن الدين[١٠] وشرائعه التي كانت من قبلُ بعد ما دَرَسَتْ وانقطع أثرها، لأنه لم يكن فيما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام رسول فقد انقرض ذلك واندرس. ثم جاء محمد عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات بعد دروس ذلك وانقراضه كالزرع الذي يخرج وحده، وهو النبت الواحد في أول ما يَخرج،

[١] ن – في التوراة والإنجيل وقد عرفتم ذلك فهلا اتبعتموهم إذا نعتوا ووصفوا.
[٢] ن + والله أعلم.
[٣] ن: ثم ابتداء.
[٤] ر م – هو.
[٥] ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل﴾ (سورة الأعراف ١٥٧/٧).
[٦] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٤٦ظ.
[٧] ر ن م: أي.
[٨] ن – الآية.
[٩] ر ث: أجيبوا.
[١٠] ر م: الذين.

فأعانه أصحابه وآزروه كالوالية[1] التي تنبت[2] حول الساق تُوَازِرُ[3] الخِلْفة[4] والنبت. فأما **شَطْأَه** فقيل: هو[5] محمد صلى الله عليه وسلم خرج وحده كما خرج أولُ النبت وحدَه، وأما الوالية التي تنبت[6] حول الشطأة فاجتمعت فهم المؤمنون كانوا في قلة كما كان أولُ الزرع دقيقا، ثم زاد نبت الزرع فغلُظ: **فآزره فاستغلظ**، كما آزر المؤمنون بعضهم بعضا حتى استغلظوا واستوَوْا على أمرهم كما استغلظ هذا الزرع واستوى على سُوقه. ثم اختلفوا في الشطأة، قال أبو عَوْسَجَة: هو قَصَب الزرع أي صار له [قصبٌ]،[7] وأشطأ[8] الزرع، أي صار له ورق، **فآزره** أي قوّاه، **سُوقِه** جمع ساق. وقال أبو عبيدة: شطء الزرع فِراخه[9] وصغاره،[10] يقال: قد أشطأ[11] الزرع فهو مُشطئ إذا أفرخ.[12] وقال الفَرَاء: **شَطْأَه**، أي سُنْبُلَه تنبت[13] الحبة عشرا وتسعا وثمانيا،[14] **فآزره** أي أعانه وقواه. قوله:[15] **فاستغلظ**، أي غلُظ، **فاستوى على سوقه**، جمع ساق،[16] ومنه يقال: قام كذا على سوقه، إنما يراد[17] به تنَاهَى وبَلَغ الغاية، يقول -والله أعلم-: كما أن الزرع إذا قام على السوق فقد استحكم. فهذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم،[18] إذ[19] خرج وحده

---

[1] ر ث م: كانوا إليه. أي كالنبات التي تنبت في قربه.

[2] جميع النسخ: ينبت. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٤٧و.

[3] جميع النسخ: يوازر. والتصحيح من المرجع السابق.

[4] ر: الحلقة؛ ن: الحقلة؛ ث: الحفلة. الخِلْفَة: ما يجيء بعد الشيء، كالغصن ينبت في جِذْع الشجرة (*المعجم الوسيط*، «خلف»).

[5] ن ث - هو.

[6] ث: ينبت.

[7] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٤٧و.

[8] ر م: واسط؛ ن ث: واشط. والتصحيح مستفاد من المرجع السابق.

[9] ر م: فراغه.

[10] ر: وصفارة.

[11] ر ن: أشطئ.

[12] ر م: فرغ. *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢/٢١٨.

[13] جميع النسخ: ينبت. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٤٧و.

[14] ر: وثمانية.

[15] ن - قوله.

[16] *معاني القرآن* لفراء، ٣/٦٩.

[17] ر ث: زاد؛ م: أراد.

[18] ن: عليه الصلاة والسلام.

[19] ر ث م: أي.

وحده فأيده بأصحابه فقوِي واشتدّ، كما قويت[1] الطاقة من الزرع بما نبت منها حتى غلُظت[2] وعظُمت واستحكمتْ.[3] *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **يُعجب الزُّرَّاع لِيَغِيظَ بهم الكفار**، قال بعضهم: الزراع[4] هو محمد صلى الله عليه وسلم، يُعجب محمدا ما رأى من أصحابه والمؤمنين ويَغيظ الكفارُ بذلك[5] من الغيظ، وهو كقوله تعالى: مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ -إلى قوله تعالى- هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ.[6] وقال بعضهم: **الزراع** هو صاحب الزرع [**يعجب الزراع**][7] إذا كثر جوانبه وولياته وتنبت،[8] **ليغيظ بهم الكفار**، أي يغيظ ذلك سائر الزّرّاعين. وقال بعضهم: كما يعجب الزّرّاع حسن زرعه حين استوى قائما على ساقه، فكذلك يَغيظ الكفارَ كثرةُ المؤمنين واجتماعهم. وقال بعضهم: هم الزُّرّاع سُمُّوا كفارا،[9] لأنهم يَكفرون أي يسترون[10] البَذْر في الأرض. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مَغفِرَةً وأجرا عظيما**، [قال بعضهم: قوله: **منهم**، حرف "من" هاهنا بحق الصلة، أي لهم مغفرة وأجرا عظيما]،[11] وذلك كثير في القرآن. وقال بعضهم هو ليس بصلة بل أريد بها ما وضعت له، وهو التبعيض من جملة سائر البشر كأنه يقول: **وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات**[12] من بين غيرهم من الناس **مغفرة وأجرا عظيما**. *والله أعلم.*

---

[1] جميع النسخ: قوي.

[2] جميع النسخ: غلظ. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٤٧و.

[3] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤١٣-٤١٤؛ و*معاني القرآن* للفراء، ٦٩/٣.

[4] ث - قال بعضهم الزراع.

[5] جميع النسخ: ذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٤٧و.

[6] ﴿من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فَلْيَمْدُدْ بسبب إلى السماء ثم لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هل يذهبن كيده ما يغيظ﴾ (سورة الحج، ١٥/٢٢).

[7] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٤٧و.

[8] ر ث م: ينبت.

[9] م: كفار.

[10] ث + الزرع.

[11] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.

[12] ر ث م - وذلك كثير في القرآن وقال بعضهم هو ليس بصلة بل أريد بها ما وضعت له وهو التبعيض من جملة سائر البشر كأنه يقول وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

وفيه نقض قول الباطنية والروافض لعنهم الله، لقولهم:[1] إنهم[2] بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كفروا وارتدوا عن الإسلام جميعا، أو كلام نحوه، وفي الآية[3] رد لقولهم لأنه وعد لهم المغفرة وما ذكر من[4] الأجر[5] العظيم فلا يحتمل أن يكونوا على ما ذكر أولئك، ثم يكون لهم المغفرة وما ذكر من الأجر العظيم. فدل ما ذكر من الوعد لهم بالمغفرة والأجر العظيم أنهم ثبتوا على ما كانوا من قبلُ في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حياته.

والله أعلم.[6]

[1] ن: كقولهم.
[2] أي أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.
[3] ر م: في الآية.
[4] ن – وما ذكر من.
[5] ن: والأجر.
[6] ث + والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه الطاهرين.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الحجرات[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [١]

قوله[2] عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله**، قال بعضهم: إن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما اختلفا في شيء بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فارتفعت أصواتهما فنزل قوله تعالى: **يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله**، إلى آخر ما ذكر من قوله: لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ.[3] وذكر عن الحسن في قوله تعالى: **لا تقدموا بين يدي الله ورسوله**، أي لا تذبحوا قبل ذبح النبي يوم النحر. وذلك أن ناسا من المسلمين ذبحوا قبل صلاة النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر.[4] وقال قتادة: ذكر لنا أن رجالا كانوا يقولون: لو أُنزل كذا وكذا أو صُنع كذا وكذا، فنزلت هذه الآية[5] وأمرهم أن لا يسبقوا نبيه[6] صلى الله عليه وسلم بقول[7] ولا عمل حتى يبين الله بيانه، وأمثالَ ذلك قد قالوا. **والله أعلم.**

---

[1] ر – سورة الحجرات؛ ن م + ذكر أنها مدنية؛ ث + وهي ثمان وعشرة آيات مدنية.

[2] ن – قوله.

[3] الآية التالية. *تفسير ابن كثير*، ٣٤٥/٧؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٥٤٦/٧.

[4] *تفسير الطبري*، ١٥١/٢٦؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٥٤٧/٧.

[5] *تفسير الطبري*، ١٥١/٢٦؛ *وتفسير ابن كثير*، ٣٤٥/٧.

[6] م: بنبيه.

[7] ن: يقول.

وأصل ذلك عندنا في قوله:[1] **يا أيها الذين آمنوا**، الآية، أي[2] يا أيها الذين آمنوا اعلموا[3] أن لله[4] الخلق والأمر لا تقدموا أمرا ولا قولا ولا فعلا ولا حكما ولا نهيا سوى ما أمر الله تعالى به ورسولُه صلى الله عليه وسلم وغيرَ[5] ما نَهى عنه. بل اتبعوا أمره ونهيه وراقبوه على ما آمنتم به[6] وأقررتم بأن له الخلق والأمرَ فاحفظوا أمره ونهيه ولا تخالفوه[7] ولا رسوله في شيء من الأمر [٧٣٩ظ] / والنهي. فهذا يدخل فيه كل شيء وكل أمر من القول والفعل والقضاء والحكم والذبح وغير ذلك، على ما ذكرنا من إيمانهم بأن له الخلق والأمر في الخلق. إذ مثل هذا الخطاب لو كان لواحد خاص لكان حكمه يلزم الكل، وكذلك لو كان في أمر واحد وفعل واحد كان يدخل في ذلك جميع الأمور. فكيف والخطاب بذلك عامّ مطلق فهو للكل وفي كل الأمور؟ ***والله الموفق***. وعلى ذلك ما روي عن مسروق أنه دخل على عائشة رضي الله عنها فأمرت الجاريةَ أن تَسقيه، فقال: إني صائم، وهو اليوم الذي يُشكّ فيه. فقالت له: قد نُهي عن هذا وتلت[8] قوله تعالى: **يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله**، في صيام ولا غيره.[9] اعتبرت عائشة رضي الله عنها عموم الآية في النهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله ومخالفةِ النبي صلى الله عليه وسلم في قول أو فعل. وكذلك روي عن أبي عُبَيْدةَ مَعْمَر بن المثنى قال في قوله: **لا تقدموا بين يدي الله ورسوله**، أي لا تعجلوا[10] بالأمر والنهي دونه.[11]

وقوله عز وجل: **واتقوا الله إن الله سميع عليم**، أي اتقوا مخالفة أمر الله ونهيه قولا وفعلا واتقوا مخالفة رسوله فيما يأمركم بأمر الله ونهيه، وفي كل ما دعاكم إليه. **إن الله سميع** لأقوالكم، **عليم** بأفعالكم وأعمالكم. ***ولا قوة إلا بالله***.

---

[1] جميع النسخ: من قوله. والتصحيح من *الشرح*، ١٤٧ظ.

[2] ن - أي.

[3] ر م: اعملوا.

[4] ر: الله.

[5] ر ث م: وغيره.

[6] جميع النسخ: ما أنتم به. والتصحيح من المرجع السابق.

[7] ن: ولا يخالفوه.

[8] ن: وثبت.

[9] *بحر العلوم* لأبي الليث السمرقندي، ٣/٢٦٠.

[10] جميع النسخ: لا تجعلوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٤٧ظ.

[11] *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢/٢١٩.

ثم لم يفهموا مما ذَكَر في قوله: **بين يدي الله ورسوله**، الجوارح[١] ولا العدد في اليد كما فهموا من ذلك في الخلق فما بالهم يفهمون ذلك من قوله: خَلَقْتُ بِيَدَيَّ،[٢] بل يجب أن يفهموا من قوله: خَلَقْتُ بِيَدَيَّ[٣] أي[٤] خلقتُه على علم مني بما يكون منه خلاف[٥] أو معصية،[٦] لم أخلقه عن جهل بما يكون منه. وهو ما ذَكَر في قوله تعالى: وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ، و خَبِيرٌ،[٧] أي عن علم بأحوالهم وما يكون منهم أنشأهم لا عن جهل بذلك. فعلى ذلك هذا كما فهموا من قوله: **لا تقدموا بين يدي الله**، أَمْرَ الله ونهيه دون الجوارح والعدد. ***والله الموفق.***

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[٢]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم**، إلى قوله: **لبعض**. قال بعضهم: إن الآية نزلت في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما اختلفا في شيء بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فارتفعت أصواتهما.[٨] وقال بعضهم: إنها نزلت في قوم كانوا إذا سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء قالوا فيه قبل[٩] قول النبي صلى الله عليه وسلم.[١٠] وعندنا لا يحتمل أن يكون ما ذَكَر من رفع الصوت فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهرِ بالقول له وما ذكر من التقدم[١١] بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأمر والنهي أن يكون الخطاب لذلك الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعوا أمره ونهيه، إذ لا يحتمل منهم أن يرفعوا أصواتهم فوق صوته ويجهروا له بالقول، أو يقدموا[١٢] بين يديه في أمر ولا نهي

[١] ن: والجوارح.
[٢] ﴿قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ (سورة ص، ٧٥/٣٨).
[٣] ر ث م – بل يجب أن يفهموا من قوله خلقت بيدي.
[٤] ن: أن.
[٥] ن: خلافا.
[٦] ن: ومعصية.
[٧] سورة الحديد، ٤/٥٧، ١٠.
[٨] *تفسير ابن كثير*، ٣٤٥/٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٥٤٦/٧.
[٩] ن: قيل.
[١٠] ث + عن شيء قالوا فيه.
[١١] ر: من المقدم.
[١٢] جميع النسخ: أو تقدموا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٤٧ظ.

إلا عن سهو أو غفلة أو إذن منه لهم[1] بالمناظرة والمحاورة[2] في العلم فعند ذلك يرتفع أصواتهم؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أجلّ في قلوبهم وأعظمَ قدرا من أن يتجاسروا التقدم بين يديه بأمر أو قول أو رفع صوت أو جهرِ القولِ له، فيكون الآية في أهل الشرك وفي أهل[3] النفاق. ***والله أعلم.***

ثم إن كان الخطاب بذلك للذين آمنوا فهو على وجهين. أحدهما أن ذلك منه ابتداءُ محنة امتحنهم بذلك وأمرهم به من غير أن كان منهم شئ من ذلك من التقدم بين يديه ورفع الصوت والجهر له بالقول. ولله[4] تعالى أن يمتحن ويأمر وينهى من شاء بما شاء ابتداءَ امتحانٍ منه لهم. وهو[5] ما ذكرنا من نهي الرسل عليهم السلام عن الشرك والمعاصي وإن كانوا معصومين عن ذلك، لأن العصمة لا تمنع[6] النهي لان العصمة إنما تكون[7] عصمة إذا كان هناك[8] أمر ونهي. فعلى ذلك جائز أن يكون ما ذكر من النهي عن التقدم والرفع بالصوت والجهر بالقول -وإن لم يكن منهم شيء مما ذَكَر- ابتداءَ محنةٍ منه لهم. ***والله أعلم.*** ويحتمل أنه خاطب هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم[9] بذلك ليتّعظ بذلك من يشهد مجلسه من المنافقين وغيرهم من الكافرين، إذ كان يشهد مجلسه أهل النفاق وسائر الكفرة، لئلا يعاملوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل معاملة بعضهم بعضا. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون**. ذكر هذا ليكونوا[10] أبدا متيقظين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم حَذِرين معظِّمين له في كل وقت، لئلا يكون منهم في وقت من الأوقات ما يخرج مجرى الاستخفاف به والتهاون على السهو والغفلة فيُحبط[11] ذلك أعمالهم؛

---

[1] ر ث م - لهم.
[2] ر ن م: والمجاوزة.
[3] ر م: في أهل.
[4] ر: والله.
[5] ر ث م: وهم.
[6] جميع النسخ: لا يمنع. والتصحيح من *الشرح*، ١٤٧ظ.
[7] جميع النسخ: إنما يكون.
[8] ر: هنالك.
[9] ن: رضوان الله عليهم أجمعين.
[10] ن: ليكون.
[11] ر ث م: فتحبط.

لأن[1] هذا الصنيع برسول الله صلى الله عليه وسلم يُكَفِّر صاحبَه ولا يكون معذورا وإن فعله على السهو والغفلة، لأن له قدرة الاحتراز وإمكان[2] التحذّر[3] وإن كانوا معذورين فيما بينهم على غير التعمد والقصد، ولا مؤاخذةَ لهم برفع[4] الله تعالى المؤاخذة عنهم فيما بينهم.[5] ولم يرفع في حق النبي عليه أفضل الصلوات، مع[6] أن الكل في حد جواز المؤاخذة. *والله أعلم.*

وذكر الكرابيسي[7] فقال: ومن حكمة الآية عند قوم حبوط الأعمال بالكبائر على ما روي عن الحسن قال: أَمَا يشعر هؤلاء الناس / أن عملا يُحبط أعمالا، والله يقول: **يا أيها الذين آمنوا،** [٧٤٠و] الآية.[8] وقيل: المراد بالآية[9] أن يناوئ[10] بشؤم تلك المعصية إلى أن يَهُوَن عليه ارتكاب الكبيرة يستحقرها حتى يَخِفَّ عليه الكفر فيكفر فتصير[11] المعصية[12] الأولى -وإن قلّت- سببا لحبوط[13] ثواب أعماله فإن أساس كل خطير حقير. ونحن نقول: إن المعصية لا تحبط[14] الطاعة ولكن هو استخفاف بالنبي صلى الله عليه وسلم وذلك كفر والعياذ بالله.[15]

---

[1] ر ث م: أن.

[2] جميع النسخ: وأمكن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٤٨و.

[3] ث م: التحذير.

[4] ن: يرفع.

[5] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه». *سنن ابن ماجة*، الطلاق ١٦.

[6] ن – مع.

[7] هو الحسين بن علي بن يزيد، أبو علي الكرابيسي، فقيه من أصحاب الإمام الشافعي. له تصانيف كثيرة في أصول الفقه وفروعه والجرح والتعديل. وكان متكلما، عارفا بالحديث، من أهل بغداد. نسبته إلى الكرابيس وهي الثياب الغليظة كان يبيعها. توفي سنة ٢٤٨هـ /٨٦٢م. انظر: *الأعلام* للزركلي، ٢/٢٤٤.

[8] ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم﴾ (سورة محمد، ٤٧/٣٣). وقال الحسن: بالمعاصي والكبائر. تفسير البغوي، ٧/٢٩٠.

[9] ر ث م: عن الآية.

[10] جميع النسخ: أن ينادي. المناوأة: المفاخرة (*لسان العرب*، «نوأ»).

[11] ر م: فيصير.

[12] ن ث – إلى أن يهون عليه ارتكاب الكبيرة يستحقرها حتى يخف عليه الكفر فيكفر فتصير المعصية.

[13] م: سبب الحبوط.

[14] ن: لا يحبط.

[15] ر ث م – والعياذ بالله.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى**، دلت هذه الآية أن الآيتين اللتين تقدم ذكرهما من قوله تعالى: لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ،[١] وقوله عز وجل: لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ[٢] وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ،[٣] في أهل الشرك أو[٤] في أهل النفاق. فأما أصحابه[٥] الذين صحبوه وآمنوا به وعرفوا[٦] أنه رسول[٧] رب العالمين فلا يحتمل أن يكون منهم ما ذُكِر من رفع الصوت عنده وجهر القول به والنداء له باسمه من بُعْدٍ، إنما ذلك به فعل من ذكرنا من أهل النفاق أو الشرك.[٨] فأما الذين آمنوا به و صدقوه وعرفوا أنه رسول فلا يحتمل منهم سوى التعظيم له والتوقير والتشريف لما عرفوا أن[٩] نجاتهم وشرفهم وعزهم في الدنيا والآخرة بتعظيمه وتوقيره، فكيف يحتمل منهم[١٠] ذلك؛ بل كانوا لا يتجاسرون التكلم بين يديه فضلا من أن يرفعوا[١١] أصواتهم أو يُقدّموا[١٢] بين يديه أو النداءُ من بُعد. ***والله الموفق.***

وقوله عز وجل: **أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى**، هذا وصف المؤمنين أنه[١٣] امتحن قلوبهم للتقوى[١٤] فوجدها صافية خالصة لذلك. والامتحان هاهنا هو التصفية والإخلاص، يقال امتحن الذهبَ إذا أخلص وصفّى الصافيَ منه والخالص من غيره. وقوله عز وجل: **لهم مغفرة وأجر عظيم**، ظاهر.

---

[١] الآية الأولى من هذه السورة.
[٢] جميع النسخ + وقوله تعالى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٤٨و.
[٣] الآية السابقة.
[٤] ر م – في أهل الشرك أو.
[٥] ر م: فأما أصحاب.
[٦] ر ث م: عرفوا.
[٧] ر ث م – رسول.
[٨] ر م: والشرك.
[٩] ن: إذ.
[١٠] ر م: عنهم.
[١١] ن: أن ترفعوا.
[١٢] ر: أو يتقدموا؛ ن ث: أو تقدموا؛ م: ويقدموا. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٣] ر م – أنه.
[١٤] ن – هذا وصف المؤمنين أنه امتحن قلوبهم للتقوى.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[٤] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون**، هذا وصفُ مَن ذكرنا من أهل الشرك والنفاق، وقال بعضهم: إن نفرا من الأعراب جاءوا وقالوا: ننطلق[1] إلى هذا الرجل -يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم- فإن يكن رسولا فنحن أسعد الناس به وإن يكن ملكا نعيش في جناحه. فأتوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجعلوا ينادونه من وراء الحجرات: يا محمدُ فنزلت هذه الآية.[2] وقال بعضهم: كان النبي صلى الله عليه وسلم سَبَى ذراريَّ بني تميم ونساءهم،[3] فأتوا يطلبون منه تخلية سبيل أولئك وإعتاقهم وردَّهم إليهم،[4] فنادوه من وراء الحجرات، فأعتق بعضهم وفَدَى بعضا فنزلت الآية.[5]

وقوله: **أكثرهم لا يعقلون. ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم**، لأن ذلك أعظم لقدره وأجل لمنزلته وأعرف لحقه وأحفظ لحرمته. ثم قوله:[6] **أكثرهم لا يعقلون**، يحتمل وجوها. أحدها[7] أكثرهم لا يعرفون قدره ومنزلته وإن كان قليل منهم يعرفون ذلك وهم المؤمنون. والثاني أكثرهم لا ينتفعون بما يعقلون. والثالث أكثرهم[8] لا يعقلون أنه رسول،[9] وهم الأتباع والسفلة من الكفرة، وإنما يعرف القليل منهم وهم الرؤساء المعاندون. وفي هذه الآية وفي قوله تعالى: أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ،[10] دلالة أن قد يلحق المرءَ حكمُ الكفر ويحبط[11] العملُ إذا خرج مخرج الاستخفاف وإن لم يعلم به ولم يقصد. *والله أعلم*.

---

[1] ر: نطلق.
[2] تفسير الطبري، ١٥٧/٢٦.
[3] ر: ونساؤهم.
[4] ر: إليه.
[5] انظر: *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٢٥٩/٣.
[6] ن: وقوله.
[7] ر م – أحدها؛ ث + أنهم.
[8] ث – أكثرهم.
[9] ر م: رسوله.
[10] الآية ٢ من هذه السورة.
[11] ر ث م: وتحبط.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا**، أجمع[١] أهل التأويل أو عامّتهم على أن الآية نزلت في الوليد بن عُقْبة بن أبي مُعَيْط بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني الْمُصْطَلِق وإلى قوم سواهم لجباية الصدقات، وكان بينه وبين أولئك القوم عداوة في الجاهلية. فخرجوا يتلقونه فخافهم لذلك[٢] فرجع وقال:[٣] إن القوم قد منعوا الصدقات. فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك خالد بن الوليد لجباية الصدقات فوجدهم يصلّون ويعملون الطاعات، واجتمعوا وجمعوا له الصدقات وجَبَوْها وسلّموها إليه. فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بها فنزل قوله تعالى: **يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا**. لكن إن كان ما ذكروا فلم يكن في ذلك النبإ التثبت لأن الآية نزلت بعد نبإ الرجل وفي الآية الأمر بالتثبت في نبإ الفاسق فيما يَحدث من الأمور من بعدُ. فدل أن الآية نزلت لبيان الحكم في نبإ الفاسق ابتداءً. *والله أعلم*. ولأنه يحتمل أن يكون ذلك الرجل منافقا، و لم يأمر الله تعالى بالتثبت في خبر المنافق و لم يَشْرَع ذلك، لأن النفاق يكون في الضمير فلا يظهر ذلك فأما الفسق فإنه يظهر فأمر لنا بالتثبت فيه. فدل أن الآية لم ينزل في ذلك الرجل، إذ لا يحتمل غير[٤] المنافق أن يُزوّر على المسلمين مثلَ ما ذكر منه، دل أن ما قاله أهل التأويل فيه وَهْم. *والله أعلم*.[٥]

ثم في الآية دلالة قبول خبر الواحد إذا كان عدلا، لأنه لو لم يقبل خبره إذا كان عدلا لم يكن لذكر الفسق فائدة سوى الشتم والشتم سفه فلا يجوز أن يوصف الله تعالى [به].[٦] فدل ذكر الفسق على أن هذا الحكم وهو رد الشهادة مختص باسم الفسق وأن العدل لا يشاركه[٧] فيه حتى لا يكون[٨] ذكر الفسق سفها / لما تعلق به بيان حكم شرعي يختص بالفاسق ولا يعرف ذلك دون ذكره. [٧٤٠ظ]

---

[١] ر م: جميع.
[٢] ر م – لذلك.
[٣] ر م: قال.
[٤] ر م: عن.
[٥] ر ث م – والله أعلم.
[٦] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٤٨ظ.
[٧] ر ث م: لا تشاركه.
[٨] ر ث م – لا يكون.

فأما متى كان الحكم عاما في الفاسق والعدل عند الانفراد فكان ذكر الفاسق يبقى شتيمةً[١] وأنه لا يليق بالحكمة، فدل ما ذكرنا. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **أَنْ تُصِيبُوا قوما بجهالة**، أي تصيبوا قوما بجهالة في الظاهر بسبب تهمة الفسق، فأما في الحقيقة فإنه يجوز أن يُصيبَ[٢] ذلك بخبر العدل.[٣] لكن الأحكام وقبول الأخبار[٤] فيما بين الخلق لم يوضع على الحقائق وإنما وضعت على الظواهر وكذلك قبول الشهادات والحكمُ بها. وجميع الشرائع التي جعلت في الناس إنما هو على الظواهر من الأحوال والأمور فأما على إصابة حقيقة ذلك فلا، إذ قد يجوز أن يحكم الحاكم ويقضي بقتل إنسان وبقطع يده بشهادة[٥] شهود[٦] عنده لما ظهرت عنده عدالتهم ولم يكن في الحقيقة كذلك. وعلى ذلك قول يعقوب عليه السلام لبنيه:[٧] قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ،[٨] لم يأمن عليهم بما ظهر له منهم زلة وجناية[٩] حين طلبوا منه إرساله ولده يوسف عليه السلام في الرعي، بل قال هنالك: إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ،[١٠] إنما اعتلّ عليهم واحتج بأكل الذئب ولم يَتَّهِمهم فيه لما[١١] لم يكن ظهر له منهم زلة وجناية؛ فلما ظهر ذلك منهم اتهمهم وأخبر أنه لا يأمن عليهم بما ظهر له من زلتهم. فدل أن التهمة سبب الرد وأنه يجب التثبت[١٢] لدفع[١٣] الجهالة من حيث الظاهرُ لا للحقيقة. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فتصبحوا على ما فعلتم نادمين**، أي نادمين بما فعلوا على خلاف ما كان في الظاهر ويندمون لما تركوا التثبت في الخبر.[١٤]

---

[١] ر م: مع شتمه؛ ث: يعني شتمه.
[٢] جميع النسخ: أن تصيب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٤٨ظ.
[٣] ر ث م: الواحد.
[٤] ن: الاختيار.
[٥] ر م − بشهادة.
[٦] ر م: بشهود.
[٧] ن − لبنيه.
[٨] سورة يوسف، ٦٤/١٢.
[٩] م: ذلة وخيانة.
[١٠] سورة يوسف، ١٣/١٢.
[١١] ر ث م: بما.
[١٢] ر: الثبت.
[١٣] ر ث م: بدفع.
[١٤] ن + والله أعلم.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلٰكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾[٧] ﴿فَضْلًا مِنَ اللهِ وَنِعْمَةً وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم،** أي لَأَثِمْتُم. من الناس من احتج بهذه الآية على أن الإجماع ليس بحجة، وقالوا: لو كان إجماعهم حجة لكانوا[١] لا يأثمون لو أطاعهم في كثير من الأمر، لأن الحق والصواب مما لا يوجب الإثم لصاحبه فيمن تبعه في ذلك الصواب والحقِ[٢] إن كان لا يوجب الثواب، دل أنه ليس بحجة يجب اتباعه. ولكن هذا فاسد لأن الحجج والبراهين لم يكن انتهت يومئذ غايتها ولا أتت على نهايتها. فالإجماع الذي هو إجماع حجةٍ عندنا ويجب اتباعه والانقياد له هو إجماع[٣] من استوعب الحجج والبراهين وأتى على عامتها أو على الجميع.[٤] وكان الوقت وقت نزول الوحي، وإنما يستقر الأحكام بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ينقطع الوحي، فيُستدل على استيعاب الحجج ونزول جميع ما يحتاج الناس إليه من حيث الإيداع[٥] في النصوص، فمتى اجتمعوا على ذلك يكون حجة. ولأنه لا إجماع يتحقق[٦] دون رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا وُجد رأيه استُغني عن رأي الغير لما كان ينطق عن الوحي. فإذا لم يكن وقتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم زمان انعقاد[٧] الإجماع حجة بطل[٨] استدلالهم بالآية.

ثم قوله عز وجل: **واعلموا أن فيكم رسولَ الله،** أُرسل إليكم ليزيل عنكم أشكالكم وشُبُهاتِكم فلا عذر لكم في الكفر واعتراض الشُّبَه لكم لما تقدرون[٩] أن تسألوه[١٠] ما أشكل عليكم واشتبه فيخبركم بذلك فيزيل الشبه عنكم.

---

[١] ر ث م: لو كان لإجماعهم لكان.
[٢] ر م: ولكن.
[٣] ن: الإجماع.
[٤] ر: أو على الجمع.
[٥] ن: الإبداع.
[٦] ر م: تحقيق.
[٧] ن: انقطاع؛ صح هـ.
[٨] جميع النسخ: فبطل.
[٩] ر م: بما يقدرون.
[١٠] ن: أن يسألوه.

والثاني يحتمل: **واعلموا أن فيكم رسول الله**، يُطْلع الله تعالى إياه على ما تُضمرون[١] في أنفسكم وما تُولِدون من الأخبار التي لا أصل لها ولا أثر ما لو أظهر ذلك لافتضحهم. وهو صلة ما ذكر من قوله: إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا.[٢] *والله أعلم*. ويحتمل أن[٣] فيكم رسول الله تسألونه ما أشكل عليكم فيخبركم بالحق والأمر على حقيقته[٤] كي لا تصيبوا قوما بجهالة. *والله أعلم*. ويحتمل أن يكون قوله: **واعلموا أن فيكم رسول الله**، أي فيكم رسول الله[٥] فإليه الرأي والتدبير في الأمور ومن رأيه وتدبيره يجب أن تصدر[٦] لا عن رأي أنفسكم وتدبيركم، وعلى ذلك يخرج قوله: وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ،[٧] على الوجوه التي ذكرنا. *والله أعلم*.

ثم قوله عز وجل: **لو يطيعكم في كثير من الأمر لَعَنِتُّمْ**، أي لو يطيعكم فيما تدعو[٨] إليه أنفُسكم من التمويهات والشبهات وهواها؛ أو يقول لو يطيعكم في الصدور عن آرائكم وتدبيركم في الأمور لعنتم. ثم قال: **ولكن الله حبَّب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكرَّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان**، هذا في الظاهر كناية غير موصولة بقوله: **لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم**، لأنه لا يليق ذلك إلا على الإضمار كأنه يقول: لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم وإن الله قد أرسله إليكم رسولا وحبب إليكم الإيمان به[٩] وزينه في قلوبكم حتى صار هو في قلوبكم أحبَّ من أنفسكم ومن كل شيء، فالواجب عليكم أن تَصرفوا الأمر إلى رأيه وتدبيره وأن تَصدُروا عن رأيه ولا تعتمدوا على رأي أنفسكم وتدبيركم. *والله أعلم*. ويحتمل أي لا تَدْعوه إلى أن يطيعكم فيما تهوى به أنفسكم واشهت[١٠] بعد ما[١١] حبّب الإيمان به إليكم وزينه في قلوبكم وكرّه / إليكم الكفر وما ذكر. والله أعلم بحقيقة جهة وَصْل[١٢] هذا بالأول. [٧٤١و]

---

[١] ث: رسول الله على ما يضمرون.
[٢] الآية السابقة.
[٣] جميع النسخ: أي. والتصحيح من *الشرح*، نسخة حميدية، ورقة ٧٢٠ظ.
[٤] جميع النسخ: على حقيقة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٤٩و.
[٥] ر م - أي فيكم رسول الله.
[٦] ر ث م: أن يصدر؛ ن: أن يصدروا. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] سورة آل عمران، ١٠١/٣.
[٨] ر م: تدعوا.
[٩] ر م - به.
[١٠] ر ث م: فأشبهت؛ ن: فاشتهبت؛ وفي *الشرح*: فاشتهت، ورقة ١٤٩و.
[١١] ر ث م: بعده ما.
[١٢] ر م: جهته وحل؛ ن ث: وجل. والتصحيح من المرجع السابق.

ثم يحتمل وجهين أيضا. أحدهما لو يطيعكم الرسول في كثير من الأمر لعنتم، والله تعالى ألزمكم طاعته في كل أمر فأطيعوه ولا تطلبوا منه طاعته إياكم في الأمور ولكن أطيعوه أنتم في الأمور كلها، وقد حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق أو الخروج[1] عن أمره والعصيانَ.

والثاني يشبه أن يكون موصولا بقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُولٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى،[2] **وحبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان.**

ثم قال الله[3] عز وجل: **أولئك هم الراشدون**، كأنه يقول: أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وحبب إليهم الإيمان[4] وزينه في قلوبهم[5] وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان. [ثم قال:] **أولئك هم الراشدون.**[6] أخبر وشهد لهم بالرشاد وأخبر أن ذلك فضل منه إليهم ونعمة لا بشيء كان منهم استوجبوا بذلك. فذلك قوله: **فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم.**

ثم قالت المعتزلة في قوله تعالى: **حَبّب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر**، وما ذكر، يقولون: لم يحبب الإيمان إلى هؤلاء إلا وقد حبب مثله إلى جميع الكفار، وكذلك لم يُكرّه الكفر على هؤلاء إلا وقد كره إلى جميع الناس. لكن المراد من تخصيص[7] هؤلاء بما ذكر من التحبيب إليهم الإيمانَ وتكريه الكفر هو اختصاصُهم بما وعد من الثواب والجزاء الجزيل على الإيمان والمواعيد الشديدة على الكفر،[8] فحببه وزينه في قلوبهم بما وعد لهم من الثواب وكرّه الكفر والعصيان إليهم بما أوعد على ذلك من العذاب العظيم.

لكنّ هذا فاسد لأنه ليس مؤمنٌ به صار حُبُّ الإيمان في قلبه لِما ذكروا من الثواب والجزاء ولا كافرٌ أسلم حين أسلم يَخطُر ثواب الإيمان في قلبه حتى يكونَ إسلامه لذلك،

---

[1] ر ن: والخروج.

[2] الآية ٣ من هذه السورة.

[3] ن – الله.

[4] ر م – الإيمان.

[5] جميع النسخ: في قلوبكم. والتصحيح من الشرح، ورقة ١٤٩و.

[6] ن – كأنه يقول أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وحبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون.

[7] ر ث م: تخصيص.

[8] ر م – على الكفر.

بل كان في قلبه بُغضُ الإيمان قبل الإسلام فإذا أسلم وجد حبّه في قلبه وكراهة الكفر ليُعْلَم أن ذلك يكون بلطف من الله تعالى كان عنده فإذا أعطاه صار ما ذكر. *والله أعلم*.

﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما**. قال بعضهم: كان بين رجلين مُدارَأَةٌ،[١] أي منازعة في شيء فغضب قوم كل رجل حتى كان بينهم خَفْقٌ[٢] بالنعال[٣] والأيدي فنزلت الآية. وقال بعضهم: كان بين الأوس والخزرج قتال بالعِصِيّ فنزلت هذه[٤] الآية بالأمر بالصلح بينهم. وقال بعضهم: قتالهم بالعصي والتَّناصي[٥] ونحوهما.[٦] وقال الحسن: إن قوما من المسلمين كان بينهم تنازع حتى اضطربوا بالنعال والأيدي فأنزل الله تعالى هذه الآية في ذلك.[٧] وقال قتادة: كان بين رجلين حق فتَدَارَءَا فيه فقال أحدهما: لآخُذنه[٨] عَنْوَةً لكثرة عشيرته، وقال الآخر: بيني وبينك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتنازعا حتى كان بينهما ضرب بالنعال والأيدي.[٩]

وجائز أن يكون الآية فيما كان بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبين الحرورية وأهل نَهْرَوَانَ. ذكر أن عليا رضي الله عنه لما قتلهم فقال الناس: هم مشركون؟ فقال علي:[١٠] من الشرك قد فَرّوا[١١] فقالوا: فمنافقون هم؟ قال علي رضي الله عنه: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا.

---

[١] ر م: مدارة.

[٢] ر ن: حفق؛ ث م: حفق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٤٩ظ.

[٣] الخَفْق: صوت النعل وما أشبهها من الأصوات. وكل ضرب بشيء عريض خَفْقٌ (*لسان العرب*، «خفق»).

[٤] ر م: عنده.

[٥] تناصى القوم: أخذ بعضهم بنواصي بعض في الخصومة (*لسان العرب*، «نصو»).

[٦] جميع النسخ: ونحوها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٤٩ظ.

[٧] *تفسير الطبري*، ١٦٧/٢٦.

[٨] ر ث: لأخذته.

[٩] ن - فأنزل الله تعالى هذه الآية في ذلك وقال قتادة كان بين رجلين حق فتدارا فيه فقال أحدهما لآخذنه عنوة لكثرة عشيرته وقال الآخر بيني وبينك رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنازعا حتى كان بينهما ضرب بالنعال والأيدي. *تفسير الطبري*، ١٦٧/٢٦.

[١٠] جميع النسخ: عليه السلام. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٤٩ظ.

[١١] ر م: قد حسدوا.

قالوا فما هم؟ قال: هم ناس بَغَوا علينا فقاتلونا فقاتلنا هم.[1] ويحتمل أنه كان فيما كان بين علي رضي الله عنه وبين معاوية[2] يوم الْجَمَل ويوم صِفِّينَ ذُكر عن جعفرَ بنِ محمد عن أبيه أن عليا رضي الله عنه سمع رجلا يقول يوم الجمل: هم [قد][3] كفروا، فقال: لا تقل ذلك ولكن هؤلاء قوم بَغَوا علينا وزعموا أنا بغينا عليهم فقاتلناهم على ذلك. لكن في الآية الأمر بالصلح إذا كان بينهم -أعني المؤمنين- اقتتال بأي شيء كان، بقوله تعالى: **فأصلحوا بينهما**. وكذلك أمر في غير آي بالصلح والإصلاح، قال تعالى:[4] وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ،[5] أي بين المؤمنين.

وهذه الآية حجة على المعتزلة والخوارج، فإنه أبقي اسم الإيمان بعد ما كان منهم الإقتتال[6] والبغي، والقتال والبغي مع أهل الإسلام من الكبائر. دل أن الكبيرة لا تخرج[7] عن الإيمان ولا توجب[8] الكفر. *والله الموفق*.

وقوله عز وجل: **فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله**، أي[9] فإن ظلمت إحدى الطائفتين وطلبت غير الحق فقاتلوا التي تبغي أي تظلم وتجور،[10] **حتى تفيء إلى أمر الله**،[11] حتى ترجع إلى أمر الله وإلى الحق. أمر بمعونة الطائفة التي لم تبغ[12] والانتصارِ لها من الباغية؛ وهو ما ذكر في آية أخرى: وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللهُ.[13] وعد عز وجل النصر لهم، فيحتمل أن يكون ذلك النصر الموعودَ في الدنيا ويحتمل في الآخرة. وفي الآية[14] الأمر بقتال أهل البغي من غير قيد بين السيف وغيره / بقوله: [٧٤١ظ]

[1] مصنف ابن أبي شيبة، ٧٠٧/٨، ٧٤٣؛ والسنن الكبرى للبيهقي، ١٧٤/٧.
[2] ر ث م: ومعاوية.
[3] الزيادة من الشرح، ورقة ١٤٩ظ.
[4] ر م: يقال.
[5] ر م + كان. سورة الأنفال، ١/٨.
[6] م: الاقتال.
[7] جميع النسخ: لا يخرج. والتصحيح من الشرح، ورقة ١٤٩ظ.
[8] جميع النسخ: ولا يوجب. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ن - أي.
[10] ن: يظلم ويجور.
[11] م - أي فإن ظلمت إحدى الطائفتين وطلبت غير الحق فقاتلوا التي تبغي أي تظلم وتجور حتى تفيء إلى أمر الله.
[12] ن: لم تبلغ.
[13] سورة الحج، ٦٠/٢٢.
[14] ث - الآية؛ صح هـ.

فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي. لكن متى أمكن دفع[1] البغي وكَسْرُ[2] مَنَعَتِهم بغير السلاح فهو الحق وهو الواجب. لكن إذا لم ينقلعوا عن البغي إلا بالقتال مع السيف فلا بأس به، فإن عليا رضي الله عنه قاتل الفئة الباغية بالسيف ومعه كبراء الصحابة رضي الله عنهم وأهل بدر[3] وكان هو محقًا في قتاله إياهم، دل أنه لا بأس بقتالهم بالسيف. وبعضهم قالوا: إن قتال البُغاة لا يجوز بالسيف، وقالوا: إن سبب نزول الآية في القتال بالعِصِيّ والنعال. ولكن لا حجة لهم فيها لأن القتال بين الفئتين وإن كان بالنعال والعِصِيّ ولكن لم يصيروا بغاة في تلك الحال وهو القتال الذي أمر الله تعالى فيه أن يُصلَح[4] بينهم. وإنما يصيرون[5] بغاة بأن لم يجيبوا إلى الصلح و لم يقبل أحد من الطائفتين الصلح، وحينئذ أمر بالقتال معهم مطلقا من غير قيد. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا**، ذكر أنها وإن فائت ورجعت إلى ما أمر الله تعالى به لا تتركوهما[6] كذلك بغير صلح ولكن أصلحوا بينهما وألِّفوا حتى يتآلفوا، لأن أهل الإسلام نُدبوا إلى التآلف بينهم والجمع وشُرط فيه الصلح بالعدل. فهو –والله أعلم– يقول: إنكم وإن رأيتم صلاحهم في الصلح فلا يحملنكم ذلك على الصلح الذي ليس فيه عدل، ولكن أصلحوا بينهم[7] بالعدل ولا تجاوزوا الحد الذي جُعل له،[8] وأكد ذلك قوله: **وأقسطوا**، أي اعدلوا في الصلح، **إن الله يحب المقسطين**، أي العادلين.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم**، أمر الله عز وجل بإصلاح ذات البين بين المؤمنين بقوله: وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ،[9] وأمر بالإصلاح بين الطائفتين من المؤمنين إذا اقتتلوا وتنازعوا بقوله عز وجل: وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا،[10]

---

[1] ر ث م: رفع.
[2] ر: وكبرة وكثر.
[3] ر م: البدر.
[4] ر ث م: أن تصلح.
[5] ر ن م: يصيروا.
[6] ر ن م: لا يتركوهما.
[7] ن: بينكم.
[8] ر ث م – الذي جعل له.
[9] سورة الأنفال، ٨/١.
[10] الآية السابقة.

وأمر بالإصلاح بين[1] الآحاد والأفراد بقوله: **فأصلحوا بين أخويكم**، لأن الإيمان يوجب التآلف وبالتآلف نُدبوا وإليه دُعوا وبه مَنّ الله تعالى علينا حيث قال: مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ،[2] وقال في آية أخرى: وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا.[3] أمر بالتآلف[4] والاجتماع ونهاهم عن التفرق والاختلاف وأمر المؤمنين جملة أن يصلحوا ذات بينهم إذا وقع بينهم تنازع واختلاف واقتتال على ما ذكر. ***والله أعلم.***

ثم من الناس[5] من استدل بقوله تعالى: **فأصلحوا بين أخويكم** على أن اسم الطائفة تقع[6] على الواحد فصاعدا فقال: إنه ذكر في أول الآية: **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما**، ثم[7] قال في آخره: **فأصلحوا بين أخويكم**، فدل أن اسم الطائفة تقع[8] على الواحد فصاعدا.[9] فيستدل بهذا على أن في قوله عز وجل: فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ،[10] يراد بها الواحد، فيدل على لزوم خبر الواحد العدل. لكن عندنا ما ذكر أنه أمَر بإصلاح ذات البين بين جملتهم وأمر بالإصلاح[11] بين فريقين وأمر بذلك بين الآحاد والأفراد، وليس في قوله: **فأصلحوا بين أخويكم** دلالةُ أنه أراد به الأخوين، أو ذكر: **بين أخويكم** وأراد به الاثنين اللذين كان الاقتتال بينهما وفيهما هاج القتال بينهم. فأما أن يكون اسم الطائفة تقع[12] على الواحد فلا، بل هو في اللغة وعرف اللسان على الجماعة. ***والله أعلم.***

---

[1] ر م - الطائفتين من المؤمنين إذا اقتتلوا وتنازعوا بقوله عز وجل وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما وأمر بالإصلاح بين.

[2] ﴿هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم﴾ (سورة الأنفال، ٨/٦٢-٦٣).

[3] سورة آل عمران، ٣/١٠٣.

[4] ن ث: بالتأليف.

[5] ن - من الناس.

[6] جميع النسخ: يقع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٠و.

[7] ر م - ثم.

[8] جميع النسخ: يقع. والتصحيح من المرجع السابق.

[9] ر م + فقال.

[10] سورة التوبة، ٩/١٢٢.

[11] ر م: بالصلاح.

[12] جميع النسخ: يقع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٠و.

وقوله: **واتقوا الله لعلكم ترحمون**، أي اتقوا مخالفة أمر الله لكي تقع[١] لكم[٢] الرحمة ولكي[٣] تلزمكم[٤] الرحمة.[٥]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم**، ظاهر الآية نهي للجماعة عن سخرية جماعة، لأن السخرية[٦] إنما تقع[٧] وتكون[٨] في الأغلب بين قوم وقوم، وقل ما يقع بين الآحاد والأفراد فعلى ذلك جرى النهي؛ ولكن يكون ذلك النهي للجماعة[٩] والأفراد والآحاد جميعا. *والله أعلم*.

ثم تحتمل[١٠] السخرية المذكورة في الآية على وجهين. أحدهما في الأفعال يقول: لا يَسخر قوم من قوم في الأفعال[١١] عسى أن يكونوا خيرا منهم في النية في تلك الأفعال، أو خيرا منهم، أي أفعالهم أخلص عند الله من أفعال أولئك وأقرب إلى القبول. والثاني سخرية في الخلقة وذلك راجع إلى مُنشئها لا إليهم، وهم قد رضوا بالخلقة التي أنشئوا عليها، وعسى أن يكونوا هم[١٢] على تلك الخلقة عندهم خيرا منهم.

ثم قوله عز وجل: **عسى أن يكونوا خيرا منهم**، يحتمل وجهين. أحدهما عسى أن يصيروا من بعدُ منهم خيرا في تلك الأحوال والأفعال التي هم عليها اليوم. والثاني عسى أن يكونوا هم

---

[١] جميع النسخ: يقع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٠و.
[٢] ن ث: بكم.
[٣] ر م: أو لكي.
[٤] جميع النسخ: يلزمكم. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ن – ولكي تلزمكم الرحمة.
[٦] م: المسخرية.
[٧] ر ث م: إنما يقع.
[٨] جميع النسخ: ويكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ن: الجماعة.
[١٠] جميع النسخ: يحتمل.
[١١] ن – يقول لا يسخر قوم من قوم في الأفعال.
[١٢] ر ث م: لهم.

عند الله خيرا منهم[1] في الحال، كقوله عز وجل: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ،[2] أخبر أن الأكرم منهم عند الله تعالى هو أتقاهم لا ما افتخروا بما هو أسباب الفِخار عندهم. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن**، ذكر سخرية نساء[3] من نساء لأن النساء ليس لهن اختلاط مع الرجال حتى تجري[4] السخرية بينهم، وإنما الاختلاط في الغالب بين الجنس يكون، فعلى ذلك جرى[5] النهي بالسخرية. ***والله أعلم***. ويحتمل أنه خص هؤلاء بهؤلاء[6] كما خص القصاص في قوله: كُتِبَ عَلَيْكُمُ / الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ،[7] الآية، ثم جمع بين الأحرار والعبيد والذكور والإناث بالمعنى الذي جمعهم فيه وهو ما ذكر: وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ،[8] أبان عن المعنى الذي[9] به وجب القصاص فيما بينهم فاشتركوا جميعا في ذلك: الأحرار والعبيد والذكور والإناثُ. فعلى ذلك ذَكَر المعنى الذي به نهاهم عن السخرية وهو ما ذكر: **عسى أن يكونوا خيرا منهم**، فذلك المعنى يجمع سخرية الرجال من النساء وسخرية النساء من الرجال. ***والله أعلم***.

[٧٤٢و]

وقوله عز وجل: **ولا تلمزوا أنفسكم**، فاللمز[10] هو الطعن، ثم منهم من يقول: هو الطعن باللسان، ومنهم من يقول: بالشِّدْق[11] والشَّفَة، ومنهم من يقول: بالعين، وحاصله هو الطعن فيه. وقال القُتَبي: اللمز هو العيب، أي لا تعيبوا،[12] وقال أبو عَوْسَجَة: هو شِبْه العيب. ثم قوله عز وجل: **أنفسكم** يحتمل وجهين. أحدهما **لا تلمزوا أنفسكم**، أي تذكروا[13] مساوئ أنفسكم عند الناس، وفيه الأمر بالستر على أنفسهم وأن لا يَهتِكوا[14] سترهم. ***والله أعلم***.

[1] ن: عبد الله منهم.
[2] الآية ١٣ من هذه السورة.
[3] ر: السخرية النساء.
[4] جميع النسخ: يجري. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٠و.
[5] ن: يجري.
[6] ن – بهؤلاء.
[7] ﴿كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى﴾ (سورة البقرة، ١٧٨/٢).
[8] سورة البقرة، ١٧٩/٢.
[9] ث + ففيه.
[10] جميع النسخ: واللمز. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٠و.
[11] ن: بالبسدق.
[12] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤١٦.
[13] ر ن م: يذكروا.
[14] ن: وأن لا تهيكوا.

[والثاني يريد بأنفسهم أنفس المؤمنين إذ أنفسهم كنفس واحدة، وهو كقوله: فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ،[١] كأنه يقول: لا يلمزْ بعضكم بعضا. *والله أعلم*].[٢]

وقوله عز وجل: **ولا تنابزوا بالألقاب**، أي لا تَدْعُوا بالألقاب. والنبز اللقب يقال: نبزتُ فلانا أي لَقَبته وفي الحديث: «قوم نَبَزُهم الرافضة»،[٣] أي لقبهم. ولو قال: لا تنابزوا لكان كافيا، لكنه[٤] كأنه قال: ولا تُظهروا ألقابهم فيسوء هم ما أظهرتم من اللقب. *والله أعلم*. ثم قال بعض أهل التأويل: إنما نهوا عن ذلك لأنهم يسمونهم بعد إسلامهم بالأفعال التي كانوا يفعلون في حال جاهليتهم من الكفر والفسوق ويلقّبونهم بذلك ويقولون: يا كافر، يا فاسق ونحو ذلك، ودل على ذلك قوله تعالى: **بئس الِاسْمُ الفسوقُ بعد الإيمان**. وجائز أن يلقبوا بذلك وبغيره من الألقاب فنهوا عن أن يسمونهم بغير أسمائهم التي كانت لهم وأن يُعرَّفوا بأسمائهم التي لهم ونهوا عن التعريف بالألقاب وبغير[٥] الأسباب والأسماء التي لهم، إذا كان التعريف بذلك يسوء هم ويَغيظهم. *والله أعلم*. ثم قال الله تعالى: **ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون**، أي واضعون الشيءَ في غير موضعه.[٦] *والله أعلم*.

ثم قوله عز وجل: **بئس الِاسْم الفسوق بعد الإيمان**، يحتمل وجهين. أحدها ما ذكرنا، أي بئس النسبة إلى الفسق الذي[٧] كان والتسمية به بعد الإيمان، [فإنما يرجع النهي بذلك إلى التسمية والنسبة بعد الإيمان][٨] إلى الاسم والفعل الذي كان له ومنه قبل الإيمان، كأنه قال لا تسموهم بذلك[٩] بعد الإيمان. *والله أعلم*. والثاني **بئس الِاسم الفسوق بعد الإيمان**، أي بئس[١٠] ما اختاروا من اسم الفسق بعد ما كان اختار اسم الإيمان وفعله. فهذا يرجع إلى اختيار الفسق بعد الإيمان. *والله أعلم*.[١١]

---

[١] سورة النور، ٦١/٢٤.

[٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٥٠ظ.

[٣] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤١٦؛ *وبحر العلوم* لأبي الليث السمرقندي، ٢٦٤/٣.

[٤] ر م: لكنا.

[٥] ر: بألقاب وتغير؛ ث م: وتغير.

[٦] ر ن م: موضع.

[٧] ن ث م: التي.

[٨] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٥٠ظ.

[٩] جميع النسخ: لا تسمونهم بتلك. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٠] ر ث: تبين.

[١١] م – والثاني بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان أي بئس ما اختاروا من اسم الفسق بعدما كان اختار اسم الإيمان وفعله فهذا يرجع إلى اختيار الفسق بعد الإيمان والله أعلم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم**، هاهنا أسماء ثلاثة يجب أن يتعرف ما محلها وما قدرها وكيف أسبابها؟ أحدها الظن، والثاني الشك، والثالث العلم واليقين. أما الظن فكأنه هو الذي له ظاهر الأسباب التي لها خوف الزوال والانتقال، والشك هو الذي فُقد[١] ظاهرُ أسبابه أو له استواء الأسباب ومقابلة بعضها بعضا، فهو المتردد بين[٢] الحالين لا يَقِرّ[٣] قلبه على شيء. واليقين هو الذي له الأسباب الظاهرة التي ليس لها خوف الزوال والانتقال. *والله أعلم*.

ثم قوله عز وجل: **اجتنبوا كثيرا من الظن**، كأنه نهى أن يحقق القول[٤] أو[٥] العملَ في صاحبه بسوءٍ بناءً[٦] على ظاهر الأسباب التي هي على شَرَف الزوال وطرف الانتقال، يجوز أن تكون[٧] غير متحققة في الأصل أو زائلةً. *والله أعلم*. ثم في الآية دليل على أنه ليس كل ظن يجب أن[٨] يجتنب عنه ولا كل الظن يكون إثما لأنه استثنى منه بعضه بقوله: **[إن] بعض الظن إثم**. فجائز أن يكون ما استثنى من الظن ولا يأمر[٩] بالاجتناب عنه هو ما يغلب عليه الأسباب، وغالب الأسباب ربما يعمل عمل العلم واليقين، نحوَ[١٠] المكرَه على شيء يُرخّص له أو يُباح العمل إذا رأى مِن ظاهر حال المكرِه أنه فاعلٌ به ما أوعده وإن كان يجوز أن لا يفعل[١١] به أو لا يقدر على ما أوعده. وعلى ذلك موضوع عامة الأحكام والشرائع بين الخلق أنها على غالب الظن وضعت ليس على التحقيق. *والله أعلم*.

---

[١] ن: بعد.

[٢] ر: فهو المتردد ين.

[٣] م: لا يفر.

[٤] ر ث م – القول.

[٥] ث: أن يتحققوا.

[٦] ر ث م – بناء.

[٧] جميع النسخ: أن يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٠ظ.

[٨] ر م – يجب أن.

[٩] ر ث م: ولا يأمن.

[١٠] ر ث م: بحق.

[١١] ر م: أن لا يعقل.

ويحتمل أن يرجع ما استثنى من الظن القليل الذي لا إثم فيه إلى الظن الحسن، إذ يجوز أن يُظَنّ بالإنسان الظن الحسنُ ولا إثم فيه، إنما الأمر بالاجتناب إلى الظن بالسوء على غير تحقق أسبابه[١] أو غير تحقق[٢] عين ذلك. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ولا تجسسوا**، التجسس هو تكلف طلب المَساوِئِ في الناس من غير أن يظهر منهم من أسبابها شيء، فنَهَى عن تكلف طلب ذلك، أو نهى عن الإظهار[٣] وأمر بالستر. وبمثل[٤] ذلك روي في الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم. وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قيل له: هل لك في فلان تَقْطُرُ[٥] لحيته خمرا؟ فقال عبد الله بن مسعود[٦] رضي الله عنه: إن يظهر لنا شيء نأخذه وإلا فإن الله تعالى قد نهانا عن التجسس.[٧] *والله أعلم*.

وفرّق بعضهم بين التجسس والتحسس، فقال بالجيم في الشرور والمساوئ وبالحاء في الخير وفيما يباح[٨] طلبه. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ولا يَغْتَبْ / بعضكم بعضا**. الغِيْبَة يرجع إلى وجهين. أحدهما أن يُذكَر ما فيه من مساوئ الأفعال[٩] التي سترها[١٠] عن أعين الناس مما يكره إظهار ذلك عنه. والثاني يُذكر ما فيه من قبح[١١] الأحوال والخلقة[١٢] التي لا يكاد يذكر ذلك منه أو يظهر. وعلى ذلك روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى أن يذكر الرجل أخاه بما فيه مما يكره. فقيل: إنما كنا نذكره بالشيء الذي فيه لا بما ليس فيه. قال: «ذلك البهتان».[١٣] [٢٤٧ظ]

---

[١] ر م: أسباب.
[٢] جميع النسخ: تحقيق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٠ظ.
[٣] ر م: أو من الإظهار.
[٤] ن: ومثل.
[٥] جميع النسخ: يعطر. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] ن – بن مسعود.
[٧] *سنن أبي داود*، الأدب ٣٧.
[٨] ن + له.
[٩] ر: والأفعال.
[١٠] ن ث: أسترها.
[١١] ن: فتح.
[١٢] ر م: والأخلاق؛ ث: ولا يخلقه.
[١٣] روي أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الغيبة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أن تذكر من المرء ما يكره أن يسمع». قال: يا رسول الله وإن كان حقا؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا قلت باطلا فذلك البهتان» (*الموطأ* لمالك، الكلام ٤).

وقوله عز وجل: **أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه**، أي لا يحب أحدكم أن يأكل[1] لحم أخيه بعد موته. فكأنه يقول: فإذا لم يحب هذا وكرهه بل يستقذره كلَّ استقذار فالغِيبة[2] هي تناول من أخيك وهو حي، فهو في القبح يبلغ التناول منه بعد موته. فإن كان لا أحدَ يتناول من لحم أخيه بعد موته لا في حال اختياره ولا في حال اضطراره فلا تغتابوا[3] ولا تذكروا منه ما فيه فإنه في القبح مثل[4] ذلك.

وقوله عز وجل: **واتقوا الله إن الله تواب رحيم**، أي اتقوا الله عما نهاكم عنه، **إن الله تواب** لمن تاب، أي قابلُ توبته، **رحيم**، أي يرحم عليه ويعفو عنه إذا تاب.[5] ***والله الموفق***.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى**، يخرج تأويل الآية على وجهين. أحدهما إنا خلقناكم جميعا من أصل واحد وهو آدم وحواء عليهما السلام، فيكونون جميعا إخوة وأخوات وليس لبعض الإخوة والأخوات الافتخار[6] والفضيلة على بعض بالآباء والقبائل التي جعلت لهم، إنما[7] القبائل وما ذَكَر للتعارف، والفضيلة والكرامة فيما ذكر: **إن أكرمكم عند الله أتقاكم**. مع ما[8] لو كان في ذلك فضيلة وافتخار فالكل في النسبة إليهم على السواء فلا معنى لانفراد البعض بالافتخار.

والثاني يحتمل إنا خلقنا كل واحد منكم من الملوك والأتباع والحر والعبد والذكر والأنثى من ماء الذكر والأنثى، فليس لأحد على أحد من تلك الجهة التي يفتخرون بها الافتخار والفضيلةُ إذ كانوا جميعا من نطفة مَذِرَةٍ[9] مُنْتِنَة يستقذرها الطباع. ذكر هذا ليتركوا التفاخر والتطاول بالأنساب والقبائل. ***والله أعلم***.

---

[1] ر: تأكل.
[2] ر م: بل يستقذره فما لعينيه.
[3] ن: فلا يغتابوا.
[4] ر م – مثل.
[5] م: إذ تاب.
[6] ر: الافخار.
[7] ث: أيما.
[8] ر م: معا.
[9] ر: مدزة.

وقوله عز وجل: **وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا**. ثم اختلف[١] في تأويل قوله: **شعوبا وقبائل**، قال بعضهم: الشعوب أكبر من القبائل، فالشعوب هم الأصول والقبائل هي الأفخاذ منهم، فالشعوب للعرب والأمم والقرون للعجم. وقال بعضهم: الشعوب للعجم والقبائل للعرب. وقال أبو عَوْسَجَة: الشعوب الضروب وهي القبائل، والواحد شَعْب، والشعب الاجتماع، يقال: شعبتُ الإناء إذا انكسر فجمعتَه وأصلحتَه، ويسمى لمن يصلح الإناء شعّابا، والشَّعْب التفريق أيضا، وشَعُوبُ[٢] المنيّة، ونحو ذلك. ثم قوله عز وجل: **لتعارفوا**، أي جعل فيكم هذه القبائل ليعرف بعضكم بعضا بالنسبة إلى القبائل والأفخاذ فيقال: فلان التميمي والهاشمي، إذ كل أحد لا يعرف بأبيه وجده.

ثم قال عز وجل: **إن أكرمكم عند الله أتقاكم**، بين الله تعالى بما به تكون[٣] الفضيلة والكرامة وهو التقوى لا فيما يرون ويفتخرون بذلك[٤] وهو النسبة إلى الآباء والقبائل، بل ذلك لما ذكر من التعارف. وهذا لأن التقوى فِعْله وهو إتيان الطاعات والاجتناب عن المعاصي وذلك مما يأتيه تعظيما لأمر الله تعالى ونهيه. فجائز[٥] أن ينال به الفضيلة والكرامةَ بفضل الله وكرمه بناء على فعله، فأما ما لا فعل[٦] له في التولد من آباءٍ كرام فأنَّى يستحق الفضل بذلك؟ [فـ]لو كان افتخار [به فهو] إنما يكون[٧] للآباء بمباشرتهم أسباب حصول الأولاد ليوحّدوا الله تعالى ويتمسكوا بطاعته. *والله أعلم*. وقوله[٨] عز وجل: **إن الله عليم خبير**، على الوعيد.

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا**، هذه الآية وإن خرجت على مخرج العموم ولكن أراد بها[٩] الخاص وهو بعض الأعراب، إذ[١٠] في الإجراء

---

١ ر م: اختلفوا.
٢ جميع النسخ: والشعوب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥١و.
٣ جميع النسخ: يكون.
٤ ن – بذلك.
٥ ر م: وفجائزا.
٦ م: فأما لا فعل.
٧ جميع النسخ: افتخارا بما يكون. والتصحيح من المرجع السابق.
٨ ن: في قوله.
٩ ث: به.
١٠ ن: ان.

على العموم يؤدي إلى الكذب في خبر الله تعالى عن ذلك، إذ لا كل الأعراب قالوا ذلك ولا كل الأعراب يجب أن يقال لهم: **لم تؤمنوا**، ولكن يقال لهم: **قولوا أسلمنا**، فهو يرجع إلى خاص من الأعراب. فكأنه يرجع إلى أهل النفاق منهم فإنهم أخبروا أنهم آمنوا وَلَمّا آمنوا. فلما[1] أطلع الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم أنهم لم يؤمنوا ولكنهم استسلموا وخضعوا للمؤمنين ظاهرا خوفا عن معرة السيف وطمعا فيما عند المسلمين من الخير[2] فنهاهم أن يقولوا: **آمنا** إذ[3] لم يكن في قلوبهم ذلك وأمرهم أن يقولوا: أسلمنا. ومعناه ما ذكرنا، أي خضعنا واستسلمنا ليرتفع عنهم السيف. ولا يصح الاستدلال بالآية على أن الإسلام والإيمان غيران فإنه غاير بينهما حيث نهاهم أن يقولوا: **آمنا** وأمرهم أن يقولوا: **أسلمنا**، ولو كانا واحدا لم يصح هذا، لأنا[4] نقول: لم يرد بهذا الإسلام[5] الإسلام[6] الذي [٧٤٣و] هو الإيمان ولكن أراد به الاستسلام[7] / والانقياد الظاهر. وهو كما يسمى إسلاما يسمى إيمانا أيضا من حيث الظاهر. فأما حقيقة الإيمان والإسلام [فإنها] ترجع[8] إلى واحد، لأن الإيمان هو أن يصدق كل شيء في شهادته على الربوبية والوحدانية لله تعالى، والإسلامَ هو أن يجعل كل شيء لله سالما لا شركة لأحد فيه. فمتى اعتقد أن كل شيء في العالم لله تعالى وهو الخالق له وكلَّ مصنوع شاهد ودليل على صانعه فقد صدقه في شهادته على صانعه.[9] *والله الموفق*.

وقوله عز وجل: **وَلَمَّا يَدخل الإيمان في قلوبكم**. الإيمان ليس هو محسوس مركب يدخل في القلب أولا [يدخل] ولكن معناه نفي[10] فعل القلب وهو التصديق، كأنه قال: و لم تؤمن[11] قلوبهم،

---

[1] ر: قلما.
[2] ر: من الخير.
[3] جميع النسخ: إذا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة حميدية، ورقة ٧٢٢ظ.
[4] ر: الإناء.
[5] جميع النسخ + هو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥١ظ.
[6] ث + هو الإسلام.
[7] ر م + الذي هو الإيمان ولكن أراد به الاستسلام (ر: الإسلام).
[8] جميع النسخ: يرجع. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ر - فقد صدقه في شهادته على صانعه.
[10] ر ن م: بقي.
[11] ر ن م: و لم يؤمن.

على ما ذكر في آية أخرى: قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ.[١] ثم هاتان الآيتان تنقضان[٢] على الكرامية مذهبهم في أن الإيمان لا يكون بالقلب ولكن باللسان والقول، فإن أهل النفاق قد قالوا ذلك بلسانهم ثم أخبر أنهم لم يؤمنوا وهم يقولون: بل قد آمنوا، فيقال لهم: أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللهُ،[٣] قُلْ آللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ.[٤] وفي هذه الآية آية عظيمة على رسالته حيث قال له: **قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا،**[٥] وقد قال لهم عليه الصلاة والسلام ذلك ولم يتهيأ[٦] لهم إنكار ذلك القول؛ فعرفوا أنه بالله عرف ذلك، و لم يُظهروا[٧] ما في ضميرهم خوفا من السيف لتعرُّف[٨] النبي صلى الله عليه وسلم. ***والله الموفق.***

وقوله عز وجل: **وإن تطيعوا الله ورسوله لا يَلِتْكم من أعمالكم شيئا،** جائز أن تكون[٩] الآية صلة ما ذكر في سورة الفتح للمنافقين بعد تخلفهم عن أمر الحديبية مع المؤمنين حيث قال: سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ،[١٠] وما ذكر من أمرهم في غير آي من القرآن.[١١] يقول: إن تطيعوا الله ورسوله[١٢] فيما يدعوكم الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الخروج إلى الجهاد والقتال بعد تخلفكم عن الحديبية لا يَنْقُصْكم من أعمالكم التي كانت لكم شيئا. ***والله أعلم.*** ويحتمل: وإن تطيعوا الله ورسوله بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلتكم من أعمالكم شيئا، أي لم ينقصكم من أعمالكم التي عملتموها[١٣] من قبل و لم تَضِلّوا[١٤] أعمالكم التي عملتم من بعدُ

---

[١] سورة المائدة، ٥/٤١.

[٢] جميع النسخ: ينقضان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥١ظ.

[٣] سورة البقرة، ٢/١٤٠.

[٤] سورة يونس، ١٠/٥٩.

[٥] ن + وقد قال الله تعالى قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا.

[٦] ر م: ولم تهنا؛ ث: ولم تهيأ.

[٧] جميع النسخ: أو لم يظهروا.

[٨] جميع النسخ: ليعرف. والتصحيح من *الشرح*، نسخة حميدية، ورقة ٧٢٢ظ.

[٩] ر ن م: أن يكون.

[١٠] سورة الفتح، ٤٨/١٦.

[١١] ن + جائز أن تكون الآية صلة ما ذكر في سورة الفتح للمنافقين بعد تخلفهم عن أمر الحديبية مع المؤمنين حيث قال ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد وما ذكر من أمرهم في غير آي من القرآن.

[١٢] ر ث م – يقول إن تطيعوا الله ورسوله.

[١٣] ر ن م: عملتموه.

[١٤] ر ث م: ولم يصلوا؛ ن: ولم يضلوا.

وإن عصيتموه وتخلفتم عنه في حياته، لأنه قال: فَإِنْ رَجَعَكَ اللهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا،[1] قد كان نهاهم عن الخروج معه للغزو أبدا فيقول: إن تطيعوا بعد وفاته وتجاهدوا في سبيل الله لم يلتكم من أعمالكم شيئا بل يقبل ذلك منكم. *والله أعلم*. ويحتمل أن يكون في المنافقين فيكون فيها وعد المغفرة للمنافقين إذا تابوا وأطاعوا الله[2] ورسوله كما وعد المغفرة[3] لجميع[4] الكفرة إذا تابوا عن الكفر بقوله: إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ،[5] فعلى ذلك هذا، وهو كقوله تعالى: لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ،[6] وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ.[7] *والله أعلم*. وقال[8] بعضهم: هذا في جميع المؤمنين أن من أطاع الله ورسوله لا يَنْقُصْكم من أعمالكم شيئا، أي لا يُضيع أعمالكم بل يثيبكم، كقوله تعالى: يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ،[9] أي من عمل لله لا يُضيع ومن عمل لغيره قد يُضيع فلا يَظفَر على ثوابه[10] بشيء. ويحتمل أن يكون الآية في المؤمنين الذين أسلموا، يقول: إذا أسلمتم فلم ينقصكم من ثواب أعمالكم ما سبق منكم من الكفر، وهو كقوله تعالى: إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ.[11] *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **إن الله غفور رحيم**، ظاهر.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون**، كأنَ هذا ذَكَر مقابلَ ما تقدم من قول المنافقين

---

[1] سورة التوبة، ٨٣/٩.
[2] ن: لله.
[3] ن: لمغفرة.
[4] ر ث م: بجميع.
[5] سورة الأنفال، ٣٨/٨.
[6] سورة الأحزاب، ٨/٣٣.
[7] سورة الأحزاب، ٢٤/٣٣.
[8] ر م: قال.
[9] ﴿إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور﴾ (سورة فاطر، ٢٩/٣٥).
[10] ر: على ثواب.
[11] سورة الأنفال، ٣٨/٨.

حيث قال: قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا، فقال لهم: قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا،[١] أنتم، **إنما المؤمنون**، هؤلاء، ثم نَعَتَهم فقال: **الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون**، أخبر أن هؤلاء هم الصادقون في إيمانهم، وأنتم يا أهل النفاق بحيث أضمرتم الخلاف له ولم تجاهدوا[٢] معه فلستم بصادقين في إيمانكم. فجعل الجهاد دليل ظهور الصدق في الإيمان لا أنه من شرائط الإيمان الذي لا يجوز الإيمان[٣] دونه. ويحتمل[٤] **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله**، أي صدقوا الله ورسوله سرا وعلانية على الحقيقة، لا الذين أظهروا ولم تكن[٥] قلوبهم مصدقة لذلك كالمنافقين. ألا ترى أنه قال: **ثم لم يرتابوا وجاهدوا**، أي لم يشكّوا في حادث الوقت بل **جاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله**، إظهارا لتحقق[٦] الإيمان وصدقه، وليسوا كالمنافقين الذين ارتابوا وشكوا في إيمانهم وتخلفوا عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. ***والله أعلم.***

﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللهَ بِدِينِكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[١٦]

ثم قال الله عز وجل: **قل أتعلمون الله بدينكم**، كأنه صلة قوله تعالى: قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا،[٧] حيث قالوا ذلك بألسنتهم وليس ذلك في قلوبهم فأخبر أنه يعلم ما في قلوبهم / من الإيمان [٧٤٣ظ] والشك والخلاف، كأنهم حين قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم: لَمْ تُؤْمِنُوا،[٨] فَلَجُوا في ذلك وقالوا: بل آمنا. ظنوا أنه إنما قال ذلك من دأب نفسه فقال عند ذلك: **قل أتعلمون الله بدينكم**، يخبر أن الذي أنبأني وأخبرني بذلك هو الذي يعلم غيب ما في السماوات وما في الأرض وهو بكل شيء -مما في القلوب من الصدق وغيره- عليم، فكيف تعلّمون الله بأنكم مؤمنون وهو يعلم أنكم كاذبون.[٩]

---

[١] الآية السابقة.
[٢] جميع النسخ: ولم يجاهدوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٢و.
[٣] ر م + الذي.
[٤] م: يحتمل.
[٥] ر ث م: ولم يكن.
[٦] جميع النسخ: لتحقيق. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] الآية ١٤ من هذه السورة.
[٨] نفس الآية.
[٩] ر م: لكاذبون.

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **يمنون عليك أن أسلموا**، الذي حملهم وبعثهم على الامتنان عليه بالإيمان الذي أتَوْا به أنهم[١] قوم لا يؤمنون بالآخرة فيظنون أنهم إذا أظهروا الموافقة[٢] له[٣] لم يلحقهم بسببه مؤنة الخروج إلى القتال، أو متى أظهروا الإيمان يصير المسلمون أعوانا لهم ونحو ذلك؛ هذا الذي ذكرنا ونحوه بعثهم وحملهم على الامتنان عليه. ولو كانوا يؤمنون بالآخرة لعرفوا[٤] أن إيمانهم لأنفسهم إذ به نجاتهم وإليهم يقع نفعه، ليس في الإيمان لله تعالى [له] نفع ولا في تركه ضرر، تعالى عن الضرر والنفع، فيكون الامتنان لله تعالى عليهم كما قال: **بل الله يَمُنّ عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين.**

ثم في قوله[٥] عز وجل: **بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان**، نقض قول المعتزلة: إنه يجب على الله تعالى أن يهديهم، لقولهم بالأصلح، فإنه قال: **بل الله يمن عليكم**، ولو كان هدايتهم واجبة عليه لا يكون له عليهم منة[٦] لأنه مُؤَدِّي ما هو[٧] عليه لهم من الحق، ومن أدى حقا عليه لآخر لا يكون له الامتنان على صاحب الحق. وكذلك في قوله تعالى: فَضْلاً مِنَ اللهِ وَنِعْمَةً،[٨] لو كان الهداية عليه لا يكون في فعله مفضِلا ولا مُنعِما بل يكون لهم عليه[٩] الامتنان ومنهم الإفضال والإنعام لما عظّموه وبجّلوه بشيء كان عليه فعل ذلك حقا واجبا لهم، فدل على فساد مذهبهم. وفيه دلالة أن الهداية ليست هي البيانَ فحسب لوجهين. أحدهما لأن هداية البيان مما قد كان في حق الكافر والمسلم جميعا فلا معنى لتخصيص المسلمين بهذه المنة ومثلُها موجود في حق غيرهم. والثاني أن البيان قد عمّ الكافر والمؤمن وقد أخبر الله تعالى بأن له المنّة عليهم إن كانوا صادقين في إيمانهم، فلو كانت الهداية هي البيانَ لا غير لكان لا يشترط فيه[١٠] شرط صدقهم،

---

[١] ر ث: لأنه؛ ن: لأنهم؛ م: لا.
[٢] ر: لموافقة.
[٣] ر م – له.
[٤] ر ث م: ليعرفوا.
[٥] ر م: ثم قوله.
[٦] ر: منته.
[٧] ر ن م – هو.
[٨] الآية ٨ من هذه السورة.
[٩] جميع النسخ: لهم عليهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٢و.
[١٠] ث: فيهم، صح هـ.

لأن منة البيان يعم الصادقين وغير الصادقين. دل أن المراد من الهداية الإسلام حتى يتحقق له المنة على الخصوص في حق المسلمين. ***والله الموفق.***

ثم الهداية المذكورة هاهنا يحتمل وجهين. أحدهما خلق فعل الاهتداء منهم. والثاني التوفيق والعصمة، كأنه يقول: بل الله يمن عليكم أن خلق منكم الاهتداء أو وفقكم للإيمان وعصمكم عن ضده، وكذلك يخرج قوله تعالى: وَلَٰكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ،[1] على هذين الوجهين وفقكم له وعصمكم عن ضده، أو خلق حُبه في قلوبكم وزينه. ***والله أعلم.***

﴿إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[١٨]

[وقوله تعالى: **إن الله يعلم غيب السماوات والأرض**، أي يعلم ما غاب في السماوات والأرض، والذي لم يغب وهو في ضمائرهم أحق أن يَعلم. ***والله أعلم.***][2]

وقوله عز وجل: **والله بصير بما تعملون**، هذا يخرج على الوعيد، أي هو بصير بما أسرّوا وأعلنوا ليكونوا أبدا على يقظة وحذر. ***ولا قوة إلا بالله.***[3]

---

[1] الآية ٧ من هذه السورة.

[2] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٥٢و.

[3] ث + والحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد وآله.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة ق[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾[١] ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾[٢] ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾[٣]

قوله[2] عز وجل: **ق والقرآن المجيد**، يحتمل أن يكون قوله: **ق** اسم هذه السورة، ولله سبحانه وتعالى أن يسمي السور بما شاء.[3] **ق**، كناية[4] كما سمى كتبه[5] قرآنا وزبورا وتوراة وإنجيلا، أقسم بهذه السورة والقرآن جملة. ويحتمل أن يذكر **ق**، كناية عن جميع الحروف المقطعة، **والقرآنِ**، هو اسم الحروف المجموعة والمقطعة؛[6] أقسم بالحروف المقطعة والمجموعة جميعا. ومن الناس من يقول: إن **ق**، اسم للجبل المحيط بالأرض، وهي من ياقوتة خضراء أو ياقوتة حمراء فخضرة السماء من ذلك، أقسم الله تعالى به وبالقرآن؛ والأول أشبه وأقرب، لأن العرب لم تعرف[7] جبل قاف ولم تعرف عظمته. والقسم في الأصل لتأكيد الخبر فإنما يتحقق بما يَعرف من أريد القسم في حقه، فأما إذا لم يعرف ولم يَعْظُم ذلك في عينه يخرج القسم مخرج العبث، تعالى الله عن ذلك.

---

[1] ر – سورة ق؛ ن م: ذكر أن سورة ق كلها مكية؛ ث + وهي خمس وأربعون آيات مكية.
[2] ر: وقوله.
[3] ر م: بما ذكر.
[4] ث – ق كناية.
[5] ر ث م: كتابه.
[6] ر ث م: المقطعة.
[7] ن: لم يعرف.

إلا أن يقال: إن[1] هذا القسم في حق أهل الكتاب فإنه قد كان لهم كتاب يعرفون ذلك وكانت لهم رسل قد بلغهم ذلك، ولكن[2] الظاهر أن القسم في حق العرب، فدل أن الأول أشبه.

ثم هذه الحروف المقطعة لم يظهر في الأخبار تفسيرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التواتر أو الاشتهار ولم يثبت عن الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين-[3] أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فسبيله الوقف فيها،[4] لأنه معلوم أنْ لا يقفُ أحد على المراد بالحروف المقطعة إلا من جهة السمع، فلما لم يظهر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دل أنهم تركوا ذلك. وإنما تركوا[5] لوجوه: إما لأن هذه الحروف المقطعة كانت بيان أحكام في نوازل عرفوها وتركوا سؤالها / لما عرفوا تلك الأحكام والنوازل؛ [٧٤٤و] وإما إن تركوا ذلك لما كان ذلك من السرائر التي لم يُطْلِع الله تعالى الخلق على ذلك وهو المتشابه الذي يجب الإيمان به ولا يطلب[6] له تفسير؛ أو كان ذلك مما اختص الرسولُ صلى الله عليه وسلم بمعرفته لقوله تعالى: إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ،[7] فلم يسألوا منه بيان ذلك؛ وإما أن كان ذلك عندهم أسماءَ السور لتعريف السور، وأسماء الأعلام لا يُطلب فيها المعاني، لذلك لم يسألوا معانيها ولم يَرِد التعليم من النبي صلى الله عليه وسلم. كما أن[8] أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تركوا سؤال التفسير للآيات إما لأن في وسعهم الوصولَ إلى معرفة ما تضمنته[9] الآيات وعرفوا المراد منها باللسان وعرفوا مواقع النوازل ففهموا المراد فلم يحتاجوا إلى السؤال؛ وإما إن تركوا[10] لما أنها تضمنت أحكاما عرفوها وتركوا السؤال، فعلى ذلك هذا.[11]

والله أعلم.

---

[1] جميع النسخ: أن يكون هذا القسم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٢ظ.
[2] ر ث م: وكذا.
[3] ن – أجمعين.
[4] ن – فيها.
[5] ن – وإنما تركوا.
[6] ن: ولا تطلب.
[7] ﴿عَالِمُ الغيب فلا يُظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول﴾ (سورة الجن، ٧٢/٢٦-٢٧).
[8] ر: كان.
[9] جميع النسخ: ما تضمنها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٢ظ.
[10] م – تركوا.
[11] ن – هذا.

ثم ذكر القَسَمَ ولم يبين[١] موضع القسم، فاختلف[٢] فيه. قال بعضهم: موضع القسم في آخر السورة: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ،[٣] الآية، وقال بعضهم: قوله: وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ،[٤] الآية، وقال بعضهم: موضع القسم قوله تعالى:[٥] فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ،[٦] أقسم بقوله: **ق والقرآن المجيد**، بأن الكفرة في أمر مريج. ويحتمل أن يكون موضع القسم هو ما عجبوا كما قال: **بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب أإذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد**، ذكر هاهنا عجبهم من شيئين. أحدهما ما ذكر **أن جاءهم منذر منهم**، أي من البشر: **فقال الكافرون هذا شيء عجيب**، وهو كقولهم: أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا،[٧] وقولهم: مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا،[٨] لا يزالون ينكرون الرسالة في البشر. والثاني من الإحياء بعد الموت لقولهم: **أإذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد**، وقد ذكرنا[٩] في غير آي من القرآن عجبهم وإنكارهم البعث بعد الموت. فجائز أن يكون موضع القسم ما عجبوا أو أنكروا[١٠] من أن يكون البشر رسولا[١١] أو يُحْيَوْن بعد الموت، أقسم بما ذكر من قوله عز وجل: **ق والقرآن المجيد**، أنه يكون ذلك ردا لإنكارهم وتعجبهم. *والله أعلم*.

ثم إنكار الكفرة وعجبهم "أن كيف بَعث من البشر رسولا وكيف[١٢] لا اختار[١٣] بعث الرسل[١٤] ممن عنده وهم[١٥] الملائكة، وأبدا إنما يُبعث الرسل ممن كان عند المرسِل

---

[١] ث: ولم يتبين.
[٢] ر ث م: واختلف؛ ن: اختلف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٢ظ.
[٣] الآية ١٦ من هذه السورة.
[٤] الآية ٣٨ من هذه السورة.
[٥] ن – ولقد خلقنا السماوات والأرض الآية وقال بعضهم موضع القسم قوله تعالى.
[٦] الآية ٥ من هذه السورة.
[٧] سورة الإسراء، ٩٤/١٧.
[٨] سورة الشعراء، ١٥٤/٢٦.
[٩] ن: وقد ذكر.
[١٠] ن ث: وأنكروا.
[١١] ر ن م: رسول.
[١٢] جميع النسخ: رسول أو كيف. والتصحيح من *الشرح*، ١٥٢ظ.
[١٣] ر ث م: لا إخبار.
[١٤] م: الرسول.
[١٥] ث: من.

لا من كان عند المبعوث[1] إليهم في الشاهد،" لا معنى له.[2] ولا ينبغي[3] لهم أن ينكروا بعث الرسول ممن هو عند المبعوث إليهم، وإن تعجبوا عن ذلك،[4] لأن بعث الرسول من جنس المرسَل إليهم والمبعوث إليهم في معرفة صدقه وحقيقة دعواه[5] أقرب من أن يكون من خلاف جنسهم، لأنهم إنما يعرفون رسالته بآيات ودلالات يقيمها على رسالته بحيث يخرج عن وسعهم إقامتُها. ولا يعرفون صدق تلك الآيات وحقيتها[6] إذا كانت تلك من غير جنسهم.بما لعل أن ما أتاهم به وزعم أنها آيات ليست بآيات لما في وسعه إتيان مثلها وليس في وسعهم ذلك لما أن القوى تختلف[7] عند اختلاف الجنس. فدل أن بعث الرسول من جنس المرسل إليهم أحق وأقرب إلى معرفة صدق الآيات والمعجزات. **والله الموافق**. ولأن كل ذي نوع من نوعه وكل ذي شكل من شكله أميل وبه آنسُ من خلاف جنسه ونوعه فكان الغرض -وهو التأليف والاجتماع- في هذا أقرب إلى الحصول. **والله أعلم**.

ثم قولهم: هلا بعث إلينا الرسل[8] ممن هو عنده فاسد، لأن الخلائق جميعا من حيث العِنْدُ لله تعالى واحد لا يوصف أحد من الخلائق أنه عنده إلا من حيث القربُ به بالطاعة له والائتمار بأمره وترك الخلاف له. فأما على ما يوصف المخلوق عند مخلوق فلا، إذ ذاك وصف المتمكن في المكان، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.[9] فإذا كان المراد من "عنده" من حيث القرب به بالطاعة والقيامُ بأمره مما يثبت [به][10] أهلية الرسالة وصلاحها فذلك مما[11] لا يوجب الفضل بين البشر والملائكة، بل من جهة البشر أحق لما هم[12] يفعلون عن غيب الدلائل[13] أجمعَ دون العِيان. **والله أعلم**.

[1] ر ن: هذا مبعوث؛ ث م: هذا مبعوثا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٣و.
[2] ر ث م – له.
[3] ن: وما ينبغي.
[4] ن ث: من ذلك.
[5] ر م: ودعواه.
[6] م: وحقيقتها.
[7] جميع النسخ: يختلف. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ن – الرسل.
[9] ن – علوا كبيرا.
[10] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.
[11] م: ما.
[12] أي الملائكة.
[13] وفي *الشرح*: عن غيب الدلالة، ورقة ١٥٣و.

وأما عجبهم[١] أنه "لو أراد إحياءنا[٢] كيف أماتنا ولا أحد في الشاهد يبني بناء فيهدمه ويبني مثله فليس بشيء، لأنه لو لم يكن أماته ثم أحياه[٣] لكان الجزاء بالأعمال يكون [عند][٤] حَضْرَةِ الأفعال وذلك يوجب أن يكون[٥] إيمانهم إيمان اضطرارٍ لا إيمانَ اختيار وإيثار، لأن من عاين أنه يدخل النار ويعذَّب فيها أبد الآبدين لا يعمل ذلك[٦] العمل الذي أوعد به بل يتركه، وكذا[٧] من عاين أن من آمن بالله تعالى وعمل طاعة وعبادة يدخل الجنة ويُكرَم أبدَ الآبدين[٨] لا يعمل غير ذلك العمل، فيرتفع المحنة ويكون الإيمان بحق الاضطرار، فأخر ذلك[٩] ليكون الإيمان بحق الاختيار حتى يكون / له قيمةٌ. [٧٤٤ظ]

ثم قوله: **والقرآنِ المجيدِ**، وصف القرآن مرة[١٠] بأنه كريم، ومرة بأنه حكيم، ومرة بأنه مجيد.[١١] يحتمل إنما سماه بهذه الأسماء على معنى أن من تمسك به يصير[١٢] مجيدا كريما حكيما، أو[١٣] مُنزله[١٤] مجيد كريم حكيم. ويحتمل أن تكون[١٥] هذه صفاتِ القرآن راجعةً إلى عينه كما يقال: كلام حكمةٍ وكلام سفه، وإنما يراد به عينه فعلى ذلك[١٦] هذا يحتمل. ***والله أعلم***.

قال أبو عَوْسَجَة: المجيد الماجد، والتمجيد[١٧] التعظيم، وأمجدت الدابة من العلف إذا أكثرت[١٨] ذلك، وأمجد القوم إذا أكثروا من الطعام والشراب.

---

[١] جميع النسخ: والله أعلم بحجتهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٣و.
[٢] جميع النسخ: أحيانا. والتصحيح من المرجع السابق.
[٣] ر ن م: أحيا.
[٤] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.
[٥] ن – يكون.
[٦] ن: بذلك.
[٧] ر ث م + أن.
[٨] ر ن م: الآبد.
[٩] ن: بذلك.
[١٠] ن – مرة.
[١١] انظر: المصطلحات والأفكار الرئيسية في أواخر المجلدات، «القرآن».
[١٢] ر م: بصيرا؛ ن: يكون.
[١٣] جميع النسخ: أي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٣و.
[١٤] ر ث م: منزلة.
[١٥] ر ن م: يكون.
[١٦] ر ث م – ذلك.
[١٧] ن: والمجيد؛ ث: والمجد.
[١٨] ر ن م: إذا كثرت.

وقوله عز وجل: **بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب**، قد ذكرنا تأويله.

وقوله عز وجل: **أإذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد**، أي لا يكون، كَنَوْا بالبعيد عما لا يكون عندهم، كذلك قال القُتَبِي. وقال أبو عَوْسَجَة: **رَجْع بعيد** أي رَدٌّ، يقال: رُجِعَ رَجْعا إذا رُدَّ، ورَجَع رُجوعا إذا انصرف.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ [٤]

وقوله عز وجل: **قد علمنا ما تنقص الأرض منهم**، ظاهر هذا أن يكون[١] قول أولئك[٢] الكفرة، قالوا ذلك على سبيل الاحتجاج لِمَا أنكروا من البعث، أي قد علمنا ما تنقص الأرض من لحومنا وتأكل[٣] من أنفسنا فأنَّى يُحْيَى بعد ذلك؟ وهو كقولهم: مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ،[٤] ونحوه. لكن أهل التأويل بأجمعهم صرفوا هذا[٥] القول إلى الله تعالى أنه قال ذلك جوابا لقولهم:[٦] أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ،[٧] فقال: **قد علمنا ما تنقص الأرض منهم**، أي عن علم منا بما تأكل منكم وتنقص.[٨] قلنا: إنكم تُبعثون وتُحْيَوْن وعلى[٩] علم منا بذلك أخبركم الرسل بالإحياء والبعث بعد الموت. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وعندنا كتاب حفيظ**، أي عندنا كتاب يحفظ أحوالهم وأفعالهم وجميع ما يكون منهم، وقال بعضهم: أي مع علمي فيهم هم عندنا في كتاب حفيظ. وقال قتادة: ما أكلت الأرض منهم وكانوا ترابا فنحن[١٠] عالمون به[١١] وهو[١٢] مع علمنا في كتاب حفيظ،[١٣] وهو مثل الأول.

---

[١] جميع النسخ + هذا.
[٢] ر م + هم.
[٣] ن ث: ويأكل.
[٤] سورة يس، ٣٦/٧٨.
[٥] ن: هذه.
[٦] ر: لقومهم.
[٧] الآية السابقة.
[٨] ر ث م: بما يأكل منكم وينقص.
[٩] ن: على.
[١٠] جميع النسخ: ونحن.
[١١] ر ث م – به.
[١٢] جميع النسخ: وهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٣ظ.
[١٣] *تفسير الطبري*، ٢٦/١٩٢.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **بل كذبوا بالحق لما جاءهم** [**فهم في أمر مريج**، يحتمل **بل كذبوا بالحق لما جاءهم**]،[١] أي بالقرآن، ويحتمل أي بمحمد[٢] صلى الله عليه وسلم، وقد كذبوا بهما جميعا. وقوله[٣] عز وجل: **مريج**، قال القُتَبِي وأبو عَوْسَجَة: **في أمر مريج**، أي مختلط، يقال: مَرِج أمر الناس، ومَرِج الدين. وأصل الْمَرَج أن يَقلَق[٤] الشيء فلا يستقرّ، يقال: مَرِج الخاتم في يدي مَرَجا إذا قلق[٥] للهُزال، أي تحرك. وقيل: مضطرب مختلفٍ، وهكذا كان قولهم مختلفا مضطربا مختلطا في القرآن والرسول جميعا. قالوا في الرسول صلى الله عليه وسلم أقوالا مضطربة مختلفة: مرة نسبوه إلى السحر ومرة إلى الشعر ومرة إلى الجنون ومرة إلى الافتراء[٦] على الله تعالى[٧] وأنه يتلقاه من فلان ونحو ذلك من أقوال مختلفة مضطربة فيما يدفع كل واحد من ذلك الآخرَ. وكذلك قالوا في القرآن مرة: إنه سحر ومرة إنه شعر وإنه من أساطير الأولين وإنه مفترًى وإنه اختلاق، وكل ذلك مما يدفع بعضه بعضا، وهذا هو الاضطراب والاختلاف والاختلاط. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **في أمر مريج**، أي في ضلال.

﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج**، الآية،[٨] يحتمل أن يكون هذه الآيات صلة ما ذكر من عَجَبهم من بعث الرسل من البشر والبعث بعد الموت بقوله: بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ،[٩] كأنه يقول: أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها مرتفعة ملتصقة بعضها ببعض مُنَضَّدَة بلا فروج ولا عماد مع صلابتها وكثافتها وغِلَظِها، وألم ينظروا إلى الأرض كيف بسطناها وألقينا فيها الجبال الرواسي أوتادا لئلا تَمِيدَ بأهلها، حتى عرفوا أن من قدر على رفع السماء بلا عمد مع ارتفاعها وغلظها وصلابتها

[١] ر ث م – فهم في أمر مريج يحتمل بل كذبوا بالحق لما جاءهم.
[٢] ر ث م: محمد.
[٣] ن: قوله.
[٤] ن: أن يغلق.
[٥] ن: فلق.
[٦] ر م: على الافتراء.
[٧] ر – على الله تعالى.
[٨] ن – الآية.
[٩] الآية ٢ من هذه السورة.

حتى لا ينتهيَ أحد إلى طرف من أطرافها ولا عَلِم نهايتها، وجعل منافع السماء متصلة بمنافع الأرض مع بعد ما بينهما لقادر على الإحياء بعد الموت، وأنه لا يُعجزه شيء، وأن من فعل هذا لا يفعل عبثا باطلا[1] ولكن يفعله عن حكمة وتدبير. ولو كان على ما قالوا أن لا بعث ولا جزاء كان خلق ذلك كله عبثا باطلا، ويكون فعل ذلك فعلَ سفهٍ لا فعل حكمة. فلما كان فعل ذلك كله على التدبير الذي ذَكَرَ وعلى الاتّساق الذي جرى منذ[2] أنشأ[3] ذلك من غير تفاوت دل أنه لم ينشئ الخلق من المكلَّفين ليتركهم سدى لا يأمر ولا ينهى ولا يمتحن فيكون عبثا، بل ليمتحنهم بالأمر والنهي ليكون فعله في العقلاء على نَهْج الحكمة كما في غيرهم من الخلائق. وإذا كان كذلك فلا بد من رسول يخبرهم ويعلمهم مالا يقف عليه العقل من كيفية وجوب[4] شكر المنعِم ومقدارِه ووقته ونحو ذلك، ويؤكد[5] ذلك الأمر والنهيَ بالوعد والوعيد. ثم كان له [اختيار][6] وضع الرسالة فيمن شاء وفي أي جنس شاء، لأنه حكيم عليم لا يكون منه الخطأ في التدبير والجهل بالأصلح والأوفق بالحكمة. فدل ذلك على إثبات الرسالة والبعث بعد الموت. *والله أعلم*. ثم قوله عز وجل: **أفلم ينظروا**، يخرج على[7] وجهين. أحدهما [٧٤٥و] / أي انظروا إلى ما ذكر. والثاني قد نظروا[8] بأبصارهم لكن لم ينظروا نظر معتبر بنظر القلب. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وما لها من فروج**، قيل:[9] أي[10] من صدوع وشقوق، والواحد فَرْج وهو الموضع بين الموضعين، والفُرْجة من الفَرْج، ومنه يقال: فَرَجْت عنه الغم أي كشفتُ، وهو كقوله تعالى: فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ،[11] أخبر أنكم لم تروا في السماء شقوقا وفطورا.

---

[1] ن – باطلا.
[2] ر ث م: حكمه.
[3] ر م: إن شاء.
[4] ر ث م – وجوب.
[5] جميع النسخ: ومؤكد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٣ظ.
[6] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.
[7] ر م – على.
[8] ر م: انظروا.
[9] م: قتيل.
[10] ر م – أي.
[11] سورة الملك، ٦٧/٣.

وفي الشاهد البناء -وإن عَظُم وأُحكم- لا يخلو من نقصان وشقوق تَرِد[١] عليه، فإذا لم تروا[٢] ذلك فهلا دلكم ذلك على أن خالقه قادر على الكمال لا يعجزه شيء.

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي**، قد ذكرنا فيما تقدم.[٣]

وقوله عز وجل: **وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج**، اسم الزوج يقع على الشكل والضد، وكل ذي شكل هو ذو ضد؛ والبهيج ما يُبهج به. فمعناه أنبتنا من كل زوج ما يَبهَج[٤] به أهلُه وما يُسَرُّون[٥] بذلك من ألوان النبات وجواهرها. وقال القُتَبِي: **من كل زوج بهيج**، ما يَبْهج به أهلُه،[٦] أي من كل جنس حسن.[٧] يقال: بَهج يبهَج بَهَجا فهو بهيج أي حَسَن. وأما من السرور يقال:[٨] بَهِج يبهَج بَهْجا [به] فهو بهيج، أي مسرور.

﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **تبصرة وذكرى لكل عبد منيب**، أي يُبْصِر[٩] ذلك كل عبد منيب، أي منفعة ذلك تكون[١٠] لمن ذَكَر، وهو العبد المنيب إلى الله تعالى والمقبل على طاعته، فأما من اعتقد الخلاف له فلا.

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **ونزلنا من السماء ماء مباركا**، سماه مباركا لأنه يستعمل في أمر الدين والدنيا ويطهَّر به[١١] كل شيء ويزين، وبه حياة كل شيء ونماؤه. والمبارك اسم[١٢] كل خير يكون على النماء والزيادة في كل وقت. **والله أعلم**.

---

[١] ر م: أو شقوق ترد؛ ن ث: أو شقوق يرد.
[٢] ر ث م: لم يروا.
[٣] انظر تفسير الآية ١٩ من سورة الحجر.
[٤] ر: يبهج.
[٥] ث: ويسرون.
[٦] ن - ما يبهج به أهله.
[٧] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤١٧.
[٨] ر ث م: فقال.
[٩] جميع النسخ: تبصر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٤و.
[١٠] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] ر م: ويطهره.
[١٢] ر م - اسم.

وقوله عز وجل: **فأنبتنا به جنات وحب الحصيد**، يقول: أنبتنا بذلك الماء المبارك المنزل من السماء جنات، أي بساتينَ. والمكانُ الذي جُمع فيه كل أنواع الشجر سمي بستانا وجنة. وقوله: **وحب الحصيد**، أي أنبت بذلك[١] الماء كل حب حصيد، فدخل تحت قوله: **وحَبَّ الحصيد**، أنواع الشجر والغرس والنبات. ثم قوله تعالى: **وحب الحصيد**، الحب[٢] والحصيد [واحد][٣] وهو الحب نفسه، لكن أضاف الحب إلى الحصيد ويجوز مثل هذا، كما يقال: صلاة الأُولى ومسجد الجامع. وقال بعضهم: هما غيران، الحب ما يَخرج منه والحصيد ما يُحصَد من القصب الذي يصير تبنا، لأن الحب لا يحصد وإنما يحصد الساق منه، لذلك أضاف الحب إلى الحصيد، وهو شجرة وقوامه به، لذلك أضافه إليه، كما يقال: ثمر الشجر ونحو ذلك.

﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **والنخل باسقات لها طلع نضيد**، قوله:[٤] **والنخل باسقات**، أي طِوالا،[٥] يقال: بسق الشيء بُسوقا إذا طال. وقال أبو عَوْسَجة: **باسقاتٍ** أي حواملَ.[٦] يخبر الله عز وجل عن بركة الماء أنه بلطفه جعل[٧] الماء بحيث يظهر بركته ونماؤه وأثره على رأس النخل وإن طال بِسَقْيِ[٨] الأصل لما جعل في سِرّيته من البركة والمعنى ما يُظهر ذلك ولا يُعلم حقيقة ذلك المعنى. وقوله عز وجل: **لها طَلْعٌ نَضيد**، أي منضود. والطلع أول ما يَخرج من النخل فيَحمِل، والتنضيد[٩] هو التأليف والتركيب، أي يؤلّف بعضه إلى بعض ويركّب، ويسمى ذلك كُفُرَّى[١٠] وإذا[١١] نَضِج استوجب الطلع وتفرق[١٢] وصار رَطْبا. وقال أبو عَوْسَجة: **نضيد**،

---

[١] جميع النسخ: ذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٤و.

[٢] م – الحب.

[٣] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.

[٤] ن: وقوله.

[٥] جميع النسخ: طوال. والتصحيح من المرجع السابق.

[٦] ر م: حوائل.

[٧] ر: ووجعل؛ م: وجعل.

[٨] ر م: يسقي؛ ن + الأرض؛ ث: ليسقى.

[٩] ر م: والنضيد.

[١٠] الكَفْر والكُفُرَّى والكِفِرَّى والكَفَرَّى والكُفَرَّى: وعاء طلع النخل وقشره الأعلى (*لسان العرب*، «كفر»).

[١١] ن: فإذا.

[١٢] ر ث م: ويعرف.

أي متراكم بعضه على بعض، والتَّلّ[1] المتراكم يقال له منضود، والتنضيد[2] هو جَعْل بعضه فوق بعض ونَضَد الشيءُ بنفسه فهو نضيد، وقيل: **نضيد**، أي كثير.

﴿رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **رزقا للعباد**، أخبر أن ذلك كله إنما أنبته وأخرجه رزقا للعباد. وقوله عز وجل: **وأحيينا به بلدة** أي بالماء، **بلدة ميتا** أي أحيى بالماء كل بلدة ميتة[3] وكل بقعة ميتة وكل غرس فصار به[4] حياة كل حي ونماء[5] كل شيء. ثم قال: **كذلك الخروج**، أي كما قدر على إحياء ما ذكر من الأرض بعد موتها وإحياء النبات والغرس وكل شيء بعد موته بذلك الماء، فعلى ذلك قادر على إحيائكم بعد موتكم وبعد ما صرتم ترابا. والأعجوبة في إحياء ما ذكر كله من الأرض والنبات والغرس إن لم يكن أكثر لم يكن دون ما في إحياء الناس من بعد موتهم، فإذ قد عرفوا قدرته في إحياء ما ذكر وأقروا به كذلك لزمهم أن يقروا به في إحياء كل شيء. *والله الموفق*.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ﴾[١٢] ﴿وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ﴾[١٣] ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون وإخوان لوط وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد**، ذكر هذه[6] الأنباء لوجهين. أحدهما يصبر رسوله صلى الله عليه وسلم على أذى قومه وتكذيبهم إياه كما صبَّر أولئك يقول: إنك لست بأول رسول كذَّبه قومه بل كان قبلك رسل كذبهم قومهم فصبروا على ذلك فاصبر أنت أيضا. وهو[7] كقوله: فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ.[8]

---

[1] ر ث م: والميل. التَّل: ما ارتفع من الأرض عما حوله، وهو دون الجبل (*المعجم الوسيط*، «تل»).

[2] ر م: والنضيد.

[3] جميع النسخ: ميت. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٤و.

[4] ن - به.

[5] ر ن ث: وبما.

[6] ن: هذا.

[7] ن - وهو.

[8] سورة الأحقاف، ٣٥/٤٦.

والثاني يحذّر قومه أن ينزل بتكذيبهم إياه وسوء معاملتهم به كما نزل بمن ذكر من الأقوام بتكذيبهم وسوء معاملتهم.[1] / [٧٤٥ظ] وعلى هذين المعنيين جميع ما ذكر في القرآن من الأنبياء. **والله أعلم.**

ثم: **أصحاب الرس**، اختلف في الرس،[2] قال بعضهم:[3] هو بئر دون اليمامة وكان عندها أقوام كذبوا رسلهم فأهلكهم الله تعالى. وقيل: الرس هو الوادي، وقال بعض: الرس هو خدّ خدّوه[4] وجعلوا فيه النار وأحرقوا فيها نبيهم عليه السلام. وقال بعضهم: سُمّوا بذلك لأنهم رَسُّوا[5] نبيهم عليه السلام في البئر. وقال بعضهم: هم قوم الرسل الذين[6] ذكرهم في سورة يس بقوله تعالى: إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ.[7] وعن الأصم أنه قال: الرسّ كل موضع خُدَّ فيه ولذلك سُمّي الخَدّ خدا لجري الدمع عليه. **والله أعلم.**

وقوله: **وإخوانُ لوط**، أي قوم لوط. وقوله: **وقومُ تُبّع**، قيل: إنه كان رجلا مسلما صالحا مدحه الله تعالى وذم قومه، سمي تبعا لكثرة أتباعه. ولا حاجة بنا إلى تفسيره أنه[8] من كان وما اسمه؟ كما ذكر بعض أهل التأويل لما لم يذكر في القرآن إلا ذلك القدْرُ[9] ولم يثبت بالتواتر، فلا نزيد[10] على ذلك القدر احترازا عن الكَذِب. **والله أعلم**. وقوله عز وجل: **كل كذب الرسل فحق وعيدِ**، يخوّف أهل مكة أن أولئك الذين ذكرهم جميعا قد أهلكوا بتكذيبهم الرسل عليهم السلام فحق عليهم الوعيد بذلك، فعلى ذلك يَحِق[11] عليكم ذلك الوعيد بتكذيبكم[12] الرسول. **والله أعلم.**

---

[1] ن – به كما نزل بمن ذكر من الأقوام بتكذيبهم وسوء معاملتهم.
[2] م – اختلف في الرس.
[3] ر ث م – قال بعضهم.
[4] خدّ الأرض يَخُدّ خدًا: حفرها، والأُخدود: الشق المستطيل في الأرض (*المعجم الوسيط*، «خدّ»).
[5] رسَّى البئرَ: حفرها.
[6] جميع النسخ: الذي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٤ظ.
[7] سورة يس، ١٤/٣٦.
[8] ر م: أنه.
[9] ر ث م – إلا ذلك القدر.
[10] ر: فلا يزيد.
[11] ن: لحق.
[12] ر ث م: بتكذيب.

﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **أفعيينا بالخلق الأول**، هو يخرج على وجهين. أحدهما **أفعيينا**، أي أعَجَزْنا عن خلق، أي حيث[١] لم نعجز عن الخلق الأول فكيف نسبونا إلى العجز[٢] عن الخلق الثاني. والثاني **أفعيينا**، أي أَجَهِلْنا وخفي علينا تدبير الخلق الثاني وابتداءُ تدبير الخلق الأول وإنشاؤه أشد عندكم من إعادته والإعادة عندكم[٣] أهون. فإذ[٤] لم نعجز[٥] عن ابتداء إنشائه ولم نجهل[٦] ولم يَخْفَ علينا الابتداء فأنى نعجز[٧] عن الإعادة؟ ثم قال بعضهم: الخلق الأول هو آدم عليه السلام، وقال عامتهم: هو ابتداء خلقهم. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **بل هم في لَبْس من خَلْق جديد**، أي هم في شك واختلاط من خلق جديد لما تركوا النظر في سبب المعرفة ليقع لهم العلم بذلك.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه**، هو يخرج على وجهين. أحدهما يقول: على علمٍ منا [ما][٨] تحدّث به[٩] نفسه وتوسوس[١٠] من أنواع الحديث والوسوسة لا عن جهل وخفاء عن ذلك. فإنْ هو كفّها وحبسها عما تدعو[١١] به إليه نفسه وتهواه[١٢] ويصرفها إلى ما يدعوه عقله وذهنه نجا وفاز، لقوله[١٣] تعالى: إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي،[١٤] وقال: وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى،[١٥]

---

[١] ث – حيث.
[٢] ر م – العجز؛ ن + الخلق؛ ر م + من أعادته والإعادة عندكم.
[٣] ر م – من إعادته والإعادة عندكم.
[٤] ر ث م: فإذا.
[٥] جميع النسخ: لم يعجز. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٤ظ.
[٦] جميع النسخ: ولم يجهل. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] جميع النسخ: فأنى يعجز. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.
[٩] جميع النسخ: يحدث به. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ن ث: ويوسوس. أي توسوس النفس في صدور الإنسان.
[١١] جميع النسخ: عما يدعوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] ر م: بهواه؛ ن: وشهواته. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٣] ن: لقوله.
[١٤] سورة يوسف، ٥٣/١٢.
[١٥] سورة النازعات، ٧٩/٤٠-٤١.

وإن تركها حتى تمادى في هواها هلك، قال الله[1] تعالى: فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى،[2] وقال في آية أخرى: أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ،[3] ونحوه كثير في القرآن.

والثاني يذكر قوله:[4] **ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه**، أي نحن مطلعون على ذلك ليس علم ذلك إلى الحفظة ولا هم[5] يتولون[6] كتابته،[7] أي لم يجعل ذلك إلى أحد إنما ذلك إلى الله تعالى، هو العالم بذلك وهو المطلع عليه دون الملائكة، وإنما إلى الملائكة ما يلفظه ويفعل بالجوارح لقوله: مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ،[8] وقال في آية أخرى: وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ،[9] أخبر أن الحفظة إنما يعلمون ما يفعلون[10] ظاهرا، أما ما يسرون في قلوبهم فالله هو المطلع على ذلك العالم به[11] ليكونوا[12] أبدا على اليقظة والحذر. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ونحن أقرب إليه من حبل الوريد**. يُفهَم من قرب الرب تعالى إلى العبد[13] ما يفهم من قرب العبد إلى الله تعالى. وإنما يكون قرب العبد إلى الله تعالى بالطاعة له والقيام بأمره والانقياد والخضوع له، هذا هو المفهوم من قرب العبد إلى الله تعالى لا قربُ شيء آخر. فعلى ذلك يفهم من قرب الله تعالى إلى العبد الإجابة له والنصر والمعونة والتوفيقُ على الطاعات. وعلى ذلك[14] ما يقال: فلان قريب إلى فلان، لا يَعْنُون قرب نفسه من نفسه في المكان

---

[1] ن – الله.
[2] سورة النازعات، ٧٩/٣٧-٣٩.
[3] سورة الفرقان، ٢٥/٤٣.
[4] ر ث م – قوله.
[5] ر م: وهم.
[6] م: يتولونه.
[7] ر م: كنايته.
[8] الآية ١٨ من هذه السورة.
[9] سورة الانفطار، ٨٢/١٠-١٢.
[10] ر ث م: ما تفعلون.
[11] ر ث م – به.
[12] ر: ليكونون.
[13] ر ث م: إلى العبيد.
[14] ن – له هذا هو المفهوم من قرب العبد إلى الله تعالى لا قرب شيء آخر فعلى ذلك يفهم من قرب الله تعالى إلى العبد الإجابة له والنصر والمعونة والتوفيق على الطاعات وعلى ذلك.

ولكن يعنون نصره له ومعونته إياه وإجابته. ويحتمل أن يذكر القرب منه كناية عن العلم بأحواله ظاهرا وباطنا. *والله أعلم*. وأصله أن يعتبر الأحوال فيما ذكر من القرب فإن كان في السؤال فالمراد أنه قريب منه بالإجابة له أي يجيبه، كقوله تعالى: وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ.[1] وإن كان فيما يسرون ويضمرون فيفهم من القرب في تلك الحالة العلم به، كقوله تعالى: مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ،[2] الآية، فعلى ذلك قوله: **ونحو أقرب إليه من حبل الوريد**، وقوله: وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ،[3] يفهم منه النصر والمعونة أو العلم. فيكون قوله: **ونحن أقرب إليه**، أي أعلم[4] وأولى به وأحق من غيره في النصر والمعونة وأولى به في الإجابة. *والله أعلم*. وعلى ذلك يخرج ما روي عن / النبي صلى الله عليه وسلم: [٧٤٦و] «من تقرب إليّ شبرا تقربت منه شبرين»[5] على ما ذكرنا من قرب الطاعة له وقرب الرب إليه[6] بالنصر والمعونة لا قرب المكان. *ولا قوة إلا بالله*. وقوله عز وجل: **حَبْلِ الوريد**، قال بعضهم: عِرق العنق، والوريد العنق، وقال[7] بعضهم: هو عرق بين العِلباء[8] والحلقوم، وقال بعضهم: هو عرق القلب[9] معلق به فإذا قطع ذلك العرق[10] يموت الإنسان. *والله أعلم*.

﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد**،[11] أي اذكر تلقى[12] المتلقيين أو احفظ تلقى[13] المتلقيين أو أحذر تلقى[14] المتلقيَيْنِ، وهما الملكان المسلَّطان على أعمالك وأقوالك،

---

[1] سورة البقرة، ١٨٦/٢.

[2] سورة المجادلة، ٧/٥٨.

[3] سورة الواقعة، ٨٥/٥٦.

[4] ث + به.

[5] *مسند أحمد بن حنبل*، ٤١٣/٢، ٥٣٤؛ وصحيح *مسلم*، التوبة ١.

[6] ث: له.

[7] ن: قال.

[8] ر م: القلباء؛ ن ث: العلياء. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٥و. وهو العصبة الممتدة في العنق [وهو مذكر].

[9] ن – عرق القلب.

[10] ن – العرق.

[11] جميع النسخ + ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد.

[12] ن: ليذكر يلقى.

[13] ن: يلقى.

[14] ن: يلقى.

إذ يتلقيان منك أعمالك وأقوالك ويحفظان عليك ويكتبان، يذكر هذا ويخبرهم أن عليهم حافظا ورقيبا وإن كان هو تعالى حافظا لجميع أفعالهم وأقوالهم عالما به، فحفظ الملائكة وكتابتهم وعدم ذلك بمنزلة في حق الله تعالى. لكن يخرج الأمر للملائكة بحفظ أعمالهم وكتابة ذلك على وجوه من الحكمة. أحدها ليكونوا على حذر أبدا مما يقولون ويفعلون؛ على ما يكون في الشاهد مَن عَلم أن عليه شاهدا[1] حافظا ورقيبا في أمر يكون أبدا على حذر وخوف من ذلك الأمر وذلك أَذْكَرُ له وأدعى إلى الانتهاء عن ذلك. فعلى ذلك إذا علم العبد أن عليه حفيظا ويكتب ذلك عليه وأنه يكلَّف تلاوة ذلك المكتوب بين يدي الله تعالى فيستحيي من ذلك أشد الاستحياء يكون ذلك أزجر له وأبلغ في المنع، وإلا فكان[2] إحصاء ذلك على الله تعالى مع الكتاب وغير الكتاب سواءً إذ هو عالم بذاته لا بالأسباب، وهو تأويل قوله:[3] لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى.[4] ***والله أعلم.***

والثاني من الحكمة امتحان الملائكة بحفظ[5] أعمال بني آدم وأقوالهم وكتابة ذلك. فيمتحنهم بذلك[6] ويأمرهم به.[7] ولله[8] أن يمتحن الملائكة من شاء منهم بالتسبيح والتعظيم، ومن شاء منهم بالركوع، ومن شاء بالسجود، ومن شاء بحمل العرش والكرسي، ومن شاء بحفظ[9] بني آدم، ومن شاء منهم بسوق السحاب وإنزال المطر مما في ذلك منافع بني آدم. ويكون ذلك كله بحق العبادة ليعلم أن من امتحن منهم بالركوع والسجود والتسبيح والتكبير والتهليل لم يمتحنهم بذلك لمنافع يرجع إليه في ذلك ولكن يمتحنهم بمحن بما شاء وفيما[10] شاء ويكون ذلك كله عبادة وإن اختلفت[11] أنواعه. فعلى ذلك أمره إياهم بحفظ أعمال بني آدم[12] وأقوالهم[13] وكتابتها. ***والله أعلم.***

---

[1] ن ث + شاهدا.

[2] ر م: وإلا مكان.

[3] ر ث م – قوله.

[4] سورة طه، ٥٢/٢٠.

[5] ر م: يحفظ.

[6] جميع النسخ: لذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٥و.

[7] جميع النسخ: وأمرهم به. وفي *الشرح*: في أمرهم به، ورقة ١٥٥و.

[8] ر: والله.

[9] ر: يحمل العرش والكرسي ومن شاء يحفظ.

[10] ن ث: وفيم.

[11] جميع النسخ: وإن اختلف. والتصحيح من المرجع السابق.

[12] ن: ابني آدم.

[13] ث: أعمالهم وأقوالهم.

والمحنة بحفظ[١] تلك الأعمال والأصوات وكتابتها أشد من محنة غيرهم من الملائكة بالركوع أو السجود أو القيام أو التكبير أو التهليل[٢] ونحو ذلك،[٣] ومن محنة بني آدم من إقامة العبادات والامتناع من المحرمات ونحوها، إذ لو اجتمع الخلائق على معرفة كيفية عمل واحد ما قدروا عليه فدل أن هذا التأويل محتمل.

والثالث وهو أن الله تعالى أخبرهم بكتابة الملكين أعمالهم وبقعودهم عن اليمين والشمال من غير أن رأى أحد من[٤] البشر إياهم ولا رأي كتابهم ولا سمع صوت كتابتهم، وقد أقدرهم على العلم بما في ضمائرهم وكتابة ذلك كله وأقدرهم[٥] على رؤيتنا ولم يُقدرنا على رؤيتهم وهم أجسام مرئية، ليعلموا بذلك قدرة الله تعالى على ما شاء من الفعل وأن لا يقدروا قوة كل خلق الله تعالى بقوة أنفسهم ولا رؤيةَ غيرهم برؤية أنفسهم، وأن قوة الرؤية يختلف باختلاف الأوقات والأشخاص فإن الملائكة يروننا ولا نراهم في الدنيا وإن كانوا أجساما مرئية حيث يرى بعضهم بعضا.[٦] ثم أخبر[٧] وقال: وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا،[٨] أخبر أنه يرى ذلك الكتاب في الآخرة وإن كان لا يراه في الدنيا وكذا يرى الملائكة في الآخرة، وهذا لأن هذه البِنْية[٩] لا يحتمل أشياء لضعف فيها ولحجاب[١٠] يكون في ذلك في الدنيا. ثم يحتمل أن يكون في الآخرة أقوى في احتمال ذلك فيبصر في الآخرة. وفي هذا[١١] رد قول المعتزلة في إنكارهم رؤية الله تعالى أنه لو كان يرى لَيُرَى في كل مكان على ما يُرَى الملائكة في الآخرة[١٢] دون[١٣] الدنيا ونحو ذلك فعلى ذلك رؤية الله.

---

[١] ر م: يحفظ.
[٢] ث: والتهليل.
[٣] ن - بالركوع أو السجود أو القيام أو التكبير أو التهليل ونحو ذلك.
[٤] ن - أحد من.
[٥] ن: أقدرهم.
[٦] جميع النسخ: لبعض.
[٧] م: أخبره.
[٨] سورة الإسراء، ١٣/١٧.
[٩] ر: النسبة.
[١٠] ر ن م: وبحجاب.
[١١] ن: وهذا.
[١٢] ث: في الدنيا.
[١٣] ث + الملائكة.

ثم القراءة[1] العامة: **إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد**. وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه: إذ يتلقى المتلقيان عنه عن اليمين وعن الشمال،[2] فعلى قراءته يخرج تأويل الآية على وجه واحد أي يأخذ الملكان عن ابن آدم ما فعلوا وقالوا. وعلى قراءة العامة[3] يخرج على وجهين. أحدهما أن يأخذ الملكان عنه ما أدى إليهما من قول أو فعل. والثاني أن يتلقى أحد الملكين عن الآخر ما ألقى عليه ذلك الملك، على ما روي عن أبي أُمامَة رضي الله عنه أنه[4] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صاحب اليمين أمين[5] على صاحب الشمال، فإذا[6] عمل العبد سيئة قال له صاحب اليمين: أمسك فيمسك عنه سبع ساعات فإن استغفر الله لم يكتبها عليه وإن لم يستغفر كتبها سيئة واحدة».[7] ويجوز أن يكون [٧٤٦ظ] / أحدهما كاتبا دون الأخر وإن كانا يتلقيان ويأخذان منه ذلك، لما ذكر في آية أخرى حيث قال: وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ،[8] ولم يقل:[9] قال قريناه. ويجوز أن يكون المتلقيان جميعا يكتبان على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: كاتبان كاتب عن يمينه وكاتب عن يساره فيكتبان الحسنات والسيئات ثم يَرفعان إلى من فوقهما كلَّ اثنين وخميسٍ فيُثبتون [ما كان] من ذلك من ثواب أو عقاب ويُلْقُون ما سوى ذلك.[10] وروي أيضا عنه وعن غيره من أهل التأويل أنهما يكتبان ما كان من خير وشر وما سوى ذلك فلا. ولكنَ ظاهر الكتاب يدل على أنه يكتب كل شيء وهو قوله تعالى: مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ،[11]

---

[1] ر م: قراءة.

[2] ث – قعيد وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه إذ يتلقى المتلقيان عنه عن اليمين وعن الشمال.

[3] جميع النسخ: على قراءة العامة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٥ظ.

[4] ن ث – أنه.

[5] ر ث م – أمين.

[6] ر ث م: وإذا.

[7] *المعجم الكبير* للطبراني، ١٩١/٨.

[8] الآية ٢٣ من هذه السورة.

[9] ر ث م: ولم يقرأ.

[10] ن – ذلك. روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿ما يلفظ من قول﴾ الآية، قال: كاتب الحسنات عن يمينه يكتب حسناته وكاتب السيئات عن يساره، فإذا عمل حسنة كتب صاحب اليمين عشرًا، وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: دعه حتى يسبح أو يستغفر، فإذا كان يوم الخميس كتب ما يجزى به من الخير والشر، ويلقى ما سوى ذلك، ثم يعرض على أم الكتاب فيجده بجملته فيه (*الدر المنثور* للسيوطي، ٥٩٤/٧).

[11] الآية التالية.

إلا أن يقال: المراد من قَوْلٍ[١] هو سبب الثواب والمآثم كما قال في آية أخرى: لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا،[٢] أي لا يغادر صغيرة من المآثم ولا كبيرة منها لا مطلقَ[٣] صغائر الأشياء وكبائرها فعلى ذلك هذا. **والله أعلم**. ثم جَعْل المتلقيين اثنين يحتمل على ما جَعَل في الشهادة اثنين فيما بينهم في الأحكام والحقوق ليشهدا عليه في الآخرة.[٤]

*ثم قوله[٥] عز وجل: **عن اليمين وعن الشمال قعيد**، قال القُتَبِي: أراد قعيدا[٦] من كل جانب |٧٤٦ظ س١٣ منهما إلا أنه اكتفى بذكر الواحد إذ[٧] كان دليلا على الآخر. **وقعيد** بمعنى قاعد، كما يقال: قدير وقادر، أو يكون بمنزلة أكيل وشريب، أي مُؤاكل ومشارِب، **قعيد** أي مقاعد. وبه قال أبو عَوْسَجَة: قعيد من المقاعدة، كما يقال: قعيدي وجليسي. **والله أعلم**.* ٧٤٦ظ س١٦|

﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد**، في ظاهر الآية أن الملائكة إنما يكتبون ظاهر الأقوال والأفعال لا في الضمائر، لكنه غير مستنكر في العقول أن يكون الله تعالى أقدرهم على العلم بما في ضمائرهم فيعرفون ذلك ويكتبون، ولكن ظاهر الآية يشير إلى ما قلنا. **والله أعلم**.* وقوله عز وجل: **رقيب عتيد**، الرقيب الحفيظ، والعتيد الحاضر، أي ليس بغائب حتى يغيب عنه شيء. **والله أعلم**.

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **وجاءت سكرة الموت بالحق**، قال أبو عَوْسَجَة: **سكرة الموت**، أي شدته، يخبر أن لا بد أن ينزل بالنفس عند الموت شدة[١٠] ومشقة. ثم الآية تخرج[١١] على وجهين.

---

[١] جميع النسخ: هو قول.
[٢] سورة الكهف، ٤٩/١٨.
[٣] ث م: إلا مطلق.
[٤] ث + والله أعلم.
[٥] ر: وقوله.
[٦] ر م: قعيد.
[٧] ر م: إذا.
* ورد ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٧٤٦ظ/سطر١٣-١٦.
* وردت هنا فقرة من تفسير الآية السابقة فقدمناه إلى موضعه.
[١٠] ر م: وشدة.
[١١] جميع النسخ: يخرج.

أحدهما أن تُجْرَى[1] على ظاهرها في الماضي، أعني لفظة: **جاءت**، أي جاءت سكرة الموت على الذين كانوا من قبلكم فوجدتهم[2] غير متأهبين ولا مستعدّين له. ***والله أعلم***. والثاني أن يكون قوله: **وجاءت**، بمعنى تجيء،[3] وكذلك: وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ،[4] وذلك جائز في اللغة. وقوله عز وجل: **بالحق**، أي من أهل الشقاوة أو من أهل السعادة. يقول: عند ذلك يتبيّن له[5] ويظهر أنه من أهل السعادة أو من أهل الشقاوة، أو من أهل الجنة أو من أهل النار. وأصله عندنا أن الحق هو ما وُعد كلُّ نفس من خير وما أُوعد كل[6] نفس من الشر: إن كان مؤمنا وقد وعد له الجنة فيُتحقق[7] له ذلك وإن كان كافرا وقد أوعد له النار[8] فيتحقق له ذلك. ويحتمل ما ذكر من الحق هاهنا هو الموت نفسُه، أخبر أنه لا بد من الموت وأنه كائن لا محالة وهو كقوله تعالى: وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ،[9] يقول: لم يخلق الخلقَ للخلود في الدنيا ولكن للآخرة فلا بد من الموت. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ذلك ما كنت منه تحيد**، يحتمل وجهين. أي أتاك[10] ما كنت تكره مجيئه وتنكر ولم تؤمن به،[11] وهو البعث ويوم القيامة الذي تنكرونه وتكرهونه.[12] والثاني يحتمل الموت نفسه، أي أتاك[13] ما كنت[14] تكره وتفر منه -إذ هم كانوا يكرهون الموت ويفرون منه- فإنه ملاقيكم، أي يأتيكم من حيث لا مفر،[15] كقوله تعالى: قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ،[16]

---

[1] ر: أن لا يخبرى؛ ن ت: أن يجري؛ م: أن لا يجزئ. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٥ظ.
[2] ر ث م: فوجدتم.
[3] ث: يجيء.
[4] الآية ٢١ من هذه السورة.
[5] جميع النسخ: يبين له. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٦و.
[6] ن + كل؛ ث: أو ما أوعد كل.
[7] ن: فيحقق.
[8] ن: وقد أوعد النار؛ ث: وقد أوعد له النا.
[9] سورة الأنبياء، ٣٤/٢١.
[10] ر ن م: إياك.
[11] ن – به.
[12] جميع النسخ: ينكرونه ويكرهونه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٦و.
[13] ر ن: إياك.
[14] ر ن م: مما كنت.
[15] ن – فإنه ملاقيكم أي يأتيكم من حيث لا مفر.
[16] سورة الجمعة، ٨/٦٢.

أي يأتيكم من حيث لا مفر لكم عنه.[١] ثم الحَيْد هو الميل والكراهة، وقال أبو عَوْسَجَة: الحيد الفرار، يقال: حاد يحيد حيدا فهو حائد.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد**، يحتمل أن يكون أراد النفخة الأولى وهى النفخة التي يفزع عندها أهل السماوات والأرض فيموتون. ويحتمل أن يريد النفخة الثانية التي عندها البعث وإدخال الأرواح في الأجساد. ويحتمل[٢] أن يريد عند ما يوضع كل واحد في القبر، وهو أن يسأل، على ما جاءت الأخبار من سؤال مُنْكَر ونكير وذلك أيضا هو[٣] يوم الوعيد في حق ذلك الرجل، وهذا للكافر[٤] خاصة. وقوله عز وجل: **ذلك يوم الوعيد**، أي ذلك يوم وقوع الوعيد، إذ يوم الوعيد الدنيا فأما القيامة فهو يوم وقوع الوعيد وتحققه. *والله أعلم*.

﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾[٢١]

وقوله عز وجل: **وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد**، قال بعضهم: السائق الذي يقبض روحه، والشهيد الذي / يحفظ عمله. وقال بعضهم: السائق هو الملك الذي يكتب عليه سيئاته، [٧٤٧و] والشهيد هو الذي يكتب حسناته، وقيل: السائق هو النار التي يأتي فيسوق[٥] الكفرة إلى المحشر، والشهيد هو عمله الذي عمل في الدنيا. وقيل: السائق الكاتب، والشهيد الجوارح[٦] بقوله تعالى: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ،[٧] الآية. وأصله ما ذكر في قوله: وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا،[٨] وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا،[٩] ذكر السوق في الفريقين وذكر في الكفرة: احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ،[١٠]

---

[١] ر ن م: عنده.
[٢] ن: ويحتمل.
[٣] ن: هو أيضا.
[٤] ن: الكافر.
[٥] ر م: يسوق.
[٦] ن ث: جوارحه.
[٧] ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ (سورة النور، ٢٤/٢٤).
[٨] سورة الزمر، ٧١/٣٩.
[٩] سورة الزمر، ٧٣/٣٩.
[١٠] سورة الصافات، ٢٢/٣٧.

وقال عز وجل: وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللهِ إِلَى النَّارِ.[1] فالسائق هو ملك يسوق إلى ما أمر من الجنة أو النار، والشهيد هم الملائكة الذين يكتبون علينا الأعمال فيشهدون في الآخرة إن كان شرا فشر وإن كان خيرا فخير. والله أعلم بحقيقة ما أراد، وإن كان ما قالوا فمحتمل. *والله أعلم.*

﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هٰذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد،** يقول: لقد كنت في الدنيا في غفلة من هذا الذي[2] تعاين وتشاهد، أو في غفلة مما أُوعدتَ من المواعيد والشدائد التي عاينتها. **فكشفنا عنك غطائك،** أي كشفنا عنك الشُّبه التي يمنع وقوع العلم به والتجلي[3] له. **فبصرك اليوم حديد،** أي ثاقب نَيِّر يُبصر الحق، كقوله تعالى: أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا.[4] وقيل: **حديد،** من الحدّة أي نافذ لا يخفى عليه شيء. فكأنه أراد –والله أعلم– إنك كنت في الدنيا جاهلا عن هذا اليوم وعن هذه الحال والآن قد عاينت ما كنت عنه في غفلة وأتقنت[5] به، وهو كقوله عز وجل: لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ.[6]

﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **وقال قرينه هذا ما لدي عتيد،** أي يقول الملك الذي كان عليه رقيبًا،[7] أي كل ما عمل فهو عندي حاضر من تكذيب وعمل السوء؛ فيشبه أن يكون شهادة الحفظة عليه هذا القولَ. ويحتمل أن يكون ذلك على السؤال للملائكة عما كتبوا وحفظوا، يقول كل ملك: **هذا ما لديَّ عتيد،** أي هذا الذي عمل هذا عندي حاضر محفوظ إذ الكتاب الذي كتبت فيه أعماله حاضر. ثم جائز أن الذي يكتب الأعمال لكل واحدٍ واحدٌ، على هذا حيث قال:

---

[1] سورة فصلت، ١٩/٤١.
[2] ر ث م – الذي.
[3] جميع النسخ: والتحلي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٦و.
[4] سورة مريم، ٣٨/١٩.
[5] ن: وأبقيت.
[6] سورة التكاثر، ١٠٢/٦-٧.
[7] ر ن م: رقيب.

وقال قرينه، و لم يقل قريناه وإن كان قال: إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ،[1] على ما ذكرنا أنهما ملكان، لكن يجوز أن يتولى الكتابة[2] واحد والآخر شاهد. وجائز أن يكونا[3] يكتبان جميعا، بقوله: كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ،[4] لكنه ذكر هاهنا بحرف التوحيد فقال: **وقال قرينه**، لما يقول كل واحد منهما ذلك على حِدَةٍ وهو كما ذكرنا في قوله:[5] عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ،[6] أي كل واحد منهما قعيد. ***والله أعلم***.

﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **ألقيا في جهنم كل كفار عنيد**، يحتمل أن يكون الخطاب بقوله تعالى: **ألقيا**، لاثنين على ما هو ظاهر الصيغة: الذي يسوقه والذي يشهد عليه حيث قال: وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ،[7] كان الأمر بذلك لهما. ويحتمل أن يكون المراد بالخطاب هو القرينَ الذي سبق ذكره: وَقَالَ قَرِينُهُ هٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ،[8] لكن قال: ألقياه لوجهين. أحدهما ما قيل: إن العرب قد تذكر[9] حرف التثنية على إرادة الواحد والجماعة. والثاني ما قال بعضهم: إن المراد من قوله: **ألقيا**[10] أي ألق ألق على التأكيد، كقوله تعالى: هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ،[11] على الوعيد في الذم، ويقال في المدح: بُخْ بُخْ ونحو ذلك على التأكيد. ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **كُلَّ كفَّار عنيد**، يحتمل كل كفار لنعم الله تعالى حيث صرف شكرها إلى غيره، أو كل كفار لتوحيد الله وتسمية غيره إلها. والعنيد قال بعضهم: هو الذي بلغ في الخلاف غايته والمخالِفُ أشدَّ الخلاف، من عَنَد يعنِد عُنودا فهو عاند وعنيد بمعنى عاند، وقيل: هو الذي لا يُنصِف من نفسه، وقيل: هو الذي يكابر ويعاند بعد ظهور الحق له. ***والله أعلم***.

---

[1] الآية ١٧ من هذه السورة.

[2] ر: الكناية.

[3] ن: أن يكون.

[4] سورة الانفطار، ٨٢/١١-١٢.

[5] ر ث م: وفي قوله.

[6] الآية ١٧ من هذه السورة.

[7] الآية ٢١ من هذه السورة.

[8] الآية السابقة.

[9] ر ن ث: قد يذكر.

[10] م: ألقياه.

[11] ﴿هيهات هيهات لما توعدون﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/٣٦).

﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **مناع للخير**، يحتمل وجهين. أحدهما مناع عن الخير،[١] وهو من[٢] منع غيره عن التوحيد وقبول الحق. والثاني **مناع للخير** أي منع ما عنده من الحقوق التي وجبت في أمواله ونفسه. وقال بعض أهل التأويل: أراد به الوليد بن المغيرة المخزومي، لكن هذا عادة كل كافر، كقوله عز وجل: إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا،[٣] فلا معنى لتخصيص واحد به. وقوله عز وجل: **مُعْتَدٍ مُرِيبٍ**، المعتدي من الاعتداء وهو المجاوز عن حدود الله تعالى، والمريب من الرِّيبة وهو الشك والفساد، فكان المريب هو الذي فيه الشك والفساد جميعا. ثم نعت ذلك الإنسان فقال:

﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾[٢٦]

الذي جعل مع الله إلها آخر فألقياه في العذاب الشديد، أي وصف وذكر مع الله إلها آخر،[٤] وهو كقوله تعالى: وَيَجْعَلُونَ لِلّٰهِ الْبَنَاتِ،[٥] وقوله تعالى: وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمٰنِ إِنَاثًا،[٦] أي قالوا ووصفوا أنهم إناث وإلا لا يملكون جعل ذلك حقيقة. وقوله عز وجل: **فألقياه في العذاب الشديد**، وصف نار جهنم بالشدة لما أنه لا انقطاع لها وكل عذاب يرجى انقطاعه في بعض الأزمان ففيه بعض الراحة. *والله أعلم*.

﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلٰكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾[٢٧] ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾[٢٨]

[٧٤٧ظ] وقوله عز وجل: / **قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد**، أي قال شيطانه الذي أضله ودعاه إلى ما دعا فصار قرينه في الآخرة، لقوله تعالى: وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ.[٧] ويحتمل: **قرينه** أي رفيقه الذي كان معه يتبعه ويصدر[٨] عن رأيه.

---

[١] ن – يحتمل وجهين أحدهما مناع عن الخير.
[٢] ر م – من.
[٣] سورة المعارج، ٧٠/١٩-٢١.
[٤] ن – أي وصف وذكر مع الله إلها آخر.
[٥] سورة النحل، ١٦/٥٧.
[٦] سورة الزخرف، ٤٣/١٩.
[٧] سورة الزخرف، ٤٣/٣٦.
[٨] ر م: تبيعه وتصدر؛ ث: وتصدر.

ثم هذا القول من قرينه إنما كان بعد أن كان منه إنكار بما كان منه من الكفر والشرك عن اختيار، وقال: هذا الذي أضلني وأطغاني وهو الذي[1] حملني عليه، كقولهم: هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ،[2] فيقول رفيقه: **ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد**. وكانت الكفرة لحيرتهم وقلة حيلتهم أحيانا ينكرون الشرك، كقوله: وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ،[3] وقوله عز وجل: يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ، ثم قال: أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ،[4] وأحيانا يقولون: هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا،[5] وأحيانا: يَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا.[6] ثم قوله[7] عز وجل: **ربنا ما أطغيته**، أي ما قهرته على الضلال ولا لي قوةُ ذلك، ولكن اتبعني على ما كنت أنا فيه وأطاعني من غير أن يكون مني إكراه وإجبار على ذلك، وهو ما ذكر: **ولكن كان في ضلال بعيد**، أي كان في ضلال لا يرجى الرجوع عنه[8] ولا الانقطاع. وقال بعض أهل التأويل: إن ذلك الكافر يكذب الحفظة بأنهم كتبوا ما لم أعمل، وهم كانوا يكذّبون في ذلك اليوم لحيرتهم،[9] كقولهم: وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ،[10] فقال قرينه وهو الذي يكتب أعماله: **ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد**. لكن هذا فاسد وهذا القول من الشيطان لا من الملائكة،[11] إذ هم لا يَدّعون على الملائكة الإطغاء والإغواء. ألا ترى أنه قال: **لا تختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد**، واختصامهم مع الشيطان كما أخبر عز وجل في غير آي من القرآن، قال الله تعالى: وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ،[12] وقوله عز وجل: وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ -إلى قوله تعالى-

---

[1] ن – الذي.
[2] سورة الأعراف، ٣٨/٧.
[3] سورة الأنعام، ٢٣/٦.
[4] جميع النسخ: الكافرون. سورة المجادلة، ١٨/٥٨.
[5] سورة الأعراف، ٣٨/٧.
[6] ﴿ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا﴾ (سورة العنكبوت، ٢٥/٢٩).
[7] ر ث م: وقوله.
[8] ر ث م – عنه.
[9] ر م: لخيرتهم.
[10] سورة الأنعام، ٢٣/٦.
[11] ر ث م + الإطغاء والإغواء.
[12] سورة الصافات، ٢٧/٣٧-٢٩.

وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي،[1] الآية.[2] فهذه الخصومة بينهم وبين قرنائهم وهم الشياطين؛ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا.[3] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **لا تختصموا لديَّ**، خصومتهم ما ذكرنا قالت الأتباع: رَبَّنَا هٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا،[4] وما ذكر من لعن بعضهم على بعض ومن تبرى بعض عن بعض فقال عز وجل: **لا تختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد**، أي قدمت إليكم من الوعيد في الدنيا ما يقطع[5] خصوماتكم هذه، أي بينت في الدنيا ما يلحق بمن ضل بنفسه ومن ضل بغيره. كأن هؤلاء الكفرة يطلبون وجه الاعتذار بما لا عذر لهم فلذلك يقال لهم: **لا تختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد**، أي أرسلت إليكم الرسل ومعهم[6] الكتب وفيها الوعيد فلم تقبلوا[7] ذلك كله.

فإن قيل: قال هاهنا: **لا تختصموا لديَّ**، وقال في موضع آخر: ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ،[8] وبين الآيتين[9] مخالفة من حيث الظاهرُ فما وجه التوفيق بينهما؟

قيل: من وجوه ثلاثة. أحدها ما قال[10] بعضهم: قوله: **لا تختصموا لدي**، في أهل الكفر خاصة وقوله: ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ، في أهل القبلة، وهو[11] في المظالم التي كانت بينهم في الدنيا.

والثاني ما قال بعضهم بأن إحدى الآيتين في موضع والأخرى في موضع فيؤذن لهم بالكلام فيه حتى يكون جمعا[12] بين الآيتين، وهو كقوله تعالى: فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ،[13]

---

[1] ﴿وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتُكم فأخلفتُكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم﴾ (سورة إبراهيم، ٢٢/١٤).

[2] ن – الآية.

[3] سورة النساء، ٣٨/٤.

[4] سورة الأعراف، ٣٨/٧.

[5] جميع النسخ: فانقطع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٧و.

[6] ر م: معهم.

[7] ن: فلم يقبلوا.

[8] سورة الزمر، ٣١/٣٩.

[9] ن: الآية.

[10] ر ث م: أحدها قال.

[11] ن: وهي.

[12] ر م: جميعا.

[13] سورة الرحمن، ٣٩/٥٥.

وقال في آية أخرى: وَلَا يَتَسَاءَلُونَ،[١] وقال في آية أخرى:[٢] يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ،[٣] فعلى ذلك هذا.

والثالث جائز أن يكون قوله تعالى: **لا تختصموا لديَّ** في الدين:[٤] فيما بينهم وبين ربهم في دفع عذاب الله عن أنفسهم[٥] وذلك لا يملكون ولا ينتفعون به، وأما قوله تعالى: ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ،[٦] فيما بين أنفسهم في المظالم والغَرامات. ***والله أعلم***.

﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **ما يبدل القول لدي**، هذا يحتمل وجوها. أحدها **ما يبدل**، ما استحق كل واحد منكم من العذاب والثواب وما[٧] سبق مني من الوعد والوعيد في الدنيا بأن أجعلَ جزاء الكافر الجنة وجزاء المؤمن النارَ، إذ قد سبق في وعدي ووعيدي بأن أجعل الجنة مثوى المؤمنين والنارَ مثوى الكافرين، فلا يبدل[٨] عندي[٩] ذلك الوعد والوعيد.[١٠] والثاني **ما يبدل القول لدي**، يحتمل أنه أراد به قوله: لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ.[١١] والثالث[١٢] لا يبدل اليومَ ما يستوجب به الجنة والخلود فيها وهو الإيمان عن غيب / كما أخبر عز وجل: [٧٤٨و] مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ،[١٣] الآية، فأما الإيمان بعد العِيان لا ينفع كما أخبر عز وجل: فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا،[١٤] الآية. وقوله عز وجل: **وما أنا بظلام للعبيد**، أي في العقل والحكمة تعذيب من أتى بالكفر والشرك فيكون ترك تعذيبه سفها.

---

[١] ﴿فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ (سورة المؤمنون، ١٠١/٢٣).

[٢] ن - أخرى.

[٣] سورة المدثر، ٤٠/٧٤-٤٢.

[٤] ن: في الذين.

[٥] م: من أنفسهم.

[٦] سورة الزمر، ٣١/٣٩.

[٧] جميع النسخ: والثواب ما. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٧و.

[٨] ر: ولا يبدل.

[٩] ر م - عندي.

[١٠] ث - فلا يبدل عندي ذلك الوعد والوعيد.

[١١] سورة هود، ١١٩/١١.

[١٢] ث + أي.

[١٣] الآية ٣٣ من هذه السورة.

[١٤] سورة المؤمن، ٨٥/٤٠.

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما على تحقيق القول من الله تعالى لجهنم: **هل امتلأت؟** وعلى تحقيق القول من جهنم والإجابة له: **هل من مزيد؟** وذلك جائز أن يُنطق الله تعالى جهنم حتى تُجيب له بما ذكر: **هل من مزيد؟** على ما ذكرنا من شهادة الجوارح عليهم والنطق منها للكل حتى أجابت الجوارح لهم لَمّا قالوا: لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ،[1] وعلى ذلك ما ذكرنا في قوله جل وعلا: يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ،[2] ونحو ذلك. ومثل هذا غير مستنكر في العقول على تقدير إحداث الحياة فيها التي هي شرط النطق عن علم. ***والله أعلم***.

والثاني على التمثيل لا على تحقيق[3] القول لها: **هل امتلأت؟** ولا على[4] تحقيق الإجابة منها: **هل من مزيد؟** ولكن على التمثيل لوجهين. أحدهما أي إن جهنم لو كانت بحيث تنطق وتستمع[5] وتعلم لو قلت لها: هل امتلأت وتقول هل من مزيد. يخبر عن انقياد المخلوقات له والطاعة والإجابة، وهو ما ذكرنا في قوله عز وجل: وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا،[6] لا يكون من الدنيا حقيقة التغرير قولا ولا فعلا ولكن معناه أنها بحال من التزين وما فيها من الشهوات لو كان لها تمييز وعقل لغرتهم. ***والله أعلم***. والثاني وصفٌ لها بالعظم والسعة وإخبار عن أنها تحتمل[7] المزيد وإن جُمع فيها[8] من الكفرة ما لا يحصى على التمثيل، وهو كقوله تعالى: لَوْ أَنْزَلْنَا هٰذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ،[9] وكذلك قوله عز وجل: وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا،[10] وصفٌ لها بالتزين والحُسن الظاهر ما لو لم يتأمل[11] الناظر فيها العاقبة لاغتر بها من حسنها وزينتها فعلى ذلك هذا. ***والله أعلم***.

---

[1] سورة فصلت، ٢١/٤١.
[2] سورة سبأ، ١٠/٣٤.
[3] ر: على تمثيل لا على تحقيق؛ ث: لا على التحقيق.
[4] ر م: وعلى.
[5] جميع النسخ: ينطق ويستمع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٧ظ.
[6] سورة الأنعام، ٧٠/٦.
[7] جميع النسخ: يحتمل.
[8] ر ث م - فيها.
[9] سورة الحشر، ٢١/٥٩.
[10] سورة الأنعام، ٧٠/٦.
[11] ر ث م: ما لم يتأمل.

ثم قوله عز وجل: **هل من مزيد،**[1] يخرج على وجهين. أحدهما هل بقي من أحد[2] يزاد فيّ، فإني قد امتلأت وليس فيّ سعة تحتمل[3] غيرها؟ والثاني **هل من مزيد،** أي فيّ سعة عظيمة، فهل من زيادة خلقٍ أمتلئ بها، لأن الله تعالى وعد أن يملأ جهنم كما قال:[4] لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ،[5] فتسأل المزيد من ربها لتمتلئ.[6] ***والله أعلم بذلك.*** وقال بعض أهل التأويل بأنها تسأل الزيادة[7] حتى يضع الرحمن قدمه فيها فتضيق[8] بأهلها حتى لا يبقى فيها مدخل رجل واحد، وروي خبرا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وأنه فاسد وقول بالتشبيه[9] -وقد قام الدلائل العقلية على إبطال التشبيه فكل خبر ورد مخالفا للدلائل العقلية يجب رده- ومخالف لنص التنزيل وهو قوله عز وجل: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.[10] ثم هذا الخبر[11] -على قول المشبهة على ما توهموا- مخالفٌ للكتاب لأن الله عز وجل قال: لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، وعندهم لا يمتلئ بهم ما لم يضع الرحمن قدمه فيها. ثم ذكر البلخي أن مدار ما ذكروا من الحديث على حَمّاد بن سلمة وكان خَرِفا[12] مُفَنَّدًا في ذلك الوقت لم يجز أن يؤخذ منه. مع ما روي في خبر أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يأتي الله تعالى ببشر فيضع في النار حتى تمتلئ»[13] فهذا يحتمل لا ما رَوَوْا. ***والله الموفق.***

---

[1] ث + أي في سعة عظيمة فهل من زيادة خلق امتلأ بها وليس في سعة تحتمل غيرها والثاني هل من مزيد أي في سعة عظيمة.

[2] ر ث م - أحد.

[3] ن: يحتمل.

[4] ن - كما قال.

[5] سورة هود، ١١/١١٩.

[6] ن: ليمتلئ.

[7] م: المزيد.

[8] ر: فيفسق؛ ن ث م: فيضيق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٧ظ.

[9] روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «اختصمت الجنة والنار إلى ربهما فقالت الجنة: يا رب ما لها لا يدخلها إلا ضعفاء الناس وسَقَطُهم، وقالت النار يعني: أوثرتُ بالمتكبرين. فقال الله تعالى للجنة: أنت رحمتي، وقال للنار: أنت عذابي أصيب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها»، قال: «فأما الجنة فإن الله لا يظلم من خلقه أحدا وإنه ينشئ للنار من يشاء فيُلْقَوْن فيها فتقول: ﴿هل من مزيد﴾ ثلاثا حتى يضعَ فيها قدمَه فتمتلئ، ويُرَدّ بعضُها إلى بعض وتقول: قَطْ قط قط» (صحيح *البخاري*، التوحيد ٢٥، التفسير ٥٠؛ وصحيح *مسلم*، الجنة ٣٥). انظر لتأويل كلمة «قدمه» الوارد هنا: *مسند أحمد بن حنبل*، نشر مؤسسة الرسالة، ١٣/١٥٠-١٥٢.

[10] سورة الشورى، ٤٢/١١.

[11] ر م: القول.

[12] ر م: حرفا.

[13] جميع النسخ: يمتلئ. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٧ظ.

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾[٣١]

وقوله عز وجل: **وأزلفت الجنة للمتقين**، أي قُرِّبت، وذكر في آية أخرى: وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا،[1] ذكر هاهنا تقريب[2] الجنة إلى أهلها وذكر ثَمَّ سوق أهل الجنة إليها، فبين[3] الآيتين مخالفة من حيث الظاهر. ولكن يحتمل وجهين. أحدهما أن أهل الجنة إذا قُرِّبوا منها بالسَّوق إليها قُرِّبت هي إليهم، لأن أحد الشيئين إذا قَرُب إلى الآخر قرب الآخر منه ويزول البعد بزوال المسافة وذلك معروف. و[الثاني] يحتمل أن يكون إخبارا عن وصف الجنة أنها بحال تُقَرَّب[4] إلى أهلها وتُزْلَف. [ثم][5] ذكر في الجنة التقريب وفي النار البروز والظهور بقوله تعالى: وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ،[6] فهو -والله أعلم- أن أهل النار كانوا يجحدون النار وينكرونها: فبرزت[7] الجحيم ليرونها ويطّلعون عليها، وهو كقوله عز وجل: لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ.[8] فأما أهل التوحيد فإنهم كانوا يقرون بالجنة ولكن لا يرون أنفسهم من أهلها لما بدا[9] منهم من الخطايا والزلات ويرونها بعيدة من أنفسهم فذكر الله تعالى التقريب لهم ووعدهم بذلك. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **غيرَ بعيد**، أي غير بعيد منهم بل بحيث يرونها وقت وقوفهم في القيامة. ***والله أعلم***. / والثاني[10] **غير بعيد** منهم في الدنيا، أي يأتونها ويكونون من أهلها عن قريب [٧٤٨ظ] لأن كل ما هو[11] آت فكأنْ قد أتى. ***والله أعلم***. ويحتمل[12] **غير بعيد**، منهم ما في الجنة[13] إذا دخلوها من الثمار والفواكه بل قريب[14] منهم يتناولون كيف شاءوا. ***والله أعلم***.[15]

---

[1] سورة الزمر، ٣٩/٧٣.
[2] ر ن: بقريب.
[3] ن: وبين.
[4] جميع النسخ: يقرب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٧ظ.
[5] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.
[6] سورة الشعراء، ٢٦/٩١.
[7] ر م: وبرزت.
[8] سورة التكاثر، ١٠٢/٦.
[9] ر ن م: بدوت؛ ث: بدت.
[10] جميع النسخ + أي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٨و.
[11] ر ث م - ما هو.
[12] جميع النسخ + أي. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] ر ث م: منهم في الجنة.
[14] ن: قربت.
[15] ث - ويحتمل أي غير بعيد منهم في الجنة إذا دخلوها من الثمار والفواكه بل قريب منهم يتناولون كيف شاءوا والله أعلم.

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾[٣٢]

وقوله عز وجل: **هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ**، الأواب الرجاع، من الأوبة وهي الرجوع. فمعناه لكل رجاع إلى الله تعالى في كل وقت أو رجاع[١] إلى أمره وطاعته. وقوله عز وجل: **حفيظٍ**، أي يحفظ نفسه عن المعاصي والزلات سرا وعلانية والحافظ لحدوده في أوامره ونواهيه، وهو كقوله تعالى: لِلْمُتَّقِينَ،[٢] ولِلْمُحْسِنِينَ،[٣] إذ التقوى هو الائتمار بما أُمر والامتناع عما نُهي وحُظر، والإحسان هو العمل بجميع ما يَحْسُن في العقول.

﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾[٣٣]

وقوله عز وجل: **من خشي الرحمن بالغيب**، أي خاف وحَذِره بما أُوعد.[٤] ثم يخرج على وجهين. أحدهما[٥] **من خشي الرحمن بالغيب**، أي قبل أن يراه[٦] على ظاهر ما ذكر. والثاني أي من خشي الرحمن في الدنيا التي هي حالُ غيب الدلائل بالمواعيد التي أُوعدها وحُذِّر عنها قبل أن يعاينها، إذ هو لم ير ذلك العذاب فيصدّقه فيما أُوعد وخافه، وهو كقوله تعالى: وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ،[٧] أي عقوبته ونقمته. ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **وجاء بقلب منيب**، [أي خُتم بقلب منيب]،[٨] والمنيب هو المقبل على الله تعالى بجميع أوامره ونواهيه المطيع له في ذلك كله.

﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾[٣٤]

وقوله عز وجل: **ادخلوها بسلام**، كأنه على الإضمار، أي يقال لهم: ادخلوها بسلام. [يحتمل وجوها. أحدها أي بسلام][٩] الملائكة أي تسلم[١٠] الملائكة عليهم وقت دخولهم الجنة،

---

[١] م: ورجاع.
[٢] ﴿وأزلفت الجنة للمتقين﴾ (سورة الشعراء، ٩٠/٢٦). وانظر مثلا: سورة ص، ٤٩/٣٨؛ وسورة القلم، ٣٤/٦٨؛ وسورة النبأ، ٣١/٧٨.
[٣] انظر مثلا: سورة الزمر، ٣٤/٣٩؛ وسورة الذاريات، ١٦/٥١؛ وسورة المرسلات، ٤٤/٧٧.
[٤] ر: بما أوعدهم.
[٥] جميع النسخ + أي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٨و.
[٦] ر م: يرد؛ ن ث: يره. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] سورة آل عمران، ٢٨/٣، ٣٠.
[٨] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٥٨و.
[٩] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.
[١٠] ر ث م: يسلم.

كقوله: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ.[1] والثاني السلام هو اسم من أسماء الله تعالى فيقال لهم: ادخلوها باسم الله على ما هو الأصل في كل خير[2] أنه يبتدأ باسم الله تعالى امتثالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل أمر ذي بال لم يُبدأ باسم الله فهو أبتر».[3] وقال بعضهم: **ادخلوها بسلام**، أي سالمين عن الخوف والحزن لا آفة تصيبكم فيها وهو كقوله:[4] أُدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ،[5] عن الخوف والحزن.[6] ويحتمل أي ادخلوها ولا كلفة عليكم ولا أمرَ ولا محنةَ سوى الثناء على الله تعالى والحمد له وتسليم بعضكم على بعض، بل يسقط عنكم جميع المحن والأوامر التي عليكم في الدنيا، وذلك قوله تعالى: وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ،[7] وكأنه لا شيءَ أَلَذُّ[8] في الدنيا على أهل الإيمان من الثناء على الله تعالى وتسليم بعضهم[9] على بعض فلذلك أبقي ذلك في الجنة وأسقط ما وراء ذلك. ***والله أعلم***. وقوله[10] عز وجل: **ذلك يوم الخلود**، يحتمل أي ذلك يوم الخلود لأهل[11] الجنة بالسرور والراحة ولأهل النار بالعقوبة والعذاب. ويحتمل أي يومٌ لا انقطاع لذلك الذي وُعدوا وهي الجنة. ***والله أعلم***.

﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[٣٥]

وقوله عز وجل: **لهم ما يشاءون فيها**، أي لهم ما يختارون فيها لا يُجْبرون ولا يكرهون فيها على شيء، إذ المشيئة هي صفة كل فاعل مختار. وإن كانت المشيئة مشيئة التمني والتشهي فكأنه قال: لهم ما يتمنَّون ويتخيرون لقوله: لَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ [وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ].[12] ***والله أعلم***.

---

[1] سورة الزمر، ٧٣/٣٩.
[2] ر م: وفي كل خبر؛ ث: وفي كل خير.
[3] «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم أقطع» (*الجامع لأخلاق الراوي* للخطيب البغدادي، ٨٧/٢؛ وفيض *التقدير* للمناوي، ١٧١/٥).
[4] ن يصيبكم فيها وهو كقوله؛ ث: قوله.
[5] سورة الحجر، ٤٦/١٥.
[6] ن – عن الخوف والحزن.
[7] سورة يونس، ١٠/١٠.
[8] ر م: الذي.
[9] ر م: بعضكم.
[10] ن – وقوله.
[11] ر م: ولأهل.
[12] جميع النسخ + وقوله عز وجل ولهم ما يشتهون. لكن هذه الآية (سورة النحل، ٥٧/١٦) في حق نسبة المشركين البنات إلى الله تعالى والبنين إلى أنفسهم. وهي غير موجودة في *الشرح*، ورقة ١٥٨و. سورة فصلت، ٣١/٤١.

وقوله عز وجل: **ولدينا مزيد،** قال بعض أهل التأويل بأنه يأتيهم سحابة فتمطرهم[١] كل ما يشاءون وذلك هو المزيد لهم في الجنة، وقال بعضهم بأنه تَنبُت[٢] لهم شجرة فينفطر[٣] لهم كل ما يشاءون فذلك هو المزيد. لكن يحتمل وجهين [آخرين].[٤] أحدهما النظر إلى رؤية الرب جل وعلا وهو كقوله تعالى: لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ.[٥] قيل: الزيادة[٦] هو رؤية الله تعالى في الجنة.[٧] و[الثاني] يشبه:[٨] **ولدينا مزيد،** من نعيمها ما لا يبلغ تمنيهم وشهواتهم، كقوله عليه السلام في صفة نعيم الجنة: «ما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خَطَرَ على قلبِ بشر»،[٩] لأن الأماني والشهوات إنما يكون لما سبق لجنسه من الذي يقع عليه الرؤية والنظر أو الخبر، فأما ما لا معرفة له فلا يُتمنَّى[١٠] ولا يُشتهى. ***والله أعلم.***

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾[٣٦]

وقوله عز وجل: **وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص،** هذا يخرج على وجهين. أحدهما يقول: كم أهلكنا قبلهم من قرن لم يملكوا دفع ذلك عن أنفسهم ولا الانتصار عن ذلك فكيف يملك قومك دفع ما ينزل بهم لو أصرّوا على التكذيب. والثاني يقول: قد أُهلك الذين كانوا قبل قومك الذين كذبوا رسلهم أُهلكوا إهلاكَ عقوبة وتعذيب، والذين صدّقوا هَلَكوا[١١] بآجالهم لا هلاك عقوبة، وقد كانوا جميعا المصدقين والمكذبين سواءً في هذه الدنيا، وفي الحكمة التفريق بينهما، دل أن هنالك دارا أخرى يفرّق بينهما [فيها].[١٢] ***والله أعلم.***

---

[١] ن ث: فيمطرهم.
[٢] ن: ينبت.
[٣] ن: فينقطر.
[٤] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٥٨و.
[٥] سورة يونس، ٢٦/١٠.
[٦] ر - قيل الزيادة.
[٧] تفسير الطبري، ٢٢٣/٢٦.
[٨] ن ث + أي.
[٩] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله: أعددت لعباديَ الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاقرءوا إن شئتم: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾» (صحيح *البخاري*، بدء الخلق ٨، التوحيد ٣٥؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٣١٢، الجنة ٢-٥).
[١٠] ر م: فلا تمنى.
[١١] ر م: أهلكوا.
[١٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٥٨ظ.

وقوله عز وجل: **فنقبوا في البلاد**، قال[1] أبو عَوْسَجَة: **فنقبوا في البلاد هل من محيص**، أي صاروا في البلاد هل من مفر. وقال القُتَبِي: **فنقبوا في البلاد**، أي طافوا وتباعدوا، **هل من محيص**، أي هل يجدون من الموت محيصا[2] أي مفرا. ويحتمل أي تقلبوا في البلاد في تجاراتهم فلا يجدون ملجأ يُرَدّ به هلاكُهم. يوعد بما ذَكَر[3] أهل مكة أنهم لم يجدوا محيصا فكيف تجدون[4] أنتم.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[٣٧]

[٧٤٩و] وقوله عز وجل: **إن في ذلك / لذكرى لمن كان له قلب**، يحتمل وجوها. أحدها **إن في ذلك** [أي في القرآن][5] **لذكرى**، أي عظةً لمن كان له قلب. والثاني فيما ذكر من إهلاك الأمم الخالية وذهاب آثارهم بتكذيبهم الرسل لذكرى لمن ذكر. والثالث أي فيما ذكرنا[6] من استواء المحسن والمفسد في هذه الدنيا والصالح والطالح لذكرى لمن كان له قلب أن هنالك دارا يميّز فيها بينهما. وقوله: **لمن كان له قلب**، أي عقل وفهم، أو لمن كان له قلب ينتفع به في التأمل والنظر. وإنما كَنَىٰ بالقلب عن العقل لأن الناس اختلفوا، بعضهم قالوا: إن القلب محل العقل، وقال بعضهم: محله الرأس لكن نوره يصل إلى القلب فيبصر القلب الأشياء الغائبة بواسطة العقل فلذلك[7] كَنَىٰ بالقلب عن العقل لمجاورة[8] بينهما وهو سائغ في اللغة.

وقوله عز وجل: **أو ألقى السمع وهو شهيد**،[9] أي يستمع وهو شاهد سمعه وقلبه. وأصله أن القلب جُعل للوعي والحفظ[10] بعد الإدراك والإصابة. ثم أصل ما يقع به العلم والفهم شيئان: التأمل والنظر في المحسوس. والثاني أن يُلقى إليه الخبر وهو يستمع له. فكأنه يقول -والله أعلم-: **إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب**، يطلب الرشد والصواب يتأمل[11] وينظر ويعي ويحفظ،

---

[1] ر: وقال.
[2] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤١٩.
[3] ث: ما ذكر.
[4] ن: يجدون.
[5] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٥٨ظ.
[6] ر ث م: ذكروا.
[7] ر ث م: فكذلك.
[8] ن ث: لمجاوزة.
[9] ر م + أي يستمع وهو شهيد.
[10] ن + والوعي والحفظ.
[11] ر م - يتأمل.

أو ألقى السمع، أي يستمع بما ألقي إليه وهو شاهد السمع والقلب، فيكون الذكرى لمن اختُصّ بهذين أو ينتفع به هذان الصنفان بالتأمل: فيرى بالعقل محاسن الأشياء ومساوئها أو يستمع حقيقة ذلك بالسمع فيتذكر. ***والله أعلم.***

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾[٣٨]

وقوله عز وجل: **ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب**، قد ذكرنا[١] فيما تقدم تأويل خلق السماوات والأرض في ستة أيام.[٢] وقوله: **وما مسنا من لغوب**، أي من إعياء وتَعَب ونَصَبٍ. وفيه نقض قول اليهود -لعنهم الله- صُراحا[٣] ونفي إيهام[٤] المشبهة في قوله:[٥] ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ،[٦] وتبيين[٧] المراد من قوله[٨] عز وجل: ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ. أما نقض قول اليهود -لعنهم الله-[٩] فإنهم يقولون: خلق الله[١٠] السماوات والأرض في ستة أيام ثم استراح في يوم السبت، وهم يتركون العمل يوم السبت لهذا. فالله عز جل أخبر أنه لم يَمَسَّه بخلق ما ذكر إعياء[١١] ولا لغوب على ما زعمت اليهود -لعنهم الله-[١٢] فيكون ردا لقولهم صريحا. وأما نفي إيهام[١٣] المشبهة فإنهم توهموا أن قوله: ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، على إثر خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام[١٤] في آية أخرى أن ذلك للراحة، فشبهوا الله تعالى بالخلق أنهم إذا فرغوا من أعمال عملوها ثم استوَوا على شيء إنما يستوون للراحة فقالوا بالاستواء على العرش حقيقة. فالله تعالى نفى التعب عن نفسه في خلق[١٥] السماوات والأرض

---

[١] ر ث م: ثم ذكرنا.
[٢] انظر: تفسير الآية ٥٤ من سورة الأعراف.
[٣] جميع النسخ: مراحا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٨ظ.
[٤] جميع النسخ: أنفهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ر ن م: في قولهم.
[٦] سورة الأعراف، ٥٤/٧.
[٧] ن: وتبين؛ ث: ويتبين.
[٨] ن: من قولهم.
[٩] ن – لعنهم الله.
[١٠] ن: إن الله خلق.
[١١] ر م: بإعياء.
[١٢] ن – لعنهم الله.
[١٣] ن: انفهام.
[١٤] ر ث م – في ستة أيام.
[١٥] ن: وخلق.

على أن استواءه ليس للراحة حتى يراد به الاستقرار كما في الشاهد بين الخلق، وبيّن تعاليه وبراءتَه عما توهمت المشبهة وشبهوه بالخلق. ويتبين بذكر الاستواء على العرش بعد ذكر خلق السماوات والأرض على أن المراد منه التمام، أي تم ملكه بعد خلق السماوات والأرض[١] وما بينهما بخلق العرش، ويُذكر الاستواء ويراد به التمام. ***والله أعلم.***

قال أبو عَوْسَجَة: اللغوب الإعياء، يقال: لَغِب يلغَب لُغوبا فهو لاغب، وأصله ما ذكرنا أنْ خلق الله تعالى الأشياء لا لمنفعة له أو حاجة يقع له ولا بالآلات[٢] والأسباب التي بها يقع التعب والإعياء في الشاهد؛ إذ الإعياء إنما يلحق مَن فِعْلُه الحركة والانتقال والسكون، فأما الله تعالى إنما يخلق الأشياء بقوله: "كُنْ" ولا يلحقه شيء من ذلك، وهو قادر بذاته فاعل لا بآلة وسبب فأنى يقع له الإعياء والتعب. تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾[٣٩] ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾[٤٠]

وقوله عز وجل: **فاصبر على ما يقولون،** أي فاصبر على ما يقولون فيك: إنك ساحر وشاعر[٣] ومجنون ونحوه، فأمره بالصبر على ذلك وأن لا يدعو[٤] عليهم بالهلاك. ويحتمل: **فاصبر على ما يقولون،** في الله من معاني الخَلْق فلا تُجازهم[٥] ولا تقاتلهم ولا تدع[٦] عليهم بالهلاك،[٧] ولكن اصبر فإن الله تعالى ينتقم[٨] منهم لك. وإنما أمره بالصبر لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان سريع الغضب لله تعالى فيما عاين من المناكير وسمع وكذلك جميع الأنبياء والرسل عليهم السلام لذلك أمره بالصبر فيما يقولون في الله أو فيه.

وقوله عز وجل: **وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب،** قيل: **بحمد ربك،** أي بالثناء على ربك، أي أثْنِ عليه بما هو أهله وما يليق به. وأهل التأويل يفسرون التسبيح

---

[١] ن – على أن المراد منه التمام أي تم ملكه بعد خلق السماوات والأرض.
[٢] ر ث م: بالات.
[٣] ن: شاعر وساحر.
[٤] ر م: أن لا يدعوا.
[٥] ر ث م: فلا تحاربهم؛ ن: فلا تجازيهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٩و.
[٦] ر م: ولا تدعوا؛ ن ث: ولا تدعوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] ث – ويحتمل فاصبر على ما يقولون في الله من معاني الخلق فلا تجازهم ولا تقاتلهم ولا تدع عليهم بالهلاك.
[٨] ر م: وينتقم.

في هذا الموضع وفي غيره من المواضع بالصلاة، فمعنى قوله تعالى: **وسبح بحمد ربك**، أي صلِّ بأمر ربك. وإنما صرفوا التسبيح[١] إلى الصلاة لأن الصلاة من أولها إلى آخرها وصف الرب تعالى بالتعظيم والتنزيه والبراءة عن كل عيب قولا وفعلا، ولأنه لما قام إلى الصلاة فقد فارق جميع الخلائق بما هم فيه، وكذلك إذا حنا[٢] للركوع والسجود فارق جميع الخلائق فيما هم فيه / من الأمور واعتزلهم واشتغل بمناجاة ربه جل وعلا. فجائز أن يكون تسميتهم التسبيح صلاة لهذا. [٧٤٩ظ] ويحتمل أن يسموه[٣] صلاة لما أن في الصلاة تسبيحا.

وقوله عز وجل: **قبل طلوع الشمس وقبل الغروب**، قال بعضهم: قبل صلاة الفجر وقبل غروبها، وقال بعضهم:[٤] صلاة العصر، وقال بعضهم: صلاة العصر والظهر لأنهما جميعا قبل غروب الشمس. وقوله: **وأدبار السجود**، قال[٥] عامة أهل التأويل: هما ركعتان بعد المغرب، وذلك[٦] جائز محتمل. ويحتمل أن يكون أدبار السجود ما ذكر في آية أخرى حيث قال: أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ،[٧] وتَفَيُّؤُ[٨] الظلال إنما يكون بالنهار وهو تسبيح الظلال. فمعناه: وسبحه وقت أدبار سجود ذلك الظلال الذي[٩] أخبر أنه يَتَفيأ[١٠] إذ تفيؤه[١١] هو تسبيحه. وهو ما ذكر في قوله تعالى: فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ،[١٢] وإدبار النجوم هو ذهاب النجوم فعلى ذلك قوله تعالى: **وأدبارَ السجود**، أي سبحه بعد ذهاب سجود الظلال فذلك إنما يكون بعد ذهاب الشمس وغيبوبتها.
والله أعلم.

---

[١] ر: للتسبيح.
[٢] ر ث م: حننا؛ ن: حنى. حَنَا يَحْنُو حَنْوًا وحَنَى يَحْنِي حَنْيًا: عطفه وثناه. وفي الحديث: «لم يَحْنِ أحد منا ظهره»، أي لم يثْنِه للركوع (*لسان العرب*، «حنا»).
[٣] ر م: أن تسموه.
[٤] ن: وقيل؛ ث – وقال بعضهم.
[٥] ر م: وقال.
[٦] ر م – ذلك.
[٧] سورة النحل، ٤٨/١٦.
[٨] ر: وتفيؤا.
[٩] جميع النسخ: والذي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٩و.
[١٠] ر ث: يتفيؤا.
[١١] ر م: أن تفيئه؛ ث: إذ بغيته.
[١٢] سورة الطور، ٤٩/٥٢.

﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾[٤١]

وقوله عز وجل: **واستمع يوم يناد المناد**[١] كأن هذا صلة قوله عز وجل: فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ،[٢] وانتظر يوم ينادي[٣] المنادي[٤] ولا تكافئهم[٥] ولا تنتقم[٦] منهم ولكن اصبر وانتظر ذلك اليوم. ثم قوله: **يناد المناد**، يخرج على وجهين. أحدهما كقوله تعالى: يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ،[٧] **يوم يناد المناد**، أي يوم يدعوهم الداعي إلى شيء أنكروا. والثاني ما ذكر من نداء بعض لبعض كقوله: وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ،[٨] الآية، وقوله: وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ.[٩] يقول عز وجل: انتظر يوم ينادون ويدعون إلى ما أنكروا ويوم ينادي بعضهم بعضا.

وقوله عز وجل: **من مكان قريب**، أي من مكان يسمعون ما يُنَادَون ويُدْعَوْن ويعرفون ما يراد بالدعاء ومن يراد به، أي[١٠] ينتهي ذلك الدعاء والنداء[١١] إلى كل في كل نفس[١٢] حتى يعرفه. وذكر أهل التأويل أن المنادي هو جبريل عليه السلام،[١٣] ينادي عند بيت المقدس بنداء يسمعه كل أحد، وبيت المقدس أرفع مكان في الأرض وهو بقرب من السماء بكذا كذا ذراعا فهو المكان القريب.[١٤] ولكن هذا لا معنى له فإنه يَسمع صوتَه جميعُ الخلائق وإن لم يقم في ذلك المكان، وليس المراد من القرب ما ذكره ولكن على الأسماع في أي موضع كانوا، ومن يسمع شيئا فذلك منه قريب. *والله أعلم*.

---

[١] ر م: المكان.
[٢] الآية ٣٩ من هذه السورة.
[٣] ر ث م: يناد.
[٤] جميع النسخ: المناد.
[٥] ر م: ولا يكافئهم.
[٦] ن: ولا ينتقم.
[٧] سورة القمر، ٦/٥٤.
[٨] سورة الأعراف، ٤٤/٧.
[٩] سورة الأعراف، ٥٠/٧.
[١٠] ر م – أي.
[١١] ن: النداء.
[١٢] جميع النسخ: في نفسه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٩ظ.
[١٣] ن: عليه الصلاة والسلام.
[١٤] *تفسير الطبري*، ٢٣٥/٢٦-٢٣٦.

﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾[٤٢]

وقوله عز وجل: **يوم يسمعون الصيحة بالحق**، الصيحة النفخة أو النداء الذي ذكر. ثم قوله تعالى: **بالحق**، يحتمل[١] وجهين. أحدهما أي يسمعون[٢] الصيحة بما أوعدهم الرسل من المواعيد فيتحقق لهم ذلك في ذلك اليوم، ويحتمل: **بالحق**، أي تَحقُّق[٣] ذلك اليوم لأن الرسل عليهم الصلاة والسلام قد أخبروهم بذلك اليوم وهم أنكروه؛ أو **بالحق**، الذي لبعضهم على بعض، أي يستوفي بعض من بعض ما لهم من الحق في ذلك اليوم وأُمروا بأداء الحقوق في ذلك اليوم. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **ذلك يوم الخروج**، قيل:[٤] يوم الخروج من قبورهم، وقيل:[٥] يوم الخروج والبروز إلى الله تعالى.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾[٤٣]

وقوله عز وجل: **إنا نحن نحي ونميت**، أي نحي الموتى ونميت الأحياء، أي نحن نملك ذلك لا يملك أحد ذلك غيرنا. وقوله عز وجل: **وإلينا المصير**، خص ذلك اليوم بالمصير إليه وإن كانوا في الأوقات كلها صائرين إليه لما ذكرنا من[٦] الوجوه في غير موضع.[٧] *والله أعلم*.

﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾[٤٤]

وقوله عز وجل: **يوم تشقق الأرض عنهم سراعا**، يحتمل أن يكون ما ذكر من السراع هو صفة تشقق الأرض كأنه يقول: يوم تشقق الأرض سراعا لا تنتظر[٨] طرفة عين ولكن تتشقق[٩] أسرع من لمحة[١٠] البصر. ويحتمل أن يكون وصف سرعة خروجهم من الأرض، يقول: يوم يُسرعون الخروج من الأرض. وقوله عز وجل: **ذلك حشر علينا يسير**، وغير الحشر يسير على الله تعالى أيضا،

---

[١] ث: محتمل.
[٢] ر م: يستمعون.
[٣] ن: يحقق.
[٤] م: قبل.
[٥] م: وقبل.
[٦] ن: لما ذكر بأمر.
[٧] انظر مثلا: تفسير الآية ٤٤ من سورة يونس.
[٨] ر: لا ينظر؛ ن ث م: لا ينتظر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٩ظ.
[٩] ر ث م: يتشقق.
[١٠] ر ث م: ولمحة.

ليس شيء أيسرَ عليه من شيء أو أصعبَ من شيء. لكن خص ذلك بالذكر لأن أولئك الكفرة استبعدوا ذلك اليوم واستعظموا كونه فخص ذلك اليوم باليسير لهذا، إذ وجود الأشياء كلها بالتكوين الأزلي. وعبّر عن ذلك بحرف "كُنْ" لمعرفة العباد، لا أن التكوين الذي به وجود المكونات مما يوصف بالحرف، وفي ذلك يستوي ابتداء الخلق وإعادته والحشر وكل شيء. **ولا قوة إلا بالله**. وهو كقوله: وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ.[1] **والله الموفق**.

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾[٤٥]

وقوله عز وجل: **نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار**، يقول -والله أعلم-: اصبر على ما يقولون فنحن أعلم بما يقولون فنكافئهم، أو يقول: عن علم بذلك نتركهم على ذلك ونمهلهم. يُصبّر رسوله صلى الله عليه وسلم على ذلك ليتسلى به بعضَ ما يَحزُن عليه. وقوله عز وجل: **وما أنت عليهم بجبار**، قال بعضهم: من الجبر والقهر، أي ما أنت بقاهر عليهم وجبار تجبرهم[2] على التوحيد. وقال بعضهم: من التجبر والتكبر، والجبار هو الذي يقتل بلا ذنب ولا حق. وقيل: أي وما أنت بِمُسَلَّطٍ / [٧٥٠و] عليهم، وهو كقوله عز وجل: وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا،[3] أي مسلَّطا.

وقوله عز وجل: **فذكّر بالقرآن من يخاف وعيدِ**، أي بلّغ ما أنزل إليك[4] فعليك التبليغ وأنا المجازي بهم والمكافئ بما يفعلون. ثم ليس يَخُصّ بالتذكير من يخاف الوعيد لكن أمر بتذكير الكل إلا[5] أن منفعة الذكرى[6] تكون[7] لمن يخاف الوعيد لا لمن لا يخاف الوعيد فلذلك خصه بالذكر. لكن التخصيص بالذكر لا يكون تخصيصا بالحكم ونفيا عن غيره، فيَبطل بهذا مذهب من ادعى ذلك. والله أعلم[8] بحقيقة ما أراد[9] وإليه المرجع والمآب.[10]

---

[1] ﴿وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شيء قدير﴾ (سورة النحل، ٧٧/١٦).
[2] ر ث م: يجبرهم.
[3] سورة الأنعام، ١٠٧/٦.
[4] ن: إليكم.
[5] ر ث م: لا.
[6] ن: الذكر.
[7] جميع النسخ: يكون؛ ث + لهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٥٩ظ.
[8] ن + بالصواب.
[9] ن – بحقيقة ما أراد.
[10] ر ث – وإليه المرجع والمآب.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الذاريات[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾[١] ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾[٢] ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾[٣] ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾[٤]

قوله عز وجل: **والذاريات ذروا**، سئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن هذه الآية فقال: **والذاريات**، هي الرياح، **فالحاملات وقرا**، هي السحاب، **فالجاريات يسرا**، هي[2] السفن، **فالمقسمات أمرا**، هي الملائكة.[3] وعلى هذا خرج أقاويل[4] عامة أهل التأويل إلا[5] ابن مسعود رضي الله عنه فإنه قال: **والذاريات ذَروا**، هي الملائكة.[6] ثم يحتمل أن تصرف[7] هذه الأحرف كلها من الذاريات وغيرها إلى الرياح خاصة. **والذاريات**، هن يَذْرُون[8] الأشياء ذَروا؛ **فالحاملات وِقرا**، هن[9] يحملن السحاب وغيرها [من الأشياء؛ **فالجاريات يُسرا**، يَجرِين جريا؛ **فالمقسمات أَمرًا**، يُقسِّمْن السحاب وغيرها][10] في الآفاق. وجائز أن يصرف كل حرف من ذلك إلى نوع وجنس

---

[1] ر – سورة الذاريات؛ ن م: ذكر أن سورة والذاريات مكية. ث + وهي ستون آيات مكية.

[2] ر م: هن.

[3] انظر: *تفسير الطبري*، ٢٦/٢٣٩–٢٤١.

[4] ر م: تأويل؛ ث: اولوبل.

[5] ن + أن.

[6] لم أجد هذه الرواية.

[7] جميع النسخ: أن يصرف.

[8] ر: تذريز؛ م ث: تذرين؛ ن: يذرين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٠و. ذَرَتِ الريح التراب وغيره تَذْرُوه وتَذْرِيه ذَرْوًا: أطارته وسَفَتْه وأذهبته، والواو أعلى (*لسان العرب*، «ذرا»).

[9] جميع النسخ: هو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٠و.

[10] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.

على ما حمله أهل التأويل وصرفوه إليه.[1] قال القُتَبِي: ذَرَتِ الريح تذرو[2] ذروًا، ومنه قوله تعالى: فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ.[3] ومنه: "ذَرَّيْتُ البُرّ"، لأن التذرية لا يكون إلا بالريح، و"تَذَرَّيْتُ"، أي أشرفت من الذِرْوة؛ وذَرِئَ الرجل يَذْرَأ ذَرَءًا فهو أذْرَأ، أي شمِط؛[4] وشاة ذَرْآءُ إذا كان في ذَنَبِها بياض. **فالجاريات يسرا**، أي سَهْلا أي تجري[5] السفن في الماء جريا سهلا. وقال أبو عَوْسَجَة: **يسرا**،[6] أي هَيّنا. ثم **المقسمات أمرا**، هم الملائكة. واختلفوا في التقسيم. قال بعضهم: أربعة أملاك يقسمون الأمور: فجبريل عليه السلام ينزل في إنزال العذاب والشدائد؛ وميكائيل ينزل في إنزال النعمة والرخاء والرحمة؛ وإسرافيل في نفخ الصور؛ وملك الموت في قبض الأرواح. فكل واحد من هؤلاء مُوكَّل في أمر على حِدَةٍ. وقال بعضهم: هم الملائكة الذين ينزلون بالوحي يأخذ هذا من هذا، إذ لله تعالى أن يرسل الوحي على يدي من يشاء من ملائكته. *والله أعلم*.

ثم اختلف في ذكر هذه الأشياء من الرياح والسفن والسحاب والملائكة لماذا؟ قال عامة أهل التأويل: إنما ذكرها على القَسَم بها. وقال بعضهم: إنما ذكرها على سبيل تَعداد[7] النعم والمنافع التي جعلها الله تعالى لهم. واحتج هؤلاء وقالوا: إن الله تعالى نهانا عن القسَم بغيره فكيف يُقسم[8] بغيره، فيكون ذكرُ هذه الأشياء على الامتنان لا على القسَم. والقائلون بالقسَم اختلفوا.[9] فمنهم من يقول: القسَم بأعيان هذه الأشياء لعظم منافع هذه[10] الأشياء عند الخلق. ومنهم من يقول: إن القسم بالله تعالى لا بعين هذه الأشياء على الإضمار، كأنه قال: والذي ذَرَأ الذاريات ذَرْوا، والذي[11] خلق الحاملات وِقرا، والجاريات[12] يُسرا، والمقسمات أمرا،

[1] جميع النسخ: وصرفه إليه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٠و.
[2] م: تذرا.
[3] سورة الكهف، ٤٥/١٨. انظر: *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٢٠.
[4] الشَمَط: بياض شعر الرأس يخالِط سواده، وقد شَمِط يشمَط شمْطا (*لسان العرب*، «شمط»).
[5] ر ث م: يجري.
[6] جميع النسخ – يسرا. والزيادة من *الشرح*، ورقة ١٦٠و.
[7] ن: تعديد.
[8] ن: تقسم.
[9] ث + فيه.
[10] ر م – هذه.
[11] ر م: الذي.
[12] ن ث: والجاريات.

وهو كقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾،[١] فيكون القسم بخالق هذه الأشياء لا بأنفسها. وكل واحد من الوجهين محتمل،[٢] لأن القسم خرج لرفع شبهة الكفرة في البعث وارتيابهم فيه بعد ما أقام عليهم حجج البعث وبراهينه على أنه كائن لا محالةَ بحيث لو تأملوا[٣] ونظروا فيها لزال[٤] ذلك الارتياب والشبهة عنهم. والقسم لتأكيد ما وقع عليه بما يكون عندهم له حرمة وقدر وعظمة، فيدلهم ذلك على تأكيد الخبر المَقْرُون بالقسم. فالقسم[٥] من الله تعالى بأنه خالق هذه الأشياء المذكورة مما يَجِلّ ويَعظُم عند الكفرة لما كانوا يُقسِمون بالله تعالى عند عظم الأمور، كما أخبر تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾،[٦] فيصلح لتأكيد ما وقع عليه القسم.

وكذلك القسم بهذه الأشياء يصلح مؤكِّدا لعظم خطر هذه الأشياء عندهم لما يَجِلّ منافع هذه الأشياء، والعرف في الناس أنهم إنما يُقسِمون بالذي عظم خطره وجل قدره عندهم.[٧] فأقسم الله تعالى بهذه الأشياء لما عرَف عظيم[٨] خطرها وجليل قدرها عندهم. فمنافع الرياح مما يكثر عدّها: قد أهلك بها أقواما، وبها استأصلهم؛ وبها تُلَقَّح الأشجار المثمرةُ وغيرها؛ وبها تساق[٩] السحاب في الآفاق للأمطار؛ وبها تجري[١٠] السفن في البحار وغيرها من المنافع؛ وبها سبب حياة الحيوانات بالتنفس[١١] ودخول الريح فيهم، ونحوها من تَذْرِية[١٢] الطعام بحيث لولاها لحَرِج[١٣] الناسُ في التذرية. وفيها آيات، فإن الريح جسم لطيف يُرى ولا يدرك،[١٤] ليعلم أن الرؤية لا توجب[١٥] الإحاطة والإدراك، وغير ذلك من جهة الآيات على ما تقدم.

---

[١] الآية ٢٣ من هذه السورة.
[٢] ر ث م - محتمل.
[٣] ر ث م - بحيث لو تأملوا.
[٤] ر م: لزوال.
[٥] ث: فأقسم.
[٦] سورة الأنعام، ١٠٩/٦.
[٧] ر ن ث: خطره وجل قدره عنده؛ م: وخطره وجل قدره عنده.
[٨] ر - عظيم؛ ث م: عظم.
[٩] جميع النسخ: يساق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٠و.
[١٠] ر ث م: يجري.
[١١] ر ث م: بالنفس.
[١٢] جميع النسخ: في تذرية. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٣] جميع النسخ: ليحرج.
[١٤] ر م: ولا تدرك. لعله يريد برؤية الريح رؤيةَ ما تُحرِك من التراب وأغصان الأشجار وغيرها التي هي أثر الريح.
[١٥] جميع النسخ: لا يوجب. والتصحيح من المرجع السابق.

[٧٥٠ظ] / وكذلك أقسم بالحاملات وِقْرًا، وهي السحاب الذي فيه منافع الخلق من حمل الأمطار والتظليل في الحر ونحو[١] ذلك مع ما فيه من الآيات، إذ هو يمسكها في الهواء حيث لا يقع بسَوْق الرياح مع ما فيه من الحِمْل والوِقْر.[٢] ثم يرسل المطر حيث أمر، إذ قد يوجد السحاب ولا مطر، دل أنه لم يُرسِل بنفسه بل بالأمر يَرفع ويُمسِك ويرسل، وهو في نفسه مسخَّر لا بد له من مسخِّر، إذ لو كان عمله بالطبع لم يختلف باختلاف الأحوال. وفيه آيات البعث، إذ خلْقُ مثله لا يكون إلا لعاقبة.

وكذلك أقسم بالجاريات يُسْرًا، وهي السفن، لما فيها من منافع الخلق إذ لولاها لانقطع[٣] بعض المنافع عن الخلق، إذ ما يحتاج المرء من المنافع[٤] لا توجد[٥] في مكان واحد بل خلقها متفرقة في أماكن. فطريق تحصيل هذه المنافع والحوائج شيئان: الحمل على ظهور الدواب في البر وفي السفن في البحار. مع ما فيها من الآية العظيمة بما جعلها بحيث لا تتسفل[٦] في الماء مع ثقل الأحمال بل يجري بها الريح حيث[٧] ما شاءوا بأمر الله تعالى. والملائكة منافعهم عظيمة ظاهرة، وعِظَم قدرهم وجلالةُ خطرهم[٨] عندهم[٩] واضح.

وإذا كان كذلك فكان القسم بهذه الأشياء لتأكيد الخبر المُقْسَم عليه مما يعقل، وهو متعارَف. ولا معنى لقول أولئك: إنه نهى عباده[١٠] عن القسم بغيره فكيف يقسم بنفسه؟ إذ يجوز أن يقسم هو بشيء ينهانا عن القسم به، إذ القسم بالشيء تبجيل تلك الأشياء وتعظيمها، وإنها لا يستحق التعظيم بأنفسها بل بالله تعالى، فأمرنا بالقسم[١١] بالله تعالى، إذ هو المستحق للتعظيم[١٢] في الحقيقة،[١٣]

---

[١] ن: وغير.
[٢] الوِقر: الحِمل الثقيل (*المعجم الوسيط* «وقر»).
[٣] ن: لا يقطع.
[٤] ن: في المنافع.
[٥] جميع النسخ: لا يوجد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٠ظ.
[٦] جميع النسخ: لا يتسفل. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] ر ث م: وحيث.
[٨] ث: قدرهم
[٩] ر ث م - عندهم.
[١٠] ر: عبادة.
[١١] ث + وتعظيمها وإنها لا يستحق التعظيم بأنفسها بل بالله تعالى فأمرنا بالقسم.
[١٢] ر م + بأنفسها.
[١٣] ث - في الحقيقة.

إذ هو خالق الأشياء كلها. فأما القسم[1] من الله تعالى بشيء ليس لتعظيم ذلك في نفسه بل بيانٌ منه قدرَ منافعه التي للخلق فيه، التي عظمت وجلت عندهم، فيكون لذكرها خطر عندهم. *والله أعلم.*

ثم ذَكَر أفعال هذه الأشياء التي أقسم بها و لم يذكر أنفسها، والقسم إنما يكون بالأنفس لا بالأفعال: فإما أن عرف أولئك الكفرة أنفس هذه الأشياء بذكر أفعالها وقت قرع ذكر[2] هذه الأفعال سمعهم، أو إذا لم يعرفوا يسألون عنها وما أريد بها. ***والله أعلم.***

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾[٥] ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **إنما توعدون لصادق وإن الدين لواقع**، هذا موضع القسم، أقسم بهذه الأشياء لتأكيد الصدق فيما وقع عليه القسم،[3] والصدق إنما يستعمل في الخبر. فكأنه قال: إن ما أخبركم الرسول بالبعث أو وعدكم به[4] لصادق في خبره ووعده؛ إذ الوعد في الجملة مما قد يكون صدقا وكذبا، فأكد هذا الوعد من الرسول بالقسم أنه لصادق فيما وعد من البعث وغيره. وكذلك قوله تعالى: **وإن الدين لواقع**، موضع القسم، أي الجزاء لواقع كائن. وقيل: إن المراد من الدين الحساب، أي إن[5] الحساب لكائن لا محالة. ***والله أعلم.***

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾[٧] ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾[٨] ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **والسماء ذات الحبك إنكم لفي قول مختلف**، أقسم أيضا بالسماء ذات الحبك، وموضع القسم **إنكم لفي قول مختلف**. ثم اختلف في تأويل قوله تعالى: **والسماء ذات الحبك**، روي عن ابن عباس رضي الله عنهما **ذات الحبك**، قال: حسنها واستواؤها.[6] وقال بعضهم: **ذات الحبك**، أي ذات بُنيان مُتقَنة محكمَة.[7] وكلا التأويلين يرجعان إلى واحد، فإن حسن خلق السماء بالإتقان والإحكام، يقال للحائك إذا أحسن النسج وأحكمه: حبَكَ الثوبَ.

---

[1] ث – القسم.

[2] ن – ذكر، صح هـ.

[3] ر ث م – أقسم بهذه الأشياء لتأكيد الصدق فيما وقع عليه القسم.

[4] ث: وأوعدكم به.

[5] ن – إن.

[6] *تفسير الطبري*، ٢٦/٢٤٤-٢٤٥.

[7] ر ث م: محكم.

وقال الحسن: حُبِكت بالنجوم، وحُبِكت بحسن الخَلْق.[1] وقال بعضهم: ذات الشدة والاستواء، يقال: حَبَكْتُ الحبل،[2] أي شددت[3] فتله،[4] كذلك قاله أبو عبيدة.[5] وقال القُتَبي: **ذات الحبك**، أي[6] ذات الطرائق.[7] وكذلك قال[8] أبو عَوْسَجَة. ثم هو على ما ذكرنا من الوجهين أن القسم بعين السماء أو برب[9] السماء. ***والله أعلم***.

ثم قوله[10] عز وجل: **إنكم لفي قول مختلف**، يخرج على وجوه. أحدها إنكم لفي قول مختلف في رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي القرآن ما لو كان ذلك القول منكم عن علم ومعرفة لم يخرج مختلفا متناقضا. لأنهم قالوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه مجنون وإنه ساحر وإنه شاعر وإنه مفتر.[11] وهذا مختلف متناقض؛ لأن الساحر هو الذي يبلغ في معرفة الأشياء غايتها، وكذا الشاعر، ولا يحتمل أن يبلغ المجنون ذلك المبلغ بحال. فيكون نسبتهم إياه إلى هذه الجملة في حال واحدة يخرج على التناقض. وكذلك قولهم في القرآن: إنه أحاديث الأولين، وإنه مفترًى. والافتراء خلاف الأساطير، مع أنهم عجزوا عن إتيان مثله، فيكون هذا متناقضا[12] من القول. فدل اختلافهم في القول فيهما على أنهم قالوا ذلك عن جهل لا عن علم، إذ لو كان عن علم ذلك لكان لا يختلف ولا يتناقض. وهذا الخطاب على هذا التأويل يكون للكفرة.

والثاني إنما قال ذلك في الدلالة على البعث؛ **إنكم لفي قول مختلف**، أي في عقولكم الاختلاف والافتراق بين المصلح والمفسد والمحسن والمسيء، وقد عرفتم الاستواء بينهما في هذه الدنيا.

---

[1] *تفسير الطبري*، ٢٦/٢٤٤.

[2] ر ن م: الجبل.

[3] ن: سددت.

[4] ر م: قبله.

[5] لم يوجد هذا التأويل في *مجاز القرآن* لأبي عبيدة معمر بن المثنى في تفسير هذه الآية (٢/٢٢٩)، بل هو فسّر الحبك هناك بالطرائق.

[6] ر م – أي.

[7] انظر: *غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٢٠.

[8] ث: قاله.

[9] ر ث م: أو رب.

[10] ن: وقوله.

[11] ر م: مفترى.

[12] ر م: متناقض.

دل أن هنالك دارا أخرى / فيها يُفرِّق بينهما ويُميِّز. وهذا التأويل لا يختص به الكافر بل [٧٥١ر] يعم الكل. *والله أعلم*.

والثالث **إنكم لفي قول مختلف**، أي قول متفرِق ومذهب متناقض. فإنهم كانوا يعبدون أشياء على هواهم، فإذا هَوَوْا شيئا آخر تركوا ذلك وعبدوا غيره. وكذلك يقولون قولا بلا حجة[1] ثم يرجعون إلى قول آخر[2] لا ثَبَاتَ لهم على شيء، وهو كقوله تعالى: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ.[3]

والرابع **إنكم لفي قول مختلف**، أي في أمر الآخرة، لأن منهم من يدعي أن الآخرة[4] لهم لو كانت؛ ومنهم من يدعي الشركة مع المسلمين، فرد الله تعالى عليهم بقوله: **يُؤْفَكُ عنه مَن أُفك**، وهو كقوله تعالى:[5] أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ،[6] وقال: أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ.[7]

والخامس يحتمل أي مواعيد هم ومنازلُهم مختلفة في الآخرة. *والله أعلم*.

وذكر بعض أهل التأويل أن الناس كانوا[8] يأتون مكة من البلدان المختلفة ليتفحصوا عن أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسمعوا كلامه، فكان كفار مكة يصدّونهم عنه ويقول بعضهم: إنه مجنون، وبعضهم: إنه كذاب، وبعضهم: إنه[9] شاعر، وذلك[10] قوله تعالى: **إنكم لفي قول مختلف**.

وقوله عز وجل: **يُؤفك عنه من أُفك**، يحتمل وجوها. أحدها أي يُصرَف عن الحق من صُرِف عن النظر والتفكر في العاقبة.

---

[1] ر م: بل حجة.
[2] ر ث م + تركوا ذلك وعبدوا غيره.
[3] سورة آل عمران، ١٠٥/٣.
[4] ث: يدعي الآخرة.
[5] ن – تعالى.
[6] سورة القلم، ٣٥/٦٨-٣٦.
[7] سورة الجاثية، ٢١/٤٥.
[8] ر ن ث – كانوا.
[9] جميع النسخ – إنه. والزيادة من *الشرح*، ورقة ١٦١و.
[10] ن: فذلك.

والثاني صُرِفوا عما رَجَوا في الآخرة لِما صُرِفوا عن الحق في الدنيا، لأنهم كانوا يعبدون الأصنام رجاءَ أن تقربهم[1] عبادتُها إلى الله تعالى وأنها شفعاؤهم عند الله تعالى، يقول تعالى: صُرِف من رجا[2] في الآخرة لما صُرِف عن الحق في الدنيا. ***والله أعلم***.

والثالث يُصرَف من طمع في الآخرة الشَّرِكة مع المسلمين، أو ادعى الخلوص بما صُرِف في الدنيا عن الإيمان الذي به ينال[3] الآخرة.

والرابع **يؤفك عنه**، أي عن الحق، **من أُفك**، أي صُرِف عن الحق من صُرِف، لقوله تعالى: ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُمْ،[4] الآية،[5] وقوله تعالى: فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ.[6]

﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾[١٠]

وقوله تعالى: **قتل الخراصون**، قال أبو بكر الأصم:[7] الخراص الذي يكذب على العمد،[8] ولكنْ عندنا الخراص الذي يكذب[9] ويقطع على الظن، ومنه يقال للذي يُقدِّر[10] الشيء ويُفرِّقه[11] بالظن: خراص. فعلى ذلك يحتمل قوله: **الخراصون**. **ثم** قوله: **قتل الخراصون**، يحتمل حقيقة القتل، وذلك يرجع[12] إلى قوم خاص قتلوا. والثاني **قتل**، أي لعن، واللعن هو الطرد،

---

[1] جميع النسخ: أن يقربهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦١و.
[2] ر ث: من رجاء.
[3] ن – ينال.
[4] سورة التوبة، ١٢٧/٩.
[5] ن – الآية.
[6] سورة الصف، ٥/٦١.
[7] هو أبو بكر عبد الرحمن بن كيسان الأصم (ت نحو ٢٢٥هـ/٨٤٠م)؛ فقيه معتزلي مفسر. وله *تفسير*، و*مقالات* في الأصول، و*مناظرات* مع العَلاّف. وله أيضا أنباء في الرفض والتجسيم. انظر: *لسان الميزان* لابن حجر العسقلاني، ٥١٩/٣.
[8] انظر: *النكت والعيون* للماوردي، ٣٦٤/٥.
[9] ث – على العمد ولكن عندنا الخراص الذي يكذب.
[10] ر م: يقدم.
[11] في هامش *الشرح*: في الأصل ويقوّمه، ورقة ١٦١و. يقول الراغب الإصفهاني في تفسير ﴿قتل الخراصون﴾: «قيل: لُعن الكذابون، وحقيقة ذلك أن كل قول مقول عن ظن وتخمين يقال: خَرصٌ، سواء كان مطابقا للشيء أو مخالفا له، من حيث إن صاحبه لم يقله عن علم ولا غلبة ظن ولا سماع، بل اعتمد فيه على الظن والتخمين، كفعل الخارص في خرصه، وكل من قال قولا على هذا النحو قد يسمى كاذبا –وإن كان قوله مطابقا للمقول المخبَر عنه– كما حُكي عن المنافقين في قوله عز وجل: ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾ (*المفردات*، «خرص»).
[12] ن – يرجع.

أي طُرِدوا عن رحمة الله. وإنما سمي اللعن قتلا لأن القتل سبب التبعيد عن منافع الحياة، وبالقتل خرج من أن يكون منتفعا به، واللعن هو الطرد عن رحمة الله التي[١] بها يقع ويتحقق المنافع في الآخرة. *والله أعلم*. وقال أهل التأويل: **الخراصون**، الكاذبون، وكذا قال أهل الأدب.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **الذين هم في غمرة ساهون**، اختلف في تأويله. قال بعضهم: أي في غفلة، وقال بعضهم: أي في غطاء وغشاء، كقوله تعالى: وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً،[٢] وقوله عز وجل: بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هٰذَا،[٣] أي في غطاء وغُلُف. وقال بعضهم: أي في عَماية عن أمر الآخرة. ولكنّ الكلّ[٤] يرجع إلى معنى واحد. وقوله: **ساهون**، أي ساهون عن الحق وعما دُعوا إليه. وقيل: **ساهون**، أي غافلون، وقيل: أي لَاهُونَ عن التوحيد والإيمان، وقيل: **ساهون**، أي تاركون الإيمان. وأصل السهو هو الترك، وهو كقوله تعالى: نَسُوا اللّٰهَ فَنَسِيَهُمْ،[٥] أي تركوا. ***والله أعلم***.

﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾[١٢] ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **يسألون أيان يوم الدين**، الآية،[٦] كانوا يسألون عن يوم القيامة سؤال استهزاء وعناد لا سؤالَ استرشاد، لذلك قال الله تعالى: **يوم هم على النار يفتنون**، ولو كان سؤالهم سؤال استرشاد لكان لا يأتيهم ذلك الوعيد. ألا ترى أن جبريل عليه السلام أتى[٧] رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عن الإيمان والإسلام في حديث طويل وسأله عن الساعة، فلم يأته الوعيد فلا ذُمَّ في سؤاله ذلك، لأن سؤاله[٨] سؤال استرشاد. وقوم موسى عليه السلام لما سألوا رؤية الرب تعالى بقولهم: أَرِنَا اللّٰهَ جَهْرَةً،[٩] فأُخذوا،[١٠] لأنهم سألوا

---

[١] ر م – التي.
[٢] سورة الأنعام، ٢٥/٦، وسورة الإسراء، ٤٦/١٧.
[٣] سورة المؤمنون، ٦٣/٢٣.
[٤] ن – الكل.
[٥] سورة التوبة، ٦٧/٩.
[٦] ن – الآية.
[٧] ر: أن.
[٨] ث – لأن سؤاله.
[٩] ﴿يسألك أهل الكتاب أن تُنَزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم﴾ (سورة النساء، ١٥٣/٤).
[١٠] جميع النسخ: فأهلكوا؛ وفي *الشرح*: فأخذ، ورقة ١٦١ظ.

سؤال استهزاء وتعنّتٍ لا سؤال استرشاد. وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوا[1] الرؤية أيضا فبُشِّروا ووُعِدوا في الآخرة، لما أنهم سألوا سؤال استرشاد لا سؤال استهزاء. فعلى ذلك أولئك الكفرة سألوا عن القيامة سؤال استهزاء: متى يكون الساعة التي تَعِدُنَا بها وأين[2] وقت العذاب الذي تعدنا به؟ لذلك قال جوابا لهم: **يوم هم على النار يُفْتَنُون**. ***والله أعلم***.[3]

[٧٥١ظ] /وفي[4] الآية دلالة على أن الحكم لا يُبْنَى على ظاهر المخرج، فإنه لا فرق بين سؤال الكفرة رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة وبين سؤال جبريل عليه السلام إياه عن الساعة. ثم أجاب لجبريل عليه السلام: ما المسئول بها بأعلم من السائل.[5] ثم الجواب للكفرة: **يومَ هُمْ على النار يفتنون**. ثم من شهد[6] النوازل عَلِم المراد من النازلتين أن أحد السؤالين خرج على الاستهزاء والآخرَ على الاسترشاد، فحَمَلوا أحدَ[7] الجوابين على إحدى الحالتين والآخر على الحال الأخرى. دل أن الحكم لا يُبْنَى على ظاهر المخرج، ولكن يجب النظر فيه[8] ليعرف المراد إما بالسؤال ممن[9] شهد النازلة أو من حيث المعنى المودع فيه. ***والله أعلم***.

ثم قوله: **يوم هم على النار يفتنون**، يخبرهم[10] عن اليوم الذي سألوا عنه على الاستهزاء وهم منكرون في الحقيقة له، فقال: هو اليوم الذي[11] يفتنون فيه. وقيل: فيه بوجهين. أحدهما **يفتنون**، أي يُبتلَوْن ويمتحنون بالشدة والعذاب. والفتنةُ هي المحنة التي فيها الشدة والبلاء، فسمى العذاب فتنة لما فيه من الشدة. و[الثاني] قال بعضهم: **يفتنون**، أي يحرقون.

---

[1] ر م: وسألوا.
[2] ن: وأن.
[3] ن – والله أعلم.
[4] ن: وكذلك في.
[5] يشير المؤلف إلى حديث معروف بحديث جبريل عليه السلام، انظر: صحيح *البخاري*، الإيمان ٣٧؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان، ١.
[6] م: مشهد.
[7] جميع النسخ: إحدى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦١ظ.
[8] ر م – فيه.
[9] ر ث م: ممن.
[10] ن: يحشرهم.
[11] ر ث م – سألوا عنه على الاستهزاء وهم منكرون في الحقيقة له فقال هو اليوم الذي.

﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **ذوقوا فتنتكم**، أي ذوقوا العذاب الذي[١] فيه الشدة. وقوله عز وجل: **هذا الذي كنتم به تستعجلون**، أي تستعجلون في الدنيا وتزعمون أنه لا يكون في الآخرة.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾[١٥]

وقوله[٢] عز وجل: **إن المتقين في جنات وعيون**. والإشكال كيف ذكر أن المتقين في جنات وعيون، وهم يكونون في جنات فأما في العيون فلا يحتمل. لكن نقول:[٣] معناه أنهم يكونون في جنات[٤] ويكونون في العيون[٥] بحيث يرونها وتقع[٦] عليها أبصارهم وينتفعون بها، وهو كقوله تعالى: يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ،[٧] وإنما هم يلبسون السندس فأما الإستبرق فهو للبسط[٨] وغير ذلك من الانتفاع به. فعلى ذلك ما ذكر من كون المتقين في جنات وعيون يكونون في الجنة وينتفعون بالعيون. *والله أعلم*. ثم قوله[٩] عز وجل: **إن المتقين**، أي الذين اتقوا الشرك والكفر. ويحتمل الذين اتقوا مخالفة الله على الإطلاق عملا وقولا واعتقادا. ويحتمل أي الذين اتقوا المهالك.

﴿آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **آخذين ما آتاهم ربهم**، يحتمل وجهين. أحدهما أي قابلين[١٠] ما آتاهم ربهم في الدنيا من القدرة والقوة والمال بحق الله تعالى والقيام[١١] بشكره والعبادة له والاستعمال في طاعته، لذلك قال: **إنهم كانوا قبل ذلك محسنين**، أي قبلوا ذلك بحق الإحسان فاستعملوها

---

[١] ر م – الذي.
[٢] ر: قوله.
[٣] ن: يقول. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦١ظ.
[٤] ر ث م – فأما في العيون فلا يحتمل لكن نقول معناه أنهم يكونون في جنات.
[٥] جميع النسخ: من العيون. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] ن: ويقع.
[٧] سورة الدخان، ٤٤/٥٣.
[٨] جميع النسخ: فهو البسط. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦١ظ.
[٩] ن: وقوله.
[١٠] ر ث: قائلين.
[١١] ن: أو القيام.

في حق الله تعالى والقيام بطاعته. وعلى هذا التأويل كأنه على التقديم والتأخير: إن المتقين في جنات وعيون، إنهم كانوا قبل ذلك محسنين، آخذين ما آتاهم ربهم، أي إنما نالوا الجنة لما أنهم كانوا في الدنيا كذلك.

والثاني ما قاله[1] أهل التأويل: **آخذين ما آتاهم ربهم،**[2] في الآخرة، أي راضين بما أعطاهم الله من النعم[3] في الجنة، وهو كقوله تعالى:[4] ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾.[5] وعلى هذا يخرج تأويلهم في قوله عز وجل:[6] **إنهم كانوا قبل ذلك محسنين،** في الدنيا.

﴿كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾[١٧] ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[١٨]

ثم نعت إحسانهم فقال عز وجل: **كانوا قليلا من الليل ما يهجعون،** أي قليلا ما ينامون بالليل. وقوله تعالى:[7] **وبالأسحار هم يستغفرون،** قال أهل التأويل جميعا: أي يصلّون. وإنما حملوا عليها لأن الاستغفار طلب المغفرة، وذلك مرة بالصلاة ومرة باللسان ومرة بدفع المال، ويحتمل حقيقة الاستغفار أيضا. وإنما مدحهم بذلك لأن أرجى وقت الاستغفار وقت السحر، لما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال لنافع: إذا كان وقت السحر فأعلمني به، فكان هو يصلي إلى وقت السحر ثم يدعو ويستغفر في ذلك الوقت.[8]

﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **وفي أموالهم حق للسائل والمحروم،** قال بعضهم: إن الآية في الزكاة. لكن هذا لا يحتمل، لأن[9] السورة مكية و لم يكن بمكة الصدقة المفروضة، إلا أن يقال: إن السورة مكية إلا هذه[10] الآيات إن ثبت. وجائز أن يكون ذلك الحق ليس هو المفروضَ ولكنْ حقٌّ سوى الفرض.

---

[1] ر م: ما قاله.

[2] ث – أي إنما نالوا الجنة لما أنهم كانوا في الدنيا كذلك والثاني ما قاله أهل التأويل آخذين ما آتاهم ربهم.

[3] ر ث م: من النعيم.

[4] ر م: ما قاله.

[5] سورة المائدة، ١١٩/٥؛ وسورة التوبة، ١٠٠/٩؛ وغيرهما.

[6] جميع النسخ: وقوله عز وجل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦١ظ.

[7] جميع النسخ – أي قليلا ما ينامون بالليل وقوله تعالى. والزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.

[8] انظر: مختصر *قيام الليل* لمحمد بن نصر المروزي، ٩٦.

[9] ر: أن.

[10] ن: إلا أن هذه.

وقيل: إن الآية نزلت في قوم خاص جعلوا على أنفسهم أن لا يرُدُّوا سائلا ولا محروما[١] ولا يمنعوا أموالهم من أحد، فمدحهم بذلك. ألا ترى أنه ذكر الحق للسائل والمحروم، وقد بين مصارفَ الزكاة الأصنافَ الثمانية بقوله[٢] تعالى: إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ -إلى قوله تعالى- فَرِيضَةً مِنَ اللّٰهِ.[٣]

ثم اختلف في تأويل المحروم والسائل. قال عامة أهل التأويل: المحروم هو الذي لا سهم له في الغنيمة والفيء بأن لا يحضر وقت قسمة الغنيمة فلا ينال شيئا منها ويُحْرَم عن ذلك. وقال بعضهم: المحروم الذي هلك زَرْعه وكَرْمه ببلاء أصابه يُحْرَم عن ذلك، كما وصفهم في سورة الواقعة: إِنَّا لَمُغْرَمُونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ،[٤] فلما حُرِموا زَرْعَهم وُصِفوا بذلك. وقيل: المحروم الذي لا يعرف[٥] حِرفةً ولا كسبا[٦] وهو مُحارَف[٧] أيضا. وقيل: المحروم المتعفف الذي به فقر لكنه لا يسأل الناس شيئا، والسائل الطوّاف. وعندنا الفقراء ثلاثة: السائل الذي يطوف ويسأل / الناس، والمُعْتَرّ[٨] الذي يَعتَرّ الناس ويُظهِر حاجته للناس ويَتعرض [٧٥٢و] للسؤال ولا يسأل صريحا؛ والمحروم هو الذي يستر فقره وحاجته عن الناس لا يسألهم ولا يعترّ لذلك. ثم جائز أن يكون سماه محروما، أي حُرِم المكاسب وأسبابَ العيش من التجارة والحرفة وغيرهما. وجائز أن يكون له المكاسب والأسباب لكنه محروم عن أبدال[٩] المكاسب والأرباح في التجارة يكتسب ويعمل بتلك الأسباب لكنه مُحَارَف لا يُرْزَق منها شيء. **والله أعلم.**

---

[١] ر: ولا محرما.

[٢] ن + بقوله.

[٣] ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلَّفة قلوبُهم وفي الرِّقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾ (سورة التوبة، ٩/٦٠).

[٤] ﴿أفرأيتم ما تَحرُثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حُطاما فَظَلْتُمْ تَفَكَّهون إنا لَمُغْرَمُون بل نحن محرومون﴾ (سورة الواقعة، ٥٦/٦٣-٦٧).

[٥] ر ث م: لا يعلم.

[٦] ن: وهو كسبا.

[٧] المُحارَف الذي لا يُصيب خيرًا من وجهٍ توجه له، والمصدر الحِراف (*لسان العرب*، «حرف»).

[٨] المُعْتَرّ: الفقير المتعَرِّض للمعروف من غير أن يَسأَل (*لسان العرب*، «عرر»). ويشير المؤلف رحمه الله إلى هذه الآية: ﴿والبُدْنَ جعلناها لكم من شَعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صوافَّ فإذا وجبت جُنوبها فكلوا منها وأطعِموا القانِع والمُعْتَرّ﴾ (سورة الحج، ٢٢/٣٦).

[٩] جميع النسخ: عن إنزال. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٢و.

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **وفي الأرض آيات للموقنين**، هذا يخرج على وجهين.[١] أحدهما أي في الأرض آيات ينتفع بها الموقنون، وهم المؤمنون الذين علموا[٢] الآيات بطريق الإيقان. ويحتمل في الأرض آيات يعلم الموقنون حقيقةً أنها آيات، فأما[٣] غيرهم فلا. *والله أعلم*. ثم يحتمل آيات الأرض آيات التوحيد وآيات البعث وآياتِ القدرة وغير ذلك على ما ذكرنا أنه خلق على وجه الأرض من الدواب والأشجار والنبات[٤] وأنواع الثمار من غير أن عرف الخلقُ كيفية وجودها ومائياتها[٥] وأنه لم يُخْلَق مثلُها للفَناء خاصة، فتكون[٦] آياتٍ لما ذكرنا. وقيل: أي في خلق الأرض آيات وهو أن خلقها وكانت تَميد بأهلها ثم أرساها بالجبال حتى استقرت. *والله أعلم*.

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[٢١]

وقوله عز وجل: **وفي أنفسكم أفلا تبصرون**، صلة قوله: وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ،[٧] أي وفي أنفسكم أيضا آيات أفلا تبصرون، أي آيات الوحدانية والربوبية وآيات البعث وآية وجوب الشكر والعبادة والامتحان. أما آيات الربوبية وهو أن الله تعالى أنشأ هذا البشر من نطفة، ثم قَلَب تلك النطفة علقة، ثم قلب[٨] العلقة مضغة ثم المضغة عظْما[٩] ولحْما، ثم ركّب فيها الجوارح في ظلمات ثلاث،[١٠] ما رأى المصالح له في الاستواء والصحة سليمةً عن الآفات غير متفاوتة. فدل أنه فعل واحد لا عددٍ، وأن له القدرة الذاتية والعلم الذاتيّ لا المستفادَ، وأن ما قلّبهم من حال إلى حال وما ركّب فيهم الجوارح التي بها يقبضون وبها يأخذون وبها يدفعون ويُسلّمون وبها يبصرون ويسمعون وبها يمشون، لم يفعل بهم ليتركهم سُدًى

---

[١] ن: على الوجهين.
[٢] ث: عملوا.
[٣] ر: وأما.
[٤] ر م: والأشجار من النبات.
[٥] ر: وماء ياتها؛ م: ومائيتها.
[٦] جميع النسخ: فيكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٢و.
[٧] الآية السابقة.
[٨] ر م – قلب.
[٩] ر م: عظاما.
[١٠] يشير المؤلف إلى قوله تعالى: ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث﴾ (سورة الزمر، ٦/٣٩).

ويُمهِلهم ولا يمتحنهم[١] ولا يأمرهم ولا ينهاهم، وأنه حيث سخر جميع الخلائق من السماء والأرض وما بينهما ما سخر إلا ليمتحنهم وليستأدي منهم شكر ذلك كله. وفيه آية البعث، لأنه لا يحتمل أن يكون منه[٢] ما ذكرنا ثم لا يبعثهم ليُثَاب المحسنُ منهم ويُعاقَب المسيءُ ويُجازَى كلٌّ[٣] بقدر عمله، إذ لو لم يكن لكان خلقه إياهم عبثا باطلا على ما ذكرنا في غير موضع.

وقيل: **وفي أنفسكم**، أي في خلق أنفسكم، **أفلا تبصرون**، أنه كيف سَوَّى أنفسكم على أحسن الصور وأحسن التقويم بعد أن كان أصلها وجوهرها من ماء. وكذلك أصل جواهر الأنعام والبهائم من نطفة أيضا، ثم ركَّبها[٤] على صور صالحة لمنافعكم. وركَّبكم على أحسن الصور؛ ثم جعل فيكم من العقل والسمع والبصر ما يُدرَك بها حقائقُ الأشياء المحسوسة والمعاني الحِكَمِيَة لتتأملوا[٥] في ذلك كله، فتكونَ[٦] آيةَ الوحدانية وآيةَ إلزام الشكر والعبادة له. *والله الموفق*.

﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **وفي السماء رزقكم وما توعدون**. قال أبو بكر الأصم: **وفي السماء رزقكم وما توعدون**، أي في السماء رزقكم وما توعدون[٧] من الخير والشر. وقال الحسن وغيره: **وفي السماء رزقكم**، أي المطرُ الذي ينزل منها في الأرض فينبت[٨] فيها[٩] بذلك المطر من أنواع الأرزاق من الحبوب والثمار والفواكه وغيرها، كل ذلك سببه من السماء، لذلك أضاف إليها.[١٠] *والله أعلم*. وجائز أن يكون ما ذكر من أرزاقنا أنها في السماء المطر وجميعَ ما سخر لنا فيها من الشمس والقمر والملائكة حيث جعل صلاح ما في الأرض جميعا من الأرزاق والأغذية بذلك الأشياء التي في السماء من الإنضاج بالشمس والقمر وحفظ الأرزاق والأمطار بالملائكة،

---

[١] ن ث: فلا يمتحنهم.
[٢] ن – منه.
[٣] جميع النسخ: كلا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٢ظ.
[٤] جميع النسخ: ثم ركبهم.
[٥] جميع النسخ: ليتأملوا.
[٦] جميع النسخ: فيكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] ن – قال أبو بكر الأصم وفي السماء رزقكم وما توعدون أي في السماء رزقكم وما توعدون.
[٨] ر م: فنبت؛ ن: فيثبت؛ ث: فثبت. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ن: بها.
[١٠] انظر: *تفسير الطبري*، ٢٦/٢٦٥-٢٦٦.

فإنهم جُعِلوا موَكَّلين ممتَحَنين بذلك[1] حيث قال تعالى: فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا،[2] هي الملائكة. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **وما توعدون**، كل موعود من مرغوب أو مرهوب من السماء. *والله أعلم*.

﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **فورب السماء والأرض إنه لحق**، يحتمل قوله: **إنه لحق**،[3] أي الساعة والقيامة، ويحتمل **إنه لحق**، أي جميع ما جاء به محمد[4] صلى الله عليه وسلم. وقوله عز وجل: **مثل ما أنكم تنطقون**، يحتمل أن يقول -والله أعلم-: كما أنكم لا تَشُكّون[5] فيما تنطقون فعلى ذلك لا تَشُكّون[6] في أمر الساعة وقيامها وكونها، كما يقال: هذا ظاهر بيّن كالنهار. وقال الزجاج: **إنه لحق**، أي إنه[7] لحق مثل حضوركم ونطقكم ومثل النهار، أو كلام نحوه.[8] ويحتمل أن يقول: إن من قَدَر على إنطاق هذه الألسن وتكليمِها حتى يُفهَم منها حاجتُهم -وهي قطعة لحم[9] وليس فيها[10] شيء من آثار النطق والكلام، إذ يكون مثله للبهائم ثم لا يُفْهَم منه[11] ذلك ولا يكون منه[12] ذلك النطق- قَدَر على البعث والإعادة، إذ هذا في الأعجوبة أكثر[13] وأعظم من ذاك. /[٧٥٢ظ] *والله الموفق*.

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين**. قد ذكرنا فيما تقدم في غير موضع أن حرف الاستفهام من الله تعالى على الإيجاب والإلزام. وقوله عز وجل: **هل أتاك**،

[1] جميع النسخ: لذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٢ظ.
[2] الآية ٤ من هذه السورة.
[3] ر – يحتمل قوله إنه لحق.
[4] ث – محمد.
[5] ن: لا يشكون.
[6] ن: لا يشكون.
[7] ر م – إنه.
[8] *معاني القرآن* للزجاج، ٥/٥٣-٥٤.
[9] جميع النسخ – لحم. والزيادة من *الشرح*، ورقة ١٦٢ظ.
[10] ر: منها.
[11] جميع النسخ: منها. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] جميع النسخ: منها. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] ن: أكبر.

يخرج على وجهين. أحدهما أي قد أتاك حديث ضيف إبراهيم فحَاجّ به أولئك وخَاصِمْ. والثاني لم يأتك بعد ولكن سيأتيك حديث[1] ضيف إبراهيم، فإذا أتاك به فحَاجّ على أولئك الكفرة به. *والله أعلم*. ثم قوله: **حديث ضيف إبراهيم،** دل أن اسم الضيف يقع على من يَطْعَم ويتناول وعلى من لا يَطْعَم ولا يتناول، لأنه سَمّى الملائكة ضيف إبراهيم وإن لم يطعموا و لم يكن غذاؤهم الطعامَ. وفيه أن الضيف اسم يقع على الفرد[2] والجماعة. وقوله عز وجل: **المكرَمين،** سماهم مكرَمين لأن إبراهيم عليه السلام كان يخدمهم ويقوم بين أيديهم، وذلك هو الإكرام الذي صاروا به مكرَمين. ويحتمل أن سماهم مكرَمين لأنهم كانوا أهل كَرَم وشَرَف عند الله تعالى. *والله أعلم*.

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون،** وقال في آية أخرى:[3] إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ.[4] ذكر هاهنا سلام الملائكة عليهم السلام[5] و لم يذكر سلام إبراهيم صلوات الله عليه إنما ذكر وَجَلَه منهم، وذكر في الأول سلامَ الملائكة عليهم الصلاة والسلامُ عليه[6] وسلامَ إبراهيم عليه السلام عليهم، وذكر أنهم قوم منكرون. وقال في آية أخرى: فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً.[7] قال بعضهم: إنما أوجس منهم الخيفة لما خشي أن يكونوا سُرّاقا، لأنه كان بين إبراهيم عليه السلام وبين المكان[8] الذي انتابوا منه مصرِف[9] بعيد ما يحتاج المنتاب[10] إلى طعام، فإذا امتنعوا عنه خاف أن يكونوا سُرّاقا،[11] إذ لا يمتنع عن التناول إلا السُرّاق. لكن هذا ليس بشيء، لأنه قد كان منهم السلام، والسلام أحد علامة الأمان. لكن يكون خوفه بعد ما عرف أنهم ملائكة لما علم أن الملائكة عليهم السلام

---

[1] ر م + حديث.
[2] جميع النسخ: على العدد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٢ظ.
[3] ر م + إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون وقال في آية أخرى.
[4] سورة الحجر، ٥٢/١٥.
[5] ن – السلام.
[6] جميع النسخ – عليه. والزيادة من *الشرح*، ورقة ١٦٣و.
[7] سورة هود، ٧٠/١١.
[8] جميع النسخ – المكان. والزيادة من *الشرح*، ورقة ١٦٣و.
[9] ر ث م: بصرف. وفي هامش *الشرح*: «في الأصل مَضْرِبٌ» (ورقة ١٦٣و).
[10] ر: المتاب.
[11] ر م – سراقا.

لا ينزلون إلا لأمر عظيم لإهلاك قوم أو لتعذيب أمة، كقوله تعالى: مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ،[1] وقوله عز وجل: وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ،[2] هذا يحتمل. *والله أعلم*. ثم قوله: **قوم منكرون**، جائز أن يكون هذا إخبارا من الله تعالى أنهم قوم منكرون، أي غيرُ معروفين[3] عندنا لم نعرفهم،[4] وقد ذكرنا هذا فيما تقدم.[5]

﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾[٢٦] ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾[٢٧]

وقوله عز وجل: **فراغ إلى أهله**، قيل: راغ، أي مال، لكن قوله: **فراغ**، أي مال[6] إلى أهله على خفاء من أضيافه وسرّ منهم، ولذلك سمي الطريق المختفي رائغا، وهو من[7] رَوَغَان الثعلب.[8] وقيل: زائغا بالزاي.[9] وقيل: راغ، أي رجع. وذكر محمد في بعض كتبه: في زائغة[10] مستطيلة،[11] وقيل: رائغة. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **فجاء بعجل سمين، فقربه إليهم قال ألا تأكلون**، وقال في موضع آخر: فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ،[12] والحنيذ هو المشويّ. وقيل: هو الذي يُشوَى في الأرض بغير تَنُّور. *والله أعلم*. وقال بعضهم: الحنيذ الذي أُنْضِج بالحجارة. وقيل: الحنيذ هو الصغير[13] الذي كان غذاؤه اللبن لا غير. *والله أعلم*.

وما ذكر أهل التأويل في قصة إبراهيم عليه السلام أنه لما قرّب إليهم العجل قالوا: لا نأكله[14] إلا بثمن. قال: فكلوه[15] وأدُّوا ثمنه، قالوا: وما ثمنه؟ قال: تُسمّون[16] الله تعالى جل وعلا

---

[1] سورة الحجر، ٨/١٥.
[2] سورة الأنعام، ٨/٦.
[3] ر م: معروف.
[4] جميع النسخ: لم يعرفهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٣و.
[5] انظر: تفسير الآية ٧٠ من سورة هود، وتفسير الآية ٦٢ من سورة الحجر.
[6] ن ث – أي مال.
[7] م – من.
[8] راغ الصيد والثعلب: ذهب هاهنا وهاهنا (*لسان العرب*، «روغ»).
[9] ن: رائغا بالراي.
[10] ن: في رائغة.
[11] انظر: *الجامع الصغير* للإمام محمد بن الحسن الشيباني، ٣٨٤.
[12] سورة هود، ٦٩/١١.
[13] ث – الصغير.
[14] م – لا نأكله.
[15] ر ث م: فللوه.
[16] ر ث م: يسمون.

إذا أكلتم وتحمدونه[١] إذا تركتم. قال: فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا: لهذا اتخذك الله خليلا، وغير ذلك من الكلام،[٢] فنحن لا نذكر إلا قدر ما ذكره الله تعالى[٣] في الكتاب مخافة أن تدخل[٤] الزيادةُ أو النقصان[٥] عما في كتبهم ويجد أهل الإلحاد في ذلك مقالا. وهذه الأنباء إنما ذكرت حجةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم في إثبات الرسالة، فإذا قيل في ذلك ما يُخاف أن يكون في ذلك زيادة أو نقصانٌ عما ذكر[٦] في كتبهم كان الإمساك والكف عنه أولى.

﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾[٢٨]

وقوله عز وجل: **فأوجس منهم خيفة**، أي أحسّ ووجد منهم خيفة[٧] لما ذكرنا. وقوله عز وجل: **قالوا لا تخف**، لا لذلك أُرسِلنا. ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **وبشروه بغلام عليم**، يحتمل قوله: **عليم**، وجهين. أحدهما أي بشروه بغلام يصير عليما إذا كبِر. والثاني بشروه بغلام يُولَد عليما يؤتيه الله تعالى علما في بطن أمه أو إذا وُلد[٨] في صغره. ولله أن يؤتى العلم من يشاء في حال الصغر والكبر، ألا ترى أنه قال عز وجل في عيسى عليه السلام: وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا.[٩] فعلى ذلك يحتمل هذا. ***والله أعلم***. ثم ذلك الغلام هو إسحاق عليه السلام لأنه بين في آية أخرى فيمن كانت البِشارة حيث قال: فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ،[١٠] دل أن البشارة إنما كانت[١١] بإسحاق. ثم ذكر في سورة هود عليه السلام البشارة لامرأته حيث قال: فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ، وذكر في هذه السورة البشارة لإبراهيم عليه السلام بقوله: **وبشروه بغلام عليم**. لكن جائز أنه لما بشرها بالولد بشرها بالولد منه، وإذا بشر إبراهيم عليه السلام بالولد إنما بشره بالولد[١٢] منها، فإذا بُشّر أحدهما بالولد من الآخر فيكون البِشارة لهما جميعا. ***والله أعلم***.

---

[١] ث: وتحمدون.
[٢] انظر: *تفسير الطبري*، ١٢/٩٤؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٨/٩٧-٩٨.
[٣] جميع النسخ – الله تعالى. والزيادة من *الشرح*، ورقة ١٦٣و.
[٤] ر م: أن ندخل؛ ن: أن يدخل.
[٥] جميع النسخ: والنقصان.
[٦] جميع النسخ – ذكر. والزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.
[٧] ر ث م – أي أحس ووجد منهم خيفة.
[٨] جميع النسخ: وإذا ولد. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] سورة مريم، ١٩/١٢.
[١٠] سورة هود، ١١/٧١.
[١١] ث: دل أنما كانت البشارة.
[١٢] ر ث م – إنما بشره بالولد.

قال أبو بكر الأصم: دل قوله تعالى: فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ -إلى أن قال- وَهٰذَا بَعْلِي شَيْخًا،[1] أن إسحاق كان أكبر من إسماعيل، لأنها لما بُشِّرت بالولد أَخبَرت[2] أنها عجوز وأنها عقيم وأن بعلها شيخ.[3] / ولو كان إسماعيل هو الأولَ وكان الآخرُ على قرب منه ليس بينهما زمان [٧٥٣و] مديد لم يكن يبلغ إبراهيم عليه السلام في ذلك[4] المقدار من الوقت ما يخبر عن إياس الولد منه. دل أن إسحاق هو المتقدّم[5] وأنه أكبر من إسماعيل عليه السلام. إلا أن هذا خلاف ما عليه أهل التأويل أن إسماعيل عليه السلام كان أكبر من إسحاق عليه السلام.

﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها**، ذكر ههنا الإقبال، وقال في آية أخرى في سورة هود: وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ،[6] وذكر هناك القيام. فجائز أن لا يكون على حقيقة الإقبال ولكن لما ذكر فعلها، وهي الصَرَّة وصَكّ الوجه، ذكر الإقبال من[7] غير أن كان منها الإقبال من المكان، أي أَقْبَلَت فصكّت[8] وجهها في صرة، كما قال عز وجل: أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ،[9] أمَر بالرؤية والنظر إلى الفعل الذي ذكر، وهو[10] مد الظل، وإذا ذكر النفس دون الفعل فالمراد منه النظر إلى نفسه لا غير -والله أعلم- فعلى ذلك هذا. ثم قوله تعالى: **في صرة**، أي في صيحة.[11] وقوله عز وجل: **فصكت وجهها**، أي ضربت وجهها بيدها تعجبا منها بتلك البشارة التي بُشِّرت بالولادة. وقوله عز وجل: **وقالت عجوز عقيم**، وكانت كما أَخبَرت عجوزا عقيما.

---

[1] ﴿وامرأتُه قائمةٌ فضحكت فبشَّرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوبَ قالت يا ويلتىٰ أألِدُ وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا﴾ (سورة هود، ١١/٧١-٧٢).

[2] جميع النسخ: أخبر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٣و.

[3] ن: شيخا.

[4] ن: هذا.

[5] ر ث م: المقدم.

[6] سورة هود، ١١/٧١.

[7] ر م - من.

[8] جميع النسخ: فصك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٣ظ.

[9] سورة الفرقان، ٢٥/٤٥.

[10] ر م: ذكروا هو.

[11] ن: في صبحة.

﴿قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **كذلك قال ربك**، أي على علم بالحال التي أنتِ بُشِّرتِ بذلك لا عن جهل. وقوله عز وجل: **إنه هو الحكيم العليم**، أي حكيم واضع الولد في موضعه، عليم[١] بمصالح الأمور وعواقبها. ***والله أعلم.***

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾[٣١] ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾[٣٢]

وقوله عز وجل: **قال فما خطبكم أيها المرسلون**، أي ما شأنكم ولأي أمر أُرْسِلْتم: أُرسِلْتم بالبِشارة خاصة أو لأمر آخر أو لهما جميعا؟ فأجابوا وقالوا: **إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين**، وقال في آية أخرى: إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ،[٢] كأن الاستثناء هاهنا لم يكن مذكورا في خبر الملائكة، وإنما ذكر في الخبر الذي قال إبراهيم عليه السلام حيث قال: إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ.[٣] فدل ذكر الثُّنْيا[٤] منهم بعد سؤال إبراهيم عليه السلام وإخباره إياهم أن فيها لوطا أن تأخير البيان عن الكلام جائز. ***والله أعلم.***

﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾[٣٣]

وقوله عز وجل: **لنرسل عليهم حجارة من طين**، دل قوله تعالى: **حجارة من طين**، على أن ما ذكر في آية أخرى: حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ،[٥] أن السجيل ليس هو اسمَ المكان على ما ذكر بعض أهل التأويل، ولكن السجيل اسم الطين على ما ذكره هاهنا، وهو طين مطبوخ كالآجرّ، إلا أن يقال هو طين حُمِل من مكان يسمى سجيلا. ***والله أعلم.***

﴿مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾[٣٤]

وقوله عز وجل: **مسومة**، أي مُعْلَمَة، **عند ربك للمسرفين**. ثم الإعلام يحتمل وجهين. أحدهما مُعْلَمة مسوّمة باسم من تقع عليه ويُهْلَك بها، أي مكتوب عليها اسمه. والثاني مُعْلَمَةً في نفسها حتى يعلم كل أحد أنها للهلاك جاءت وأنها أرسلت لذلك مخالفة لسائر الأحجار. ***والله أعلم.***

---

[١] جميع النسخ: العليم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٣ظ.

[٢] سورة الحجر، ١٥/٥٨-٥٩.

[٣] سورة العنكبوت، ٢٩/٣٢.

[٤] ر: الثناء؛ م: الثياء. الثَّنْوة: الاستثناء، والثُّنْيانُ بالضم الاسم من الاستثناء، وكذلك الثَّنْوَى، بالفتح. والثُّنيا والثُّنْوى ما استثنيته (*لسان العرب*، «ثني»).

[٥] سورة هود، ١١/٨٢؛ وسورة الحجر، ١٥/٧٤.

﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٣٥] ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[٣٦]

وقوله عز وجل: **فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين**، قوله: **فيها**، كناية عن قرية لوط. وقوله: **غير بيت من المسلمين**، هو منزل لوط عليه السلام. دل تسميةُ الملائكة إياهم مؤمنين ومسلمين على أن الإسلام والإيمان واحد، وقد بينا جهة الاتحاد بينهما في غير موضع.[١]

﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾[٣٧]

وقوله عز وجل: **وتركنا فيها آية**، أي تركنا في قَرَيَّات[٢] لوط عليه السلام التي أهلكنا[٣] آية وعبرة[٤] لمن بعدهم، وهو ما ذكر في آية أخرى: وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ،[٥] أي إنكم لتمرون على أولئك الذين أُهْلِكوا وعُذِّبوا[٦] بالليل والنهار وتعلمون[٧] أنهم بم[٨] أُهْلِكوا وبم[٩] عُذِّبوا، [عذّبوا] بالتكذيب والعناد، والذين نجوا إنما نجوا بالتصديق والإسلام، وذلك آية[١٠] لمن بعدهم. ثم قال: **للذين يخافون العذاب الأليم**، أي يكون ذلك آية للذين يخافون العذاب الأليم، وهم المؤمنون، أي هم المنتفعون بها. ***والله أعلم***.

﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾[٣٨]

وقوله: **وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين**، فيما[١١] ذكر من قصة موسى ولوطٍ[١٢] وقصة إبراهيمَ وقصة هودٍ وثمودَ وهذه الأنباء[١٣] تفسير لقوله تعالى: وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ.[١٤]

---

[١] انظر: «فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية» في أواخر المجلدات «الإيمان» و«الإسلام».

[٢] جمع قرية كضَخْمة وضَخَمات، وشَرْبة وشَرَبات (*لسان العرب*، «ضخم»)؛ ويتلفظ أيضا القُرَيَّات.

[٣] جميع النسخ: أهلكها. والتصحيح من *الشرح*، نسخة حميدية، ورقة ٧٣٠ظ.

[٤] ن: وغيره.

[٥] سورة الصافات، ٣٧/١٣٧-١٣٨.

[٦] ر م: أو عذبوا.

[٧] ر م: يعلمون؛ ن ث: ويعلمون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٣ظ.

[٨] جميع النسخ: ثم. والتصحيح من المرجع السابق.

[٩] ر ن م: وثم.

[١٠] ر م: إنهم.

[١١] ن: فما.

[١٢] ر م: ولوطا.

[١٣] جميع النسخ: وهذه الأشياء. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٤] الآية ٢٠ من هذه السورة.

ثم الآيات في الأرض من وجهين. أحدهما فيما خلق في الأرض من الخلائق. والثاني فيما في الأرض من أنباء السلف وأخبارهم من مكذّبي الرسل ومصدّقيهم.[١] أي[٢] في هلاك من هلك من مكذّبيهم[٣] ونجاة من نجا من مصدّقيهم آيات لمن ذكر. فهذه الأنباء والقِصص التي ذكرت هاهنا تفسير لقوله تعالى: وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ.

﴿فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾[٣٩]

وقوله: **فتولى بركنه**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما أي فتولّى هو وركنُه، وهم جنوده وقومه، عن اتِّباع موسى عليه السلام وما يدعوهم إليه. والثاني أي فتولّى هو بقوة ركنه وهم قومه، أي تولّى عن الحق واتباع موسى عليه السلام بقوة قومه ومعونتهم. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **وقال ساحر أو مجنون**، سماه ساحرا بما أتى من الآيات / المعجزة، [٧٥٣ظ] وقومُه إنما يَعرِف وصف السحر على هذا الوجه فسماه بذلك -وإن أيقن[٤] هو أن مثل ذلك الفعل لا يكون سحرا- تمويها على قومه؛ وسماه مجنونا لما خاطر بنفسه بمخالفته[٥] مع علمه أن هِمّته القتل لمن خالفه في دينه وملكه.

﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾[٤٠]

وقوله عز وجل: **فأخذناه وجنوده**، هذا يدل على أن تأويل قوله تعالى: فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ،[٦] أي تولى هو وتولى[٧] قومه وجنوده. وقوله عز وجل: **فنبذناهم في اليم وهو مليم**، الآية،[٨] قال بعضهم: **مليم**، أي يلام عليه، وقال بعضهم: **مليم**، أي هو مذموم، وقال القتبي: هو مذنب.[٩] ثم دل قوله تعالى: **فنبذناهم**، على أن لله[١٠] تعالى في أفعال العباد صُنْعا حيث أضاف ذلك إلى نفسه، وهم الذين دخلوا في اليم.

---

[١] ر ن م: ومصدقهم.
[٢] ن - أي.
[٣] ن: من مكذبهم.
[٤] ر ث م: أتقن.
[٥] ن: لمخالفته.
[٦] الآية السابقة.
[٧] ن - وتولى.
[٨] ن - الآية.
[٩] انظر: تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٤٢٢.
[١٠] ن: على أن الله.

﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾[٤١]

وقوله عز وجل: **وفي عاد**،[١] أي في أمر عادٍ بينةٌ وآية وعبرة[٢] للمؤمنين، كقوله تعالى: وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ.[٣] وقوله عز وجل: **إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم**، أي أهلكوا بالريح. وقد بلغ من عُتُوّهم أن قالوا: مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً،[٤] فأذلهم الله تعالى حتى خضعوا لأضعف شيءٍ وأخافهم منه، وهي الأصنام التي عبدوها حتى خوّفوا [نبيهم هودا] وقالوا: إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ،[٥] وذلك غاية الذل والهوان أن خافوا من أضعف شيء وأعجزه بعد ما بلغ من عتوّهم وتمرّدهم أن قالوا: مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً.

ثم قوله عز وجل: **الريح العقيم**، قال أبوا عَوْسَجَة: تفسيرها ما ذكر في الآية: مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ.[٦] وقال غيره: العقيم هو الذي لا خير فيه ولا بركة، أي عَقُمَت عن الخيرات. ولذلك يقال للمرأة التي لا تلد والرجل الذي لا يولد له: العقيم، لما أنه ليس منهما منفعة الولد ولا بركته. فعلى ذلك الريح العقيم، أي لا منفعة لأولئك[٧] فيها ولا بركة. فأما للمؤمنين فهي نافعة[٨] حيث أهلكت أعداءهم ولم يهلكهم، وفي ذلك تطهير الأرض عن نجاسة الكفر. وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «نُصِرْتُ بالصَّبَا وأُهْلِكَتْ عادٌ بالدَّبُور».[٩] وقيل: **الريح العقيم**، هي الدبور، وهي التي لا تُلقح[١٠] الأشجار والسحاب والنبات.

﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾[٤٢]

وقوله عز وجل: **ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم**، أي ما تذر من شيء أتت عليه[١١] وأُمِرَتْ هي بإهلاكه وأُذِن لها بذلك إلا جعلته كالرميم. ألا ترى أنها أتت على أشياء لم تهلكها،[١٢]

---

[١] جميع النسخ + إذ أرسلنا. والترجيح من *الشرح*، ورقة ١٦٤و.
[٢] ر: وآية وغيره؛ ن: وأنه وغيره.
[٣] الآية ٢٠ من هذه السورة.
[٤] سورة فصلت، ١٥/٤١.
[٥] سورة هود، ٥٤/١١.
[٦] الآية التالية.
[٧] جميع النسخ − لأولئك. والزيادة من *الشرح*، ورقة ١٦٤و.
[٨] ر ث م + أيضا.
[٩] انظر: صحيح *البخاري*، الاستسقاء ٢٦؛ وصحيح *مسلم*، الاستسقاء ١٧.
[١٠] م: التي تلقح.
[١١] ث + إلا جعلته كالرميم.
[١٢] ن: لم يهلكها.

وقد سلِم هودٌ[١] عليه السلام وقومُه من المؤمنين. وألا [ترى][٢] أنهم لما رأوها من بُعدٍ قالوا: هٰذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا، فقال هود عليه السلام: بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ، وما ذكر، فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ، أخبر أنها قد أبقيت مساكنهم، وهو ما ذكر في آية أخرى: تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا،[٣] أي تدمر كل شيء أُمِرتْ وأُذِن لها بالتدمير ليعلم أنها كانت تعمل بالأمر. *والله أعلم*.

﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ﴾[٤٣]

وقوله عز وجل: **وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين**، أي وفي أمر قوم[٤] هود عليه السلام وإهلاكهم أيضا آية وحجة للموقنين.[٥] ثم ذكر عتوهم وتمردهم: **إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين**، وهو ثلاثة أيام التي ذكرت في آية أخرى: فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ.[٦] يخبر أنْ كان قد بلغ[٧] عتوهم أن قد أُجِّلوا ثلاثة أيام لنزول العذاب بهم، فلم يمنعهم ذلك عن عتوهم ولم ينجع فيهم. فقومك يا محمد -حيث لم تَذْكُر[٨] لعذابهم وقتا ولا أجلا- أحق أن لا ينجع فيهم ما تُوعِدهم به ولا ينفعهم. *والله أعلم*.

﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾[٤٤]

وقوله عز وجل: **فعتوا عن أمر ربهم**، أي عما أمروا بطاعة ربهم، والعُتُوّ هو البلوغ في اليبس[٩] والقساوة غايتَه[١٠] كقوله تعالى: وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا،[١١] أي يابسا.[١٢] وقوله عز وجل: **فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون**، أي إلى الصاعقة.

---

[١] ر ث م - هود.
[٢] الزيادة من نشر الخيمي.
[٣] ﴿فلما رأوه عارضا مستقبِل أوْديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يُرَى إلا مساكنُهم كذلك نجزي القوم المجرمين﴾ (سورة الأحقاف، ٤٦/٢٤-٢٥).
[٤] ر ن م - قوم.
[٥] ر ث م: للمؤمنين.
[٦] سورة هود، ١١/٦٥.
[٧] ن + من.
[٨] جميع النسخ: لم يذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٤ظ.
[٩] ر: في اليأس؛ ن ث م: في البأس. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ر: غاية.
[١١] سورة مريم، ١٩/٨.
[١٢] ر: يائسا؛ ن: عتيا بائسا؛ ث م: بائسا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٤ظ.

﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ﴾[٤٥]

وقوله عز وجل: **فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما أي ما استطاعوا في الانتصاب لعذاب الله والقيام له. والثاني[١] ما استطاعوا من دفع العذاب عن أنفسهم لا بأنفسهم ولا بغيرهم، **وما كانوا منتصرين**، بالأنصار والأعوان. *والله أعلم*.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾[٤٦]

وقوله عز وجل: **وقوم نوح من قبل**، أي في أمر نوح عليه السلام من قبل هؤلاء وإهلاكهم آيةٌ وبينة[٢] وحجة للمؤمنين على ما ذكرنا. وقوله عز وجل: **إنهم كانوا قوما فاسقين**، ظاهر.

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[٤٧]

وقوله عز وجل: **والسماء بنيناها بأيد**، أي خلقناها بقوة، **وإنا لموسعون**، أي لقادرون. وجائز أن يكون الموسع[٣] الواجدَ، كقوله تعالى: وعَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ،[٤] أي على الواجد[٥] الْمُوسِرِ قَدَرُه. [وقال بعضهم: **وإنا لموسعون**، ما بين السماء والأرض، لأنه ذكر على إثر قوله تعالى: **والسماءَ بنيناها بأيد**، وهو قول الزجاج].[٦] وقال بعضهم: **وإنا لموسعون**، في التدبير تدبيرِ جميع الخلق، وهو قول أبي بكر الأصم. *والله أعلم*. ويحتمل **وإنا لموسعون**[٧] عليهم أرزاقهم.

﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾[٤٨]

وقوله عز وجل: **والأرض فرشناها فنعم الماهدون**، أي بَسَطناها ومَهَدناها، **فنعم الماهدون**، لكم الأرض حيث مهَدها لكم مبسوطة مفترَشةً، يجدونها[٨] كذلك ما كانوا وأينما كانوا من غير تكلّف، ويستعملونها كيف شاءوا وفي أيّ[٩] منفعة شاءوا. *والله أعلم*.

---

[١] ر ن + أي.
[٢] ر م: بينة.
[٣] ر: الموضع.
[٤] سورة البقرة، ٢/٢٣٦.
[٥] ث: الموجد.
[٦] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٦٤ظ. *معاني القرآن* للزجاج، ٥/٥٧.
[٧] ر ث م – وهو قول أبي بكر الأصم والله أعلم ويحتمل وإنا لموسعون.
[٨] ر ن م: تجدونها.
[٩] جميع النسخ: في أي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٤ظ.

﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[٤٩]

وقوله عز وجل: **ومن كل شيء خلقنا زوجين**، قال بعضهم: صنفين غير الحيوان،[١] فإنه خلقهم ذَكَرًا وأنثى. [وقال بعضهم: **زوجين**، أي ضدين نحو حُلْو وحامض ومرّ وأشباه ذلك].[٢] وقال بعضهم: **زوجين**، أي لونين نحو أبيض وأسود وأحمر وأصفر. والأول قول الزجاج،[٣] والثاني قول القتبي.[٤] وأصله أنه يخرج على وجهين. أحدهما **زوجين**، أي شكلين فيعاون[٥] / بعضه بعضا، أو ضدين فيناقض[٦] بعضه بعضا. والله سبحانه وتعالى ليس بذي شكل [٧٥٤ر] ولا ذي ضد، فيدل ما أنشأ من الأضداد والأشكال على وحدانيته وألوهيته. والثاني خلق الأشياء مختلفين متضادّين ليدل على إيجاب المحن عليهم من نحو[٧] عسر ويسر وغنىً[٨] وحاجةٍ وخيرٍ وشرٍ، ليمتحنهم على اختلاف الأحوال وتضادِها فيُرَغِّبَهم[٩] في كل مرغوب ويُحَذِّرهم عن كل مرهوب. ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **لعلكم تذكرون**، أي تذكرون آيات وحدانيته وألوهيته، أو تذكرون[١٠] باختلاف الامتحان البعثَ[١١] والثواب والعقاب. ***والله أعلم***.

﴿فَفِرُّوا إِلَى اللهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾[٥٠]

وقوله عز وجل: **ففروا إلى الله**، يحتمل وجوها. قال بعضهم: ففروا إلى توحيد الله من الشرك به، دليله قوله على إثره: وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ،[١٢] وهو قول[١٣] أبي بكر الأصم.

---

[١] م: الحيوانات.

[٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٦٤ظ.

[٣] *معاني القرآن* للزجاج، ٥/٥٧-٥٨.

[٤] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٢٢.

[٥] ر: فيعملون؛ ن ث م: فيعلمون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٤ظ.

[٦] ن: فتناقض.

[٧] ث - نحو.

[٨] جميع النسخ: وغنا.

[٩] ر ث م: فرغبهم.

[١٠] جميع النسخ: أو يذكرون. والتصحيح من المرجع السابق.

[١١] م: المبعث.

[١٢] الآية التالية.

[١٣] ر - قول.

ويحتمل **ففروا إلى الله**، أي ففروا[1] إلى ما دعاكم الله تعالى إليه عما نهاكم عنه، كقوله سبحانه: وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ،[2] أي ففروا إلى الأعمال الصالحة من الأعمال القبيحة. ويحتمل ففروا إلى ما وعد لكم من الثواب عما أوعد لكم من العقاب، أي فِرُّوا إلى ثواب الله عن نقمته وعقابه. ويحتمل ففروا إليه في جميع حوائجكم ولا تطلبوا[3] شيئا من ذلك من غيره، فإنه هو القادر عليها حقيقة، فيكون في الآية ترغيبٌ في الرجوع إليه في الحوائج وقطع الطمع عن غيره. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **إني لكم منه نذير مبين**، يحتمل وجوها.[4] يحتمل أي نذير لمن عبَد دونه أو سمَى دونه إلها، مبينٌ آياتِ ألوهيته ووحدانيته. ويحتمل إني لكم نذير منه مبين لما يقع لكم به النِذارة والبِشارة. وقال أبو بكر الأصم: إني لكم منه نذير مبين بما نزَل بمكذِّبي الرسل بتكذيبهم.

﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾[٥١]

وقوله عز وجل: **ولا تجعلوا مع الله إلها آخر**، أي لا تُسَمُّوا مع ألوهية الله تعالى لأحد دون الله ألوهيةً، ولا تسموا[5] دون الله[6] إلها؛ أو يقول: لا تعبدوا[7] دون الله إلها آخر، أي معبودا آخر، فإنه لا يستحق دون الله أحد العبادةَ.[8] *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **إني لكم منه نذير مبين**، قد ذكرنا.[9]

﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾[٥٢]

وقوله عز وجل: **كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون**، لم يذكر في هذا الموضع القول منهم أنهم قالوا للرسول عليه الصلاة والسلام: إنك ساحر أو مجنون.

---

[1] ر – أي ففروا.
[2] سورة يونس، ٢٥/١٠.
[3] ن: ولا يطلبوا.
[4] ر م: إني لكم رسول نذير مبين بما نزل وجوها.
[5] ث + عن.
[6] ر – ألوهية ولا تسموا دون الله.
[7] ر م: لا تعبدون.
[8] جميع النسخ: للعبادة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٥و.
[9] ث – وقوله عز وجل إني لكم منه نذير مبين قد ذكرنا.

ولكن إن لم يكن مذكورا في ظاهره لكن ما ذكر[١] أن أوائلهم كانوا يقولون لرسلهم ذلك دلالة أنهم قد قالوا: إنه ساحر وإنه مجنون حيث قال: **كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون**؛ يُصبِّر رسوله صلى الله عليه وسلم على أذاهم بنسبتهم إياه إلى السحر والجنون، كقوله تعالى: فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ،[٢] وغير ذلك من الآيات التي فيها الأمر بالصبر على أذاهم.[٣] *والله أعلم*.

ثم قوله عز وجل: **ساحر أو مجنون**، قال أبو بكر الأصم: إنما قالوا ساحر أو مجنون لأن السحر والجنون عندهم واحد، كقول فرعون لموسى عليه السلام لَمّا أتى[٤] به من الآيات: إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا،[٥] فلذلك قالوا مرة: ساحر، ومرة، مجنون.[٦] ولكنّ هذا فاسد، فإنه لا يحتمل أن يكون الجنون والسحر عندهم واحدا،[٧] لأن الساحر هو الذي بلغ في العلم في كل شيء غايته، والمجنون[٨] هو الذي بلغ في الجهل غايته، فنسبوهم[٩] إلى السحر لِما أتى لهم من الآيات ما عجز[١٠] الناس عن إتيان مثلها، وقد عرفوا هم[١١] أنها آيات، أعني رؤساءَهم وأئمتَهم. لكن قالوا: إنها سحر، على إرادة التلبيس على الأتباع والعامة لما عند الناس أنْ لا كلُّ أحد يقدر على إتيان السحر، فقالوا: إنهم سَحَرَة، للرسل لهذا. وإنما نسبوهم إلى الجنون لما أنهم خالفوا الفراعنة والأكابر الذين كانت همتُهم القتل وإهلاكَ من خالفهم في المذهب والأمر. *والله أعلم*.

﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾[٥٣]

وقوله عز وجل: **أتواصوا به بل هم قوم طاغون**، أي أَوْصَى أوائلُهم أواخرَهم[١٢] في تسميتهم الرسل عليهم السلام سَحَرةً ومجانين وأَنْ يوافق بعضهم بعضا في نسبتهم الرسل إلى السحر والجنون،

---

[١] م: ذكرنا.
[٢] سورة الأحقاف، ٣٥/٤٦.
[٣] ر ن: عن أذاهم.
[٤] ن - أتى.
[٥] سورة الإسراء، ١٠١/١٧.
[٦] جميع النسخ: ومجنون مرة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٥و.
[٧] ر: واحد.
[٨] جميع النسخ: والجنون. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ر م: ونسبوهم.
[١٠] م: أعجز.
[١١] م: عرفوهم.
[١٢] ر م: أواخر.

أي لم يزل الكفرة يقولون لرسلهم ذلك. ويحتمل أن يكون ذلك على التمثيل لا على حقيقة القول منهم لما كان اجتماعهم لأجل هذا القول في كل وقت، فصار ذلك الاجتماع منهم كالتواصي من بعضهم لبعض. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **بل هم قوم طاغون**، يخبر أنهم لا عن جهلٍ وشبهةٍ قالوا: إنهم سحرة، ولكن عن طغيانٍ وتعدّي حدِّ الله عز وجل والمجاوزةِ له، لأن الطاغي هو المجاوز[1] عن الحد الذي جُعل له والمتعدّي عنه.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾[٥٤]

وقوله تعالى: **فتول عنهم فما أنت بملوم**، قال بعض أهل التأويل: لما نزل هذا خاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم أنه[2] ينزل بهم العذابُ حتى نزل قوله تعالى: وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ.[3] لكن عندنا يخرج قوله: **فتول عنهم فما أنت بملوم**، على وجهين. أحدهما أي تَوَلَّ عنهم وأَعْرِضْ[4] ولا تُكافِئهم بإساءتهم إليك بقولهم: إنه[5] ساحر وإنه مجنون، فإن الله تعالى سيكفيهم عنك ويجازيهم[6] مجازاة إساءتهم. والثاني يأمره بالإعراض والتولي عنهم عن قومٍ عَلِم الله تعالى أنهم لا يؤمنون، يُؤْيِسه عن إيمانهم ويقول: [٧٥٤ظ] / لا تشتغل[7] بهم فإنهم لا يؤمنون[8] بك[9] ولا يصدقونك، ولكن اشْتَغِل بمن تَرجو منه الإيمانَ. *والله أعلم*. وجائز أن يكون لا على حقيقة الأمر ولكن على التخيير، أي لك أن تتولى[10] عنهم وتُعرِضَ، فإنك قد بلّغتَ وأَعْذَرْتَ في التبليغ والدعاء غايتَه. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فما أنت بملوم**، جائز أن يكون المراد من نَفْي الشيء إثباتَ مقابِلِ ذلك الشيء وضده، كقوله تعالى: فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ،[11] نَفَى عن تجارتهم[12] الربحَ والمراد إثبات الخسران،

---

[1] جميع النسخ: هو المجاوز له. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٥و.
[2] ن – أنه.
[3] الآية التالية. انظر: *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٢٨٠/٣.
[4] ر ث م: فأعرض.
[5] ر: وإنه.
[6] ن: ونجازيهم.
[7] ر: لا يشتغل.
[8] ن – يؤيسه عن إيمانهم ويقول لا تشتغل بهم فإنهم لا يؤمنون.
[9] ر ث م: لك.
[10] جميع النسخ: أن تتول.
[11] سورة البقرة، ١٦/٢.
[12] ر م – نفى عن تجارتهم.

كأنه قال: فما ربحت تجارتهم بل خسرت، فعلى ذلك جائز أن يكون[١] قوله: **فما أنت بملوم**، بل بمحمود. *والله أعلم*. وقال أبو بكر الأصم: **فما أنت بملوم**، لأنه قد بلَّغ الرسالة وما أُمِر بتبليغه إلى الخلق وقام[٢] بأمره ونَصَح خلقَه وخَفَض جناحه لهم، فكيف يلام؟[٣] أي ما أنت بالذي تلام على صنيعك وعلى فعلك،[٤] وإن كان بعض الناس يَلُومك، وهم الكفار. وفيه دلالة الحفظ والعصمة له عن الزيغ والزلات، إذ لو كان بالذي يحتمل الزيغ والزلة[٥] لكان يحتمل الملامة،[٦] فدل أنه لا يحتمل الزيغ والعدول عن الحق.

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٥٥]

وقوله عز وجل: **وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين**، جائز أن يكون الأمر بالتذكير للكل ثم أخبر أن الذكرى تنفع المؤمنين لا الكلَّ. وجائز [أن يقول:] فذَكِّر المؤمنين، فإن منفعة الذكرى لهم ولمن أَنْصَف دون المكابرين والمعاندين.[٧] *والله أعلم*.

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٥٦]

وقوله: **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**، إن كان المراد من ذكر العبادة حقيقةَ العبادة فيخرج تأويله على وجهين. أحدهما جوابٌ[٨] لمن لا يرى[٩] الجنَّ والإنس يُؤْمَرون بالعبادة ويُمْتَحَنُون بها، فقال: **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدونِ**، أي ما خلقتُهم[١٠] على معرفة المحاسن والمساوئ والتمييز بين ما يُؤتى وما يُتَّقى بما رُكِّب فيهم من أسباب التمييز والمعرفة، لأتركهم[١١] سدى مُهْمَلين، بل لأمتحنهم بالعبادة والقيام بشكر ما أنعمتُ عليهم من أنواع النعم،

---

[١] ر ث م – أن يكون.
[٢] ر م: وقال.
[٣] جميع النسخ: فكيف تلام. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٥ظ.
[٤] ر: قولك.
[٥] ن – إذ لو كان بالذي يحتمل الزيغ والزلة.
[٦] م: الملازمة.
[٧] جميع النسخ: المعاندين. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] جميع النسخ: جوابا. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ث: جوابا لمن يرى.
[١٠] ر م: ما خلقهم.
[١١] ن: لا نتركهم.

إذ الحكمة توجب[1] ذلك وتدفع[2] تركَهم سدى هَمَلا. *والله أعلم*. والثاني خرج جوابا لمن يرى العبادة دونه جائزا[3] لقولهم: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[4] فقال: **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**، أي[5] لم أَخلُقهم لعبادة غيري، بل لآمُرهم[6] بعبادتي لا لآمُرهم[7] بعبادة غيري، كما قاله بعض الكفرة بقولهم: وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا،[8] ردا لقولهم[9] ونقضا لاعتقادهم. *والله أعلم*.

ثم قوله عز وجل:[10] **إلا ليعبدونِ**، تحتمل[11] حقيقةُ العبادة وجهين. أحدهما على حقيقة فعل العبادة، وعلى هذا الوجه لم تكن[12] الآية معمولا بها على العموم بل على الخصوص، وهم المؤمنون من الجن والإنس دون الكفرة منهم، فإنه لا يجوز أن يخلق الكفرة الذين[13] علم منهم أنهم لا يؤمنون للعبادة، إذ تخلّقه عن اختيار وإرادة. فإذا خلقهم وأراد منهم العبادة لا بد أن توجد[14] منهم، وقد علم منهم أنه لا يُوجَد، فيصير كأنه أراد تجهيل نفسه، وهذا[15] محال. فدل أن المراد منه الخصوص؛ وقد خص منه البعض بلا خلاف، فإن الصغار والمجانين قد خُصُّوا، فإنه لا يتحقق منهم العبادة، فجاز[16] أن يُخَصَّ منه الكفرةُ الذين عَلِم منهم أنهم لا يؤمنون. *والله أعلم*. ويحتمل أن يكون[17] المراد منه الأمر بالعبادة، أي ما خَلَقتُهم إلا لآمُرَهم بالعبادة[18] والتوحيد. وهذا التأويل أقرب إلى العمل بالعموم، فإنه يدخل فيه العقلاء من الجن والإنس دون الصغار والمجانين.

---

[1] جميع النسخ: يوجب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٥ظ.
[2] جميع النسخ: ويدفع. والتصحيح من المرجع السابق.
[3] ن: جائرا.
[4] سورة الزمر، ٣/٣٩.
[5] جميع النسخ – أي. والزيادة من *الشرح*، ورقة ١٦٥ظ.
[6] جميع النسخ: أو لآمرهم.
[7] م: لا أمرهم.
[8] سورة الأعراف، ٢٨/٧.
[9] ر م – لقولهم.
[10] ن – قوله عز وجل.
[11] جميع النسخ: على. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٥ظ.
[12] جميع النسخ: لم يكن.
[13] جميع النسخ: الذي. والتصحيح من المرجع السابق.
[14] جميع النسخ: أن يوجد. والتصحيح من المرجع السابق.
[15] ر ث م: وعدا.
[16] ر ث م: فجائز.
[17] ر ث م – يكون.
[18] ث – أي ما خلقتهم إلا لأمرهم بالعبادة.

ويجوز أن يأمر[١] بشيء ولا يريدَ تحصيلَ المأمور به وصيرورةَ المأمور مطيعا له، بل يريد أن يصير عاصيا فيدخلَ النار. بخلاف ما[٢] إذا خلقه للعبادة وأراد منه لا يجوز أن لا توجد.[٣] وحقيقة هذا تعرف[٤] في *كتاب التوحيد* أنه خلق للإيمان[٥] والعبادة مَنْ علِم منه أنه يَعبده[٦] ويختار العبادة له. فأما من علم منه اختيارَ الضلال والغواية وصرف العبادة إلى غيره فإنه خلقه على ما علم منه أنه يختار ويفعل، لقوله تعالى: وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ،[٧] الآية.

وقال قائلون: لم يُرد بقوله تعالى: **ليعبدونِ**، حقيقةَ العبادة التي هي فعل العبد على وجه الاختيار، ولكن معناه وما خلقت الجن والإنس إلا وقد جعلت في خِلْقَةِ[٨] كل أحدٍ منهم دلالةَ وحدانيتي ودلالةَ صَرْف العبادة إليّ والقيام بالشكر لي فيما أنعمت عليهم من أنواع النعم ما لو تأملوا فيها ونظروا يَدُلّهم على ما ذكرنا من العلم بالوحدانية لي[٩] والقيام بالعبادة والشكر. ***والله أعلم***. وعلى هذا التأويل تكون[١٠] الآية عامة لا خصوص فيها، لأن [في] خلقة كل أحد منهم -على أيّ وصف كان- دلالةُ ما ذكرنا. ***والله الموفق***.

ويحتمل أيضا: وما خلقت الجن والإنس إلا على خلقة تصلح[١١] للمحنة بالأمر والنهي والوعد[١٢] والوعيد ولتحقيق فعل ذلك، بما رَكَّب فيهم العقلَ وجعَل مفاصلهم لَيِّنَةً قابلةً لأفعال تصلح[١٣] للخدمة من الركوع والسجود والقيام والقعود ونحوها على خلاف غير هؤلاء من المخلوقات، فإنها خلقت على خلقة تصلح[١٤] لمنافع الممتحَنين لا على وجه تصلح[١٥] للمحنة. ***والله أعلم***.

---

[١] ر م: يؤمر.
[٢] ن + أراد.
[٣] جميع النسخ: أن لا يوجد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٥ظ.
[٤] جميع النسخ: يعرف. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ر ث م: الإيمان؛ ن + والتوحيد.
[٦] جميع النسخ: يعبد. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] سورة الأعراف، ١٧٩/٧.
[٨] ر ث م – خلقة.
[٩] ن – لي.
[١٠] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٦و.
[١١] جميع النسخ: يصلح. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] ن: والوعيد.
[١٣] ر م: الأفعال يصلح؛ ن ث: لأفعال يصلح. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٤] جميع النسخ: يصلح. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٥] جميع النسخ: يصلح. والتصحيح من المرجع السابق.

ثم في العبادة خصوصية معنى ليس ذلك في الطاعة والخدمة وغير ذلك من الأفعال،[1] حيث لم يُجِزِ العبادةَ لغيره وأجاز الطاعة والخدمة والتعظيم وغير ذلك من الأفعال، كقوله تعالى: مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ.[2] دل أن في العبادة / معنى ليس ذلك المعنى في غيره، لذلك [٧٥٥و] وقعت الخصوصية له. ولذلك خصَّ نفسه بتسمية الإله لم يُجِز التسمية به لغيره، إذ الإله عندهم معبود فكل معبود عندهم يسمونه إلها. وذلك كما خص نفسه بتسمية الرحمن لم يجعل ذلك[3] لغيره، وأجاز[4] تسميةَ غيره رحيما لما أن[5] في اسم الرحمن زيادةَ معنًى ليس في الرحيم. وكذا خص نفسه بتسميته خالقا و لم يُجِز هذا الاسم لغيره لما أن في الخالق معنى ليس ذلك المعنى في الفاعل وغيره، فكذلك[6] هذا. *والله أعلم*.

﴿مَا أُرِيدُ مِنهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾[٥٧]

وقوله عز وجل: **ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون**، قال عامة أهل التأويل: أي[7] ما أريد منهم أن يَرْزُقوا أنفسهم ولا أن يُطْعِموا أحدا من خلقي، إنما عليّ رزقُهم وإطعامُهم كقوله تعالى: وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا.[8] ويحتمل: ما أريد منهم أن يَرْزُقوا من لا يقوم بأسباب الرزق وأن يُطعِموهم إذ ذلك عليّ،[9] وإنما أريد منهم العبادةَ أو الأمرَ بالعبادة على الوجوه التي[10] ذكرنا. لأنهم لم يُنْشَئُوا لأولئك الذين لم يُجْعَل لهم المكاسبُ[11] وأسبابُ الرزق من الدواب بل أُنْشِئَت هي[12] لأجلهم[13] رزقا ومتعة. *والله أعلم*.

---

[1] ر ث م + كقوله تعالى ومن يطع الرسول فقد أطاع الله.
[2] سورة النساء، ٨٠/٤.
[3] ر م: لذلك.
[4] ر ث م: وجاز.
[5] ث – أن.
[6] ن: وكذلك.
[7] ر ث م – أي.
[8] سورة هود، ٦/١١.
[9] ن – علي.
[10] ر ن ث: على الوجه التي؛ م: على الوجه الذي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٦و.
[11] ث: للكاسب.
[12] جميع النسخ: بل هن أنشئت. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] ن: لهم.

ويحتمل أن يكون على الإضمار على ما قال بعضهم، أي قل يا محمد: ما[١] أريد منكم فيما أدعوكم إليه من أجر وما أريد أن تطعموني[٢] فيَثْقُل عليكم الإيمان. ويحتمل **ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون**، إخبارَ أنه لم يخلقهم لحاجة له في خلقهم من الرزق والإطعام منهم لما أقام من[٣] دلالات تَبَرِّيه[٤] عن الحوائج وعن الرزق والطعام، وإنما خلقهم للأمر والنهي والامتحان فتَرجِعَ[٥] منافعُ ذلك إليهم. ***والله أعلم***.

﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[٥٨]

وقوله عز وجل: **إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما أن الأسباب والمكاسب التي بها يُرْزَقون ويَصِلون إلى الانتفاع بها هي فعل الله تعالى، وله فيها صُنْعٌ صار بذلك رازقا ما لولا[٦] ذلك لم يصلوا إلى ذلك، وإن كان الخَلْق[٧] هم الذين يكتسبون ويعملون تلك الأسباب والمكاسب.[٨] فإنما أضيف إليه الرزق لما أنشأ فعل تلك الأسباب والمكاسب منهم. ***والله أعلم***. فيكون في هذا دليل[٩] على أن لله تعالى صنعا في أفعال العباد، وهو الخلق والإنشاء حيث سمى نفسه رازقا، وهم يُرزقون بتلك المكاسب والأسباب وأكثرها أو عامتها[١٠] بأفعالهم. دل أن له فيها صنعا حتى يصح إضافة ذلك إليه وتسميته رازقا ولا يجوز هذا الاسم لغيره. ***والله أعلم***.

والثاني يحتمل إضافة الرزق إليه لأنه يرزقهم بما جعل في تلك الأسباب والمكاسب من اللطف لا بأنفس الأسباب، لأنهم يَزرعون ويَطرَحون البَذْر فيها فيَهْلِك[١١] ذلك فيها، وكذلك يَسقُون الأرض ويَهلِك[١٢] ذلك الماء فيها. ثم إن الله تعالى جعل بلطفه ورحمته في ذلك من اللطف

---

[١] ث: وما.
[٢] ن م: أن يطعمون.
[٣] ن – من.
[٤] ر م: تبرئة؛ ن: تنزيه.
[٥] ن: فيرجع؛ ر ث م: رجع.
[٦] ن م: أولا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٦و.
[٧] ن – الخلق.
[٨] ث: وللكاسب.
[٩] جميع النسخ: دليلا. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] جميع النسخ: عامتهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] ر م: فهلك.
[١٢] ر: وتهلك.

ما يصير ذلك رزقا لهم بعد ذهاب عينه والقوة التي جعل فيه. وكذلك ما جعل في ذلك[١] من الصلاح[٢] والنضج[٣] والطبخ وما يرجع إلى الإصلاح لذلك؛ والأكلُ والمَضْغُ والابتلاع ونحو ذلك ليس في ذلك إلا امتلاء البطن، وفي ذلك فساد، فجعل فيه من القوة ما ينتشر[٤] في البدن والأطراف قوةً، فتبقى[٥] بتلك القوة التي[٦] فيها الحياة والبقاء لا بنفس الرزق، وهو ما وصف الله عز وجل: **إن الله هو الرزاق ذو القوة المتينُ**، بتلك القوة يَحيَون وبها يَبقَون.

ثم قوله عز وجل: **المتين**، قيل: **المتين**،[٧] هو وصف ونعت لتلك القوة، فيجوز وصف تلك القوة بالمتانة؛[٨] فأما الله سبحانه وتعالى[٩] لا يوصف بها ولا يقال:[١٠] إنه متين، وهو كقوله عز وجل: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾،[١١] وصف العرش بالمجد، والعرش غيره،[١٢] فعلى ذلك القوةُ التي جعل فيها ما ذكرنا غيرُه. [و]يجوز أن يوصف بما ذكرنا من المتانة، وهي القوة التي لا يَملِكها الخلق ولا يدركون ذلك اللطف الذي[١٣] جعل في ذلك. *والله أعلم*. وقال بعضهم: **ذو القوة المتين**، أي ذو البطش الشديد فيما أهلك الأمم الخالية. *والله أعلم*.[١٤]

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾[٥٩]

وقوله عز وجل: **فإن للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون**، فكأنهم استعجلوا نزول العذاب فنزلت هذه الآية على إثر سؤال العذاب، كقوله تعالى:

---

[١] ر م: وجعل ذلك.
[٢] ن: ذلك الصلاح.
[٣] ن: من النضج.
[٤] ر م: ينشر؛ ن: تنتشر.
[٥] جميع النسخ: فيبقوا.
[٦] جميع النسخ – التي. والزيادة من *الشرح*، ورقة ١٦٦و.
[٧] م – قيل المتين.
[٨] ر م: بمتانة. «قرأ يحيى والأعمش: ﴿ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ﴾» (المحتسب لابن جني، ٢/٢٣٨).
[٩] ن – سبحانه وتعالى.
[١٠] ر ث م: ولا يوصف.
[١١] سورة البروج، ١٥/٨٥.
[١٢] أي غير الله تعالى.
[١٣] ر ن م: التي.
[١٤] ث – وقال بعضهم ذو القوة المتين أي ذو البطش الشديد فيما أهلك الأمم الخالية والله أعلم.

سَأَلَ سَائِلُ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ،[1] وقوله: فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ،[2] فقال عند ذلك: **فإن للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم [فلا يستعجلونِ]**، أي لهم نصيب[3] من ذلك العذاب مثل نصيب أوائلهم من العذاب، فيكون على التمثيل، كما يقال: حَذْوَ النعل بالنعل وحَذْوَ القُذَّة بالقذة، ويقال: صاع بصاع وكَيْلٌ بكيل، أي يكال عليه مثلُ ما كيل لغيره، ونحو ذلك من الأمثال[4] التي تضرب. فعلى ذلك ما ذكر[5] من الذَّنوب. ***والله أعلم***. وكذلك ذكر عن [أبي بكر] الأصم، قال:[6] ذكر الذَّنوب، وهو الدلو العظيم الذي كانوا يقتسمون به المياه، وكان من عادة العرب أنهم يجتمعون[7] فيرسلون دِلاءهم في البئر، فكان كل واحد منهم يأخذ حظه ونصيبه من الماء. فيقول لأهل مكة: لا تستعجلوا[8] فإن لكم نصيبا من ذلك العذاب كما كان لأولئك الكفرة،[9] كالدلاء التي تكون[10] / في البئر فيأخذ كل واحد منهم نصيبه. [٥٧٥ظ] وكذلك قال القُتَبي وأبو عَوْسَجَة: الذَّنوب الحظ والنصيب.[11] وعن ابن عباس رضي الله عنهما سَمّى ذلك[12] العذاب ذَنوبا لما يَتْبَع بعضهم بعضا،[13] فيقول: يَتْبَعَ العذاب لهؤلاء كما تبع[14] لأولئك[15] كالدلاء يتبع بعضها بعضا.[16] ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **فلا يستعجلونِ**،

---

[1] سورة المعارج، ١/٧٠.

[2] ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحقَّ مِن عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ (سورة الأنفال، ٣٢/٨).

[3] جميع النسخ: نصيبا.

[4] جميع النسخ: ومن الأمثال. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٦ظ.

[5] جميع النسخ: ما ذكرنا. والتصحيح من المرجع السابق.

[6] ن ث: وقال.

[7] ر ث م: يجمعون.

[8] ر م: لا تستعجلون.

[9] ر م - الكفرة.

[10] ر م: يكون.

[11] انظر: *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٢٣.

[12] ن: لذلك.

[13] ر ث م + والله أعلم.

[14] جميع النسخ: كما يتبع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٦ظ.

[15] م: لا لأولئك.

[16] روى الطبري وابن أبي حاتم الرازي عن ابن عباس أن "ذنوبا" الدلو. *تفسير الطبري*، ١٩/٢٧؛ *وتفسير ابن أبي حاتم*، ٣٣١٣/١٠.

أي قد يبلغون[1] وقته[2] فلا يستعجلوني[3] العذاب، وهو الوقت الذي يسألون[4] الرجوع، كما أخبر الله عز وجل عنهم:[5] رَبِّ ارْجِعُونِ.[6]

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾[٦٠]

وقوله عز وجل: **فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون**، قال أهل التأويل: يومُهم الذي يوعدون[7] يومُ القيامة. ولكن لم يبين ذلك اليومَ ما هو؟ فيحتمل ما قالوا، ويحتمل غيره. والويل قد ذكرنا تأويله فيما تقدم.[8]

فإن قيل: كيف خوَّف الله جل وعلا هذه الأمة بما أنزل على الأمم الخالية من الاستئصال والهلاك،[9] وقد عفا هذه الأمة عن هذا وآمَنَهم منه؟

قيل: إنما خوفهم بما ذكر لأن المعنى الذي استوجب أولئك الاستئصال والهلاك[10] به يحتمل أن يتحقق ذلك في هؤلاء وقد يحتمل أن لا يكون. فالتخويف[11] صحيح لهؤلاء بهم؛ وإنما يكون مثل هذا التخويف في أول الأمر، ثم إن الله بفضله ورحمته عفا عنهم بفضل النبي صلى الله عليه وسلم ورحمته، كقوله: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ.[12] ويحتمل أن يكون العفو لهم عن ذلك[13] بالتأخير عنهم إلى وقت، وهو وقت قبض[14] أرواحهم وخروجهم من الدنيا، وفي ذلك الوقت يُعاقَبون بأنواع العذاب وينزل بهم ما نزل بأولئك، لا أنهم عُفُوا عن ذلك أصلا. ويحتمل أن يكون ينزل بهم ذلك في الآخرة، وذلك كله فضل منه ورحمة. *والله أعلم*.[15]

---

[1] جميع النسخ: قد تبلغون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٦ظ.
[2] ر م: وفيه.
[3] جميع النسخ: فلا تستعجلون. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] ن ث: تسألون.
[5] ر ث م – عنهم.
[6] ﴿حتى إذا جاء أحدَهم الموتُ قال رب ارجعونِ﴾ (سورة المؤمنون، ٩٩/٢٣).
[7] ر ث م – قال أهل التأويل يومهم الذي يوعدون.
[8] انظر: «فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية» في أواخر المجلدات «الويل».
[9] ر ث م: والإهلاك.
[10] ر ث م: والإهلاك.
[11] ن: والتخويف.
[12] سورة الأنبياء، ١٠٧/٢١.
[13] ث – عن ذلك.
[14] ن – قبض.
[15] ر: ورحمته والله أعلم بالصواب.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الطور[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿وَالطُّورِ﴾[١] ﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾[٢] ﴿فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ﴾[٣]

قوله عز وجل: **والطور وكتاب مسطور في رق منشور**، الآية. ثم اختلف في القَسَم[2] بالطور وما ذكر. قال قائلون: القسم إنما هو بمنشئ هذه الأشياء التي ذكر لا بهذه الأشياء أنفسها، إذ الله تعالى نهى الخلق بأن يقسموا بغيره فكيف يقسم بنفسه. وقال قائلون: يجوز أن يقسم جل وعلا بما شاء وبمن شاء بالذي عظم قدره عندهم. وقد ذكرنا أن الأقسام إنما يكون بالأشياء التي عظمت أقدارها ومحلها عند الخلق، يقسم بها لدفع الشبه التي تمنع[3] وقوع العلم لهم بذلك والمعرفة بالذي اشتبه عليهم والتبس، ليعرفوا أن ذلك كائن لا محالة وأنه[4] حقٌّ ما[5] لو تفكروا في ذلك الأشياء وأمعنوا[6] النظر فيها على غير قسم لوقع لهم[7] العلم بذلك وتحقق. *والله أعلم.*

---

[1] ر – سورة الطور؛ ن: ذكر أن سورة الطور كلها مكية؛ ث + وهي أربعون وثمان آيات مكية؛ م: سورة الطور كلها مكية.

[2] ر م: بالقسم.

[3] ر ن م: يمنع.

[4] ر ث م + بالذي اشتبه عليهم والتبس وأنه.

[5] جميع النسخ: بما. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٧و.

[6] ن: وأنعموا.

[7] ن: بهم.

ثم إن الله تعالى[1] أقسم بأشياء سواه وليس للخلق ذلك لأن قسم الخلق يخرج مخرج الفزع إليه والتضرع ولا يجوز الفزع إلى من سواه والاستعانة به. فأما القسم من الله تعالى حقيقةً فهو على التذكير والتنبيه للخلق وتأكيد ما وعد لهم من الجزاء، فيجوز له القسم بكل[2] ما يكون لهم التذكير والتنبيه والتأكيد وإن كان بغيره وبسواه[3] مما لذلك خطر ومحل عند الناس وعند الله تعالى. *والله أعلم*. ولأن القسم المذكور في القرآن لإثبات صدق أخبار الرسل [فيما يخبرون عن الله تعالى أنه أرسل][4] إليهم وأنهم[5] رسله وأنهم[6] إذا فعلوا كذا ينزل عليهم من العذاب كذا، لأن أولئك الكفرة لم يكذّبوا الله تعالى في خبره[7] حتى يكون قسمه لإثبات صدق خبره. وإنما يتحقق صدق خبرهم بما أقاموا من المعجزات والبراهين، لكن يتأكد بالقسم فيحصل ذلك بذكر ما له خطر ومحل عندهم. فأما قسم الخلق لإثبات أصل الصدق فيجب أن يقسموا بذكر ما هو النهاية في العظمة والقدر في القلوب وهو أسماء الله تعالى وصفاته. *والله أعلم*. ويحتمل أن يكون القسم بهذه[8] الأشياء من الرسل عليهم السلام، فإن كان كذلك فهو على الإضمار كأنهم قالوا: بمنشئ الطور وكتاب مسطور وما ذكر إلى آخره، إذ القسم من البشر يكون بالله سبحانه وتعالى وصفاته. *والله أعلم*.

ثم قوله عز وجل: **والطور**، جائز أن يكون القسم واقعا بالجبال كلها لما أن الله عز وجل أنشأ[9] الأرض خلقا تميد بأهلها وأرسى فيها هذه الجبال ووَتَّدَها حتى استقرت وسكنت حتى وصل الخلائق إلى الانتفاع بهذه الأرض والقرار عليها وصارت مهادا لهم وفراشا لهم على ما ذكر، يتقلبون فيها ويتصرفون كيف شاءوا وأين[10] أرادوا وحيث أحبوا. ثم إذا عرفوا ذلك لزمهم أن يعرفوا أن عليهم شكر ما أنعم عليهم فإذا تركوا ذلك ألزمهم[11] عقوبة الكفران

---

[1] م: ثم الله تعالى.
[2] ن – ما وعد لهم من الجزاء فيجوز له القسم بكل.
[3] جميع النسخ: لغيره وسواه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٧و.
[4] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.
[5] جميع النسخ: وأنه. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] ن: وأيهم.
[7] ر م: في خبر.
[8] جميع النسخ: لهذه. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ر: الشاء.
[10] جميع النسخ: وإن. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ر م: لزمهم.

وجزاءه[١] وأوعدهم[٢] ذلك فيؤكد ما ذكر من القسم وقوع ما ذكر من العذاب بهم حيث قال: إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ.[٣] ويحتمل أن يكون المراد بالطور هو جبلا خاصا،[٤] وهو الجبل الذي كلم الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام وأنزل عليه[٥] التوراة وهو طُورُ سَيْنَاءَ. وذلك الجبل / مما عظم قدره عند بني إسرائيل حتى عرفوا قدره وفضله فأقسم بذلك [٧٥٦ر] الجبل: إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ. ويحتمل أن يكون المراد بالطور هو جبالا[٦] خاصة[٧] وهي الجبال التي أَوحى عليها إلى رسله عليهم الصلاة والسلام على ما روي في الخبر: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام في طور سَيْنَاءَ[٨] وإلى عيسى عليه السلام في جبل ساعُورا[٩] وإلى محمد عليه الصلاة والسلام في جبل فاران، فأقسم بها أن ما وعد من العذاب واقع بهم. *والله أعلم*.

وفي الآية دلالة إثبات الرسالة، فإنه أخبر عليه الصلاة والسلام عن أمكنة الوحي وفضل تلك الجبال، ومعرفة ذلك إنما هي[١٠] من الكتب المتقدمة. وهم قد أحاطوا العلم بأنه لم يكن اختلف إلى أحد ممن له معرفة بتلك[١١] الكتب حتى يَعلم[١٢] منه، فدل أنه بالله عز وجل عرف أمكنة الوحي وفضل تلك الجبال. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وكتاب مسطور**، الآية،[١٣] يحتمل القسم بجميع الكتب المنزلة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، إذ بها يوصل إلى معرفة آيات الرسل عليهم السلام وإلى معرفة ما يُؤتى وما يتقَى[١٤] وإلى أخبار السماء ومعرفة الأحكام والحدود وغير ذلك من[١٥] وجوه الحكمة

---

[١] ر م: وجزاؤه.
[٢] ر م: وأوعد لهم.
[٣] الآية ٧ و ٨ من هذه السورة.
[٤] جميع النسخ: جبل خاص. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٧و.
[٥] ث – عليه.
[٦] جميع النسخ: جبل. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] جميع النسخ: خاص. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] ر ث م – في طور.
[٩] ر ن ث: ساعور.
[١٠] جميع النسخ: إنما هو. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] جميع النسخ: بذلك. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] ن: تعلم.
[١٣] ن – الآية.
[١٤] ر ن م: ويتقي.
[١٥] ر ث م: من أحكام.

أقسم بها أن العذاب واقع بهم. *والله أعلم*. ويحتمل أن القسم يرجع إلى عدد من الكتب التوراة والإنجيل والزبور المعروفة[1] التي عرف أهل الإيمان بها حقها ونزولها من السماء. ويحتمل أنه راجع[2] إلى خاص من الكتب وهو القرآن بما عظم قدره عندهم لما يَعجز البشر عن إتيان مثله على ما ذكرنا في [تفسير] الطور. *والله أعلم*. ويحتمل ما ذكره أهل التأويل أنها الكتب التي يكتب فيها أعمال بني آدم ولم يذكروا جهة القسم بها ولست[3] أعرف[4] له وجها.

وقوله عز وجل: **في رَقٍّ منشور**، أي غير مطوي، وقال أبو عبيدة: الرق الورق،[5] وقال أبو عَوْسَجَة: الرق الكتاب.

﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **والبيت المعمور**، يحتمل البيوت كلها جملة وهي البيوت التي جعل الله تعالى للخلق يسكنون فيها ويَتَّقون بها من الحر والبرد ويأمنون[6] فيها، وهو ما قال الله[7] تعالى: وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا،[8] الآية، ما عرف كلُّ منافعها وعِظَم نعمة الله تعالى عليهم في ذلك ليستأدي[9] بذلك شكرا، فأقسم بما ذكر إن لم يقم بوفاء الشكر استوجب العذاب والعقوبة. *والله أعلم*. ويحتمل[10] أن يكون القسم بالبيت المعمور هو الكعبة وهو معمور، قد عظم الله تعالى شأنه وأمره في قلوب الناس كافة: في قلوب الكفار والمؤمنين جميعا حتى كان قريش وسائر العرب يحجّونه ويزورونه[11] ويعظمونه فأقسم به على ما ذكر. *والله أعلم*.

---

[1] جميع النسخ: والمعروفة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٧ظ.
[2] ن: رجع.
[3] م: القسم ولست.
[4] ر: القسم بها وعرف.
[5] «﴿في رق﴾ أي في ورق» (*مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢/٢٣٠).
[6] ن: يأمنون.
[7] ن – الله.
[8] سورة النحل، ١٦/٨٠.
[9] ن: يستأدى.
[10] ث – ليستأدي بذلك شكرا فأقسم بما ذكر إن لم يقم بوفاء الشكر استوجب العذاب والعقوبة والله أعلم ويحتمل.
[11] ر: ويزرونه.

وقال أبو عبيدة: **البيت المعمور**، الكثير الأهل.[١] وأهل التأويل يقولون: البيت المعمور هو في السماء يزوره أهل السماء ويطوفونه. لكن القسم به يَبْعُد لما لم يَسبِق لهم المعرفة والمشاهدة به فكيف أقسم بشيء لم يعرفوه ولا وقع لهم العلم بالمشاهدة إلا أن يقال: إن القسم به لأهل الكتاب وذلك في كتبهم يعرفونه، فأما من لم يسبق له الخبر والمعرفة بذلك مشاهدة فبعيد. *والله أعلم*.

﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **والسقف المرفوع**، هو السماء التي رفعها بلا عمد يرونه من أسفلَ ولا تعليقٍ من الأعلى على[٢] بعدها من الأرض وسعتها وعرضها وشدتها وغلظها ليعلم أن من فعل هذا لا يفعله لغير شيء، بل يمتحن ويأمر وينهى ويستأدي[٣] شكره. فمن خالف أمره ونهيه وكفر نعمه وانتهك محارمه استوجب ما ذكر، والله أعلم، وليعلم أن من قدر على ما ذكرنا قادر على كل شيء لا يعجزه شيء. يذكر سلطانه وقدرته وعظمته. ***والله أعلم***.

﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **والبحر المسجور**، قال أهل الأدب: هو البحر الملآن الحارّ لأنه جل وعلا منذ أنشأه[٤] أنشأه[٥] حارا ممتلئا عميقا لم يتغير في وقت من الأوقات ولا في حال من الأحوال، بل كان على حالة واحدة حارا مالحا ممتلئا عميقا عريضا ليس كسائر الأنهار التي ربما يتغير عن جهتها من قلة الماء وسكونه وغَورها في الأرض وامتلائها من الطين وحاجتها إلى الحفر وغير ذلك من الغِيَرِ[٦] التي[٧] تكون[٨] بها، فأما البحر فهو[٩] على حالة واحدة في الأحوال كلها.

---

[١] «﴿والبيت المعمور﴾ الكثير الغاشية» (*مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢/٢٣٠).
[٢] م – على.
[٣] ر ث م: وليستأدى.
[٤] ر: أنشؤه.
[٥] ر م – أنشأه.
[٦] جميع النسخ: من التغير. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٧ظ.
[٧] ث: الذي.
[٨] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ر ث م – فهو.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾[٧] ﴿مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾[٨]

فأقسم به إن عذاب ربهم[١] لواقع. *والله أعلم*. [وقوله تعالى: **ما له من دافع**، أي ليس لذلك العذاب عنهم من دافع. *والله أعلم*].[٢]

﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾[٩] ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا**، بيَّن الوقت الذي ينزل بهم العذاب الموعود حين قال: إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ،[٣] ودل أن وقت تعذيب هذه الأمة يومُ القيامة وهو ما قال عز وجل: وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ.[٤] *والله أعلم*. وفيه وصف ذلك اليوم بالأهوال والشدائد[٥] لأنه تعالى ذكر أن السماء تمور مَورا أي تستدير استدارة وتتحرك[٦] تحركا، وذكر سير الجبال وما ذكر، وهذه الأشياء من أشد الخلائق وأصلبها فهو لذلك اليوم وشدته عمل فيها ما ذكر من التحرك والسير[٧] والتغير وغير ذلك. وفيه أن هذا العالم كله أنشأه بحيث يفنيه وينشئ عالما آخر لأنه ذكر فيه التغير من حال إلى حال؛ / لأنه ذكر مرة [٧٥٦ظ] سيرها وتحركها[٨] حيث قال: وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ،[٩] وذكر السماء وتحركها[١٠] ومَوْرها، وذكر للأرض[١١] انشقاقها حيث قال: وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ،[١٢] وقال في آية أخرى: وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ،[١٣] وقال: يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا،[١٤] وقال هاهنا: **وتسير الجبال سيرا**. وكذلك قال في السماء والأرض [من] اختلاف الأحوال فقال: يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ،[١٥]

---

[١] جميع النسخ: ربك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٧ظ.
[٢] الزيادة من *الشرح*، نفس الورق.
[٣] الآية ٧ من هذه السورة.
[٤] ﴿بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمَرّ﴾ (سورة القمر، ٥٤/٤٦).
[٥] ر ث م: والشدة.
[٦] ر ن م: ويتحرك.
[٧] ر ن م + والتحرك.
[٨] ن ث: تحركها.
[٩] سورة الكهف، ١٨/٤٧.
[١٠] ث: تحركها.
[١١] ن: الأرض.
[١٢] سورة مريم، ١٩/٩٠.
[١٣] سورة القارعة، ١٠١/٥.
[١٤] ﴿ويسألونك عن الجبال فقل ينسها ربي نسفا﴾ (سورة طه، ٢٠/١٠٥).
[١٥] سورة الأنبياء، ٢١/١٠٤.

فدل إثبات التغير في هذه الأشياء على هلاكها كما دل[١] أنواع الأمراض والتغير من حال إلى حال في أهلها على هلاكها.[٢] *والله أعلم*.

﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **فويل يومئذ للمكذبين**، الآية،[٣] أي المكذبين لرسله،[٤] ويحتمل لتوحيده أو لحججه أو للبعث.

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **الذين هم في خوض يلعبون**، نَعَتهم ووصف أمرهم حيث قال: **الذين هم في خوض يلعبون**، والخوض هو البحث عن الشيء إلا أن الخوض المطلق ذكروه واستعملوه[٥] في الباطل خاصة.

﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **يوم يدعون إلى نار جهنم دعا**، أي يدفعون في النار على وجوههم. وقال أبو عبيدة: يُدفَعون دفعا في القفاء خاصة.[٦]

﴿هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **هذه النار التي كنتم بها تكذبون**، هو على الإضمار كأنه يقال لهم: **هذه النار التي كنتم بها تكذبون** في الدنيا. *والله أعلم*.

﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون**، يقال لهم في الآخرة لما أُلقوا في النار: **أفسحر هذا**، مقابلَ ما قالوا هم للحجج[٧] والبراهين في الدنيا: إنها سحر. وقوله:[٨] **أم أنتم لا تبصرون**،

---

[١] ر: كما قال.
[٢] ن - كما دل أنواع الأمراض والتغير من حال إلى حال في أهلها على هلاكها.
[٣] ن - الآية.
[٤] ر م: لرسلهم.
[٥] جميع النسخ: ذكروا واستعملوا.
[٦] *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢/٢٣١.
[٧] ث: لحجج.
[٨] ث: قوله.

هذا يخرج على وجهين. أحدهما يقال لهم لما أُدخلوا النار: لعل ما أنتم فيه[1] ليس بعذاب وأنها ليست بنار وأنتم لا تبصرون بذلك،[2] كما أخبر عنهم في الدنيا أنهم يقولون لحجحه[3] حيث قال: وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا،[4] الآية، فقال مقابل ذلك: **أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون**، أي لعلكم لا تبصرون. والثاني يقول: **أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون**، في الدنيا أن هذا ينزل بكم في الآخرة. *والله أعلم*.

﴿اِصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم**، هذا كما قال إبليس: سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ،[5] فعلى ذلك قوله عز وجل: **اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم**، أي سواء عليكم صبرتم[6] أو جزعتم فلا ينفعكم ذلك. وقوله عز وجل: **إنما تجزون ما كنتم تعملون**، أي ذلك استوجبتم بأعمالكم لا أن أوجبت عليكم شيئا لم تستوجبوه.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **إن المتقين في جنات ونعيم**، الآية،[7] يحتمل في جنات وفي نعيم، ويحتمل في جنات فيها نعيم فيكون الواو بمعنى مع، أي في جنات مع نعيم.

﴿فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **فاكهين بما آتاهم ربهم**، قال بعضهم: أي ناعمين متنعمين، وقال بعضهم: معجَبين، وهما واحد: المعجب به والناعم سواء لأنه إذا كان ناعما متنعما كان معجبا مسرورا. وقال بعضهم: **فاكهين** ناعمين وفاكهين معجبين بذلك، وهو قول القتبي.[8] ثم ذكر هاهنا: **فاكهين بما آتاهم ربهم**، وذكر في سورة والذاريات: آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ،[9]

---

[1] ن: به.
[2] جميع النسخ: لذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٨و.
[3] ن: لحجته.
[4] سورة الحجر، ١٥/١٤-١٥.
[5] سورة إبراهيم، ١٤/٢١.
[6] جميع النسخ: أصبرتم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٨و.
[7] ن – الآية.
[8] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٤٢٥.
[9] سورة الذاريات، ٥١/١٦.

فالفاكهة ما ذكرنا، وقوله عز وجل: آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ،[١] أي آخذين ما آتاهم ربهم بالشكر منه والحمد. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ووقاهم ربهم عذاب الجحيم**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما وقاهم أي عصمهم في الدنيا عن الأعمال التي يوبقهم ويهلكهم لو أتوا بها وعملوها، فإذا عصمهم عن ذلك وقاهم عن عذاب الجحيم. *والله أعلم*. والثاني وقاهم أي عفا[٢] عنهم في الآخرة وصفح عما عملوا من الأعمال الموبقات في الدنيا ما لولا عَفْوه إياهم لكانت يوبقهم ويستوجبون ذلك. *والله أعلم*.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون**، كأنه على الإضمار، أي يقال لهم لما أُدخلوا الجنة ونزلوا منازلهم: كلوا واشربوا. وقوله: **هنيئا**، أي ليس عليهم في ذلك خوف التَّبِعة[٣] ولا خوف حدوث مكروه في أنفسهم ولا [خوف] آفة، لأن ذلك ينغّص عليهم ذلك؛ ليس كما يؤكل في الدنيا فيه خوف التبعة[٤] وخوف حدوث المكروه والآفات في أنفسهم والضرر فأخبر أن لا يكون لهم في الجنة ذلك لئلا ينغّص عليهم نعمها. *والله أعلم*.

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين**، ذكر [أنّ] لهم في الجنة جميعَ ما يرغب إليه أنفسهم في الدنيا ويتمنونه،[٥] كقوله تعالى: وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ،[٦] وقوله: وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا وَكَأْسًا دِهَاقًا،[٧] وقوله عز وجل: فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ،[٨] وأشباه ذلك مما يكثر عدّه[٩]

---

[١] ث - فالفاكهة ما ذكرنا وقوله عز وجل آخذين بما آتاهم ربهم. سورة الذاريات، ١٦/٥١.
[٢] ر م: عفى.
[٣] ر: السعة.
[٤] ر: السعة.
[٥] جميع النسخ: ويتمنون بها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٨ظ.
[٦] الآية ٢٤ من هذه السورة.
[٧] سورة النبأ، ٣٣/٧٨-٣٤.
[٨] سورة الغاشية، ١٣/٨٨-١٦.
[٩] ر: عدة.

مما تحدّث به أنفسهم في الدنيا[1] ورغبهم فيه ليرغبوا في طلبها أو ليتركوا طلب ما[2] في الدنيا من ذلك لِيصفُو[3] لهم ذلك في الآخرة. وهذه الأحوال التي ذكر وأخبر أنها تكون[4] لهم في الآخرة من الاتكاء على السرر والمقابلة في المجلس وغير ذلك من الأشياء التي ذكرها في الكتاب [والتي لا نعرف ماهيتها]. ثم قوله عز وجل: **وزوّجناهم بحور عين**، الباء في الحور زائدة معناه وزوجناهم حورًا عِينا[5] كما يقال تزوجت بفلانةَ وفلانةَ فعلى ذلك هذا.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[٢١]

[٧٥٧و] وقوله عز وجل: **والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم / ذريتهم**، قيل فيه بوجوه. أحدها ما قال أبو بكر الكيساني:[6] أي يَلحق الأولادُ بإيمانهم وأعمالهم درجاتِ الآباء والأمهات وإن[7] قصرت أعمال الذرية عن أعمال الآباء والأمهات، لأن الدرجات إنما تكون[8] بالأعمال فهم وإن لم يبلغوا في الأعمال مبلغ آبائهم فإنهم يُلحَقون بهم في الدرجات. ***والله أعلم***.

وقال بعضهم: إن الذرية الْتَقَنُوا الإيمان من آبائهم وأمهاتهم وأخذوه منهم و لم يبحثوا عن حجته وبرهانه حتى يكون أخذهم وقبولهم عن البحث عن الحجة والبرهان، فهم وإن كانوا مقلدين آباءهم في الإيمان متلقّنين[9] منهم فإنهم يُلحقون بآبائهم[10] وإن كان الإيمان عن الحجة أفضل من[11] الإيمان بالتقليد والالتقان. وقال بعضهم: إن الذرية وإن لم يبلغوا مبلغا يكون منهم الإيمان فإنهم يُلْحقون بآبائهم وأمهاتهم في إيمانهم وإن لم يكن منهم الإيمان و لم يأتوا به. ***والله أعلم***.

---

[1] ن: أنفسهم الدنيا.
[2] ر ث: أو ليتركوا ما؛ م وليتركوا ما.
[3] جميع النسخ: ليصفوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٨ظ.
[4] جميع النسخ: أنه يكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ر ث م – الباء في الحور زائدة معناه وزوجناهم حورا عينا؛ ن: الحور العين. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] ر: الكسائي. هو أبو بكر عبد الرحمن بن كَيْسان الأصم (ت نحو ٢٢٥هـ/٨٤٠م)؛ فقيه معتزلي مفسر. وله «تفسير»، و«مقالات» في الأصول، و«مناظرات» مع العلاف. وله أيضًا أنباء في الرفض والتجسيم. انظر: *لسان الميزان* لابن حجر العسقلاني، ٣/٥١٩.
[7] ر م: ولن؛ ن: ولو.
[8] ر ن م: يكون.
[9] ث: متلقين.
[10] ن: بإيمانهم.
[11] ر ث م: عن.

وقوله عز وجل: **وما ألتناهم من عملهم من شيء**، على تأويل أبي بكر، أي وما ألتنا من أعمال الذرية من شيء، أي[١] ما نقصنا أعمالهم عن[٢] أعمال آبائهم[٣] في الثواب وإن قصرت أعمالهم عن أعمالهم[٤] بل يبلّغون درجات آبائهم، ويُوفَّرون كما يوفَّر على آبائهم.[٥] وتأويله أبعد هذه التأويلات التي ذكرنا. وعلى تأويل غيره أي ما نقصنا من أعمال آبائهم شيئا، أي إنهم وإن بلغوا مبلغ الآباء فإن الآباء لا يُنقَّصون من أعمالهم شيئا. ذكر هذا حتى لا يُظن أنه يُنقص من ثواب آبائهم ويعطي ذلك لهم. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **كل امرئ بما كسب رهين**، قال بعضهم هذا صلة قوله عز وجل: اِصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ،[٦] **كل امرئ[٧] بما كسب رهين**. وهو يرد[٨] قول من يقول بأن الرهن لصاحبه، له أن يَحلِبه وأن يركبه[٩] وأن ينتفع به ثم يَرُدّ إلى المرتهن؛ ولو كان له هذا لكان لا يكون رهنا إذ أخبر أنه رهين أي محبوس، فالرهن هو الذي يحبس في كل وقت. ***والله أعلم***.

﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **وأمددناهم بفاكهة**، أي وأمددناهم فاكهة، والباء في الفاكهة زائدة كما ذكرنا في قوله تعالى: بِحُورٍ عِينٍ.[١٠] ثم يحتمل أن يكون قوله: **وأمددناهم**، إخبارا عن دوامها وكثرتها، أي لا تنقطع[١١] ولا تَقِلّ[١٢] وليست كفواكه الدنيا أنها لا توجد في كل وقت. وقوله عز وجل: **ولحم مما يشتهون**، أخبر أنهم يأكلون جميع ما يشتهون ويجدون ما يتمنون،

---

[١] ث + أي.
[٢] ر م – أعمالهم عن.
[٣] ن + ويوفرون كما يوفر على آبائهم.
[٤] ر – عن أعمالهم.
[٥] ن – ويوفرون كما يوفر على آبائهم.
[٦] الآية ١٦ من هذه السورة.
[٧] جميع النسخ: نفس. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٨ظ.
[٨] ن: يراد.
[٩] ن: وإن تركته.
[١٠] الآية ٢٠ من هذه السورة.
[١١] جميع النسخ: لا ينقطع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٨ظ.
[١٢] ر ن م: ولا يقل.

ليس كالدنيا ربما يشتهي شيئا لا يجده ويجد ما لا يشتهيه؛ وهو كقوله تعالى: وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ.[1]

﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **يتنازعون فيها كأسا**، أي يتعاطَون فيها كأسا ويأخذ بعضهم من بعض كما يكون في الدنيا لا يكون لكل أحد كأس على حدة، وهو كما روي في الخبر أن نبي الله صلى الله عليه وسلم: كان يغتسل مع بعض أزواجه وربما يتنازع أيديهما.[2] وقال أبو بكر الكيساني:[3] الكأس هو الخمر، وقال غيره: هو الإناء المملوء من الخمر وأما[4] الذي لا شراب فيها فهو الإناء. وقوله عز وجل: **لا لغوٌ فيها ولا تأثيم**، قرئ لا لغوٌ فيها ولا تأثيمٌ بالرفع والتنوين. قال أبو عبيدة:[5] إنه خبر بأنه ليس فيها لغو ولا تأثيم كما قال: لَا[6] [فِيهَا غَوْلٌ] وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ،[7] وقرئ بالنصب فيهما على التبرئة[8] وهو وجه غير مدفوع.[9] وتأويل الآية أي لا يكونُ منهم من اللغو وما يُؤْثِمهم[10] من القول كما يكون في شراب الدنيا من اللغو وقول الإثم. وقيل: **لا لغو فيها ولا تأثيم**، لأنها أحلت لهم. ***والله أعلم***.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون**، يرغّبهم فيما ترغب[11] إليهم أنفسهم في الدنيا من الخَدَم والفواكه والبُسُط ليطلبوها. ***والله أعلم***.

---

[1] سورة فصلت، ٣١/٤١.

[2] قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اغتسل بدأ بيمينه فصب عليها من الماء فغسلها، ثم صب الماء على الأذى الذي به بيمينه وغسل عنه بشماله حتى إذا فرغ من ذلك صب على رأسه. قالت عائشة رضي الله عنها: كنت أغتسل أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من إناء واحد ونحن جُنُبان (صحيح مسلم، الحيض ٤٣).

[3] ر: الكسائي.

[4] ر: أو ماء.

[5] ر ن م: أبو عبيد.

[6] جميع النسخ + غول فيها.

[7] سورة الصافات، ٤٧/٣٧.

[8] ر ث م: على التنزيه. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب. وافقهم ابن محيصن، واليزيدي، والحسن ﴿لا لَغْوَ فيها ولا تأثيمَ﴾ *الميسر في القراءات الأربع عشرة* لمحمد فهد خاروف، ٥٢٤.

[9] «أي غير مردود» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٦٩و).

[10] جميع النسخ: وما يؤثم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٩و.

[11] ر: فيها رغب؛ ن: يرغب؛ ث م: رغب. والتصحيح من المرجع السابق.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون**، قال أبو بكر الكيساني:[١] يتساءلون عن المعاصي التي كانت منهم[٢] في الدنيا واستدل بقوله على إثر هذه الآية: إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ.[٣] وقيل: **يتساءلون**، عن الدنيا، ويشبه أن يكون تساؤلهم عما كان عليهم في الدنيا ولهم.

﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾[٢٦]

وقوله: **إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين**،[٤] يحتمل قوله: **في أهلنا مشفقين**، وجهين. أحدهما **إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين**، كقوله: قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا.[٥] والثاني أي إنا كنا قبلُ على أنفسنا وأهلنا مشفقين، أي خائفين على ما كان منا من الجنايات والمعاصي. وقوله عز وجل:[٦] إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ،[٧] أي -والله أعلم- **إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين**، على أنفسنا لجناياتنا وراجين برحمته بقوله تعالى: إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ. وصف[هم][٨] الله تعالى في غير آي من القرآن بالإشفاق والخشية والطمع والرجاء، كقوله تعالى: يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا،[٩] وقوله: يَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا،[١٠] ونحو ذلك.*

﴿فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾[٢٧]

وقوله عز وجل: **فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم**، دل قوله: **فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم**، أن لله أن يعذبهم بعذاب السموم لكنه بِمَنِّه وفضله[١٢] وقاهم، ولو كان عليه ذلك كما قالت المعتزلة لم يكن لذكر المنة معنى.

---

[١] ر: الكسائي.
[٢] ر م: عنهم.
[٣] الآية التالية.
[٤] ر ث م - وقيل يتساءلون عن الدنيا ويشبه أن يكون تساؤلهم عما كان عليهم في الدنيا ولهم وقوله إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين.
[٥] سورة التحريم، ٦٦/٦.
[٦] أي دليل هذا التأويل قوله عز وجل على إثره.
[٧] الآية ٢٨ من هذه السورة.
[٨] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٦٩و.
[٩] سورة السجدة، ٣٢/١٦.
[١٠] سورة الأنبياء، ٢١/٩٠.
* ورد هنا قسم من تفسير الآية ٢٨ متقدما عن موضعه فأخرناه إلى هنالك. انظر: ورقة ٧٥٧و سطر ٣٥-٣٧.
[١٢] م: بفضله وبمنه.

﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾[٢٨]

[٧٥٧و س٣٥] * ثم قوله: **إنه هو البر الرحيم**، قرئ إنه هو البر بنصب الألف وخفضه.[١] فمن كسره حمله على الابتداء،[٢] أي رَبُّنا كذلك على كل حال. ومن نصب[ه][٣] أراد: [كنا] ندعوه بأنه [٧٥٧و س٣٧] أولا[٤] ولأنه هو البر الرحيم أي ندعوه[٥] لأجل أنه كذلك. ***والله أعلم***.*

﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾[٢٩]

وقوله: **فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون**، أي بما أنعم عليك من النبوة [٧٥٧ظ] / والقرآن لست بكاهن ولا مجنون. ثم هذا يخرج على وجهين. أحدهما أي إنك لم تقابل نعمة ربك بما يجب أن تُبْتَلَى بجنون أو كهانة أو ما ذكروا فيك. والثاني أي أنت بنعمة ربك[٧] عُوفِيتَ وعُصِمتَ[٨] عما ذكروا من الجنون والسحر وغير ذلك. ***والله أعلم***. دلت[٩] هذه[١٠] الآية على أنهم قالوا:[١١] إنه كاهن ومجنون. وكذا كانت عادة أولئك أنهم ينسبون الحجج عند عجزهم عن مقابلتها إلى السحر، والأنباء المتقدمة إلى الكهانة، وخلافَ الرسل عليهم الصلاة والسلام لقادتهم[١٢] وفراعنتهم إلى الجنون، والكلام المستمْلَح والمُسْتَلَذّ إلى الشعر تلبيسا للأمر على أتباعهم؛ هذه كانت عادتهم مع العلم منهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس كذلك لما لم يختلف إلى أحد من الكهنة ولا السحرة[١٣] ولا كان القرآن على نظم الشعراء. عجزوا[١٤] عن إتيان مثله وهم عن الشعر غير عاجزين.

---

[١] ر: وحفظه.
[٢] انظر: *المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤١٦.
[٣] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٦٩و.
[٤] جميع النسخ: يدعوه بأنه ثانيا و. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] جميع النسخ: يدعوه. والتصحيح من المرجع السابق.
* ورد ما بين النجمتين متقدما عن موضعه فأخرناه إلى هنا.
[٧] ر ث م – بما يجب أن تبتلى بجنون أو كهانة أو ما ذكروا فيك والثاني أي أنت بنعمة ربك.
[٨] ر: وعوصمت.
[٩] جميع النسخ: دل.
[١٠] ر م: هذا؛ ث: دل على هذه.
[١١] ر ن م + له.
[١٢] ن ث: لعادتهم.
[١٣] ر م: ولا السحر.
[١٤] ر ث م: وعجزوا.

﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾[٣٠]

ثم لما عجزوا عن مقابلة ما أتاهم [به][١] من الحجج قالوا:[٢] **نتربص به ريب المنون**، أي عن قريب يرجعون إلى ديننا وإلى ما نحن فيه. وكانوا يقولون لضعفاء[٣] أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن محمدا يموت ويصير الأمر لنا فترجعون إلينا. *قال القُتَبِي: **ريب المنون** [٧٥٧ظ س ١٢] حوادث الدهر وأوجاعه ومصائبه، **والمنون** الدهر.[٤] وقال أبو عَوْسَجَة: **ريب المنون**،[٥] أي المَنِيَّة وريبها ما يأتي به.* [٧٥٧ظ س ١٣]

﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾[٣١]

فقال الله[٧] تعالى: **قل تربصوا فإني معكم من المتربصين**، أي تربصوا ذلك فإني متربص ذلك بكم فكانوا جميعا أو عامتهم، أعني الذين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ،[٨] أُهلكوا قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فحل بهم ما ظنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم. ***والله أعلم.****

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾[٣٢]

وقوله عز وجل: **أم تأمرهم أحلامهم بهذا**، قد[١٠] ذكرنا في غير موضع أن حرف "أم" [الاستفهام من الله تعالى لتقرير النفي أو الإثبات]،[١١] أي ليست لهم عقول تأمرهم[١٢] بذلك، أي من يأمر[١٣] بهذا فليس بعاقل. والثاني على تسفيه أحلامهم، أي أيّ عقل يأمر بعبادة الأصنام

---

[١] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٦٩و.
[٢] ر: قالوا.
[٣] ن: الضعفاء.
[٤] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٢٥.
[٥] ن - وأوجاعه ومصائبه والمنون الدهر وقال أبو عوسجة ريب المنون.
* ورد ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٧٥٧ظ/سطر ١٢-١٣.
[٧] ر ث م - الله.
[٨] الآية السابقة.
* ورد هنا قسم من تفسير الآية ٣٠ متأخرا عن موضعه فنقلناه إلى هنالك. انظر: ورقة ٧٥٧ظ/سطر ١٢-١٣.
[١٠] ن: وقد.
[١١] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٦٩و.
[١٢] جميع النسخ: يأمرهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٣] ث + بذلك.

وينهى[1] عن عبادة الله تعالى، أي لا عقل يأمر به. وقوله: **أم هم قوم طاغون**، أي طاغون في ذلك. والطغيان هو المجاوزة عن الحد في العداوة.

﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٣٣]

وقوله: **أم يقولون تقوّله بل لا يؤمنون**، أي يعلمون أنك[2] لست بمتقوِّل ولكن ينسبونك إلى التقول لتكذيبهم بآيات الله تعالى وهو ما ذكر في آية أخرى: فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ، بالتخفيف والتشديد، وَلٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ.[3] يقول: إنهم لا يقولون: إنك كاذب فيما تقول ولا ينسبونك[4] إلى الكذب ولكن إنما يكذبون الآيات ويعتقدون كَذِبَها. فعلى ذلك يقولون:[5] **تَقَوَّله**،[6] على علم منهم أنك لم تتقول ولكن اعتقدوا تكذيب الآيات والجحودَ لها فيقولون: إنك تتقول.

﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾[٣٤]

ثم[7] قال: **فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين**، أي لو كانوا صادقين بأن محمدا تقوّل[8] على الله فليأتوا بمثل ما أتى[9] به محمد. ثم قوله عز وجل: **فليأتوا بحديث مثله**، وإن خَرَج مخرج الأمر في الظاهر فهو في الحقيقة ليس بأمر لأنه لا يحتمل أن يأمرهم أن يأتوا[10] بالكذب والافتراء. ثم هذا يخرج على وجهين.[11] أحدهما على الإعجاز عن أن يأتوا بمثله. والثاني على التوبيخ والتوعيد على ما قالوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الافتراء والتقول. ***والله أعلم.***

---

[1] ن: ويخفى.
[2] ن + أنك.
[3] سورة الأنعام، ٦/٣٣.
[4] ر م: تنسبونك.
[5] ر ث م - يقولون.
[6] ث: يقول.
[7] ر ث م: من.
[8] ر م: تتقول.
[9] جميع النسخ: ما أوتي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٩ظ.
[10] ر ث م: إن تابوا.
[11] ن: يخرج مخرج الوجهين.

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾[٣٥]

وقوله عز وجل: **أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون**، قال عامة أهل التأويل: أي أم خلقوا من غير أب، ولكن ليس فيما ذكروا كبير[١] فائدة لو خلقوا من غير أب إلا أن يريدوا بذلك حتى لم يَعرفوا من خلقهم ومم[٢] خُلقوا،[٣] بل كانت لهم آباء[٤] عوَّدوهم وأعلموهم بأن لهم خالقا وأنهم مخلوقون وليسوا بخالقين، أو كلام نحوه. فكيف يتكلمون[٥] بما هو سفه وكيف يصرون عليه؟ وعندنا يخرج على وجهين. أحدهما **أم خلقوا من غير شيء**، أي يعلمون أنهم لم يخلقوا لغير شيء لأنهم لو خلقوا لغير شيء[٦] ولغيرِ معنى وحكمةٍ لكان خلقهم عبثا باطلا وهم يعلمون أنهم لم يخلقوا لعبا باطلا. والثاني يقال: لا يخلوا إما[٧] أن يكونوا خلقوا من غير شيء أو خلقوا من تراب وماء فكيف ما كان فدل أن قدرته ذاتية لا مستفادة فلا يحتمل أن يعجزه شيء.[٨] وقوله عز وجل: **أم هم الخالقون**، أي ليسوا هم بخالقين.

﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَا يُوقِنُونَ﴾[٣٦]

وقوله[٩] عز وجل: **أم خلقوا السماوات والأرض**، أي يعلمون أنهم لم يخلقوهما. وقوله: **بل لا يوقنون**، يخرج على وجهين. أحدهما أن ما يقولون إنما يقولون على الظن لا على اليقين. والثاني **بل لا يوقنون**، أي لا يصدقون وذلك في قوم[١٠] علم الله تعالى أنهم[١١] لا يؤمنون. فإن كان التأويل هذا[١٢] ففيه دلالة إثبات الرسالة حيث أخبر عن الغيب، وإن كان التأويل هو الأولَ ففيه أن جميع ما يقولون[١٣] إنما يقولون على الظن والجهل لا على اليقين. ***والله أعلم***.

---

[١] ر: ليس ذكروا كثير؛ ث م: كثير.
[٢] ر ث م: وممن.
[٣] ن + من غير أب.
[٤] ن: أبا.
[٥] ث: تتكلمون.
[٦] ر م – لأنهم لو خلقوا لغير شيء؛ ر ث م + أو خلقوا من تراب.
[٧] ث: ما.
[٨] ن + وحكمة لكان خلقهم عبثا باطلا.
[٩] ر: قوله.
[١٠] جميع النسخ: في قوة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٦٩ظ.
[١١] ر ث م: بأنهم.
[١٢] ن: فإذا كان هذا التأويل.
[١٣] ن + على الظن.

دل أن هنالك دارا أخرى / فيها يُفرَّق بينهما ويُميَّز. وهذا التأويل لا يختص به الكافر بل [٧٥١ر] يعم الكل. *والله أعلم.*

والثالث **إنكم لفي قول مختلف**، أي قول متفرِق ومذهب متناقض. فإنهم كانوا يعبدون أشياء على هواهم، فإذا هَوَوْا شيئا آخر تركوا ذلك وعبدوا غيره. وكذلك يقولون قولا بلا حجة[1] ثم يرجعون إلى قول آخر[2] لا ثَبَاتَ لهم على شيء، وهو كقوله تعالى: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ.[3]

والرابع **إنكم لفي قول مختلف**، أي في أمر الآخرة، لأن منهم من يدعي أن الآخرة[4] لهم لو كانت؛ ومنهم من يدعي الشركة مع المسلمين، فرد الله تعالى عليهم بقوله: **يُؤْفَكُ عنه مَن أُفك**، وهو كقوله تعالى:[5] أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ،[6] وقال: أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ.[7]

والخامس يحتمل أي مواعيد هم ومنازلُهم مختلفة في الآخرة. *والله أعلم.*

وذكر بعض أهل التأويل أن الناس كانوا[8] يأتون مكة من البلدان المختلفة ليتفحصوا عن أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسمعوا كلامه، فكان كفار مكة يصدّونهم عنه ويقول بعضهم: إنه مجنون، وبعضهم: إنه كذاب، وبعضهم: إنه[9] شاعر، وذلك[10] قوله تعالى: **إنكم لفي قول مختلف.**

وقوله عز وجل: **يُؤفك عنه من أُفك**، يحتمل وجوها. أحدها أي يُصرَف عن الحق من صُرِف عن النظر والتفكر في العاقبة.

---

[1] ر م: بل حجة.
[2] ر ث م + تركوا ذلك وعبدوا غيره.
[3] سورة آل عمران، ١٠٥/٣.
[4] ث: يدعي الآخرة.
[5] ن - تعالى.
[6] سورة القلم، ٣٥/٦٨-٣٦.
[7] سورة الجاثية، ٢١/٤٥.
[8] ر ن ث - كانوا.
[9] جميع النسخ - إنه. والزيادة من *الشرح*، ورقة ١٦١و.
[10] ن: فذلك.

دل أن هنالك دارا أخرى / فيها يُفرِّق بينهما ويُميِّز. وهذا التأويل لا يختص به الكافر بل [٧٥١ر]
يعم الكل. *والله أعلم*.

والثالث **إنكم لفي قول مختلف**، أي قول متفرِق ومذهب متناقض. فإنهم كانوا يعبدون أشياء على هواهم، فإذا هَوَوْا شيئا آخر تركوا ذلك وعبدوا غيره. وكذلك يقولون قولا بلا حجة[1] ثم يرجعون إلى قول آخر[2] لا ثَبَاتَ لهم على شيء، وهو كقوله تعالى: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ.[3]

والرابع **إنكم لفي قول مختلف**، أي في أمر الآخرة، لأن منهم من يدعي أن الآخرة[4] لهم لو كانت؛ ومنهم من يدعي الشركة مع المسلمين، فرد الله تعالى عليهم بقوله: **يُؤْفَكُ عنه مَن أُفك**، وهو كقوله تعالى:[5] أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ،[6] وقال: أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ.[7]

والخامس يحتمل أي مواعيد هم ومنازلُهم مختلفة في الآخرة. *والله أعلم*.

وذكر بعض أهل التأويل أن الناس كانوا[8] يأتون مكة من البلدان المختلفة ليتفحصوا عن أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسمعوا كلامه، فكان كفار مكة يصدّونهم عنه ويقول بعضهم: إنه مجنون، وبعضهم: إنه كذاب، وبعضهم: إنه[9] شاعر، وذلك[10] قوله تعالى: **إنكم لفي قول مختلف**.

وقوله عز وجل: **يُؤفك عنه من أُفك**، يحتمل وجوها. أحدها أي يُصرَف عن الحق من صُرِف عن النظر والتفكر في العاقبة.

---

[1] ر م: بل حجة.
[2] ر ث م + تركوا ذلك وعبدوا غيره.
[3] سورة آل عمران، ١٠٥/٣.
[4] ث: يدعي الآخرة.
[5] ن – تعالى.
[6] سورة القلم، ٣٥/٦٨-٣٦.
[7] سورة الجاثية، ٢١/٤٥.
[8] ر ن ث – كانوا.
[9] جميع النسخ – إنه. والزيادة من *الشرح*، ورقة ١٦١و.
[10] ن: فذلك.

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾[٤٠]

وقوله عز وجل: **أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون**، أي لست تسألهم أجرا على اتباعك فيمنعهم ذلك عن اتباعك. يذكر أن ليس لهم أسباب المنع وهذه أسباب المنع وإنما امتنعوا عن الاتباع تعنتا ومكابرة.

﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾[٤١]

وقوله عز وجل: **أم عندهم الغيب فهم يكتبون**، أم[١] عندهم علم الغيب فيعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تقوّله،[٢] بل ليس عندهم ذلك.

﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾[٤٢]

وقوله عز وجل: **أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون**، أي يريدون كيدا برسول الله صلى الله عليه وسلم لكن هم المكيدون، أي إليهم يرجع ذلك الكيد والذي أرادوا برسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم يحتمل ذلك الكيد الذي أخبر عز وجل أنه[٣] عليهم في الدنيا على ما قاله أهل التأويل: إنهم قُتلوا يوم بدر، ويحتمل ذلك في الآخرة.

﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٤٣]

وقوله عز وجل: **أم لهم إله غير الله**، أي أم لهم إله يأمرهم بالذي يدعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو[٤] أم لهم إله[٥] غير الله يمنعهم من عذاب الله تعالى؟ أي ليس لهم. ويحتمل: **أم لهم إله غير الله** يأمرهم بالذي يدّعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم من التقوُّل على الله تعالى، أو يُطلعهم على ذلك؟ أي ليس لهم إله يطلعهم على ذلك ويدفع عنهم ما ينزل[٦] من العذاب وهو ما قال: إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ.[٧] ثم نزَّه نفسه عما أشركوا فيه[٨] من الأوثان في تسمية الألوهية واستحقاق العبادة فقال: **سبحان الله عما يشركون.**

---

[١] جميع النسخ: أي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٠و.
[٢] ن: يقوله.
[٣] ن: أنهم.
[٤] ر ث م: أي. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ن - يأمرهم بالذي يدعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أم لهم إله.
[٦] ر ث م + من السماء.
[٧] الآية ٧ و ٨ من هذه السورة.
[٨] ر م: أشركوا منه؛ ن: اتركوا فيه.

﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾[٤٤]

وقوله عز وجل: **وإن يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم**، يخبر عن عناد أولئك الرؤساء ومكابرتهم وإنما قالوا ما قالوا على التعنت لا على الاسترشاد، وأن هذه الآيات من قوله: أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَٰذَا -إلى قوله عز وجل- أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ،[١] كلّها مُحاجة مع أولئك الرؤساء المعاندين، يبين ذلك قوله تعالى: **وإن يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم**، يقول: إنهم وإن يروا ما يوعدهم من عذاب ينزل بهم يقولوا لتعنتهم ومكابرتهم: إنه سحاب ليس بعذاب، وهو كما قال: وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا،[٢] يخبر عن عنادهم، وكقوله عز وجل: [أَفَلَمْ] يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ،[٣] لا يؤمنون ويقولون ما ذكر: إنه **سحاب مركوم**، تعنتا ومكابرة.

﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾[٤٥]

ثم أمر رسوله عليه الصلاة والسلام بأن يعرض عنهم[٤] وأن لا يشتغل بهم لما علم الله تعالى أنهم لا يؤمنون وهو ما قال عز وجل: / **فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون**. يُؤْيِس [٧٥٨ظ] رسوله صلى الله عليه وسلم عن إيمانهم ويأمره بالصبر على أذاهم وترك المكافأة لهم ويخبر أنهم لا يؤمنون إلا في اليوم الذي فيه يُصعقون أي يموتون. ثم قرئ قوله: **يصعقون**، بفتح الياء وضمه.[٥] فمن قال بالنصب احتج بقوله: فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ،[٦] ولم يقل فصُعق. ثم يحتمل الصَّعْقة التي ذكر[٧] ما ذكرنا[٨] أي يموتون، ويحتمل أي ينزل بهم الشدائد والأوجاع ولكن لا ينفعهم الإيمان في ذلك الوقت لأنه إيمان دفع العذاب عن أنفسهم.

---

[١] الآيات ٣٢-٤٣ من هذه السورة.
[٢] سورة الأنعام، ١١١/٦.
[٣] سورة السبأ، ٩/٣٤.
[٤] ر م: عليهم.
[٥] انظر: *المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤١٧.
[٦] سورة الزمر، ٦٨/٣٩.
[٧] ث: ذكرت.
[٨] ث: التي ذكرت كرنا.

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾[٤٦]

وقوله عز وجل: **يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولاهم ينصرون**، أي لا يغنيهم[1] ولا ينفعهم كيدهم[2] برسول الله صلى الله عليه وسلم عما ينزل[3] بهم يومئذ جزاءً على كيدهم برسول الله صلى الله على وسلم.[4] ويحتمل أنْ لا يغنيهم من عذاب الله الأصنام التي عبدوها رجاء أن تشفع[5] لهم أو تُقرِبَهم[6] إلى الله زلفى كما أخبر عز وجل.[7] *والله الموفق*.

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٤٧]

وقوله عز وجل: **وإن للذين ظلموا عذابا دون ذلك**، قال أهل التأويل: أي لمشركي أهل مكة عذابا دون عذاب النار وهو القتل بالسيف يوم بدر. ويحتمل أن يكون قوله: **وإن للذين ظلموا**، أي للكفرة عذاب في الدنيا دون العذاب[8] الذي ذكر في يوم القيامة حيث قال: حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ.[9] ثم قال لهم: **عذابًا دون ذلك**، وهم ما داموا كفارا فهم في عذاب يكونون في خوف وذل وخزي فذلك كله عذاب الله. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **ولكن أكثرهم لا يعلمون**، أي لا ينتفعون بعلمهم أو لا يعلمون حقيقةً لما لم ينظروا في أسباب العلم و لم يتفكروا فيها حتى يمنعهم ويزجرهم عن صنيعهم.

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾[٤٨]

وقوله عز وجل: **واصبر لحكم ربك**، دل هذا الحرف أن النبي[10] صلى الله عليه وسلم قد كُلِّف أمرا شديدا شاقًا عليه حتى قال له: **واصبر**، إذ الأمر بالصبر لا يكون إلا في أمور شاقة شديدة،

[1] ر ث م: لأنفسهم.
[2] ر م – شيئا ولاهم ينصرون أي لا يغنيهم ولا ينفعهم كيدهم.
[3] ر: بنزول.
[4] ر + جزاء على كيدهم برسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ر م + عما ينزل بهم يومئذ.
[5] ر ن م: يشفع.
[6] جميع النسخ: أو يقربهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٠ظ.
[7] يشير المؤلف رحمه الله إلى قوله تعالى: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٣).
[8] ر ث م – العذاب.
[9] الآية ٤٥ من هذه السورة.
[10] ن: أنه.

ولذلك قال له: فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ،[١] أمره بالصبر على ما كلفه كما صبر إخوانه على ما لحقهم من الأمور الشاقة؛ وما قال: وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ،[٢] أخبر أنه لو صبر إنما يصبر بتوفيق الله تعالى إياه، أو فيه أنه إذا صبر يكون صبره لله تعالى حتى يَسهُلَ عليه احتمال ذلك. *والله أعلم*. ثم قوله:[٣] **لحكم ربك**، يحتمل وجوها. أحدها ما أمر من تبليغ الرسالة إلى الفراعنة الذين كانت همتهم القتل لمن خالفهم، فذلك أمر شديد فأمره بالصبر على ذلك والتبليغ إلى أولئك.[٤] والثاني أمره بالصبر على أذاهم واستهزائهم به وترك المكافأة لهم. ويحتمل أن يكون[٥] الأمر بالصبر على الأمور التي كانت عليه في خاص[٦] نفسه[٧] من احتمال غُصَة التكذيب وحزنه على تركهم التوحيدَ والإيمان وإنما ذلك كله حكم الله تعالى.

وقوله عز وجل: **فإنك بأعيننا**، أي بمنظر[٨] وعِلمٍ منا. فإن كان الأمر بالصبر على القيام بتبليغ الرسالة إلى من ذكرنا فيخرج قوله: **فإنك بأعيننا**، مخرج وعد النصر له[٩] والمعونة، كقوله تعالى:[١٠] وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ.[١١] وإن كان الأمر بالصبر على ترك مكافأتهم أو على القيام بالأمور التي فيما بينه وبين ربه تعالى فيصير كأنه قال: على علم منا بما يكون منهم[١٢] من التكذيب والاستهزاء والأذى، كلفناك لا عن جهل[١٣] منا بذلك. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وسبح بحمد ربك**، أي نزِّهْه عن معاني الخلق وعما لا يليق واذكر الثناء عليه بما هو أهله. وقوله عز وجل: **حين تقوم**، يحتمل حين تقوم من مجلسك أو من منامك[١٤]

---

[١] سورة الأحقاف، ٣٥/٤٦.
[٢] سورة النحل، ١٢٧/١٦.
[٣] ن – قوله.
[٤] ر + والثاني أمره بالصبر على ذلك والتبليغ إلى أولئك.
[٥] ن + لهم.
[٦] ر م: في خالص.
[٧] ر ث م: نهيه.
[٨] ن: بمنظرنا.
[٩] ر ث م – له.
[١٠] ن + إلى من ذكرنا فيخرج قوله فإنك بأعيننا، مشطوب.
[١١] سورة المائدة، ٦٧/٥.
[١٢] ن + بالأمور التي فيما، مشطوب.
[١٣] ن: لا على جهل.
[١٤] ر م: من مناسك.

أو حين تقوم للتعيش والانتشار. فإن كان المراد حين تقوم من مجلسك فيكون التسبيح ما ذكر في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من جلس مجلسا كثر فيه لَغَطُه[1] فقال[2] قبل أن يقوم:[3] "سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن[4] لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك" غفر له ما كان في مجلسه ذلك»،[5] ولم يذكر الآية. وإن كان المراد حين تقوم من منامك فجائز أن يكون المراد منه الصلاةَ. وإن كان المراد[6] حين تقوم للانتشار[7] والتعيش فيصير كأنه أمر بالتسبيح بالنهار في وقت الانتشار. * وروى الضحاك عن عمر رضي الله عنه أنه قال: فسبح بحمد ربك حين تقوم في الصلاة المفروضة[8] قبل أن تكبر: سبحانك اللهم وبحمدك إلى آخره. وروى الضحاك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل في الصلاة قال[9] ذلك وذلك قوله تعالى: «وسبح بحمد ربك حين تقوم». وروى أبو سعيد وعائشة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه إذا[10] افتتح الصلاة قال ذلك. وعن مجاهد أنه قال: **حين تقوم**، من كل / مجلس.[11] *والله أعلم*.*

[٧٥٨ظ س٣٧] [٧٥٩و] [٧٥٨ظ س٣٩]

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾[٤٩]

وعلى هذا قوله: **ومن الليل**، أي سبح بالليل في وقت الراحة فيصير كأنه قال: وسبح بحمد ربك في الأوقات كلها بالليل والنهار في وقت الراحة وفي وقت الانتشار.★

---

[1] ت: لفظه.

[2] جميع النسخ: فقل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٠ظ.

[3] جميع النسخ: أن تقوم من مجلسك. والتصحيح من المرجع السابق.

[4] م - أشهد أن.

[5] روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من جلس في مجلس كثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم: "سبحانك ربنا وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك ثم أتوب إليك" إلا غفر الله له ما كان في مجلسه ذلك» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٢/٤٩٤؛ وسنن *الترمذي*، الدعوات ٣٨).

[6] ر ن م - المراد.

[7] جميع النسخ: الانتشار. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٠ظ.

[8] ت: والمفروضة.

[9] ت: قبل.

[10] ت: إذ.

[11] انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٧/٦٣٧.

* ورد ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه فنقلناه إليه. انظر: ورقة ٧٥٨ظ/سطر ٣٧-٣٩.

★ ورد هنا قسم من تفسير الآية السابقة فقدمناه إلى موضعه.

وقوله عز وجل: **فسبحه وإدبار النجوم،**[١] قال أهل التأويل: هو ركعتا[٢] الفجر، رُوي عن جماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.[٣] وعن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا أنه أراد بإدبار النجوم الركعتين قبل الفجر وإدبار السجود الركعتين بعد المغرب.[٤] فإن ثبت فهو التأويل. فإن كان على هذا فهذا يدل على تأخير صلاة الفجر لأن إدبار النجوم إنما يكون عند[٥] ذهابها وانقضائها، وذلك لا يكون بأول وقت طلوع الفجر وإنما يكون وقت الإسفار فيكون حجة لنا. ***والله أعلم.***[٦]

---

[١] ث + الآية.

[٢] م: ركعتان.

[٣] *تفسير الطبري*، ٢٧/ ٥٣.

[٤] م: المعرب. *سنن الترمذي*، التفسير ٥٢.

[٥] ر م – عند.

[٦] ن: والله أعلم بالصواب والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه الطاهرين.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النجم[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾[١]

قوله عز وجل: **والنجم إذا هوى**، قيل: المراد هو النجوم أنفسها فأقسم بها على أن[2] محمدا صلى الله عليه وسلم ما ضل وما غوى على ما قاله[3] الكفرة، وبه يقول الأصم. وقيل: أراد بقوله:[4] **والنجم**، نزول القرآن نجما فنجما على التفاريق، أقسم بالقرآن أنه لم يَضلَّ ولم يَغْوِ. وقال مجاهد: أقسم بالثُّريّا إذا غابت،[5] والعرب تسمّي[6] الثريا، وهي ستة أنجمٍ ظاهرةٍ، نجما.[7] وقال أبو عبيدة:[8] أقسم بالنجم إذا سقط في الغَور[9] فكأنه لم يَخُصَّ الثريا دون غيرها.[10] فإن كان التأويل هو الأول فهو لِمَا جعل الله تعالى للنجوم محلا في قلوب الخلق وأعلاما يستخرجون بها جميع ما ينزل بالخلق، وما يكون لهم من المنافع والمضار من كثرة الأنزال والسعة والضيق، وما ينزل بهم من المصائب والشدائد، وما يكون من انقلاب الأمور، وما جعل فيها من المنافع:

---

[1] ر – سورة النجم؛ ن م: ذكر أن سورة النجم مكية؛ ث + وهي اثنان وستون آيات مكية.

[2] ر – أن.

[3] ر: على أقاله.

[4] ن: أن لا نقوله.

[5] جميع النسخ: إذا غاب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧١و.

[6] جميع النسخ: يسمي. والتصحيح من المرجع السابق.

[7] م – نجما. *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٢٧.

[8] جميع النسخ: أبو عبيد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧١و.

[9] ر: في العود.

[10] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٢٧.

من معرفة[1] القبلة وطرق الأمكنة النائية ومعرفة الأوقات وغيرها مما يكثر عَدَها. فأقسم بنفسها أو بالذي أنشأ النجوم وما جعل فيها من المنافع أن محمدا صلى الله عليه وسلم ما ضل وما غَوى. وإن كان النجم هو[2] النجومَ التي أنزل القرآن فيها نجوما على التفاريق فالقسم بالذي أنزل القرآن على التفاريق.

وقوله عز وجل: **إذا هوى**، أي[3] سقطت، كقوله تعالى: فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ،[4] أي بمساقطها. والأشبه أن يكون قوله: **إذا هوى**، أي إذا سارت[5] سيرا دائما في سيرها؛ لأنها أبدا يكون في السير، وفي سيرها منافع الخلق من الاهتداء للطرق وغيرها وإلا[6] ليس في مساقط النجوم وغيبوبتها كثير حكمة حتى يقسم بذلك. ***والله أعلم***.

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾[٢]

وقوله عز وجل: **ما ضل صاحبكم وما غوى**، يخرج على وجهين. أحدهما أي ما ضل عما نزل به القرآن وعما أُمر به، لأنهم كانوا يدّعون عليه الضلال، إذ[7] خالف دينهم ودين آبائهم فقال: ما ضل هو عما أُمر به وما غوى. والثاني **ما ضل صاحبكم وما غوى**، إذ ليس بساحر ولا شاعر، لأنهم كانوا يقولون: إنه شاعر وإنه ساحر، فقال: ليس هو كذلك ما ضل بالسحر وما غوى بالشعر على ما قال: وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ،[8] بل رشد واهتدى.

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾[٣] ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[٤] ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾[٥] ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾[٦]

وهو ما قال تعالى: **وما ينطق عن الهوى**، أي لا ينطق[9] عما يَهوَى به نفسه بل إنما ينطق عن الوحي، بقوله: **إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى.**

---

[1] ن: من المنافع ومعرفة.
[2] ث - هو.
[3] ن + إذا.
[4] سورة الواقعة، ٧٥/٥٦.
[5] ر م: أي سقطت كقوله تعالى إذا صارت.
[6] ر م: وأما؛ ن: فأما؛ ث: ولما.
[7] ر ث م: أن.
[8] سورة الشعراء، ٢٢٤/٢٦.
[9] ر ث م: ما ينطق.

وإلا جائز أن يصرف قوله تعالى: **علمه شديد القوى،** إلى الله تعالى إذ الله تعالى قد أضاف تعليمه إلى نفسه بقوله عز وجل: ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ ٱلْقُرْآنَ.[١] لكن أبان بقوله: **ذو مِرّة فاستوى،** أن المراد[٢] غيره إذ هو لا يوصف بأنه: **ذو مرة فاستوى،** وهو جبريل عليه الصلاة والسلام على ما قاله[٣] أهل التأويل. [وأصله من قوى الحبل وهي طاقاته، والواحدة قوة. فالإضافة إلى جبريل لما منه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وتلقّف].[٤]

ثم أضاف التعليم مرة إلى جبريل عليه السلام ومرة إلى نفسه. فالإضافة إلى جبريل صلوات الله عليه لما منه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وتلقف، والإضافة إلى الله تعالى يخرج على وجهين. أحدهما أضاف[٥] إلى نفسه لما أنه هو الباعث لجبريل إليه والآمر له[٦] بالتعليم والخالقُ لفعل التعليم من جبريل عليه السلام.

والثاني لما يكون من الله سبحانه وتعالى من اللطف الذي يحصل به العلم عند التعليم. ولهذا يختلف المتعلمون في حصول العلم مع التساوي في التعليم لاختلافهم في آثار اللطف. ***والله الموفق.***[٧]

وقوله عز وجل: **ذو مِرّة فاستوى،** الآية،[٨] قال أهل التأويل: **ذو مرة،** أي ذو قوة، وقيل: **ذو مرة،** أي ذو إحكام. وأصله من قوى الحبل وهي طاقته، والواحد قوة. وأصل المرة الفَتْل.[٩]

وقوله: **فاستوى،** يحتمل: استوى[١٠] محمد صلى الله عليه وسلم لنزول الوحي إليه. وقيل: استوى[١١] جبريل عليه الصلاة والسلام على صورته، لما ذكر أنه صلى الله عليه وسلم سأل[١٢] ربه عز وجل أن يريه جبريل عليه السلام على صورته[١٣] فاستوى جبريل على صورته[١٤] فرآه كذلك.

---

[١] سورة الرحمن، ٥٥/١-٢.
[٢] م: أي المراد.
[٣] ر ث م: قال.
[٤] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٧١و.
[٥] ر: أحدهما إضافة؛ ن: وجهين أضاف.
[٦] ر ث: والأمن له؛ ن: لجبريل عليه السلام والآمر له.
[٧] ث: والله أعلم الموفق.
[٨] ن – الآية.
[٩] ر: المرة اة لفتل.
[١٠] ر ن م + أي؛ ث: يحتمل أي استوى. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] جميع النسخ + أي. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] ر ث م: سئل. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٣] ن – لما ذكر أنه صلى الله عليه وسلم سأل ربه عز وجل أن يريه جبريل عليه السلام على صورته.
[١٤] ر: على صورة.

﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾[٧]

[٧٥٩ظ] وقوله عز وجل: **وهو بالأفق**، أي جبريل بالأفق الأعلى. / ثم يحتمل: **الأفق الأعلى**، أي أفق السماء، ويحتمل أن يكون الأفق الأعلى مكان الملائكة ومسكنهم فأخبر أنه عليه الصلاة والسلام رآه[١] على صورته في مكانه. وجائز أن يكون الأفق ما ذكر في الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يرى جبريل عليه الصلاة والسلام في صورته فسأله أن يُريه فقال: إن الأرض لا تَسَعُني[٢] ولكن انظر إلى الأفق الأعلى فنظر فرآه. وفي بعض الأخبار: إنك لا تقدر أن تراني في صورتي ولكن انظر إلى الأفق الأعلى.[٣] ثم جائز أن يكون ما ذكر من النظر إلى الأفق الأعلى لما أن بصره كان لا يحتمل النظر إليه من قرب، ويحتمل ذلك من البعد. وذلك معروف فيما بين الخلق أن الشيء إذا كان له شعاع أو نور أو بياض شديد[٤] [فـ]ـإن البصر لا يحتمل النظر إليه من القرب في أول ملاقاته، ويحتمل إذا كان يبعد منه.

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾[٨]

وعلى هذا قوله: **ثم دنا فتدلى**، يحتمل دنا منه جبريل عليه الصلاة والسلام شيئا بعد شيء وقرب منه كذلك ليحتمله، إذ جُبل الإنسان على طبيعة تحتمل الأشياءَ إذا انتهت[٥] إليه على التفاريق ما لو أتته[٦] بدُفْعة واحدة في وقت[٧] واحد لما احتملها كالحَرِّ[٨] يأتي الخلقَ[٩] بعد شدة البرد شيئا فشيئا، وكذلك البرد[١٠] بعد شدة الحر شيئا فشيئا حتى يشتد ما لو أتيا بدفعة واحدة [لما احتملها الأنفس].[١١] فعلى ذلك جائز أن لا يحتمل البصر رؤية شيء بدُفعة واحدة[١٢]

---

[١] جميع النسخ: رأى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧١ظ.
[٢] جميع النسخ: لا يسعني. والتصحيح من المرجع السابق.
[٣] روي عن ابن مسعود أنه قال: إن محمدا لم ير جبريل في صورته إلا مرتين، أمّا مرة فإنه سأله أن يريه نفسه في صورته، فأراه صورته فسَدَّ الأفق، وأمّا الأخرى فإنه صَعد معه حين صَعد به (*مسند أحمد بن حنبل*، ١/٤٠٧).
[٤] ن – شديد.
[٥] جميع النسخ: يحتمل الأشياء إذا انتهى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧١ظ.
[٦] ر ن م: أتيه.
[٧] م – وقت.
[٨] جميع النسخ: احتملها الأنفس كالحر. والترجيح من المرجع السابق.
[٩] م – الخلق.
[١٠] ن: البر.
[١١] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.
[١٢] ر ث م – فعلى ذلك جائز أن لا يحتمل البصر رؤية شيء بدفعة واحدة.

إذا كان قريبا منه، ويحتمل من البعد ثم يقرب ويدنو[١] قليلا قليلا حتى يحتمل من القرب. *والله أعلم*. ثم من الناس من يقول: إن قوله تعالى: **ثم دنا فتدلى** على التقديم والتأخير، أي تدلى فدنا[٢] لأنه يكون التدلي أولا ثم الدنو منه. ومنهم من قال: بل هو على ما قال وهما سواء أعني التدلِّيَ والدنوَ،[٣] بمنزلة القرب والدنو. *والله أعلم*.

﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **فكان قاب قوسين أو أدنى**، اختلف فيه. قال بعضهم: القاب هو صدر القوس، أي فكان قدرَ[٤] صدر القوس[٥] من الوَتَر مرتين. وقال بعضهم: أي قدر قوسين حقيقة. وقال القُتَبِي: **قابَ**، قدرَ **قوسين**، عَرَبِيَّتَيْن.[٦] وقال أبو عَوْسَجَة: القاب قدر الطُّول. وقيل: القوس الذراع هاهنا، أي كان قدر ما بينهما[٧] ذراعين، قال: والأول أعجب إليَّ لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَقَابُ قوسِ أحدكم، أو موضع[٨] قِدِّه خير من الدنيا وما فيها»،[٩] والقَدُّ السَّوط.

فنقول: أيّ الوجوه كانت[١٠] ففيه[١١] دليل أنه لم يكن جبريل عليه السلام يبعد من رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث لا يحيط به لأن الشيء إذا بعد عن البصر يعرفه[١٢] بالاجتهاد

---

[١] ر م: ويدنوا.
[٢] جميع النسخ: قربا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧١ظ.
[٣] ر: والدنوا.
[٤] ن م + قوس.
[٥] ث: فكان قد صدر القوس.
[٦] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٢٨.
[٧] ن: ما بينها.
[٨] جميع النسخ: أي موضع. والتصحيح من رواية الحديث.
[٩] روي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال: «لَغَدْوة في سبيل الله أو رَوْحةٌ خير من الدنيا وما فيها، ولَقاب قوس أحدكم أو موضع قده [وفي الترمذي: أو موضع يده] يعني سوطه من الجنة، خير من الدنيا وما فيها، ولو اطَّلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض، لملأت ما بينهما ريحا ولطاب ما بينهما، ولَنَصِيفُها على رأسها خير من الدنيا وما فيها» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٣/١٤١؛ و*سنن الترمذي*، فضائل الجهاد ١٨). «وفي صفة الحور: "ولَنَصيف إحداهن خير من الدنيا وما فيها" هو الخمار، وقيل: المِعْجَر» (*النهاية في غريب الحديث* لابن الأثير، ٩٠٦).
[١٠] جميع النسخ: كان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧١ظ.
[١١] ن: فيه.
[١٢] ر ث م: لعرفه.

ولا يدركه حقيقة، وكذلك[١] إذا قرب منه حتى ماسّه والتصق به قصر البصر عن إدراكه. وإذا كان بين البعد والقرب أحاط به وأدركه. فيخبر الله تعالى أنه أحاط به علما وأدركه حقيقة لا أن كان معرفته إياه بطريق الاجتهاد. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **أو أدنى**، قال أهل التأويل: حرف "أو" حرف شك، وذلك غير محتمل من الله تعالى ولكن معناه على الإيجاب، أي بل أدنى. وقال بعضهم: **أو أدنى** في اجتهادكم ووهمكم لو نظرتم إليهما لقلتم إنهما بالقرب والدنو قدر قوسين أو أدنى.

﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **فأوحى إلى عبده ما أوحى**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما على التقديم والتأخير.[٢] أي فأوحى جبريل ما أوحى [الله تعالى][٣] إليه إلى محمد عبده ورسوله عليهما الصلاة والسلام. والثاني فأوحى الله جل وعلا إلى عبده جبريل[٤] ما أوحى هو إلى محمد عليهما الصلاة والسلام.

﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾[١١]

وقوله عز وجل: **ما كذب الفؤاد ما رأى**، قرئ كَذَبَ مخفف الذال ومُشدَّده.[٥] فمن قرأ بالتخفيف أي ما كذَب عبدُه في ما رأى، أي ما رأى حق. وقال أبو عُبيدٍ:[٦] ما كذب في رؤيته، أي رؤيته قد صدقت. ومن قرأ بالتشديد أي لم يجعل الفؤادُ رؤية العين كذِبا. وعندنا أي ما رد الفؤاد ما رأى[٧] البصر. وأصله أن الفؤاد مما يوعَى به، يقول: قد وعى[٨] ما رأى

---

[١] ن: وكذا.

[٢] ن - والتأخير.

[٣] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٧١ظ.

[٤] م - جبريل.

[٥] قرأ أبو جعفر وهشام: ﴿ما كذَّبَ الفُؤادُ﴾ مشددة الذال، وقرأ الباقون: ﴿ما كَذَبَ﴾ خفيفة الذال (انظر: *المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤١٨؛ و*النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٨٣).

[٦] هو أبو عُبيد القاسم بن سَلَّام البغدادي، الإمام المشهور، ذو التصانيف، له كتب في معاني القرآن وغريب الحديث والفقه وغير ذلك. وكان ثقة علامة. مات سنة ٢٢٤هـ/٨٣٩م. انظر: *سير أعلام النبلاء* للذهبي، ١٠/٤٩٠-٥٠٩؛ و*تقريب التهذيب* لابن حجر، ٤٥٠.

[٧] م + أي.

[٨] ر + يقول قد وعى به؛ م + به.

[أي][1] لم يتركه ولم يضيعه.[2] وقيل: **ما كذب الفؤاد ما رأى**، أي ما علم، والرؤية كناية عن العلم. لكن لو كان المراد منه العلم فلا يحتمل ما ذكر: وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى،[3] ولا يتصور أن يعلم مرتين، وكذا ذكر أنه رأى ربه مرتين ولا يحتمل العلم مرتين فدل أن الحمل على العلم لا يصح.

وأصله عندنا **ما كذب الفؤاد ما رأى** من الآيات، دليله ما ذكر في آخره: لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى،[4] وقال: وَلَقَدْ رَآهُ[5] نَزْلَةً أُخْرَى. وعن الحسن أي رأى[6] عظمة من عظمة الله وأمرا من أمره.[7] وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «رأى جبريلَ عليه السلام على صورته مرتين»،[8] أي ما كذب الفؤاد ما رأى البصر جبريل عليه الصلاة والسلام ولقد رآه أيضا مرة أخرى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى.[9]

ومنهم من قال: إنه رأى ربه على العِيان بعينه. فهو خلاف ما ثبت من وعد الرؤية في الآخرة بالكتاب والسنة المتواترة،[10] ولأنه لو رأى ربه تعالى على ما قالوا لكان لا يَحتاج إلى أن يرى آياته الكبرى لأن رؤية الآيات إنما يُحتاج إليها[11] عند ما يُعرَف الشيء بالاجتهاد. فأما عند المشاهدة وارتفاع الموانع لا حاجة تقع[12] إليها إلا أن يقال برؤية[13] القلب على ما ذكر في الخبر أنه سئل عن ذلك فقيل: هل رأيت ربك؟ فقال: «رأيته مرتين بقلبي». وفي بعض الأخبار قال: «أما بعيني فلا وأما بفؤادي فقد رأيته مرتين».[14] ويفسرون رؤية / القلب بالعلم [٧٦٠و] ولكن الإشكال عليه ما ذكرنا فإن ثبت الحديث فهو على ما كان وأراد لا يفسر ذلك،

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٧١ظ.
[2] ر: ولم يضيقه.
[3] الآية ١٣ من هذه السورة.
[4] الآية ١٨ من هذه السورة.
[5] ر: وقال أراه.
[6] ر: أو رأى.
[7] انظر: *تفسير الحسن البصري*، ٣/٣٠٨؛ و*تفسير ابن كثير*، ٧/٤٢٥.
[8] *سنن الترمذي*، التفسير ٥٣.
[9] انظر: الآية ١٣ و١٤ من هذه السورة.
[10] ر م: المتواتر.
[11] ن + إلى أن يرى آياته الكبرى لأن رؤية الآيات إنما يحتاج إليها.
[12] جميع النسخ: يقع.
[13] ن: يريد.
[14] روي عن ابن عباس في قوله عز وجل ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ أنه قال: رأى محمد ربه عز وجل بقلبه مرتين (*مسند أحمد بن حنبل*، ١/٢٢٣؛ و*صحيح مسلم*، الإيمان ٢٨٥).

وكذلك قول من يقول[1] في قوله تعالى: ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى:[2] "إنه دنا من ربه"[3] قولٌ وَحْش فيه إثبات المكان والتشبيه، تعالى الله عن ذلك. ولكن المراد ما ذكرنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دنا من جبريل عليه الصلاة والسلام على ما ذكرنا.

ثم في قوله تعالى:[4] **ما كذب الفؤاد ما رأى**، وقوله تعالى: وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى،[5] إلى آخره[6] ذِكرُ[7] خصوصية رسولنا صلى الله عليه وسلم من بين غيره من الخلائق؛ منها رؤية جبريل عليه الصلاة والسلام على صورته، ورؤية الرب تعالى بقلبه إن ثبت الحديث عنه، وبلوغه إلى سدرة المنتهى إذ لم يذكر لأحد من رسل الله تعالى أنه بلغ هذا المبلغ سواه.

﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **أفتمارونه على ما يرى**، عن ابن مسعود رضي الله عنه وابن عباس[8] أنهما قرءا[9] مفتوحة التاء بغير ألف،[10] ومعناه: أفتجحدونه؟ وعن الحسن بالألف مضمومة التاء وقال: معناه أفتجادلونه؟[11] وعن شريح مثله.[12] قال أبو عبيد: فالأولى[13] أن يقرأ بمعنى الجحود، وذلك أن المشركين إنما كان شأنهم الجحودَ فيما يأتيهم من الخبر السماوي وهو أكثر[14] من المماراة والمجادلة.

---

[1] ن + ثم.

[2] الآية ٨ و ٩ من السورة.

[3] ن + أنه.

[4] ن + ثم.

[5] الآية ١٣ و ١٤ من السورة.

[6] م: إلى آخر ما.

[7] ن: ذلك.

[8] ن ث: عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما (ن: عنهم).

[9] ر م: قرأ.

[10] قرأ حمزة والكسائي ويعقوب وخلف: ﴿أَفَتَمْرُونَه على ما يَرى﴾ بفتح التاء وسكون الميم من غير ألف، وقرأ الباقون: ﴿أَفَتُمَارُونَه﴾ بالألف وضم التاء (انظر: *والمبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤١٩؛ *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٨٣).

[11] ن – وعن الحسن بالألف مضمومة التاء وقال معناه أ فتجادلونه.

[12] *الدر المنثور* للسيوطي، ٧/٦٤٧.

[13] جميع النسخ: بالأولى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٢و.

[14] ر ث م: أكبر.

وقيل: أفَتَمْرونه،[١] أي أفتُشَكِّكونه[٢] على ما يرى.[٣] وقال أبو بكر الأصم: لا يصح القراءة بغير ألف ولا تأويله إنما القراءة بالألف وتأويله: أفتجادلونه. ونحن نقول بأن تأويل ما ذكر[٤] من الجحود والقراءة صحيح. وتأويل من قال: أفتجادلونه[٥] على ما يرى لا يحتمل، لأن مجادلتهم لا يكون فيما يَرى لكن يجادلونه على ما يخبر أنه يرى[٦] إذ في الخبر يقع التكذيب وبه يجادلونه. **والله أعلم.**

﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **ولقد رآه نزلة أخرى**، فهو على ما ذكرنا من اختلاف الناس أن ما رأى[٧] أيش هو. **والله أعلم.**

﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **عند سدرة المنتهى**، قيل: سمى ذلك الموضع سدرة لما انتهى إليه علم الخلق فلا يجاوزه، وقيل: لما انتهى إليه كرامات الخلق لا يجاوز كراماتهم عنها. وقيل: السدرة الشجرة، ويروون[٨] في ذلك خبرا مرفوعا عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله عليه وسلم: «رأيت جبريل عليه السلام عند سدرة المنتهى عليه كذا كذا من جناح».[٩] وقيل: سميت سدرة المنتهى لما ينتهي إليها أرواح الشهداء. ثم جائز أن يكون رسول الله[١٠] صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام أولا عند سدرة المنتهى من الأرض إما برفع الحجب عنه وإما بزيادة قوة وضعت في بصره ثم رآه مرة أخرى هنالك أيضا بعد ما رفع صلى الله عليه وسلم إلى سدرة المنتهى. **والله أعلم.**

---

[١] وفي هامش *الشرح*: أفتمرونه بفتح التاء وتسكين الميم من غير ألف كوفي غير عاصم ويعقوب، ورقة ١٧٢و.

[٢] ر ث م: تشككونه؛ ن: يشككونه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٢و.

[٣] ن ث: ترى.

[٤] ث: من ذكر.

[٥] ن - ونحن نقول بأن تأويل ما ذكر من الجحود والقراءة صحيح وتأويل من قال أفتجادلونه.

[٦] جميع النسخ: جرى. والتصحيح من المرجع السابق.

[٧] ر ث م - رأى.

[٨] ر: ويرون.

[٩] *مسند أحمد بن حنبل*، ٤١٢/١، ٤٦٠.

[١٠] ن - رسول الله.

﴿عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **عندها جنة المأوى،** قرئت بنصب الجيم وخفضه. روي أنه قيل: لسعد[١] بن أبي وقاص رضي الله عنه: إن فلانا يقرأ بالخفض: عندها جِنة المأوى،[٢] فقال سعد: ما كذا جَنة الله وقرأ بالفتح. وعن الأعمش[٣] قال: قالت [عائشة:] من قرأ جِنة المأوى فأجنه الله.[٤] وعن أبي العالية قال: سئل عنها ابن عباس رضي الله عنه فقال: لي كيف تقرأها[٥] يا أبا العالية؟ فقلت: **جَنة المأوى،** بفتح الجيم، فقال: صدقت وهي مثل الأخرى: فَلَهُمْ جَنَّاتُ[٦] الْمَأْوَى.[٧] وعن الحسن أنه قرأ: **جَنة المأوى،** وقال: إنها من الجِنان ويصدّقها[٨] حديث الإسراء أنه أُرِيَ الجنةَ وأُدخلها. قال: ودلت الآية أن الجنة [هي] التي يأوي إليها المؤمنون في السماء.

﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **إذ يغشى السدرة ما يغشى،** قال عامة[٩] أهل التأويل: يغشاها فراش من ذهب، وكذا ذكر في خبر مرفوع أنه قال: «رأيت عليها[١٠] فراشا من ذهب».[١١] ولكن لا تفسر[١٢] ما الذي يغشى السدرة بل نُبهم كما أبهم الله تعالى إلا بحديث ثبت عن تواتر. **والله أعلم.**

---

[١] ر م: لسعيد.

[٢] ن – قرئت بنصب الجيم وخفضه روي أنه قيل لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه إن فلانا يقرأ بالخفض عندها جنة المأوى.

[٣] ر: وعن الأعش.

[٤] ن: من قرأ جنة المأوى جنة المأوى قال جنة الله.

[٥] ر ث م: يقرأها.

[٦] ر ث م: جنة.

[٧] سورة السجدة، ١٩/٣٢. ورويناه عن قرطب قال: سأل ابن عباس أبا العالية: كيف تقرءونها يا أبا العالية؟ فقال: ﴿عندها جَنَّةُ المأوى﴾ فقال: صدقت، هي مثل الأخرى: ﴿جَنَّات المأوى﴾ فقالت عائشة رحمة الله عليها: من قرأ ﴿جِنَّةُ المأوى﴾ يريد جُن عليه، فأجنه الله. قال أبو حاتم: روي عن ابن عباس وعائشة وابن الزبير قالوا من قرأها ﴿جِنَّةُ المأوى﴾ فأجنه الله، قال: وقال سعد بن مالك: وقيل إن فلانا يقرأ: ﴿جِنَّةُ المأوى﴾ فقال: ماله أجنه الله (*المحتسب* لابن جني، ٣٤٣/٢).

[٨] جميع النسخ: وتصديقها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٢ظ.

[٩] ن – عامة.

[١٠] ر ث م – أنه قال رأيت عليها؛ ر ث م + غشاها.

[١١] *الدر المنثور* للسيوطي: ٦٥١/٧.

[١٢] جميع النسخ: لا يفسر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٢ظ.

وقال بعضهم في قوله تعالى: **إذ يغشى السدرة ما يغشى**، أي ما يغشى[1] من أمر الله تعالى، ويروون خبرا عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما انتهيت إلى السدرة رأيت ورقها أمثال آذان الفيلة، ورأيت نَبْقَها أمثال القِلال؛ فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تحولت...» فذكر الياقوت.[2] إن ثبت هذا الخبر ففيه دليل أن السدرة[3] شجرة إذ ذكر ورقها وفيه أن الذي يغشاها أمر الله تعالى. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: **إذ يغشى السدرة ما يغشى**، الملائكة.[4] *والله أعلم*.[5]

﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **ما زاغ البصر وما طغى**، قال أبو بكر [الأصم]: أي ما قَصُر البصر عن الحد الذي أمر وجُعل له. **وما طغى**، وما جاوز عنه، أو كلام نحوه. ويحتمل: **ما زاغ**، أي ما مال وما عدل يمينا وشمالا، **وما طغى**، وما جاوز. وقال أبو عَوْسَجَة: **ما زاغ البصر**،[6] أي ما مال، **وما طغى**، من الارتفاع، طغى الماء إذا ارتفع يَطغَى طُغيانا.

﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **لقد رأى من آيات ربه الكبرى**، جائز أن تكون[7] آيات ربه التي ذكر أنه رأى هو جبريل عليه السلام حيث رآه بصورته، وكذلك روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه «رآه بصورته مرتين»،[8] و[هو] تأويل الآية، ويحتمل غيره من التأويلات.[9] ولكن لا نفسرها. *والله أعلم*.

---

[1] ن + أي ما يغشى.

[2] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «انتهيت إلى السدرة فإذا نبقها مثل الجرار وإذا ورقها مثل آذان الفيلة، فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تحولت ياقوتة أو زمردا أو نحو ذلك» (*مسند أحمد بن حنبل* ١٢٨/٣؛ وانظر: *مصنف ابن أبي شيبة*، ٤٢٧/٧).

[3] ر: أن الدرة.

[4] *تنوير المقباس من تفسير ابن عباس*، ٥٦٢؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٦٥١/٧.

[5] ن + والله أعلم.

[6] ن – البصر؛ ث – ما زاغ أي ما مال وما عدل يمينا وشمالا وما طغى وما جاوز وقال أبو عوسجة ما زاغ البصر.

[7] جميع النسخ: أن يكون.

[8] *سنن الترمذي*، التفسير ٥٣.

[9] جميع النسخ: من الآيات.

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾[١٩] ﴿وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾[٢٠] ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى﴾[٢١] ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾[٢٢]

[٧٦٠ظ] وقوله عز وجل: **أفرأيتم اللات والعزى ومنات الثالثة الأخرى،** / الآية، يخرج تأويل هذه الآية على وجوه، وإلا ليس في هذا الموضع لظاهر قوله عز وجل: **ومنات الثالثة الأخرى،** جواب ولا لقوله: **ألكم الذكر وله الأنثى.** أحدها أن يقول: أهؤلاء الذين يعبدونهم من اللات والعزى ومناةَ أخبروكم وقالوا لكم: إنه اصطفى لنفسه البنات ولكم البنين وإن الملائكة بنات الله ونحوه، أخذتم ذلك منها؟ أو ممن أخذتم ذلك وأنتم قوم لا تؤمنون[١] بالرسل والكتب؟ وقد عرفوا أنها لم تخبرهم[٢] بذلك، فيذكر بذلك سفههم.

[والثاني] يقول:[٣] **أفرأيتم اللات والعزى ومنات الثالثة الأخرى،** التي سميتموها آلهة وعبدتموها دون الله ونسبتم[٤] البنات إليه والبنين إلى أنفسكم؟ ثم لم يذكر جوابها أنه من أمرهم بذلك ومن اختار لهم ذلك أو ممن أخذوا ذلك؟ ثم قال: إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ،[٥] الآية، كأنه يقول -والله أعلم-: إنكم إنما سميتموها[٦] آلهة واخترتم لأنفسكم البنين وله البنات بلا سلطان ولا حجة لكم، إنما هي أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم بلا حجة ولا سلطان[٧] إنما هو هوى النفس والظن.

و[الثالث] يحتمل أن يقول: **أفرأيتم اللات والعزَى ومناتَ الثالثةَ الأُخرى،** [هل] أَمَرَتْكم[٨] بصرف شكر ما أنعم الله تعالى عليكم [إلى غيره]، و[بعدم] قبولِ ما وهب لكم من البنات على ما أخبر أنها من مواهب الله[٩] بقوله تعالى: يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ،[١٠] وبردِّ مواهبه ودفنها حَيَاتٍ[١١] ودَسِّها في التراب، وبصرف العبادة إلى غير المنعم،

---

[١] جميع النسخ: لا يؤمنون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٢ظ.
[٢] ر م: لم يجزهم؛ ن ث: لم يخبرهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[٣] جميع النسخ: أو يقول.
[٤] ر: ونسبتكم.
[٥] الآية التالية.
[٦] ر م – أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان الآية كأنه يقول والله أعلم إنكم إنما سميتموها.
[٧] ن: وسلطان.
[٨] جميع النسخ: أمركم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٢ظ.
[٩] ن + من.
[١٠] سورة الشورى، ٤٢/٤٩.
[١١] م: حيا.

وقسمة البنين لأنفسكم والبنات له؟ ثم أخبر وقال: **تلك**[١] **إذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى**، أي تلك قسمة جور وظلم؛ أي صرف شكر النعم[٢] إلى غير المنعم وتوجيه العبادة إلى[٣] من لا يستحقه ورد مواهبه. على هذه الوجوه يشبه أن تخرج[٤] الآية وإلا فلا يُدْرَى[٥] ظاهرها[٦] وما تأويلها وما جواب هذا الحرف؟ ***والله أعلم***.

ثم قوله: **اللات**، قرأ مجاهد وغيره مشدد التاء.[٧] فقالوا هو رجل كان يقوم على آلهتهم ويَلُتّ لها السويق بالزيت فيُطعمه الناس.[٨] وروى ابن الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان يَلُتّ السويق للحاجّ.[٩] ومن قرأ مخفف التاء[١٠] جعلوه اسم الصنم مثل العزى ومناةَ وهي آلهة كانوا يعبدونها. ذكر قتادة في تفسيره: كان اللات بالطائف والعزى ببطن نخلة[١١] ومناةُ بِقُدَيدٍ.[١٢]

وقوله عز وجل: **تلك إذا قسمة ضِيزَى**، قال القُتَبِي: هي في الأصل ضُيْزَى على وزن فُعْلَى فكسرت الضاد للياء، وليس[١٣] في النعوت فِعْلَى، أي قسمة جائرة.[١٤] وقال أبو عَوْسَجَة: **ضيزى**، أي غير مُنْصِفة، والضَّيْز في الأصل الجور،[١٥] وقال أبو عُبَيْدة: ناقصة.[١٦]

---

[١] ن – تلك.
[٢] ر ث م: المنعم.
[٣] ر م – إلى.
[٤] جميع النسخ: أن يخرج.
[٥] ث: يدرا.
[٦] جميع النسخ: ظاهره. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٢ظ.
[٧] *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٨٣.
[٨] اللَّتُّ الفِعْلُ من اللُّتاتِ وكلُّ شيء يُلَتُّ به سَويقٌ أو غيره نحو السَّمْن ودُهْنِ الأَلْيَةِ، وفي حديث مجاهدٍ في قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾؟ قال كان رجلٌ يَلُتُّ السويقَ لهم (*لسان العرب*، «لتت»).
[٩] روى أبو الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿اللات والعزى﴾: «كان اللات رجلا يلت سويق الحاج» (*صحيح البخاري*، التفسير ٥٣).
[١٠] *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٨٣.
[١١] ن: نحلة.
[١٢] *تنوير المقباس من تفسير ابن عباس*، ٤٤٨؛ و*المعجم الكبير* للطبراني، ١١/٣٩٤؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٧/٦٥٣.
[١٣] ن – وليس.
[١٤] ر ث م: جائزة. *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٢٨.
[١٥] ر: الجوز.
[١٦] *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢/٢٣٧.

وقال بعض الناس: إن النبي صلى الله عليه وسلم لما تلا قوله تعالى: **أفريتم اللات والعزى ومنات الثالثة الأخرى،** ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغَرَانِيق العُلى شفاعتُهن تُرْتَجَى ومثلُهن لا تُنسى.[1] ثم قال بعضهم: الغرانيق العلى الملائكة، وقال بعضهم: الأصنام التي يعبدونها على رجاء الشفاعة لهم بقولهم: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللهِ.[2]

لكن لا يحتمل أن يقول النبي صلى الله عليه وسلم أو يجري على لسانه ما ذكروا[3] والله تعالى قال: وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ،[4] ولو جاز أن يجري على لسانه لَتُوُهِّم منه التقول وذلك بعيد. وقال في آية أخرى: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ.[5] ولو جاز ذلك لجاز أن يُجري الله الكذب على لسانه فلا يكونُ فيمن[6] وجد من الحرج في قضائه ما ذكر وهو الكفر. دل أن ما ذكروه فاسد. فإن ثبت ما ذُكر أنه جرى على لسانه تلك الكلمات أو ألقى الشيطان في فمه يريد: تلك[7] الغرانيق العلى شفاعتهن ترتجى[8] عندهم وفي زعمهم؛ وهو كقول موسى عليه السلام: وَانْظُرْ إِلَىٰ إِلٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا،[9] أي إلى إلهك الذي هو عندك إله، وإلا لا يحتمل أن يكون موسى عليه السلام يسمي العِجْل إلها؛ وكقوله تعالى: فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ،[10] أي إلى آلهة عندهم؛ وقوله عز وجل: أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ،[11] أنها شركائي. فقد ذكرنا هذا على التمام في سورة الحج في قوله[12] عز وجل: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ،[13] الآية. ***والله أعلم.***

---

[1] انظر: تفسير الآية ٥٢ من سورة الحج؛ وانظر: *تفسير الطبري*، ١٧/١٨٧، ١٨٨؛ و*روح المعاني* للآلوسي، ١٧/١٧٦.

[2] سورة يونس، ١٠/١٨.

[3] جميع النسخ: ما ذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٣و.

[4] سورة الحاقة، ٦٩/٤٤-٤٦.

[5] سورة النساء، ٤/٦٥.

[6] م: في ما.

[7] جميع النسخ: بذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٣و.

[8] ث: يرتجى.

[9] سورة طه، ٢٠/٩٧.

[10] ﴿فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون ما لكم لا تنطقون﴾ (سورة الصافات، ٣٧/٩١-٩٢).

[11] سورة القصص، ٢٨/٦٢، ٧٤.

[12] جميع النسخ: وقوله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٣و.

[13] سورة الحج، ٢٢/٥٢.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **ما أنزل الله بها من سلطان**، أي ما أنزل الله على[١] تسميتكم الأصنامَ آلهةً وعبادتكم إياها ونسبتِكم[٢] البنين إلى أنفسكم والبنات إلى الله تعالى من حجة وبرهان إنما هو من هوى النفس والظن، وذلك قوله تعالى: **إن يتبعون إلا الظن**، في قولهم: الملائكة بنات الله، أو قولهم: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[٣] أو تسميتهم[٤] الأصنام آلهة وظنِّهم[٥] أن آباءهم كانوا على الحق. واستدلوا على حقيقة ما كانوا عليه من الدين حيث تركهم وما اختاروا ولم يهلكهم، وقالوا: لو كانوا على باطل ما تركهم على ذلك. واستدلوا بذلك أيضا على رضاه منهم بذلك وأمرِه إياهم، كما أخبر عنهم بقوله: وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا،[٦] هذا ظنهم بالله تعالى.

وقوله: **وما تهوى الأنفس**، أي[٧] يتبعون هوى[٨] النفس. / فالنفس إنما تعرف[٩] المنافع [٧٦١و] الخاضرة والمضار الحاضرة فأما ما غاب عنها فلا تعرف،[١٠] وإنما يُعرَف ذلك[١١] بالتفكر والنظر؛ وهي لا تعرف[١٢] لما تكره[١٣] النظر والتفكر ولا ترغب[١٤] في الشدائد ولا فيما يثقل عليها. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **ولقد جاءهم من ربهم الهدى**، أي جاءهم من ربهم ما لو تفكروا ونظروا لاهتدوا ولو اتبعوا الحق والهدى لعرفوه.

---

[١] ن: من.
[٢] ر م: وتسميتكم.
[٣] سورة يونس، ١٨/١٠.
[٤] ر م: وتسميتهم.
[٥] جميع النسخ: وظنوا.
[٦] سورة الأعراف، ٢٨/٧.
[٧] ر م: إن.
[٨] ر: هو.
[٩] ر ث م: ما يعرف؛ ن: إنما يعرف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٣و.
[١٠] جميع النسخ: فلا يعرف. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] ث: هذا.
[١٢] ن: لا يعرف.
[١٣] جميع النسخ: لما يكره.
[١٤] جميع النسخ: ولا يرغب. والتصحيح من المرجع السابق.

﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾[٢٤]﴿فَلِلّٰهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **أم للإنسان ما تمنى**، أي [ليس][١] للإنسان[٢] ما تمنى. ثم يحتمل تمنيهم شفاعة ما[٣] عبدوه، أو ما اختاروا من البنين لأنفسهم والبنات لله تعالى، أو ما سموا واتخذوا الأصنام آلهة، أو ما ظنوا[٤] على الله وادَّعوا أمره ورضاه في فعلهم وغير ذلك مما كانوا يتمنَّون. يقول: ليس للإنسان ما تمنى أن يكون له إنما يكون ذلك له بجعل[٥] الله الذي له الدنيا والآخرة. وذلك قوله تعالى: **فلله[٦] الآخرة والأولى**.

﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى**، يخرج هذا على وجهين. أحدهما أي كم من[٧] ملك له شفاعة لا ينفع شفاعته وإن يشفع إلا لمن ذكر. والثاني أي كم[٨] من ملك في السماوات لا شفاعة[٩] له ولا يشفع إلا لمن يشاء الله ويرضى أن يشفع، وهو كقوله تعالى: فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ،[١٠] أي ليست لهم شفاعة تنفع[١١] لهم.[١٢] وقال أبو بكر الأصم: إنما يشفعون في الآخرة لمن شَفَعُوا في الدنيا واستغفروا لهم، كقوله تعالى: وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ،[١٣] وقوله تعالى:[١٤]

---

[١] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٧٣و.
[٢] جميع النسخ: للإنسي. والتصحيح من المرجع السابق.
[٣] ر م: شيئا.
[٤] ر: آلهة وما ظنوا.
[٥] ر ث م: يجعل.
[٦] جميع النسخ: ولله.
[٧] ر ث م – من.
[٨] م + كم.
[٩] ن: ولا شفاعة.
[١٠] سورة المدثر، ٤٨/٧٤.
[١١] جميع النسخ: ينفع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٣ظ.
[١٢] م + شفاعته.
[١٣] ﴿تكاد السماوات يتفطَّرن مِن فوقهن والملائكةُ يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض﴾ (سورة الشورى، ٥/٤٢).
[١٤] ث – ويستغفرون لمن في الأرض وقوله تعالى.

وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا، الآية، وقولهم: رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ،[١] وقد ذكرنا في ما تقدم الوجه في ذلك.[٢]

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى﴾[٢٧]

وقوله عز وجل: **إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى**، [لا كل من لم يؤمن بالآخرة يسمي الملائكة تسمية الأنثى][٣] وإنما يسمي ذلك قوم.[٤] وقد أضاف ذلك إلى الكل في الظاهر لأن الذين يسمون الملائكة تسمية الأنثى[جماعة فكأن معناه أن جماعة من الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى].[٥] ***والله أعلم***. ويجوز أن يذكر الكل ويراد به البعض في اللغة ومثله في القرآن كثير. ***والله أعلم***.

﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾[٢٨]

وقوله:[٦] **وما لهم به من علم**، أي ما لهم بما يسمون الملائكة تسمية الأنثى من علم لأن العلم بمعرفة الأنثى من الذَّكَر بطريقين. أحدهما المشاهدة يشاهد ويعاين فيعرف الأنثى من الذكر، وهم لم يشاهدوا[٧] الملائكة فكيف يعرفون ذلك. والثاني خبر الرسول المؤيد بالمعجزة، وهؤلاء قوم لا يؤمنون بالرسل؛ ولا يعرف بالاستدلال. وطرقُ العلم الثلاثةُ [هي] التي ذكرنا. فإذا[٨] كان [ما ذكرنا][٩] حصل قولهم بلا علم ولكن على الظن، وذلك قوله تعالى: **إن يتبعون إلا الظن**، أي ما يتبعون في قولهم الذي قالوا إلا الظن، ووجه ظنهم ما ذكرنا. ثم أخبر أن ظنهم لا يغنيهم من الحق شيئا، فهو يخرج على وجهين. أحدهما أن الظن الذي ظنوا لا يدفع عنهم ما عليهم من اتباع الحق ولزومه. والثاني أن ظنهم الذي ظنوا في الدنيا لا يدفع عنهم ما لزمهم من العذاب في الآخرة.

---

[١] سورة المؤمن، ٤٠/٧-٨.
[٢] انظر: تفسير هاتين الآيتين.
[٣] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٧٣ظ.
[٤] ر م: قيوم.
[٥] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.
[٦] ر + وقوله.
[٧] ر: لم يشاهدو.
[٨] ن: فماذا.
[٩] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **فأعرض عمن تولى عن ذكرنا**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما على ترك مكافأتهم، أي لا تكافئهم لصنيعهم وأذاهم. والثاني يخرج على الإياس له من إيمانهم، أي لا تشتغل بهم فإنهم لا يؤمنون أبدا. فهو في قوم خاص علم الله تعالى أنهم لا يؤمنون.

وقوله[١] عز وجل: **ولم يرد إلا الحياة الدنيا**، يحتمل أنهم كانوا لا يؤمنون بالآخرة فلم يريدوا بحسناتهم التي فعلوا إلا الحياة الدنيا، لأنهم كانوا يتصدقون ويَصِلُون الأرحام لكن لم يريدوا[٢] بذلك إلا ما ذكر في الحياة الدنيا. وجائز أن يكون الإرادة هاهنا كناية عن العمل. وقوله عز وجل: **ولم يرد إلا الحياة الدنيا**، أي لم يعمل للآخرة رأسًا، يخبر عنهم أنهم يعملون للدنيا[٣] لا للآخرة، وهو كقوله تعالى: مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ، وقوله عز وجل: وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ،[٤] الآية، ونحو ذلك.

﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **ذلك مبلغهم من العلم**، بأن لا يؤمنوا بالآخرة ولا يعملوا لها. وقال بعضهم: **ذلك مبلغهم من العلم**،[٥] أي ذلك مبلغ رأيهم من العلم أن الملائكة بنات[٦] الله وأنها تشفع لهم.

وقوله عز وجل: **إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى**، مثل هذا الكلام إنما يخرج على إثر خصومات كانت من أولئك الكفرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، كأن أولئك الكفرة قالوا: نحن على الهدى وأنتم على الضلال. فقال عند ذلك: فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا،[٧] ثم قال: **إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى**، أي هو أعلم بمن ضل عن سبيله فيجزيه جزاء ضلالة في الآخرة وهو أعلم بمن اهتدى فيجزيه[٨] جزاء الهدى. ***والله أعلم***.

---

[١] ن: قوله.
[٢] جميع النسخ + إلا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٣ظ.
[٣] ر: الدنيا.
[٤] سورة الإسراء، ١٧/١٨-١٩.
[٥] ن ث - بأن لا يؤمنوا بالآخرة ولا يعملوا لها وقال بعضهم ذلك مبلغهم من العلم، صح هـ.
[٦] ر ن: آيات.
[٧] الآية السابقة.
[٨] ر م: فنجزيه.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾[٣١]

وقوله عز وجل: **ولله ما في السماوات وما في الأرض ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما يقول: **لله ما في السماوات وما في الأرض**، وهو غني عن عبادتكم وإنما يأمركم وينهاكم ليجزيكم بأعمالكم لا لمنافع يرجع إليه. والثاني **لله ما في السماوات وما في الأرض**، / أي إنما أنشأ أهل السماوات والأرض [٧٦١ظ] ليمتحنهم بالأمر والنهي ثم ليجزي الذين أساؤا جزاء الإساءة والذين أحسنوا جزاء الإحسان. ولو كان على ما قال أولئك الكفرة أن لا بعث ولا جزاء لكان خلْقهم وخلقُ ما ذكر عبثا باطلا، وفي الحكمة التفريق بين المسيء والمحسن وفي الدنيا تحققت التسوية بينهما، فدل ذلك على دار أخرى يفرَّق[1] بينهما فيها. ثم يحتمل جزاء إساءة أولئك في الدنيا والآخرة؛ في الدنيا القهر والدَّبْرَة والهزيمة، وفي الآخرة النار؛ وجزاء المحسن في الدنيا النصر والظفر، وفي الآخرة الجنة.

﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾[٣٢]

ثم نعت الذين أحسنوا[2] بالحسنى[3] وهو التوحيد فقال: **الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش**، ثم يحتمل أن يكون الكبائر ما يعرفها كل أحد أنها كبيرة، والفاحشة ما يعرفها كل أحد أنها فاحشة، واللمم[4] على هذا يجيء أن يكون من[5] تلك[6] الكبائر والفواحش لأنه استثناه[7] منها[8] فيجب أن يكون من جنسها، لكنه استثناها[9] وعفا عنها لما يقعون فيها

---

[1] ن: تفرق.
[2] ر م: أحسن.
[3] ر م: الحسنى.
[4] ر: واللهم.
[5] ر م – من.
[6] ر: ذلك.
[7] جميع النسخ: الفواحش لأنه استثناها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٤و.
[8] ر ث م – منها.
[9] يبدو أن كلمة "اللمم" قد تستعمل مؤنثة رعاية لمعنى الجنس.

عن غفلة[1] وسهو أو عن[2] غلبة شهوة ونحوها،[3] وهو الأشبه بتأويل الآية. وقال أهل التأويل: الكبائر والفواحش هي التي ذُكر فيها الحد في الدنيا والعقوبةُ في الآخرة، واللمم[4] التي لم يذكر لها حد في الدنيا ولا عقوبة في الآخرة. وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال:[5] «زنا العين النظر وزنا الشفتين التقبيل وزنا اليدين البطش وزنا الرجلين المشي ويصدّق ذلك ويُكذبه الفرج، فإن تقدم فهو زنا وإلا فهو لمم».[6] وفي رواية: «إن تقدم كان[7] زنا وإن تأخر كان لمما».[8] وعن[9] ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما رأيت أشبه باللمم مما[10] قال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا مَحالةَ، فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق[11] والنفس يتمنى ويشتهي والفرج يُصدق ذلك كله أو يكذّبه».[12] وعن أبي هريرة أنه [قال]:[13] النظْرة والغمزة والقُبْلة والمباشرة.[14] وعنه: إن اللمم[15] النكاح. وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: اللمم لمم[16] الجاهلية، كقوله تعالى: وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ.[17] وعن ابن عباس رضي الله عنه: هو أن يُلِمَّ[18] المرأة.[19]

---

[1] ر: من غفلة.
[2] ث + غفلة.
[3] ن ث: ونحو هذا.
[4] ر: واللحم.
[5] ن – أنه قال.
[6] ر: لمم. *تفسير عبد الرزاق*، ٣/٢٥٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٧/٦٥٥.
[7] ن: فهو.
[8] م: لمم.
[9] جميع النسخ: عن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٤و.
[10] م: ما.
[11] ث: المنطق.
[12] مسند *أحمد بن حنبل*، ٢/٢٧٦، ٣٧٩؛ وصحيح *البخاري*، الاستئذان ١٢، القدر ٩؛ وصحيح *مسلم*، القدر ٢٠؛ وسنن *أبي داود*، النكاح ٤٣.
[13] م – أنه. الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٧٤و.
[14] تفسير *الطبري*، ٢٧/٨٧؛ وتفسير ابن كثير، ٧/٤٣٦.
[15] ر: إن اللحم.
[16] ر: اللحم لحم.
[17] سورة النساء، ٤/٢٣.
[18] ث: تلم.
[19] تفسير *الطبري*، ٢٧/٨٩.

وقيل: **اللمم**، الهمّ[1] بالخطيئة من جهة حديث النفس[2] شيئا من غير عزم. وقيل: إن اللمم[3] مقاربة[4] الشيء من غير دخول فيه.

وعن[5] ابن عباس رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

إن تغفِر اللهمّ[6] تَغفرْ[7] جَمّا وأيّ عبدٍ لك لا أَلَمّا.[8]

وقيل: اللمم[9] الصغير من الذنوب لقوله: إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ،[10] الآية.[11] وقال القُتَبِي: اللمم[12] الصغار من الذنوب، وهو من أَلَمّ بالشيء إذا لم يتعمق فيه و لم يَلزمه.[13] وقال بعضهم: اللمم[14] ما بين الحدين: حد الدنيا وحدِّ الآخرة، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه،[15] وذلك يحتمل والأول أقرب. وقال أبو بكر الأصم: اللمم[16] التي يتوب عنها فإنهم إذا تابوا عنها يتجاوز عنهم. فهو يجعل اللمم[17] من تلك الكبائر والفواحش، لكنه يقول:[18] إنما استثنى لما يتوب عنها لما يقعون فيها على السهو والغفلة أو لغلبة شهوة على حسن الظن بربه فيغفر له، أو يتوب عليه فيعفو[19] عنها. وعلى تأويل أهل التأويل اللمم[20] ما دون الكبائر والفواحش.

---

[1] ر: اللحم الهم.
[2] ن - وعن ابن عباس رضي الله عنه هو أن يلم المرة وقيل اللمم الهم بالخطيئة من جهة حديث النفس، صح هـ.
[3] ر: اللحم.
[4] ر ث م: مقارنة.
[5] ن: عن.
[6] جميع النسخ: لاهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٤و.
[7] ن: يغفر يغفر.
[8] انظر: *لسان العرب*، «لمم».
[9] ر: اللحم.
[10] سورة النساء، ٣١/٤.
[11] ن - الآية.
[12] ر: اللحم.
[13] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٢٩.
[14] ر: اللحم.
[15] *تفسير ابن عباس*، ٨٤٦؛ و*تفسير الطبري*، ٩٠/٢٧.
[16] ر: اللحم.
[17] ر: اللحم.
[18] ن: تقول.
[19] ر: فيعفوا.
[20] ر: اللحم.

وجائز أن يكون الكبائر والفواحش التي ذكر كبائر الشرك وفواحشه،[1] كقوله عز وجل: وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً،[2] الآية، وقوله تعالى: وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا.[3] فيكون اللمم[4] على هذا ما دون الشرك، فهو في مشيئة الله تعالى إن شاء عفى عنها وإن شاء عذب عليها، كقوله تعالى: إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ.[5]

وقوله عز وجل: **إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض**، أي هو أعلم بكم وبأحوالكم ووقوعكم فيها على السهو والغفلة عفا عنكم، أي عن اللمم. وعلى قول أبي بكر: **إن ربك واسع المغفرة**، لمن تاب عنها وهو أعلم بكم[6] أنكم تتوبون[7] عنها. وعندنا ما ذكرنا[8] هو واسع المغفرة لمن شاء تاب عنها أو لم يتب. ثم إن كانت المغفرة هي الستر[9] فهي تعم[10] المؤمن والكافر في الدنيا، وإن كانت التجاوز فهي للمؤمنين خاصة. ***والله الموفق***.

وقوله عز وجل: **هو أعلم بكم**، عندنا هو أعلم بكم[11] بأنكم تعملون وتقعون فيها على السهو والغفلة، أو هو أعلم بأحوالكم وأفعالكم وما يكون منكم. ويحتمل:[12] **هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم**، ما لو اجتمع حكماء البشر ما أدركوا معنى الإنسان في ذلك ولا أدركوا معنى تصوير اليدين والعينين وغيرهما[13] من الجوارح

---

[1] ر: وفواحشة.

[2] ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله و لم يُصِرُّوا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٣٥).

[3] ﴿ ... من دونه من شيء﴾ (سورة النحل، ١٦/٣٥).

[4] ر: اللحم.

[5] سورة النساء، ٤/٤٨.

[6] ن – وبأحوالكم ووقوعكم فيها على السهو والغفلة عفا عنكم أي عن اللمم وعلى قول أبي بكر إن ربك واسع المغفرة لمن تاب عنها وهو أعلم بكم.

[7] ر ن م: يتوبون.

[8] ر ث م: ما ذكر.

[9] ر ث م:أيسر.

[10] ن: يعم.

[11] ر – عندنا هو أعلم بكم.

[12] ر ث م – يحتمل.

[13] ر م: وغيرها.

وقتَ ما كنتم أجِنَّة في بطون أمهاتكم. ثم نِسْبَتُنا[1] إلى الأرض بقوله تعالى: **إذ أنشأكم**[2] **من الأرض،** يحتمل وجهين. إما الخلق أصلنا من الأرض، كقوله تعالى: خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ،[3] ونحوه. أو لجعل أقواتنا منها لقوله تعالى: وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا،[4] إذ لا قوام لنا إلا بذلك الغذاء والقوت الذي يخرج من الأرض. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **فلا تزكوا أنفسكم،** في ظاهر / الآية نهيٌ عن التزكية، وأَمَر في آية أخرى [٧٦٢و] بالتزكية ورغَب فيها حيث قال: وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ.[5] لكن فيما أمر بالتزكية أمر بإصلاح أنفسهم في أنفسهم وتزكيتها فعلا وفي ما نهى عن التزكية نهى عن أن يَصِفوا أنفسهم بالتزكية والصلاح والتُّقَى والبراءة، لعل ذلك ليس بتزكية في الحقيقة إذ[6] يكون فيهم من الفساد ما لا يستحق التزكية والوصف بالبراءة.[7] ***والله أعلم***.

فإن قيل: إن الله تعالى لما نهانا عن التزكية فكيف جاز لنا أن نقول لأنفسنا إنا مؤمنون ومسلمون[8] إذ ذلك مدح وتزكية.

قيل: إنا أمرنا بقول الإيمان والإسلام ابتداء حيث قال: قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ،[9] الآية، وقوله: وَأَسْلِمُوا،[10] ونحو ذلك، ولم نؤمر[11] بمثله ابتداء في الصلاح ونحوه بأن نقول:[12] نحن صلحاء أتقياء. فجاز أن لا نمتنع في الإيمان ونمتنع[13] في غيره من الطاعات. والثاني أنْ ليس في نفس الإيمان تزكيةٌ لأن كل أهل[14] الأديان مؤمنون بشيء كافرون بشيء، بقوله: فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ،[15]

---

[1] ن: يستثنى.
[2] ر ث م - إذ أنشأكم.
[3] سورة الروم، ٢٠/٣٠؛ وسورة فاطر، ١١/٣٥؛ وسورة المؤمن، ٦٧/٤٠.
[4] سورة فصلت، ١٠/٤١.
[5] سورة البقرة، ١٥١/٢.
[6] جميع النسخ: أو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٤ظ.
[7] ن: والبراءة.
[8] ن: مسلمون.
[9] سورة البقرة، ١٣٦/٢.
[10] ﴿وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون﴾ (سورة الزمر، ٥٤/٣٩).
[11] ر م: ولم يؤمر.
[12] ر م: يقول.
[13] ر م: أن لا يمنع في الإيمان ويمنع. ن ث: أن لا يمتنع في الإيمان ويمتنع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٤ظ.
[14] ث: لأن أهل كل.
[15] سورة البقرة، ٢٥٦/٢.

وقول أولئك: نُؤمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ،[1] وقوله:[2] يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ،[3] وفي نفس التقى والصلاح تزكية.

وقيل: **ولا تزكوا أنفسكم**، أي لا تزكوا[4] أهل دينكم ومذهبكم. وذلك متعارف في الناس أنهم يزكون أهل مذهبهم وإن كانوا لا يعرفون صلاحهم وتقواهم ويذمون أهل خلافهم في مذهبهم وإن لم يعرفوا منهم الشر وما به يجب المذمة وذلك محتمل. ويحتمل[5] ما ذكرنا أنه نهى كلا في نفسه أن يزكّيَ. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **هو أعلم بمن اتقى**، أي اتقى محارم الله ومناهيه، ويحتمل أي اتقى الكفر بالله والشرك به.

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾[٣٣] ﴿وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْدَى﴾[٣٤]

وقوله[6] عز وجل: **أفرأيت الذي تولى وأعطى قليلا وأكدى**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما **أفرأيت الذي تولى**، من كبراء[7] الكفرة وعظمائهم، **وأعطى قليلا**، من المال لضَعفَة أهل الإيمان ليَرجعوا عن الإيمان بمحمد والتصديق له ويَكذِبوا عليه. وقوله: **وأكدى**، أي قطع عنهم في وقت أيضا، وكذا قال القُتَبِي: **وأكدى**، أي قطع. وهو من كُدْيَة الرَّكِيّة، وهي الصلابة فيها إذا بلغها الحافر يئس من حفرها فقَطَع الحَفْرَ.[8] وقيل لكل من طلب شيئا فلم يبلغ أو أعطى فلم يُتْمم: أكدى.[9] وقال أبو عَوْسَجَة: أكدى بخل،[10] ورجل مُكْدٍ[11] بخيل.[12]

---

[1] سورة النساء، ١٥٠/٤.

[2] ر ن م: وقولهم.

[3] سورة النساء، ٥١/٤.

[4] ن: ولا تزكوا.

[5] ر م: يحتمل.

[6] ن: قوله.

[7] ر: من الكبر؛ ث م: من كبر.

[8] كَدَى الرجل يكدِي وأكدى: قلّل عطاءه، وقيل بخل. وفي التنزيل العزيز: ﴿وأعطى قليلا وأكدى﴾، قيل: أي وقطع القليل. قال الفراء: أكدى: أمسك من العطية وقطع. وقال الزجاج: معنى أكدى: قطع. وأصله من الحفر في البئر. يقال: للحافر إذا بلغ في حفر البئر إلى حجر لا يمكنه من الحفر: قد بلغ إلى الكُدْيَة، وعند ذلك يقطع الحفر. والرَكية: البئر تحفر، والجمع: ركي ورَكايا (*لسان العرب*، «كدى»، «ركو»).

[9] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٤٢٩.

[10] ث: بخل.

[11] جميع النسخ: مكدي.

[12] ر: تبجيل.

﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى﴾[٣٥]

وقوله: **أعنده علم الغيب فهو يرى**، فهو -والله أعلم- أعنده علم الغيب فيأمر بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم ويأذن له بالتولي عنه وإعطاءِ المال على التكذيب له، أي ليس عنده علم الغيب لأنهم قوم لا يؤمنون بالرسل والكتب، وأسباب العلم هذا.

﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾[٣٦] ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾[٣٧]

وقوله عز وجل: **أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى**، كأن هذا مقطوع من الأول، كان أولئك الكفرة يقولون لأتباعهم: إنا نتحمّل منكم الظلم والوزر، فلا تأتوا محمدا ولا تصدقوه، كقوله تعالى حكاية عنهم: اِتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ،[1] فقال عند ذلك: **أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وَفَّى** أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى، أي قد بينا في صحفهما: أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى. وقيل: إنما سمي وفيا[2] لأنه بلّغ ما أمر بتبليغه، وقيل:[3] لأنه كان يصلي أربع ركعات عند الضحى. وعلى ذلك يروون خبرا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أتدرون ما وفّى؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال[4] «وفّى أربع ركعات»[5] فإن ثبت هذا اُكْتُفِي عن تأويلٍ آخرَ. وأصله أنه سماه وَفِيًّا لما قام بوفاء ما أمر به.

﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[٣٨]

وقوله عز وجل: **ألا تزر وازرة وزر أخرى**، فيه أن هذا في الكتب كلها: في صحف إبراهيم وموسى وغيرهما من الكتب أن لا يحمل أحد وزر آخر إنما يحمل وزر نفسه. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:[6] لا يؤخذ الرجل بذنب غيره.[7] وعن عمرو بن أويس[8] قال: كان الرجل يؤخذ في الجاهلية بذنب غيره حتى نزلت الآية.[9]

---

[1] سورة العنكبوت، ١٢/٢٩.
[2] ر: وفيتا.
[3] ر: قيل.
[4] ر م - قال.
[5] *تفسير الطبري*، ٧٣٥/١؛ و*تفسير ابن كثير*، ٤٣٩/٧.
[6] ر + قال.
[7] عن ابن عباس ﴿وإبراهيم الذي وفى﴾ قال: كانوا قبل إبراهيم يأخذون الولي بالولي، حتى كان إبراهيم، فبلّغ ﴿ألا تزر وازرة وزر أخرى﴾ لا يؤاخذ أحد بذنب غيره (*تفسير الطبري*، ٩٥/٢٧).
[8] جميع النسخ: أوس. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٥و.
[9] *السنن الكبرى* للبيهقي، ٥٩٩/٨؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٦٦١/٧.

﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾[٣٩]

وقوله عز وجل: **وأن ليس للإنسان إلا ما سعى،**[١] يشبه أن يكون قوله: **وأن ليس للإنسان إلا ما سعى،** أي ليس على الإنسان إلا ما سعى لأنه جل وعلا يثيب ويعطي الزيادة على ما سعى بفضله وكرمه، كقوله تعالى: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا؛[٢] ونحو الصغار التي لا سعي لهم قد يعطيهم[٣] الثواب بفضله. وأما جزاء الشر فإنه لا يكون إلا بالمثل، كقوله تعالى: فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا. وجائز أن يكون "له" بمعنى "عليه" في اللغة،[٤] كقوله تعالى: إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا،[٥] أي فعليها. ويحتمل أن تكون[٦] الآية في أولئك الكافرين[٧] الذي نزل فيهم قوله تعالى: أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى،[٨] يقول: ليس لذلك الإنسان إلا ما سعى.

﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾[٤٠]

وقوله عز وجل: **وأن سعيه سوف يرى،** وحرف "سوف" من الله سبحانه وتعالى على التحقيق والإيجاب كحرف "لعل وعسى" فيكون قوله تعالى: **سوف يرى،** أي يَرَى جزاءَ عمله لا محالة.

﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾[٤١]

ثم قوله عز وجل: **ثم يجزاه الجزاء الأوفى،** جزاءُ الآخرة على الوفاء لا نقصان فيه، خيرا كان أو شرا. ويحتمل أن يكون ذلك للكافر يجزى جزاءَ الشرك وجميعِ ما يعمل من السوء. فأما المؤمن فإنه يكفَّر سيئاته ويجزَى جزاءَ الخيرات، كقوله تعالى: أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا / وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ [فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ].[٩] [٧٦٢ظ]

---

[١] ر ث م + الآية.
[٢] ﴿ ... ومن جاء بالسيئة فلا يُجزى إلا مثلها وهم لا يُظلَمون﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٦٠).
[٣] ن: فلا يعطيهم.
[٤] أي وأن ليس على الإنسان.
[٥] سورة الإسراء، ١٧/٧.
[٦] ر ن م: أن يكون.
[٧] ر م: الكافرون.
[٨] الآية السابقة.
[٩] سورة الأحقاف، ٤٦/١٦.

﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى﴾[٤٢]

وقوله عز وجل: **وأن إلى ربك المنتهى**، سَمّى الآخرة منتهى ومصيرا ورجوعا، ويحتمل أي إلى جزاء ربك ينتهي.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾[٤٣]

وقوله عز وجل: **وأنه هو أضحك وأبكى**، بين الله عز وجل قدرته وسلطانه في إنشاء أنفسهم وأحوالهم وأفعالهم. أما بيان قدرته في أنفسهم حيث قال: هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ.[١] وأما بيان قدرته في أحوالهم ما ذكر من قوله تعالى: وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ،[٢] وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا.[٣] وأما في أفعالهم قوله: **وأنه هو أضحك وأبكى**، يذكر قدرته وسلطانه بما ذكر ليعلموا أنه لا يعجزه شيء. ثم قوله عز وجل: **وأنه هو أضحك وأبكى**، يخرج على وجهين. أحدهما على الكناية والاستعارة، جعل الضحك كناية عن السرور والبكاء كناية عن الحزن. وكذا العرف في الناس أنه إذا اشتد بهم السرور[٤] ضحكوا وإذا اشتد بهم الحزن بكوا.[٥] والثاني على حقيقة الضحك والبكاء، فهو على وجهين. أحدهما أي أنشأهم بحيث يضحكون ويبكون. والثاني يخلق منهم فعل الضحك والبكاء. فهو[٦] أشبه التأويلين عندنا.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾[٤٤]

وقوله عز وجل: **وأنه هو أمات وأحيا**، قوله: **أمات**، يحتمل وجهين. أحدهما أي جعلهم بحيث يموتون وبحيث يَحيَون. والثاني **أمات** بإخراج روحهم، **وأحيا** بإدخال الروح فيهم، وهو كقوله تعالى: خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ،[٧] وقوله عز وجل: [اَللّٰهُ الَّذِي] خَلَقَكُمْ [ثُمَّ رَزَقَكُمْ] ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ،[٨] فيحتمل إماتتهم في الدنيا وإحياءهم في الآخرة وأصل ذلك أنه يفعل بهم كل ما ذكرنا.

---

[١] الآية ٣٢ من هذه السورة.
[٢] الآية ٤٨ من هذه السورة.
[٣] الآية التالية.
[٤] ن + والضحك.
[٥] ر: بكو.
[٦] ن ث: وهو.
[٧] سورة الملك، ٢/٦٧.
[٨] سورة الروم، ٤٠/٣٠.

﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾[٤٥]

وقوله عز وجل: **وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى**، اسم الزوج يحتمل الشكل، ويحتمل المقابل. أي يجعل أحدهما شكلا للآخر وإن كانا ضدين نحو الذكر والأنثى. ويحتمل زوجين مقابلين ضدين.[١] يقول جعلهم بحيث يتزاوجون ويتشاكلون أو يتقابلون ويتضادّون. *والله أعلم*.

﴿مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾[٤٦]

وقوله عز وجل: **من نطفة إذا تمنى**، أي تقذف.[٢] قال الأصم: دل قوله: **من نطفة إذا تمنى**، أنها إذا لم تقذف[٣] تصير[٤] مَذِيًا، وإنما تقذف[٥] التي تخرج[٦] على شهوة فأما التي تخرج[٧] لا على شهوة فإنها[٨] تكون[٩] مذيا ولا يوجب الاغتسال. ***والله أعلم***.

﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى﴾[٤٧]

وقوله عز وجل: **وأن عليه النشأة الأخرى**، أي في الحكمة عليه النشأة الأخرى،[١٠] لأنه لو لم تكن[١١] النشأة الأخرى كانت النشأة الأولى باطلا[١٢] عبثا غير حكمة. أو نقول:[١٣] **أن عليه النشأة الأخرى**، ليعلم أن له قدرة عليها كما له القدرة على الأولى، لأن أولئك الكفرة كانوا مقرين بالأولى والقدرة عليها وينكرون الأخرى، فيخبر أن له القدرةَ عليهما. ***وبالله التوفيق***.

---

[١] ر ث م - نحو الذكر والأنثى ويحتمل زوجين مقابلين ضدين.
[٢] جميع النسخ: يقذف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٥و.
[٣] ر ن م: إذا لم يقذف.
[٤] جميع النسخ: يصير. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ر ن م: يقذف.
[٦] جميع النسخ: يخرج. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] جميع النسخ: يخرج. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] جميع النسخ: فإنه.
[٩] جميع النسخ: يكون.
[١٠] ث - أي في الحكمة عليه النشأة الأخرى.
[١١] جميع النسخ: لو لم يكن. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] ث - باطلا.
[١٣] ر م: تقول.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾[٤٨]

وقوله عز وجل: **وأنه هو أغنى وأقنى**،[١] يحتمل قوله: **أغنى**، أي وسّع عليهم، **وأقنى**، أي صيّر لهم[٢] ما يقتنون به[٣] من الخَدَم وغيرها، فيكون الإغناء هو التوسيعَ[٤] بأنواع الأموال، والإقناء هو[٥] إعطاء القِنية من الخادم وما يحتاج إليه للمهنة، فيكون في جعل الخَدَم له فضلُ حاجةٍ لا غِنًى. وذلك دليل على صحة مذهبنا في استجازتهم دفع الزكاة إلى من له الخدم. وقيل: **أغنى**، أي أعطى ما يغنيه ويستغني به، **وأقنى**، أي أقنعه وأرضاه. وقيل: على العكس: **أغنى**، أي أرضى،[٦] **وأقنى**، أي أخدم. وعن ابن عباس رضي الله عنه: **أغنى وأقنى**، أي أكثر.[٧] وقال عطاء: يا ابن[٨] آدم، هو أغناك وأقناك، أي أعطاك الخدم على ما ذكرنا. وقال القُتَبِي: هو من القِنْيَة والنَّشَب،[٩] يقال أقنيته كذا.[١٠] وقال أبو عَوْسَجَة: هو من القُنُوّ، قَنا، [أي][١١] أعطاه مالاً يَقْنُو[١٢] قُنُوًا.[١٣]

﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ﴾[٤٩]

وقوله عز وجل: **وأنه هو رب الشعرى**، قيل: إن الشعرى اسم كوكب كان يعبده بعض العرب، فكأنهم ظنوا أن ما في ذلك الكوكب من الحسن والجمال لِقَدْرٍ له عند الله

---

[١] ر ث م + الآية.
[٢] جميع النسخ: أي صيرهم.
[٣] ر ث م - به.
[٤] ن: التوسع.
[٥] ر ث م: وهو.
[٦] ث - وقيل على العكس أغنى أي أرضى.
[٧] *الدر المنثور* للسيوطي، ٧/٦٦٤.
[٨] ر ث م: يابن.
[٩] ر ن: والسبب؛ ث م: والتبب. وفي التنزيل العزيز: ﴿وأنه هو أغنى وأقنى﴾، قال أبو إسحاق: قيل في أَقْنَى قولان، أحدهما أَقْنَى أرْضَى، والآخر جعل قِنْية أي جعل الغنى أصلاً لصاحبه ثابتًا. ومنه قولك: قد اقتنيتُ كذا وكذا، أي عملت على أنه يكون عندي لا أُخرجه من يدي. قال الفراء: أَغْنَى رَضَّى الفقير بما أغناه به، وأَقْنَى من القِنية والنَّشَب. ابن الأعرابي: أَقنى، أعطاه ما يدّخره بعد الكِفاية. النشب: المال والعقار (*لسان العرب*، «قنو»، «قني»، «نشب»).
[١٠] تفسير *غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٣٠.
[١١] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٧٥ظ.
[١٢] جميع النسخ: يقني. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٣] قَنَا يَقنو قَنْوا وقُنوًا: جمع المال واتخذه لنفسه (*المنجد*، «قنو»).

ومنزلة وأن تدبيرهم يرجع إليه فعبدوه لذلك. ويحتمل أنهم عبدوه لما لم يروا لأنفسهم أهلية لعبادة[1] الرب تعالى فعبدوا مَن دونَه رَجاءَ التقرب إليه على ما يخدم المرء المتصلين بملوك الأرض. ولكنّ هذا فاسد لأن من خدم المتصلين بملوك الأرض إنما يخدم لما لم يَسبِق لهم النهي[2] من خدمة متّصِليه[3] ولا الإذنِ بعبادة[4] أنفسهم وخدمتهم. فأما الله تعالى قد أمرهم بعبادة نفسه ونهاهم عن عبادة غيره، فلم يسعْ[5] لهم بعد الأمر بعبادته والنهي عن عبادة غيره عبادةُ[6] مَنْ دُونَه. ذكر سفههم في عبادتهم الشِّعْرَى وأمثالِها. أي أعبدوا رب الشعرى فإنما فيه من الحسن والجمال هو الذي فعل فإليه اصرفوا العبادة.

﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾[٥٠]

وقوله: **وأنه أهلك عادا الأولى**، قرئ **عادا الأولى**، بإظهار التنوين والهمزة وبغير الهمزة ولا إظهار التنوين حتى يصير كأنها لام مثقلة.[7] ثم هذا ليس نوعَ ما ذكر من قبلُ، إنما ذكر هذا لهم لينزجروا عن صنيعهم، أي إذا أهلك[8] عادا، وهم أشد منكم قوة وأكثر عددًا وأموالا، فلما لم ينزجروا بمواعظ الرب تعالى أهلكهم. فعلى ذلك يفعل[9] بكم يا أهل مكة إن لم تتعظوا.[10] أو أنه أهلك عادا فلم يتهيأ لهم القيام بدفع عذاب الله تعالى مع قوتهم فكيف أنتم يا أهل مكة؟ ثم اختلف في قوله تعالى: **عادا الأولى**. منهم من قال: كانوا عادَين: أحدهما قوم هود وهم[11] أوّلُ فأهلكوا بالريح، وكانت أخرى / في زمن فارسَ الأولِ. ومنهم من قال: **عادا الأولى**، [٧٦٣و] الذين أهلكوا من قبل من الأمم، وأهل مكة وهؤلاء عاد أخرى.

---

[1] ن: عبادة.
[2] جميع النسخ: إليهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٥ظ.
[3] ث: متصلية.
[4] ن: بعباده.
[5] ن: فلم يسمع.
[6] م – عبادة.
[7] ن: منقله. قرأ نافع وأبو عمرو: ﴿عادَ لُولَى﴾ موصولة مدغمة، وقرأ الباقون: ﴿عادًا الأولى﴾ منونة (حجة *القراءات* لابن زنجلة، ٦٨٧).
[8] ر م: هلك.
[9] ر ث م: نفعل؛ ن + ذلك.
[10] ن: لم يتعظوا.
[11] ر م: وهو.

﴿وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى﴾[٥١]

وقوله عز وجل: **وثمود فما أبقى**، أي أهلك ثمودا أيضا. وقوله:[١] **فما أبقى**، قال بعضهم: أي استأصلهم لم يُبق منهم أحدا، أي ما أبقى لهم نسلا يذكرون بذلك بعد هلاكهم كما أبقى للأنبياء[٢] والرسل عليهم الصلاة والسلام من النسل. أو ما أبقى[٣] لهم[٤] من آثار الخير شيئا كما أبقى للرسل وأتباعهم[٥] إلى آخر الأبد. *والله أعلم*.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى﴾[٥٢]

وقوله عز وجل: **وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى**، أي كانوا أفحش ظلما وأكثر طغيانا؛ لأن نوحا عليه السلام دعاهم إلى توحيد الله: أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا،[٦] فما زادهم إلا نفورا واستكبارا على ما أخبر: فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا.[٧]

﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾[٥٣]

وقوله عز وجل: **والمؤتفكة أهوى**، قيل: قَرْيات لوطٍ عليه السلام أي أهلكها أيضا.

وقوله: **أهوى**، قيل: أي أهوى إلى النار، وقيل: أي أهوى من السماء إلى الأرض على ما ذكر أن جبريل عليه السلام رفعها إلى السماء وأرسلها[٨] إلى الأرض.[٩]

﴿فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى﴾[٥٤]

وقوله عز وجل: **فغشاها ما غشى**، قيل: غشاها الحجارة بعد ذلك فسواها بالأرض، وقيل: غشى الحجارة مسافريهم ومن غاب عنهم. وقيل: المؤتفكة المكذّبة: من الإفك[١٠] وهو الكَذِب.

---

[١] ن: قوله.
[٢] ر ث م: الأنبياء.
[٣] ر ث م – أبقى.
[٤] ن – لهم.
[٥] ر ث + عليهم السلام.
[٦] ﴿ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون﴾ (سورة العنكبوت، ١٤/٢٩).
[٧] سورة نوح، ٦/٧١.
[٨] ر: وأسلها.
[٩] *تفسير الطبري*، ١٠٤/٢٧.
[١٠] ر ن م: من الأول.

وقيل: المنقلبة:[1] ائتفكت أي انقلبت. **فغشاها**، أي غشى قريات لوط عليه السلام من العذاب ما غشى أولئك الذين ذكر من قبلُ من[2] عاد ومن قوم نوح، وهو قول القُتَبِي.[3] وقال أبو عبيدة:[4] المؤتفكة المخسوفة.[5]

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾[٥٥]

وقوله عز وجل: **فبأي آلاء ربك تتمارى؟** فظاهر هذا وظاهر[6] قوله تعالى: فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ؟[7] مشكل، لأنه ذكر آلاء ولو عرف أنه آلاء ربه لكان لا يكذبه [ولا يتمارى].[8] لكن يخرج على وجوه: على التقديم والتأخير والإضمار، كأنه يقول: فبأي آلاءٍ من آلاء ربكم شاهدتموه وعاينتموه تتمارون؟[9] وكذلك فبأي آلاء ربكما الذي أقررتم به تكذبونَ؟[10] أو نقول:[11] فبأي آلائه وإحسانه تتمارى؟ فكيف أنكرتم إحسانه بمحمد صلى الله عليه وسلم أو كيف صرفتم شكر نعمه إلى غيره؟ أو يكون الآلاء هاهنا هي الحججَ، يقول: فبأي حجة من حجج ربك تنكر[12] رسالة محمد عليه أفضل الصلوات[13] أو تُمارِي[14] فيها، أي لا حجة لك في تكذيبك إياه أو إنكارك رسالته.

﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ﴾[٥٦]

وقوله عز وجل: **هذا نذير من النذر الأولى**، أي الذي يوعدكم[15] وينبئكم محمد صلى الله عليه وسلم من النذر الأولى التي أنبأها الرسل الأولون وأوعدوا قومهم، فيكون صلة قوله عز وجل:

---

[1] ث: المتقلبة.
[2] ث – من.
[3] ﴿فغشى﴾: من العذاب والحجارة؛ ﴿ما غشى﴾ (*تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٣٠).
[4] ر ث: فقال أبو عبيدة؛ م: فقال أبو عبيد.
[5] *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢/٢٣٩.
[6] ن: فظاهر.
[7] سورة الرحمن، ١٣/٥٥.
[8] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٧٦و.
[9] ث: يتمارون.
[10] جميع النسخ: تكذبوني. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ر ث م: أو يقول.
[12] جميع النسخ: ينكر. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] ن – أفضل الصلوات.
[14] جميع النسخ: تتماري. والتصحيح من المرجع السابق.
[15] جميع النسخ: يدعوكم. والتصحيح من المرجع السابق.

وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى،[١] إلى آخره.[٢] وقيل: **هذا نذير من النذر الأولى**، هذا نذير أي محمد صلى الله عليه وسلم من النذر الأولى،[٣] أي الرسل الأولى. وتمام هذا التأويل أي هذا نذير من البشر كالذين كانوا من قبل. وقيل: هذا الذي يُنذر محمد صلى الله عليه وسلم هو من النُّذُر التي في اللوح المحفوظ أي مما ينذر به. ***والله أعلم.***

﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ﴾[٥٧]

وقوله عز وجل: **أزفت الآزفة**، أي قربت القيامة. سمى الله تعالى القيامة بأسماءٍ مختلفة، مرة الآزفة، ومرة الساعة، ومرة القيامة. فسماها آزفة لقربها إلى الخلق ووقوعها عليهم وكذلك الساعة.

﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ كَاشِفَةٌ﴾[٥٨]

وقوله عز وجل: **ليس لها من دون الله كاشفة**، دلت الآية على أن الله تعالى لم يؤت علم قيام الساعة ووقوعِها أحدا، وهو كقوله تعالى: لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ.[٤]

وللباطنية أدنى تعلق في هاتين الآيتين، لأنهم قالوا: إن الآخرة للحال كائنةٌ لكنها مختفية مستترة يظهر ويكشف عند فناء هذه الأجسام وذهاب هذه الأبدان، ويستدلون بقوله تعالى: لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ، وبقوله تعالى: **ليس لها من دون الله كاشفة**، ويقولون: إن لفظ التجلي والكشف إنما يستعملان فيما هو كائن ثابت يظهر عند ارتفاع السواتر[٥] وما يخفيها إلا[٦] في الإنشاء ابتداء.

ولكنْ عندنا أن حرف الكشف والتجلي يستعمل في ابتداء الإحداث والإنشاء وفي إظهار ما كان كامنا[٧] خفيا، فإذا كان كذلك بطل استدلالهم بذلك؛ وهو كقوله تعالى: عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ،[٨] هو عالم بما كان خفيا عن[٩] الخلق وما هو شاهد[١٠] ظاهر، وعالم بما يكون وبما هو كائن للحال. ***والله الموفق.***

---

[١] سورة النجم، ٥٣/٥٠.
[٢] ث: الخ.
[٣] ر ث م - هذا نذير أي محمد صلى الله عليه وسلم من النذر الأولى.
[٤] سورة الأعراف، ٧/١٨٧.
[٥] ر م: التواتر.
[٦] ن: لا.
[٧] ث: منا.
[٨] انظر مثلا: سورة الأنعام، ٦/٧٣؛ وسورة التوبة، ٩/٩٤، ١٠٥.
[٩] ر ث م: بحق؛ ن: نحو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٦و.
[١٠] ر: شاء.

﴿أَفَمِنْ هٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾[٥٩] ﴿وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾[٦٠]

وقوله عز وجل: **أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون**، كانوا يعجبون[١] من أمرين. أحدهما من بعث الرسل من البشر،[٢] كقوله تعالى: بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ،[٣] ومن البعث بعد ما يفنَون ويبلَون[٤] كقوله تعالى: وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا،[٥] الآية.

وقوله عز وجل: **وتضحكون**، الضحك هاهنا كناية عن الاستهزاء ليس على حقيقة الضحك، أو يكون[٦] الضحك كناية عن السرور، أي تُسَرُّون[٧] على ما أنتم عليه. وقوله عز وجل: **ولا تبكون**، أيضا ليس على حقيقة البكاء ولكن كناية عن الحزن، أي ولا تحزنون[٨] على ما فرط منكم من الأعمال وسوء الصنيع والمعاملة.

﴿وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾[٦١]

وقوله عز وجل: **وأنتم سامدون**، [عن ابن عباس رضي الله عنهما: سامدون][٩] لاهون معرضون، وعن الحسن وسعيد بن جبير: **سامدون** غافلون.[١٠] وقيل: / **سامدون**، حَزِنُون [٧٦٣ظ] على رسالة محمد صلوات الله عليه وغائظون على ما أنزل عليه. وعن[١١] عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: **وأنتم سامدون**، قال: هو الغِناء بلغة اليمن، يقول اليماني: أُسْمُدْ لنا أي غَنِّ لنا، قال: كانوا إذا سمعوا القرآن تغنَّوا وتَلَعَّبوا.[١٢]

---

[١] ر ن م: تعجبون.
[٢] ر ث م – من البشر.
[٣] سورة ق، ٥٠/٢.
[٤] ر م: ويبلغون.
[٥] سورة الرعد، ١٣/٥.
[٦] جميع النسخ: ويكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٦و.
[٧] ر ن م: يسرون.
[٨] ر ث م: ولا يحزنون.
[٩] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.
[١٠] *تفسير الطبري*، ٢٧/١٠٩.
[١١] م: عن.
[١٢] جميع النسخ: ويلعبوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٦و. *تفسير الطبري*، ٢٧/١٠٨. سَمَدَ يَسْمُد سُمودًا، والسُّمود اللهو وسَمَد سُمُودًا لها وسمَّده ألهاه وسمَد سُمودًا غَنَّى. قال ثعلب: وهي قليلة. وقوله عز وجل: ﴿وأنتم سامِدون﴾ فُسِّر باللهو وفسر بالغِناء، وقيل: سامدون لاهُون. وقال ابن عباس: سامدون مستكبرون. وقال الليث: سامدون ساهون، والسُّمود في الناس الغفلة والسَّهْوُ عن الشيء. وروي عن ابن عباس أنه قال: السُّمود الغناء بلغة حِمْيَر يقال: اسْمُدي لنا أي غَنِّي لنا (*لسان العرب*، «سمد»).

﴿فَاسْجُدُوا لِلهِ وَاعْبُدُوا﴾[٦٢]

وقوله عز وجل: **فاسجدوا لله واعبدوا**،[١] أي اخضعوا لله واستسلموا له، إذ الأمر بالسجود عند التلاوة في غير سجود الصلاة أمر بالخشوع له والاستسلام، والأمر بالسجود هاهنا للتلاوة[٢] للأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين. روَى الأسود عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه قرأ سورة النجم فسجد فيها ولم يبق معه أحد إلا سجد[٣] إلا شيخ من قريش فإنه أخذ كفا من حَصًى فرفعه[٤] إلى جبهته.[٥] وروى أبو هريرة والمطلب بن[٦] أبي وَدَاعة أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد فيها.[٧] وروي عن عمر وعثمان رضي الله عنهما: أنهما سجدا فيها.[٨] وعن علي رضي الله عنه أنه قال: عزائم السجود أربع: تَنْزِيلُ السجدة،[٩] وحم السجدة،[١٠] وَالنَّجْمِ، واِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ.[١١] وما روي عن زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأها فلم يسجد،[١٢] يحتمل أن يكون التلاوة واقعة في وقت يكره السجود فيه.[١٣] والحديث حكاية فعل لا عمومَ له. والله أعلم بحقيقة ما أراد. والحمد لله رب العالمين[١٤] وبه نستعين.[١٥]

---

[١] ر ث م + الآية.

[٢] ن: التلاوة.

[٣] م – إلا سجد.

[٤] ر ن م: فرفعته.

[٥] صحيح *البخاري*، سجود القرآن ١، ٤؛ وصحيح *مسلم*، المساجد ١٠٥.

[٦] ر: ابن.

[٧] مصنف عبد *الرزاق*، ٣/٣٣٩؛ ومصنف *ابن أبي* شيبة، ١/٤٦٠.

[٨] مصنف عبد الرزاق، ٣/٣٣٩؛ ومصنف *ابن أبي* شيبة، ١/٤٦٠.

[٩] سورة السجدة، ٣٢.

[١٠] سورة فصلت، ٤١.

[١١] سورة العلق، ٩٦. *السنن الكبرى* للبيهقي، ٢/٤٤٦؛ *والجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٢٠/١٢٨.

[١٢] صحيح *البخاري*، سجود القرآن ٦؛ وصحيح *مسلم*، المساجد ١٠٦.

[١٣] ر م – فيه.

[١٤] ر + والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين؛ ث + والصلاة والسلام على محمد وآله.

[١٥] ر ث – وبه نستعين؛ ن – بحقيقة ما أراد والحمد لله رب العالمين وبه نستعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة القمر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾[١]

قوله عز وجل: **اقتربت الساعة وانشق القمر**، قال بعضهم: أي اقتربت الساعة واقترب[2] انشقاق القمر. وقيل: على التقديم والتأخير: **اقتربت الساعة** وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا،[3] وإن كان انشقاقَ القمر. فعلى هذين التأويلين لم يكن انشقاق القمر بعدُ ولكن يكون في المستقبل وعند قيام الساعة، وهو قول أبي بكر الأَصَمّ. ويقول معنى قوله: **انشق القمر**، أي سينشق القمر عند الساعة، إذ لو كان قد انشق في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لما خفي على أهل الآفاق، ولو كان ظاهرا عندهم لتواتر النقل به، إذ هو أمر عجيب والطباع جبلت على نشر العجائب. وعامة أهل التأويل على أن القمر قد انشق فكان ذلك من معجزاته صلى الله عليه وسلم. روي[4] عن عبد الله[5] بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بِمِنًى[6] فانشق القمر فذهبت فرقة منه وراء الجبل فقال عليه السلام: «اشهدوا، اشهَدوا».[7]

---

[1] ر – سورة القمر؛ ن: ذكر أن سورة اقترب وهي مكية؛ ث + مكية وهي خمس وخمسون آيات؛ م: سورة اقترب وهي مكية.

[2] جميع النسخ: واقتربت. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٦ظ.

[3] الآية التالية.

[4] جميع النسخ: وروي. والتصحيح من المرجع السابق.

[5] ر م – عبد الله.

[6] جميع النسخ: بمنا.

[7] صحيح *البخاري*، التفسير ٥٤.

وروي عن غيره أيضا نحو[1] عبد الله بن عمر وعبد الله[2] بن عباس[3] وأنس بن مالك وحذيفة وجُبير بن مُطعم في جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أنهم رأوا[4] انشقاق القمر.[5] وقول أبي بكر: لو كان لم يَخْفَ وظهر، فيقال له: قد ظهر فإنه روي عن غير واحد من الصحابة رضي الله عنهم وتواتر الحديث عن الخاص والعامّ وفشى[6] الأمر بينهم حتى قلّ من يخفى عليه سماع هذا الحديث؛ على أنه قد نطق[7] به[8] ظاهر[9] الكتاب، وإنما يكلَّف حفظ ما لم ينطق به الكتاب، والعمل بحقيقة اللفظ واجب. وقال بعضهم: يجوز أن يستره الله تعالى عن أهل الآفاق بغيم[10] أو يَشغلَهم عن رؤيته ببعض الأمور بضرب[11] تدبير ولطف[12] منه لئلا يدّعيه بعض المتلبِّسين في الآفاق لنفسه وادعى الرسالة كاذبا بناء على دعواه أنه فعل ذلك. فيحتمل أنه أخفى عن أهل الآفاق إلا[13] في حق من[14] يُظهر[15] المعجزة عليهم من الحاضرين، والكفرة يكتمونه[16] والصحابة الذين رأوا قد نقلوه. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **اقتربت الساعة،** كأنه يقول اقتربت الساعة التي يُجزون[17] فيها أو الساعة التي ينشرون فيها أو الساعة التي يحاسَبون[18] فيها. فإن قيل: أليس روي عن النبي

[1] جميع النسخ: عن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٦ظ.
[2] ر ن ث: عمر بن عبد الله.
[3] ر ث + رضي الله عنهم.
[4] ث – رأوا.
[5] انظر: *تفسير الطبري*، ٢٧/١١١-١١٦؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٧/٦٦٩-٦٧٢.
[6] ث + وفشى.
[7] ر ث م: يطلق.
[8] ر م – به.
[9] ن – ظاهر.
[10] ر: بغم.
[11] جميع النسخ: لضرب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٦ظ.
[12] ر: ولفظ.
[13] م – إلا.
[14] ن ث – من.
[15] ن: مظهر.
[16] م: يكتمون.
[17] جميع النسخ: تجزون. والتصحيح من المرجع السابق.
[18] جميع النسخ: تحاسبون. والتصحيح من *الشرح* نسخة حميدية، ورقة ٧٣٩ظ.

صلى الله عليه وسلم أنه قال: «[بُعثتُ] أنا والساعة كهاتين»[١] وأشار إلى السبَّابة والوسطى، وقد قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم و لم تقم[٢] الساعة بعد.

قيل: يحتمل أن مراده عليه السلام أن به[٣] ختمَ النبوة والرسالة وتبقى[٤] أحكامه وشريعته إلى وقت قيام الساعة، وبقاء شريعته كبقائه فصار كأنه قال: شريعتي والساعة كهاتين. ويحتمل أنه لما كان به ختمُ النبوة والشريعة صار بعثه ومجيئه عليه السلام علامة للساعة وآية لها، وهو كقوله تعالى: وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا،[٥] على تأويل من جعل بعث الرسول عليه السلام عَلَما وآية للساعة. ***والله أعلم.***

﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾[٢]

وقوله: **وإن يروا آية يعرضوا**، ذكر تعنتهم وعنادهم أنهم وإن يروا آية [يعرضوا ولا يقبلوها. ثم يحتمل وجهين. أحدهما وإن يروا آية][٦] سألوها يعرضوا فلم يُرِهِمْ تلك إذ[٧] من سنته أن كل آية جاءت على إثر السؤال فلم يقبلوها أُهلكوا. فإذا كان من سنته هذا وقد وعد تأخير عذاب هذه الأمة إلى الساعة وعفا[٨] عنهم التعجيل لم يُرِهِمْ تلك الآيات المقترَحة. ***والله أعلم.*** ويحتمل: **وإن يروا آية** حسية **يعرضوا**، لأن آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم عامتها وأكثرها كانت عقلية وسمعية، فيخبر[٩] عن سفههم وتعنتهم أنهم وإن يروا آية حسية يعرضوا عنها. وهو كقوله عز وجل: وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا،[١٠] وكقوله تعالى: وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا / مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ [٧٦٤ر] لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا،[١١] الآية.

[١] عن أنس وغيره من الصحابة رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «بُعِثْتُ أنا والساعة كَهَاتَيْنِ»، قال: وضَمَّ السَّبَّابة والوُسْطى (صحيح *البخاري*، الرقاق ٣٩؛ وصحيح *مسلم*، الفتن ١٣٣).

[٢] جميع النسخ: و لم يقم.

[٣] ر م أنه.

[٤] جميع النسخ: ويبقى.

[٥] سورة الزخرف، ٤٣/٦١.

[٦] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٧٦ظ.

[٧] جميع النسخ: أو. والتصحيح من المرجع السابق.

[٨] جميع النسخ: وعفى. والتصحيح من المرجع السابق.

[٩] ث: فيخبرهم.

[١٠] سورة الأنعام، ٦/١١١.

[١١] سورة الحجر، ١٥/١٤-١٥.

وقوله تعالى: **ويقولوا سحر مستمر**، اختلف فيه. منهم من قال: **سحر مستمر**، أي ماض لم يزل الرسل عليهم السلام كانوا يأتون بمثله من السحر. ومنهم من قال: **مستمر**، أي قوي مأخوذ من المِرة وهي القوة، وأصل المِرة القتل. ومنهم من قال: **مستمر**، أي ذاهب يذهب ويتلاشى ولا يبقى.

﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **وكذبوا واتبعوا أهواءهم**، يحتمل كذبوا الرسول صلى الله عليه وسلم وما أتاهم به من الآية على الرسالة. ويحتمل **وكذبوا** بالتوحيد **واتبعوا أهواءهم**، يخبر أنهم إنما كذبوا ما ذكر باتباع أهوائهم لا بحجة وبرهان.

وقوله عز وجل: **وكل أمر مستقرٌّ**، أي كل أمر مستقر بأهله إن كان خيرا فخير وإن كان شرا فشر. ويحتمل كل أمر كائنٍ قارٌّ يَقِرّ بأهله. وقال بعضهم: لكل أمر وفعل حقيقةُ ما كان، فما كان منه في الدنيا فسيظهر[1] وما كان منه في الآخرة فسيُعرَف.[2]

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾[٤] ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة**، يحتمل قوله:[3] **ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر**، وجاءتهم أيضا حكمة بالغة وهو القرآن. ويحتمل أن يكون معناه: **ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر**، وفي تلك الأنباء حكمة بالغة. ثم الأنباء التي فيها مزدجر حكمة بالغة هي[4] ما ذَكَر في هذه السورة من أنباء عادٍ وثمودَ وقوم لوط وقومِ نوح وموسى، فقد جاءهم أنباء هؤلاء وعرفوا ما نزل بهم من العذاب والإهلاك وبأي شيء نزل بهم وهو تكذيب الرسل عليهم السلام ليرتدعوا عن مثل صنيعهم فلا يَلحقهم مثل ما يلحق أولئك، وفي ذلك حكمة بالغة. والبالغة هي النهاية في الأمر، يقال: فلان بالغ في العلم، إذا انتهى في[5] ذلك نهايته.[6]

---

[1] ر: فيظهر.
[2] ر ن م: فستعرف.
[3] ن – قوله.
[4] جميع النسخ: وهي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٧و.
[5] م: وفي.
[6] ر م: نهاية.

قال[١] القُتَبي: **مزدجر**، أي[٢] مُتَعَظ،[٣] وقال أبو عَوْسَجَة: **مزدجر**، أي زاجر.

وقوله عز وجل: **فما تغني النُذُر**، يقول -والله أعلم-: قد جاءهم ما ذكر من الأنباء التي فيها مزدجر وإنذار فلم يَزجُرهم ذلك ولم ينفعهم فأنَّ تغني النذر لهم ومن أين ينفعهم النذر؟ أي لا تغنيهم. ثم النذر يحتمل وجهين. أحدهما الرسل[٤] عليهم السلام، جمع نذير.[٥] والثاني ما تقع[٦] به النِذارة وهو الأنباء التي أنذر[٧] الرسل بها وحذّروا بذلك. يقول فما يغنيهم[٨] قول الرسول ولا خوفُ ما بلغهم من القِصص التي فيها تعذيب الكفرة[٩] بتكذيب الرسل عليهم السلام وترك اتباعهم. *والله أعلم*.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **فتول**[١٠] **عنهم**، يحتمل وجوها. أحدها قوله: **فتول**[١١] **عنهم**، أي أعرض عنهم ولا تكافئهم[١٢] بإساءتهم. والثاني **فتول**[١٣] **عنهم**، أي لا تقاتلهم[١٤] ولا تجاهدهم. فإن كان التأويل هذا فهو يحتمل النسخ على ما قاله أهل التأويل، وإن كان للأول فهو لا يحتمل النسخ. والثالث يحتمل **فتول**[١٥] **عنهم**، أي لا تشتغل بهم[١٦] فإنهم لا يؤمنون، وذلك في قوم علم الله أنهم لا يؤمنون. يُؤْيِسُ رسولَ الله[١٧] صلى الله عليه وسلم عن الطمع في إيمانهم.

---

[١] ر ث م: وقال.
[٢] ر ن م: أمر.
[٣] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٣١.
[٤] ر ث م: النذر.
[٥] ر م: نذر.
[٦] ر ن م: يقع.
[٧] ث: إنذار.
[٨] ر ث م: تغنيهم.
[٩] ث: للكفرة.
[١٠] ر م: فتولى.
[١١] ر م: فتولى.
[١٢] ر ن ث: ولا تكافهم.
[١٣] م: فتولى.
[١٤] جميع النسخ: لا تقابلهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٧و.
[١٥] م: فتولى.
[١٦] ن: عنهم.
[١٧] ن ث: رسوله.

وقوله عز وجل: **يوم يدع الداع إلى شيء نكر**، أي إلى شيء منكر فظيع هائل، ويحتمل إلى شيء أنكروه في الدنيا وهو الساعة فيقرون في الآخرة.[1]

﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **خشعا أبصارهم**، وقرئ "خَاشِعًا"، بالألف،[2] روي عن ابن عباس، وتصديقها في قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: خاشعةً أبصارهم.[3] وصفهم بالخضوع في الآخرة مكان استكبارهم في الدنيا، وبالإقرار[4] والتصديق بالساعة مكان إنكارهم في الدنيا، وبالإجابة[5] للداعي مكان ردهم له في الدنيا، حيث قال: مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ.[6] وقوله عز وجل: **يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما شبههم[7] بالجراد لحيرتهم لا يدرون من أين يأتون وإلى أين يصيرون كالجراد الذي لا يدرى من أين وإلى أين؟ وهو كقوله تعالى: وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى.[8] والثاني شبههم[9] بالجراد لكثرتهم وازدحامهم لما يُحشَر الكل بدفعة واحدة. *والله أعلم*.

﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **مهطعين إلى الداع**، قال عامة أهل التأويل: **مهطعين**، أي[10] مسرعين. وقال قتادة: أي عامدين.[11] وقال مجاهد: الإهطاع السيلان[12] وهو بالفارسية پُوى رَفْتَنْ.[13]

---

[1] ث: في الآية.

[2] *المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٢١؛ و*النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٨٤.

[3] «قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي: "خاشعا أبصارهم" بالألف على التوحيد، واحتجوا بحرف ابن مسعود: "خاشعة أبصارهم" على التوحيد» (حجة *القراءات* لابن زنجلة، ٦٨٨).

[4] ر: والإقرار.

[5] ن + الداعي.

[6] الآية التالية.

[7] ر م: تشبيههم.

[8] سورة الحج، ٢٢/٢.

[9] ر م: تشبيههم.

[10] م - أي.

[11] قارن: تفسير *الطبري*، ٢٧/١٢٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٧/٦٧٤.

[12] قارن: تفسير *الطبري*، ١٣/٣١٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٧/٦٧٤.

[13] جميع النسخ: بويه رفيق. وفي *الشرح* پويه رفتن، ورقة ١٧٧و.

وقال بعضهم: **مهطعين**، ناظرين رافعي رءوسهم، وهو قول الكلبي.[1] وقال أبو عَوْسَجَة: أي مسرعين مادِّين أعناقهم، وقيل: الإهطاع إدامة النظر إلى الداعي. وقوله عز وجل: **يقول الكافرون هذا يوم عسر**، وهو ما قال في آية أخرى: يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ.[2]

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **كذبت قبلهم قوم نوح**، يقول -والله أعلم-: كذبت قبل قومك قوم نوح نوحا عليه السلام وآذَوه فصبر على التكذيب وأنواع الأذى ولم يدع عليهم بالهلاك ما لم يرد الإذن بالدعاء عليهم بالهلاك من الله تعالى، فاصبر أنت على تكذيب القوم وأنواع الأذى. وهو كقوله تعالى: فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ.[3]

فإن قيل: ما الحكمة في تكرار هذه الأنباء في القرآن ولم يكرّر ما فيه من الأحكام؟

قيل: إن هذه الأنباء والقِصص إنما جاءت لمحاجة أهل مكةَ وأمثالِهم من الكفرة في إثبات الرسالة والتوحيد والبعث، إذ هم المنكرون لهذه الأشياء وهم كانوا أهل عناد ومكابرة، وفيهم أيضا مسترشدون. ومن حق المُحاجة مع من[4] ذكرنا / وأمثالهم أن تعاد[5] الحجة مرة [٧٦٤ظ] بعد مرة لعلهم يقبلونها في وقت وإن ردوها في وقت[6] وتَنْجَعَ[7] في قلوبهم في وقت وإن لم تنجع[8] في وقت. ومن حق الموعظة للمسترشدين[9] أيضا أن تكرر[10] لتتعظ[11] إذ[12] يختلف ذلك باختلاف الأحوال. وقد ذكرنا فوائد تكرارها واقتصار الأحكام فيما تقدم.[13] *والله أعلم*.

فإن قيل: إن نوحا عليه السلام قد دعا على قومه بالهلاك.

---

[1] «قال الكلبي: مهطعين، ناظرين إليك تعجبًا» (*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٨/٢٩٣).

[2] ﴿فإذا نُقِرَ في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير﴾ (سورة المدثر، ٧٤/٨-١٠).

[3] سورة الأحقاف، ٤٦/٣٥.

[4] ر م – من.

[5] جميع النسخ: أن يعاد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٧ظ.

[6] ر م – وإن ردوها في وقت.

[7] ر ث م: وينجع.

[8] ر ث م: وينجع.

[9] ر: المسترشدين.

[10] جميع النسخ: أن يكرر. والتصحيح من المرجع السابق.

[11] جميع النسخ: ليتعظ. والتصحيح من المرجع السابق.

[12] ن ث: أن.

[13] انظر تفسير الآية ٣٥ من سورة العنكبوت.

قيل: إنما دعا على قومه بالهلاك بعد ما أيس من إيمانهم حيث قيل [له][1] إنه: لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ.[2] أما رسول الله لم يؤيسه عن إيمان قومه جملةً إنما يُؤْيِسُه عن بعض بطريق التعيين وهم[3] قوم علم الله تعالى أنهم لا يؤمنون، لا عن الكل فلذلك لم يأذن[4] بالدعاء عليهم. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فكذبوا عبدنا**، يحتمل كذبوه فيما ادعى لنفسه الرسالة أو كذبوه فيما[5] دعاهم إليه بالتوحيد وتوجيه الشكر إلى الواحد[6] القهار. وقوله عز وجل: **وقالوا مجنون**، أي قالوا لأتباعهم: إنه مجنون. وقوله عز وجل: **وَازْدُجِر**، أي نوح عليه السلام حيث قالوا لقومهم: لا تتبعوه وزجروهم عنه بقولهم: إنه مجنون، فهذا منهم زجر لأتباعهم عن اتباعه فصار بذلك[7] نوح عليه السلام مُزْدَجَرا عن القوم وصار القوم مُزْدَجَرين عنه. وقال بعضهم: زجروا نوحا عليه السلام أي منعوه عن إظهار ما آتاهم من الآيات على رسالته. ***والله أعلم***.

﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾[١٠]

وقوله[8] عز وجل: **فدعا ربه أني مغلوب فانتصر**، أي مغلوب بالسفه والمكابرة وأنواع الأذى، إذ لا يحتمل أن يكون مغلوبا بالحجج. **فانتصر** عبدك[9] عليهم.

﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾[١١] ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر**، يحتمل قوله تعالى: **ففتحنا أبواب السماء**،[10] أي مِن فوقُ لأن ما كان فوقك فهو سماء، فيحتمل أن يكون ذلك من البحر المكفوف

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٧٧ظ.
[2] سورة هود، ٣٦/١١.
[3] ر ث م: وهو.
[4] جميع النسخ: لم يؤذن.
[5] ن – ادعى لنفسه الرسالة أو كذبوه فيما.
[6] م: الوحد.
[7] جميع النسخ: لذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٧ظ.
[8] ن: قوله.
[9] ن: عندك؛ م – عبدك.
[10] ث + والأرض وفجرنا الأرض.

الذي ذكر أنه بين السماء والأرض. **وفجّرنا الأرض عيونا**، أي أنبعنا الماء من الأرض كأنه قال: أنزلنا الماء من فوقُ وأنبعنا[١] من أسفلَ. ويحتمل أن يكون قوله تعالى: **ففتحنا أبواب السماء**، هو حقيقة فتح السماء وإنزالِ الماء منها ولله[٢] تعالى[٣] أن يرسل الماء ممن شاء[٤] وكيف شاء.[٥] *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **بماء منهمر**، قيل:[٦] مُنْصَبٍّ، وقال أبو عبيدة:[٧] **منهمرٍ**، أي كثيرٍ سريعِ الانصباب،[٨] يقال: همَرَ الرجل[٩] إذا أكثر في الكلام فأسرع.[١٠] وقال أبو عَوْسَجَة: انهمرت السماء وهمرت أي أمطرت[١١] فأكثرت.

وقوله عز وجل: **فالتقى الماء على أمر قد قُدِر**، يذكر[١٢] أن الماءين جميعا: ما أرسل من[١٣] الفوق وما أخرج من[١٤] التحت على تقدير وتدبير لا جُزَافًا، وهو كقوله تعالى: ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى،[١٥] أي على تقدير وتدبير من الله تعالى لك في ذلك لا على غير[١٦] تقدير منه. وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه:[١٧] فالتقى الماءان[١٨] على أمر قد قدر. وقال بعضهم: **على أمر قد قدر**، أي قد قدّر لهم أن يَغْرَقُوا بالماء إذ كفروا. وقال بعضهم: **قد قدر**، أي استوى الماء: نصفه من عيون الأرض ونصفه من السماء. وأصله ما ذكرنا. *والله أعلم*.

---

[١] ن: وأتبعنا.
[٢] ر م: والله.
[٣] ر م + قادر.
[٤] ر م: يشاء وكيف شاء.
[٥] ر م – شاء.
[٦] ث + أي.
[٧] ر ن م: أبو عبيد.
[٨] م: الأنصاب.
[٩] ر ن م: الرسل.
[١٠] تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٤٣١.
[١١] ر م: مطرت.
[١٢] ن – يذكر.
[١٣] ر ن ث: عن.
[١٤] ن: عن.
[١٥] سورة طه، ٢٠/٤٠.
[١٦] ن – غير.
[١٧] ر: عنهما.
[١٨] ث: الماءن.

﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **وحملناه على ذات ألواح ودسر**، وذكر في حرف حفصة رضي الله عنها: وحملناه وذريته على ذات ألواح ودسر. ذكر هاهنا **ذات ألواح** وذكر في آية أخرى السفينة بقوله تعالى: [وَآيَةٌ لَهُمْ] أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ،[١] ونحوه، فيكون **ذاتِ ألواح** تفسير السفينة. ولو لم يتقدم ذكر السفينة[٢] لم يُفهم من ذات ألواحٍ السفينةُ، إذ ذات الألواح قد يرجع إلى الأعماد وغيرها، لكن كان تفسير السفينة بما ذكرنا. *والله أعلم*. ثم اختلف في قوله تعالى: **ودُسُرٍ**، قال عامة[٣] أهل التأويل: الدُّسُر الْمَسامير التي يُشدّ بها السفينة، وقيل: الدسر أضلاع السفينة، وقيل: صدرها، وقال الحسن: هي السفينة لأنها تَدْسُر[٤] الماءَ بِجُؤْجِئِها.[٥] قال أبو معاذ: واحد الدُّسُر دِسار وجِماع الْجُؤْجئ الجآجِئُ وهي الصدور.

ثم في قوله:[٦] **وحملناه**، وتسميةِ هذا المصنوع[٧] سفينة دليل على أن أفعال العباد مخلوقة لله[٨] تعالى، لأنهم هم الذين ركبوا السفينة ثم أخبر أنه هو الذي حملهم، وكذا الخشب المجتمعة لا تسمى سفينة إنما تسمى[٩] بهذا الاسم الخاص بعد الإيجاد والصنعة الموجودة من العباد. دل أن لله[١٠] في فعل العباد صنعا. *والله الموفق*.

﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **تجري بأعيننا**، أي بتقديرنا وبحفظنا. وقوله: **جزاءً لمن كان كفر**، أي حَمْلُ نوحٍ عليه السلام وأتباعه في السفينة ونجاتُهم[١١] من الغَرَق جزاءُ ما كفر به قومه،

---

[١] سورة يس، ٤١/٣٦.

[٢] ر م - لم يتقدم ذكر السفينة؛ ن: ولو لم يقدم ذكر السفينة.

[٣] ر م - عامة.

[٤] جميع النسخ: يدسر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٨و.

[٥] *تفسير الطبري*، ١٢٤/٢٧. قال تعالى: ﴿وحملناه على ذات ألواح ودُسُر﴾، أي مساميرَ، الواحد دِسار، وأصل الدَّسْر الدفع الشديد بقهر. قال الحسن: الدُّسُر صدر السفينة لأنها تدرس الماء بجؤجئها. ويقال: الدُّسُر: ما يشد به السفينة من المسامير والشُّرُط (*المفردات* للراغب الأصبهاني «دسر»).

[٦] م: ثم قوله.

[٧] ر م: المصنوعة.

[٨] ن: الله.

[٩] ر م: لا يسمى سفينة إنما سمى؛ ن ث: لا يسمى سفينة إنما يسمى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٨و.

[١٠] ر: الله.

[١١] ر ث م: ونجاهم.

كذا قال عامة أهل التأويل: إنه جزاء[١] لنوح[٢] عليه السلام حين[٣] كفر به قومه ولم يؤمن[٤] به قومه. وقال مجاهد: **جزاءً لمن كان كُفِر**، الله[٥] تعالى، أي الغرق جزاؤهم لما كفروا بالله تعالى.[٦] وقال أبو معاذ: وقرئ **جزاءً لمن كان كَفَر**، بنصب الكاف.[٧] وتأويل هذه القراءة أي إهلاك من أُهلك من قومه جزاءٌ لما كفروا بالله تعالى أو بنوح عليه السلام.

﴿**وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **ولقد تركناها آية**، يحتمل وجهين. أحدهما تركنا[٨] سفينة نوح عليه السلام بعينها[٩] مدة طويلة حتى صارت آية لأواخرهم ولمن بعدهم، وبه يقول قتادة، قال: أبقى الله تعالى سفينة نوح عليه السلام بينة ببَاقِرْدَى[١٠] من أرض الجزيرة حتى نظرت إليها أوائل هذه الأمة، وكم من سفينة كانت بعدها فصارت رمادا؟[١١] والثاني، **تركناها آية**، [أي تركنا][١٢] آثار تلك السفينة وأنباءها آية لمن بعدهم، لأن أنباءها قد بقيت في المتأخرين حتى عرفوا أن من نجا بِمَ[١٣] نجا ومن هلك / بِمَ[١٤] هلك. *والله أعلم*. [٧٦٥و]

وقوله عز وجل: **فهل من مُدَّكِرٍ**، عن الأسود قال: قلت لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه: **فهل من مُدَّكِرٍ**، أو مُذّكَر؟ فقال أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم **مدّكر**، بالدال.[١٥]

---

[١] ر م: أخبر.
[٢] ر: النوح.
[٣] جميع النسخ: وحين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٨و.
[٤] جميع النسخ: فلم يؤمن. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ر ث م: بالله.
[٦] *تفسير الطبري*، ١٢٥/٢٧.
[٧] قرأ يزيد بن رومان وقتادة ومجاهد وعيسى وحميد: ﴿جزاءً لمن كان كَفَر﴾ (*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٣٣/١٧؛ و*البحر المحيط* لأبي حيان، ١٧٨/٨).
[٨] ن: ركبا.
[٩] ر ن م: بعينه؛ ث: لعينه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٨و.
[١٠] ر م: للمسافرين؛ ث: بباقريبا. باقِرْدَى: بكسر القاف وفتح الدال، قرية في شرقي دجلة وبالقرب منها جبل الجودي (*تاج العروس*، «بقرد»).
[١١] *تفسير الطبري*، ١٢٦/٢٧.
[١٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٧٨و.
[١٣] جميع النسخ: لمن.
[١٤] جميع النسخ: لمن.
[١٥] *مسند أحمد بن حنبل*، ٣٩٥/١.

قال أبو عبيد[ة]:[1] وأصله في العربية مُذْتَكِرٌ فإنه من باب الافتعال على وزن مفتعل، فنقل لاجتماع التاء والذال فأدغمت الحرف الأول وهو الذال في التاء فانقلب دالا، وهو كقوله: إِدَّخَرَ أصله إِذْتَخَرَ من الذُّخر لما قلنا. *والله أعلم*. ثم قوله عز وجل: **مدكر**، أي هل [من][2] متذكر[3] متعظ يتعظ بما نزل بأولئك فينزجر عن مثل صنيعهم. قال[4] قتادة: فهل من طالب خير فيعانَ عليه.[5]

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **فكيف كان عذابي ونذر**، يخرج على وجهين. أحدهما أليس ما وعد لهم رسلي من العذاب بالتكذيب صدقا حقا؟ وأريد بقوله: **وَنُذُرِ**، أي رسلي. والثاني أليس وجدوا عذابي شديدا، ونذري[6] ما وقعت به النِّذارة وهو العذاب الذي أُنذروا به. والنذر على هذا التأويل المنذَر به، كقوله تعالى: إنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً،[7] أي موعودا، وإلا وعده لا يكون مفعولا إذ هو صفة أزلية.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾[١٧]

وقوله[8] عز وجل: **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر**، هذا يحتمل وجوها. أحدها **يسرنا القرآن للذكر**، أي للحفظ، أي صيرناه بحيث يحفظه كل أحد من صغير وكبير وكافر ومؤمن وكل أحد يتكلف حفظه.

والثاني **ولقد يسرنا القرآن للذكر**، أي لذكر ما نسوا من نعم الله تعالى ولذكر ما نسوا من حق الله تعالى[9] عليهم ولذكر ما أنبأهم فيه من أخبار الأوائل من مصدقيهم ومكذبيهم.[10]

---

[1] «﴿مُدَّكِرٍ﴾ مذتكر فلما أدغم التاء في الذال تحولت الذال دالا» (*مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢/٢٤٠).

[2] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٧٨و.

[3] ر م: متدكر.

[4] ن ث: وقال.

[5] *تفسير الطبري*، ٢٧/١٢٨؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٧/٦٧٦.

[6] ر: شديد أي نذري.

[7] جميع النسخ: وكان وعد الله مفعولا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٨و. سورة الإسراء، ١٧/١٠٧.

[8] ن: قوله.

[9] ر م - ولذكر ما نسوا من حق الله تعالى.

[10] ر م: مذكر.

والثالث جائز أن يكون ذلك[1] لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصةً، أي يسرناه عليه حتى حفظه كلَّه عن ظَهْر قلبه حتى[2] إذا أراد أن يذكر شيئا منه يذكر في كل وقت وكل ساعة أراد، كقوله تعالى: لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ،[3] وقوله عز وجل: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ،[4] وقوله تعالى: سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ،[5] أمّنه عن أن ينساه ومنّ عليه بالتيسير.

وقوله: **فهل من مدكر**، فعلى التأويل الأول -والله أعلم- أنه وإن يَسّر[6] القرآن للحفظ ولكن لم ينزله للحفظ ولكن إنما أُنزل لِيُذّكَّر ما فيه وللاتعاظ[7] به، أي فهل من متعظ يتعظ به.[8] وعلى التأويل الآخر: **فهل من مدكر**، خرج مخرج الأمر أي اذكروا واتعظوا بما فيه من الأنباء. ***والله أعلم***.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر**، ذكر أنباء الأوائل[9] وما نزل بهم بالتكذيب والعناد وسوء معاملتهم الرسل عليهم السلام،[10] وهو صلة قوله: وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ.[11] وتأويل الآية يخرج على الوجهين اللذين ذكرناهما.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾[١٩]

وقوله تعالى: **إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا**، قيل: باردة، وقيل: شديدة. وقوله: **في يوم نحس مستمر**، أي استمر بهم العذاب، كما قال الله عز وجل: سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا،[12] وقيل: **مستمرّ**، أي ذاهب على الصغير والكبير فلم يَبق[13] منهم أحد إلا أهلكته.

---

[1] ر م - ذلك.
[2] ن - حتى.
[3] سورة القيامة، ٧٥/١٦-١٧.
[4] سورة الشعراء، ٢٦/١٩٣-١٩٤.
[5] سورة الأعلى، ٨٧/٦-٧.
[6] ر ث م: وإن يسرنا.
[7] ن: والاتعاظ.
[8] ر م: من متعظ به؛ ن - به.
[9] ر: الأول.
[10] ر ث م: الرسول عليه السلام.
[11] الآية ٤ من هذه السورة.
[12] سورة الحاقة، ٦٩/٧.
[13] ر: فلم يسبق.

﴿تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر**، من الناس من قال لما اشتد بهم الريح تنادَوا فيما بينهم: البيوتَ البيوتَ،[١] فدخلوها فدخلت الريح عليهم فأخرجتهم من بيوتهم وألقتهم في فنائهم فذلك النزع. ومنهم من قال: تنزع[٢] مفاصلهم فتلقيهم[٣] كأعجاز نخل منقعر؛ لأنهم كانوا أطول الخلق، فذكر أن كل رجل منهم كان طوله ستين ذراعا والنخل لا تبلغ[٤] ذلك المقدار إلا بعد قطع المفاصل. فجائز التشبيه بأعجاز نخل[٥] منقعر بعد انتزاع[٦] مفاصلهم. والانقعار هو الانقلاع. قال أبو عَوْسَجَة: **منقعر**،[٧] أي منقطع ساقط. ومنهم من قال: شبّههم بأعجاز النخل لعظم[٨] أعجازهم، وقال بعضهم: شبههم بأعجاز النخل[٩] لطولهم، ولكن ذلك بعد نزع المفاصل لما ذكرنا. وفي حرف حفصة رضي الله عنها: تنزع[١٠] الناس[١١] على أعقابهم.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾[٢١] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾[٢٢]

وقوله: **فكيف كان عذابي ونذر**، فهو يخرج على ما ذكرنا من الوجهين، وكذا قوله: **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر**.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **كذبت ثمود بالنذر**، يحتمل الوجهين اللذين ذكرناهما. أحدهما **بالنذر**، أي بالرسل التي دعتهم إلى الإيمان بالله تعالى. والثاني **كذبت**، بما وقعت به النِّذارة التي أخبرتهم[١٢] الرسل أنها نازلة واقعة بهم. ***والله أعلم***.[١٣]

---

[١] ر م – البيوت.
[٢] ر م: نزع؛ ث: ينزع.
[٣] ر ث م: فيلقتهم.
[٤] جميع النسخ: لا يبلغ. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٨ظ.
[٥] ر م: كل.
[٦] ر: انقراع.
[٧] ث – منقعر.
[٨] ر م: العظم.
[٩] ن: شبههم بالنخل.
[١٠] جميع النسخ: ينزع. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] ر م – الناس.
[١٢] ر ث م: أخبر بهم.
[١٣] ن – والله أعلم.

﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه**، لم يزل الأكابر من الكفرة والرؤساء منهم يُلبسون على أتباعهم بهذا الحرف: **أ بشرًا منا واحدا نتبعه**، [وكذلك قال أهل مكة لرسول الله: مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا،][1] وقالوا: مَا هٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ، وقالوا:[2] وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ،[3] ونحو ذلك. وذلك تناقض في القول[4] لأنهم كانوا ينهون أتباعهم عن اتباع بشر مثلِهم ويدعونهم إلى اتباع آبائهم والاقتداء بهم، وهم أيضا بشر وليس مع آبائهم حجج وبراهين، ومع الرسل حجج وآيات،[5] فيكون تناقضا في القول ومعارضة فاسدة. ***والله الموفق***.

وقوله عز وجل: **إنا إذًا لفي ضلال وسُعُرٍ**، قال بعضهم: السعر الجنون، أي لو اتبعنا بشرا منا لكنا في ضلال وجنون. وهو مأخوذ مِنْ سُعِرت[6] النار إذا التهبَتْ، يقال: / ناقة مسعورة [٧٦٥ظ] أي كأنها مجنونة من النشاط، وقيل: الضلال والسُّعُرُ واحد. ويحتمل أي إنا إذًا[7] لفي ضلال في الدنيا وسعر في الآخرة، والسعر من السعير وهو النار. ***والله أعلم***.

﴿أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **أألقي الذكر عليه من بيننا**، فجائز أن يكون هذا القول من أهل مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، كقوله تعالى خبرا عنهم: أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا،[8] والذكر هو القرآن على هذا التأويل. وجائز أن يكون ذلك من ثمودَ لصالحٍ[9] عليه السلام، والقصة قصة صالح، فهو الأشبه بالتأويل. و لم يزل الكفرة ينكرون تفضيل[10] الرسل عليهم السلام على غيرهم من البشر بالرسالة وإنزال الذكر عليهم من بينهم ثم يرون لأنفسهم الفضل على أولئك الرسل:

---

[1] سورة الشعراء، ٢٦/١٥٤، ١٨٦. الزيادة من *الشرح* ورقة ١٧٨ظ.

[2] جميع النسخ: وقوله تعالى. والتصحيح من المرجع السابق.

[3] ﴿وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون﴾ سورة المؤمنون، ٢٣/٣٣-٣٤.

[4] ر ث م: تناقض القول.

[5] م: وبراهين.

[6] جميع النسخ: من سعر.

[7] ن - إذا.

[8] سورة ص، ٣٨/٨.

[9] ر: وتصالح.

[10] ر ث م: تفضل.

إما يفضل مال أو بفضل نسب أو رياسة[1] ونفاذِ قول بلا سابقة كانت منهم ولا تقدمة[2] صنع. وما ينبغي لهم أن ينكروا تفضيل الرسل بالرسالة والنبوة بلا سابقة كانت منهم ولا تَقْدِمَةِ[3] صُنع إذ هي فضل الله يؤتيه من يشاء. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **بل هو كَذَّاب أَشِرٌ**، عن مجاهد أنه قرأ بفتح [الألف وضم] الشين، وقرأ العامة الأشر بكسر الشين.[4] قال بعضهم: الأشر بفتح الشين الذي[5] يَنْشَط في الشر، قاله[6] أبو عَوْسَجَة: وقيل: الأشِر والأشَر هو البَطِرُ كما يقال: حذِر وحذَر، وهو المرِح المتكبر.

﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **سيعملون غدا من الكذاب الأشر**، قرئ بالياء والتاء جميعا[7] فمن قرأ بالياء احتج بقوله: فِتْنَةً لَهُمْ،[8] ولم يقل "لكم"، ومن قرأ بالتاء جعل الخطاب من رسول الله صلى الله عليه وسلم للكفرة، أي[9] ستعلمون غدا عند نزول العذاب بكم مَنِ الكذاب الأشر:[10] أنا أو أنتم، وهذا وعيد منه لهم.

﴿إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ﴾[٢٧]

وقوله: **إنا مرسلو الناقة فتنة لهم**، يفتنهم[11] بها ويمتحنهم، لم يعطهم مجانا جُزافا، كقوله عز وجل: وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ [لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ]،[12] وقوله تعالى: وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً.[13]

---

[1] م: ورئاسة.
[2] ر ن م: ولا تقدمه.
[3] ر م: ولا يقدمه؛ ن ث: ولا تقدمه.
[4] «قرأ جمهور الناس: "الأشِر" بكسر الشين كحذِر بكسر الذال. وقرأ مجاهد فيما ذكر عنه الكسائي "الأشُر" بضم الشين كحذُر بضم الذال، وهما بناءان من اسم فاعل. وقرأ أبو حيوة: "الأشَر" بفتح الشين، كأنه وصف بالمصدر. وقرأ أبو قلابة: "الأشَرّ" بفتح الشين وشد الراء، وهو الأفعل، ولا يستعمل بالألف واللام وهو كان الأصل لكنه رفض تخفيفًا وكثرة استعمال» (*المحرر الوجيز* لابن عطية الأندلسي، ٥/٢١٧).
[5] ر ث م – الذي؛ ن + التي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٨ظ.
[6] ر م: قال.
[7] م – جميعا. *المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٢١.
[8] الآية التالية.
[9] م + أي.
[10] ر ث م – الأشر.
[11] ر: ليفتنهم.
[12] سورة الأعراف، ١٦٨/٧.
[13] سورة الأنبياء، ٣٥/٢١.

وقوله عز وجل: **فارتقبهم واصطبر**، أي فارتقبهم بما يكون منهم من التكذيب للناقة والعَقْر لها. ويحتمل أن يكون قوله عز وجل: **فارتقبهم**، هو خطابا[١] لرسوله عليه الصلاة والسلام في حق أهل مكة، كقوله: فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ.[٢] وقوله: **واصطبر**، أي اصطبر على أذاهم ولا تكافئهم أو اصبر على بتبليغ الرسالة.

﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ﴾[٢٨]

وقوله عز وجل: **ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر**، وقال في آية أخرى: لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ.[٣] وفيه من الفوائد والدلائل. أحدها أن تلك الناقة كانت عظيمة على خلاف سائر النُّوق حتى احتاجت هي إلى الماء مثل الذي احتاج إليه سائر النوق وأهلها حتى قُسم الماء بينها وبين سائر النوق. وفيه أنه لا بأس بقسمة الشرب حيث ذَكَر في الآية قسمة الماء وذكر في الآية الأخرى:[٤] [وَلَكُمْ] شِرْبُ يَوْمٍ [مَعْلُومٍ]، وهو قسمة بالأيام. وقوله: **كل شرب محتضر**، أي كل شرب يحضره[٥] من له شرب ذلك لا يحضره غيره. وفيه أن تلك الناقة وإن كانت آية ومعجزة له فكانت تعتلف وتشرب كسائر النوق التي ليست هي بآيات وإن كانت تخالف[٦] سائر النوق في عظمها وقدر علفها وشربها. ثم جَعَل الماء بينها وبين أولئك القوم بالقسمة ولم يجعل العلف بينها وبينهم بالقسمة لاشتراكهم جميعا في الماء: أعني البهائم والبشر، وحاجة كل منهم إلى الماء. فكذا لم يجعل النبات مشتركا بينها وبين سائر البهائم، لأن في ذلك كثرةً فلا حاجة إلى القسمة، فأما في الماء في ذلك الموضع [ففيه] عِزّة[٧] لما يَسْقَون من الآبار فلذلك جعلوا الماء بالقسمة. *والله أعلم*. وفيه أن المياه إذا ضاقت[٨] قسمتها بالأجزاء تُقْسَم بالأيام حيث[٩] جُعل لها شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ولهم شرب يوم معلوم. وفيه أن الماء وإن كان عينا فهو كالمنفعة في جواز قسمتها بالأيام.

---

[١] جميع النسخ: خطاب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٩و.
[٢] سورة الدخان، ٤٤/١٠.
[٣] سورة الشعراء، ٢٦/١٥٥.
[٤] م: في آية أخرى.
[٥] ر ن ث: بحضرة.
[٦] ر ث م: يخالف.
[٧] جميع النسخ: غيره. عَزّ الشيء يَعِزّ عِزًّا وعِزة وعَزازَة: قلّ حتى كاد لا يوجد (*لسان العرب*، «عزز»).
[٨] م: أضافت.
[٩] ر ث م: بالأجر القسم بالأيام من حيث؛ ن: بالأجر القسم بالأيام حيث. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٩و.

ثم قوله: **ونبئهم أن الماء قسمة بينهم**، جائز أن يكون الخطاب لصالحٍ عليه السلام، أمره أن يُنْبِئ قومه أن الماء قسمة بينهم وبين الناقة. وجائز أن يكون الخطاب به[1] لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أمره أن يخبر قومه أن الماء كان قسمة بينهم وبين الناقة. *والله أعلم*.[2]

﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر**، أضاف العَقْرَ هاهنا إلى واحد وفي آية أخرى[3] أضاف إلى الجماعة وهو قوله: فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ،[4] وقال في موضع آخر: فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ،[5] فيكون ظاهر هذه الآيات على التناقض من حيث ذكْرُ الفرد والجماعةِ. وفيها[6] تناقض من وجه آخر فإنه ذكر في آية أخرى:[7] وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا،[8] وقال في موضع: فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ، ذكر الندامة وهي خلاف العُتُوّ. لكنا نقول: لا تناقض ولا اختلاف عند اختلاف الأحوال والأوقات. فقوله:[9] وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ، قبل أن ينزل بهم العذاب، وقوله: فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ، إذا نزل بهم العذاب، والتناقض في وقت واحد في حال واحد. وكذلك العقر من واحد على الحقيقة، ولكن إنما أضاف إلى الجماعة لأنه عَقَرَ بمعاونتهم أو الواحد هو الذي طعنها ثم اجتمعوا فعقروا جميعا، ونحو / ذلك، فثبت أنه لا تناقض. وقال بعضهم: **فَتَعَاطَى**، تناول، **فعَقَرَ**، أي ضرب عُرْقُوبها، أي ساقها. وقيل: العقر قد يكون جرحا وقد يكون قتلا. [٧٦٦و]

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾[٣٠]

[٧٦٦و س١٢ *وقوله عز وجل: **فكيف كان عذابي ونذر**، قال أهل التأويل: أليس الذي أنذروا به وجدوه حقا. وقال بعضهم: أليس وجدوا عذابي ورسلي حقا وقد ذكرناه.* ٧٦٦و س١٣]

---

[1] ث – به.
[2] ث: والله سبحانه أعلم.
[3] ن: وفي الآية الأخرى.
[4] سورة الأعراف، ٧/٧٧.
[5] سورة الشعراء، ٢٦/١٥٧.
[6] ر ث م: وفيه.
[7] ن ث – أخرى.
[8] سورة الأعراف، ٧/٧٧.
[9] ث: وقوله.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٧٦٦و/سطر ١٢-١٣.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾[٣١]

وقوله: **إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة**، يحتمل أي أرسلنا عليهم العذاب قدر صيحة واحدة، يخبر عن سرعة نزول العذاب ووقوعه عليهم. ويحتمل أن يكون أرسل عليهم الصيحة فأهلكتهم[١] وصاروا كما ذُكر من هشيم المحتظر[٢] وهو قوله:[٣] **فكانوا كهشيم المحتظر**. قيل الهشيم العظام البالية، وقيل كالشيء المتناثر[٤] من الحائط، وأصل الهشيم الانكسار، أي صاروا[٥] كالشيء المنكسر المجتمع في موضع. وقوله تعالى: **المحتظر**،[٦] [قرئ][٧] بكسر الظاء ونصبها.[٨] روي النصب عن الحسن.[٩] قال أبو عبيد: بالكسر يقرأ على تأويل الإنسان المحتظر. وقال أبو عَوْسَجة: الهشيم البالي[١٠] من الشجر، والمحتظَر الذي يُتّخذ حظيرة.[١١] وقال القُتَبي: الهشيم يابس[١٢] النبت الذي ينهشم أي ينكسر، والمحتظر بكسر الظاء صاحب[١٣] الحظيرة[١٤] لغنمه، وبفتح الظاء[١٥] أراد الحيطان وهو[١٦] الحظيرة.[١٧]

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾[٣٢]

وقوله عز وجل: **ولقد يسرنا القرآن للذكر**، أي يسرنا القرآن لذكر ما نَسُوا من نعم الله تعالى وأغفلوا عنها، أو يسرنا القرآن لذكر ما أغفلوا من الحجج والآيات ونسوها،

---

[١] ر ث م: وأهلكهم؛ ن: فأهلكهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٩و.
[٢] ر ث م: المحتضر.
[٣] جميع النسخ: وهو كقوله. والتصحيح من المرجع السابق.
[٤] ر ث م: المتأثر.
[٥] ن: صارو.
[٦] ن ث + فهي.
[٧] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.
[٨] جميع النسخ: ونصبه. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] المحتسب لابن جني، ٢/٣٥٠.
[١٠] ر: المبالي؛ م: الباقي.
[١١] ن: حظره.
[١٢] ر ن م: اليابس.
[١٣] م - صاحب.
[١٤] ن: الحظرة.
[١٥] ر ث م: الطاء.
[١٦] ث: وهي.
[١٧] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٣٤.

أو يسرنا القرآن لذكر ما نسوا من الأنباء وما نزل بمكذبي الرسل عليهم السلام بالتكذيب والعناد. وقوله: **فهل من مدكر**، قد تقدم ذكره.*

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ﴾[٣٣]

وقوله عز وجل: **كذبت قوم لوط بالنذر**، أي بالرسل عليهم السلام أو بما يقع به النِّذارة.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾[٣٤] ﴿نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾[٣٥]

وقوله عز وجل: **إنا أرسلنا عليهم حاصبا إلا آل لوط**، على تأويل من يقول بأن تلك القَرْيات قُلِبت بمن فيها ظَهْرًا لبطن على ما ذكر في آية أخرى: فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا،[٢] أرسل[٣] الحاصب[٤] على من غاب عنها في البلدان فأهلكهم بها. يخرج على الإضمار، كأنه قال: قَلَبْناها بمن فيها وأرسلنا على من غاب عنها حاصبا إلا آل لوط، حتى يستقيم الثُّنْيَا الذي أُسْتُثْنِيَ ويكونَ كقوله: أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ،[٥] كأنه قال: أحلت لكم بهيمة الأنعام والصيدُ إلا ما يتلى عليكم غيرَ محلي الصيد. *والله أعلم*. وعلى[٦] تأويل من يقول بأنها قلبت ثم أُرسل عليها الحاصب فالثنيا مستقيم، فيكون هلاكهم بأمرين، واستثناء[٧] آل لوط عليهم السلام بالنجاة من أحدهما استثناء بالنجاة[٨] منهما جميعا. *والله أعلم*.

وقوله: **نجيناهم بسحر. نعمةً من عندنا**، أي منعنا عنهم العذاب عند السحر. فيكون فيه دلالةُ أنه يكو بمنع العذاب عنهم منجيا لهم وإلا لم تكن[٩] نجاتهم عند السحر.

وقوله[١٠] عز وجل: **كذلك نجزي من شكر**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما يكون هلاك أولئك على لوط وآله نعمة من الله تعالى عليهم فيكون عليه شكره فهو جزاء شكرهم،

---

* وقع هنا تفسير الآية السابقة برقم ٣٠، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٧٦٦و/سطر ١٢-١٣.

[٢] سورة الحجر، ٧٤/١٥.

[٣] ن ث: ان سل.

[٤] جميع النسخ: الحاضرين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٩ظ.

[٥] ر ث م – وأنتم حرم. سورة المائدة، ١/٥.

[٦] ر ث م: على.

[٧] ر ث م: واستثنى.

[٨] ر م + من أحدهما استثناء بالنجاة.

[٩] جميع النسخ: لم يكن.

[١٠] ن: قوله.

وهو كقوله تعالى: جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ،[١] يحتمل أن يكون هلاك أولئك وإغراقهم جزاء ما كفُر بنوح، وذلك نعمة منه على نوح عليه السلام.[٢]

والثاني أن يكون نجاة نوح ومن كان معه نعمة منه عليهم إذ له[٣] أن يهلك الكل: من كفر ومن لم يكفر، ألا ترى أنه يهلك الدواب والصغار وإن لم يكن لهم مأثم. فإذا كان[٤] كذلك كان إبقاء من أبقى منهم فضلا منه ونعمة عليهم وإلا لا كل [من][٥] كُفِرَ استوجب النجاة. *والله أعلم*.

﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾[٣٦]

وقوله عز وجل: **ولقد أنذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر**، [يحتمل **بطشتنا**؛ أَخْذَنا وقوتنا. وقوله: **بالنذر**][٦] يخرج على الوجهين[٧] اللذين ذكرناهما. أحدهما تماروا بالواقع من النِذارة. والثاني بالنُذُر أي بالرسل.[٨] *والله أعلم*.

﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾[٣٧]

وقوله عز وجل: **ولقد راودوه عن ضيفه**، أي طلبوا منه التخلية بينهم وبين ضيفه. وقوله عز وجل: **فطمسنا أعينهم**، ذكر أن جبريل عليه السلام مسح جناحيه على أعينهم فَعَمُوا، ثم قيل لهم: **فذوقوا عذابي ونذرِ**.

﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ﴾[٣٨]

وقوله عز وجل: **ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر**، أي نزل بهم صباحا بالبكرة عذاب مستقر. العذاب المستقر هو العذاب الذي نزل بهم ودام عليهم وأهلكهم، وأما طَمْس الأعين فقد انقضى.

---

[١] الآية ٥٤ من هذه السورة.

[٢] ن – عليه السلام.

[٣] ن: أن له.

[٤] ر: فإن كان.

[٥] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٧٩ظ.

[٦] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.

[٧] ر م: على وجهين.

[٨] ر م: الرسل؛ ن: بالنذر بالرسل.

﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾[٣٩] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾[٤٠]

وقوله: **عذابي ونذر**، النذر هاهنا ما وقع به النِّذارة.

﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾[٤١]

وقوله عز وجل: **ولقد جاء آل فرعون النذر**، يحتمل ما قال من النذر أنه جاء [إلى][١] آل فرعون موسى وهارون عليهما السلام سماهما باسم الجمع وهو النذر. ويحتمل[٢] أن يكون المراد من النذر التي جاءتهم هي ما نزل بهم[٣] من أنواع العذاب فيكون المراد بالنذر ما وقع به النذارة.

﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ﴾[٤٢]

وقوله عز وجل: **كذبوا بآياتنا كلها**، يحتمل أنهم كذبوا جميع الآيات التي[٤] جاءهم بها موسى عليه السلام من آيات الألوهية والوحدانية وآيات الرسالة. وجائز أن تكون[٥] هي جميع ما يدل على وحدانية الرب وألوهيته[٦] من الخلائق، لأن ذلك اللعين قد ادعى الألوهية لنفسه، وجميع ما في العالم يدل على ألوهية الله تعالى. فهو حيث ادعاها لنفسه وصدّقه قومه كذبوا بذلك جميع الآيات التي تشهد[٧] على ألوهية الله تعالى ووحدانيته. وقوله عز وجل: **فأخذناهم أَخْذَ عزيزٍ / مقتدر**، أي أخذ عزيز ذليلاً وأَخْذَ[٨] غالبٍ مغلوبا وأخذ قادر عاجزا وأَخْذَ قاهرٍ مقهورا. [٧٦٦ظ] *والله أعلم*.

﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾[٤٣]

وقوله عز وجل: **أكفاركم خير من أولئكم**، يقول[٩] تعالى -والله أعلم-: **أكفاركم**، يا أهل مكة أقوى في دفع العذاب عن أنفسهم والانتصار منه إذا نزل بهم العذاب من أولئك

---

[١] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٧٩ظ.
[٢] ن: يحتمل.
[٣] ر ث م – بهم.
[٤] م – التي.
[٥] جميع النسخ: أن يكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] ر: وألوهية.
[٧] جميع النسخ: يشهد. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] ن ث: أو أخذ.
[٩] ر ث م + الله.

الذين كانوا من قبلكم، أي ليس كفاركم أقدرَ منهم بل أولئك أكثر وأقوى،[١] ثم لم يقدروا القيام بدفع العذاب عن أنفسهم ولا الانتصارَ منه إذا نزل بهم، فأنتم يا أهل مكة أضعفَ وأقلَّ عددا أحقُّ أن لا تقدروا على دفع العذاب عنكم إذا نزل[٢] بكم. وقوله:[٣] [**أم لكم براءة في الزبر**، أي][٤] ليس لكم براءة في الكتب أنكم تقدرون على القيام في دفع العذاب عن أنفسكم إذا نزل بكم، أو يقول ليس لكم براءة في الكتب[٥] أن العذاب لن يصيبكم إذا نزل [بكم].[٦]

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾[٤٤]

وقوله عز وجل: **أم يقولون نحن جميع منتصر**، أي بل تقولون: **نحن جميع منتصر**، أي لا تُنْصَرون بِجَمْعكم.[٧] هذه الآيات الثلاث على النفي والدفع، أي ليس لهم ما يدفعون العذاب عن أنفسهم وليس لهم جمْع ينتصرون به[٨] ولا كفارهم خير من كفار أولئك في دفع العذاب والقدرة على الانتصار. *والله أعلم*.

﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾[٤٥] ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾[٤٦]

ثم قال على الابتداء: **سيهزم الجمع ويولون الدبر**، فيه دليلان. أحدهما أخبر أن لهم جمعا[٩] يهزم ويولون الدبر،[١٠] وقد كان ما ذكر.[١١] وقال[١٢] أهل التأويل: **سيهزم الجمع ويولون الدبر**، هو جَمْعُ يومِ[١٣] بَدْرٍ، أخبر أنهم يهزمون ويولون الدبر. وقد كان على[١٤] ما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم،

---

[١] ر ث م – وأقوى.
[٢] ر م: أنزل.
[٣] جميع النسخ: أو يقول.
[٤] الزيادة مع التصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٠و.
[٥] ث + المتقدمة.
[٦] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.
[٧] ر م: لا ينصرونكم كجمعهم؛ ن: لا تنصرون لجمعهم؛ ث: لا ينصرون كجمعهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] جميع النسخ: وليس لهم ما ينصرون به. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] جميع النسخ: جميعا. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ن – فيه دليلان أحدهما أخبر أن لهم جميعا يهزم ويولون الدبر؛ ث + وقد كان.
[١١] ر ث م: ما ذكر وقد كان.
[١٢] ر ث م – وقال.
[١٣] ر م – يوم.
[١٤] ر ث م – على.

دل أنه علم بالله تعالى. والثاني أخبر أن الساعة موعد إهلاكهم واستئصالهم لا الدنيا بقوله تعالى: **بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر**، وكان كما أخبر. وفيه أيضا دلالة إثبات الرسالة. *والله أعلم*. ثم قوله:[1] **أدهى وأمر**، أي أعظم وأشد.

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾[٤٧]

وقوله عز وجل: **إن المجرمين في ضلال وسعر**، جائز أن يكون قوله **في ضلال** في الدنيا وفي سعر[2] في الآخرة وهو السعير. ويحتمل: **في ضلال** في هلاك، **وسعر** في حيرة وجنون وتيهٍ، كقوله تعالى: إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ.[3]

﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾[٤٨]

وقوله[4] عز وجل: **يوم يسحبون في النار على وجوههم**، كأنه يقول له: قل لهم: **يوم يسحبون في النار على وجوههم**، أن خُتموا على ما هم عليه: **ذوقوا مس سقر**، أي يقال لهم: ذوقوا مس سقر، أي ذوقوا عذاب سقرَ، والسقر هو اسم النار، فيصير كأنه على الإضمار، أي يقال لهم: ذوقوا عذاب النار. *والله أعلم*.

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[٤٩]

وقوله: **إنا كل شيء خلقناه بقدر**، يحتمل وجهين. أحدهما على التقديم والتأخير، أي إنا خلقنا كل شيء بقدر.[5] فإن كان على هذا فيكون كقوله: خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ.[6] وفيه إثبات خلق كلية[7] الأشياء. والثاني على ظاهر ما جرى به[8] الخطاب: إنا كل شيء خلقناه خلقناه[9] بقدر،[10] فإن كان على هذا فليس فيه إثبات خلق كلية الأشياء ولكن فيه إثبات أن ما خلقه

---

[1] ر: قوله؛ ن م: وقوله.
[2] جميع النسخ: وفي السعر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٠و.
[3] الآية ٢٤ من هذه السورة.
[4] ن: قوله.
[5] ر ث م - بقدر.
[6] سورة الأنعام، ١٠٢/٦؛ وسورة الرعد، ١٦/١٣؛ وسورة الزمر، ٦٢/٣٩؛ وسورة المؤمن، ٦٢/٤٠.
[7] ر م: كل.
[8] ر ث م: آية.
[9] ر ث م - خلقناه.
[10] ر ن م + أي إنا كل شيء بقدر.

إنما خلقه[١] بقدر، وإلى هذا التأويل يذهب المعتزلة. والتأويل عندنا هو الأول: إنا خلقنا كل شيء بقدر، كقوله: خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ.[٢] ويحتمل أي إنا كل شيء خلقناه بقدر وحدّ ينتهي إليه ذلك ويبلغ حده،[٣] ليس كالمخلوق لا يعرف أحد قدر فعله ولا حده الذي ينتهي إليه، ولا يخرج فعل أحد من المخلوقين على ما يُقدّره.[٤] فأخبر أن فعله يخرج على ما يقدّره خلافا لفعل[٥] غيره فيدل على أنه هو الخالق. *والله أعلم*.

﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾[٥٠]

وقوله عز وجل: **وما أمرنا إلا واحدة**، الأمر فيما بين الخلق على وجهين. أحدهما أمر شأن وفعل،[٦] والآخر[٧] أمر تكليف لغير. ثم قوله عز وجل: **وما أمرنا إلا واحدة**، إنما هو أمر فعل يخبر عن سهولة ذلك عليه، أي شأنه وفعله يسير عليه [سَهْلٌ][٨] لا يعجزه شيء ولا يَشغله، فعلى[٩] ذلك أَمْرُ الله وخَلْقُه[١٠] عليه. والواحد ليس هو اسم العدد[١١] وإن كان الحساب به يُبتدأ، إنما هو اسم التوحد والتفرد. كما يقال: فلان واحد زمانه، لا يريدون من جهة العدد إذ له أعداد وأمثال من جهة العدد، ولكن إنما يراد بأنه المتوحد في شأنه وفعله لا نظير له.[١٢] فعلى ذلك تسميته[١٣] إياه واحدا لتفرده وتوحده في ألوهيته وربوبيته.[١٤] وتسمية أمره واحدا أنّ فعله وشأنه لا يُشبه[١٥] أفعال غيره وأنه لا نظير له في ذلك وأنه يسيرٌ عليه لا حاجة له إلى الوقت والآلة وغير ذلك.

---

[١] ر م - إنما خلقه.
[٢] سورة الأنعام، ١٠٢/٦.
[٣] ر م: حد.
[٤] جميع النسخ: من المخلوق على ما يقدروه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٠و.
[٥] ر: الفعل.
[٦] ر م: بالفعل.
[٧] ن: والأحسن.
[٨] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.
[٩] ن ث: فعل.
[١٠] ر م: وخاتمه.
[١١] ر: القدر.
[١٢] ر م: ولا نظير له.
[١٣] ر: تسمية.
[١٤] ر: في ألوهية وربوبية.
[١٥] ر ث م: لا يشبهه.

ألا ترى أنه قال: **كلمح بالبَصر**، يخبر عن خفة ذلك عليه وسهولته[1] من حيث لا يَثقُل على أحد رد البصر ولا لَمْحُه. هذا وجه. والثاني[2] فيه إخبار أنه لا يشغله شيء، لأن الناس يشغلهم بعض[3] أمورهم عن بعض.

وأهل التأويل يصرفون الآية إلى الساعة كقوله تعالى: وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ.[4] وهو محتمل، فيُخبر أن أمر[5] الآخرة ليس على تقدير أمر الدنيا على إتْباع بعض بعضا وعلى إرداف شيء على شيء وعلى الانتقال والتغيير من حال إلى حال ولكنّ أمر الآخرة على التكون بمرة واحدة.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾[٥١]

وقوله عز وجل: **ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر**، يحتمل قوله: **أشياعكم**، على وجهين. أحدهما إخوانكم / وأهلَ دينكم بتكذيبهم الرسل عليهم السلام، فاذّكروا[6] أنتم يا أهل مكة لأن لا تَهلِكوا بتكذيبكم محمدا[7] صلى الله عليه وسلم. والثاني أي ولقد أهلكنا أشياعكم وعرفتم ذلك فهل من مدّكر، يتذكر ويتعظ ويعتبر به. وجائز أن يكون معناه: ولقد أهلكنا جنسكم. والحكيم لا يخلق الخلق للفناء والهلاك فاعلموا أنه أنشأكم لعاقبة.[8] وفيه إثبات البعث لكنه لا يدركه أفهام الكفرة وعقولهم. *والله أعلم*.

[٧٦٧و]

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾[٥٢]

وقوله عز وجل: **وكل شيء فعلوه في الزبر**، يخرج هذا أيضا[9] على وجهين. أحدهما كل شيء فعلوه من التكذيب والعناد كان في الكتب المتقدمة، أي عن علم بصنيعهم وفعلهم أنشأهم وبعث إليهم الرسل، وهو رد على من يقول: إنه لا يعلم ما يكون منهم حتى يكون منهم ذلك،

[1] ر: وسهولة.
[2] ر م: الثاني.
[3] ر: بعد.
[4] سورة النحل، ١٦/٧٧.
[5] ر م – أمر.
[6] ر ث م: واذكروا؛ ن: فاذكروا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٠ظ.
[7] ر ث م: محمد.
[8] ر: العاقبة.
[9] ن – أيضا.

لأنه لو كان يعلم ذلك لا يحتمل أن يبعث الرسل عليم السلام إليهم ويأمرهم وينهاهم وهو يعلم أنهم يكذّبون[١] رسله ويخالفون أمره. فرد عليهم وبين أنه لم يزل عالما بما كان ويكون. وقد بينا قبل هذا أنه تعالى بعث الرسل إليهم وإن علم منهم التكذيب والخلاف وذلك لأن المنافع والمضارّ راجعة إليهم دونه. *والله أعلم*. و[الثاني] جائز أن يكون معناه: **وكل شيء فعلوه في الزبر**، أي في الكتب التي تكتب[٢] عليهم الملائكة ويؤمرون بالقراءة في القيامة، كقوله: اِقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا.[٣]

﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾[٥٣]

وقوله عز وجل: **وكل صغير وكبير مستطر**، هذا أيضا يخرج على هذين الوجهين. أحدهما **مستطر**، في الكتب التي قبلهم، أو في الذين يُمْلُون على[٤] الحفظة، كقوله تعالى: مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ.[٥]

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾[٥٤]

[هذا للمتقين مقابلَ ما ذكر للكفرة، حيث قال: إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ[٦] وقال في موضع آخر: إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ].[٧] ثم اختلف في تأويل قوله:[٨] **ونَهَر**، قيل: نَهَر من النهار،[٩] أي هم في ضياء ونور وسرور، وهو قول الأصم. وقال الفراء: النهر السعة، يقال: أنْهرتُ الطَّعْنة، أي وسعتها.[١٠] وقال أهل التأويل: أي الأنهار.

---

[١] ر م: يكونون.
[٢] جميع النسخ: يكتب.
[٣] سورة الإسراء، ١٤/١٧.
[٤] ر: يملونه من.
[٥] جميع النسخ + وقوله عز وجل ﴿إن المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار﴾ وقال في موضع آخر ﴿إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون﴾. وهاتان الآيتا متعلقتان بالآية التالية، كما سيأتي. سورة ق، ١٨/٥٠.
[٦] الآية ٤٧ و٤٨ من هذه السورة.
[٧] سورة الزخرف، ٧٤/٤٣. الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٨٠ظ.
[٨] ر + قوله.
[٩] ر م: من النار.
[١٠] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٤٣٥.

﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾[٥٥]

وقوله عز وجل: **في مقعد صدق**، أي موعود صِدْقٍ، كأنه كناية عن راحة وسرور لهم، كقوله: كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا،[١] أخبر أنهم يستريحون فيها ويَسكنون[٢] ويَقِرّون لا يريدون التحول منها. وهو مقابل ما ذكر[٣] للكفار: يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ،[٤] أي يُجَرُّون، وقوله[٥] عز وجل: سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا،[٦] وقوله تعالى: رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا،[٧] يطلبون الخروج منها؛ وأخبر أنهم يكونون أبدا في عناء وشدة وبلاء حتى لا يَقِرّون في مكان. وعلى هذا يخرج قوله: أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ،[٨] أي لهم موعود صدقٌ عند ربهم، أي تَقر[٩] أقدامهم في ذلك، فيكون هو كناية عن الثبات.

وقوله عز وجل: **عند مليك مقتدر**، إن الرجل إذا كان في فضل[١٠] وخير يضاف بكونه فيه[١١] إلى الله تعالى، نحوَ ما يقال: "في سبيل الله"[١٢] و"وفود الله" وغير ذلك من الأمكنة التي هي أمكنة الفضل والخير يضاف إلى الله نحو بيت الله ومساجد الله لأنها أمكنة القرب والفضل. فعلى ذلك قوله: **في مقعد صدق عند مليك مقتدر**، أضاف كونهم[١٣] في أمكنة الفضل والخير والمنزلة إلى الله تعالى،[١٤] لا أنه يوصف بمكان أو مقام بل هو ممسك الأمكنة كلها ومنشئ الأزمنة بأسرها. ***والله أعلم***.[١٥]

---

[١] سورة الكهف، ١٠٧/١٨.
[٢] ر م: أو يسكنون.
[٣] ن – ما ذكر.
[٤] الآية ٤٨ من هذه السورة.
[٥] ث: قوله.
[٦] سورة المدثر، ١٧/٧٤.
[٧] سورة المؤمنون، ١٠٧/٢٣.
[٨] سورة يونس، ٢/١٠.
[٩] جميع النسخ: يقر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٠ظ.
[١٠] ن: في فعل.
[١١] ن – فيه.
[١٢] م: في رسول الله.
[١٣] جميع النسخ: بكونهم.
[١٤] جميع النسخ: عند الله تعالى.
[١٥] ر ن ث: والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الرحمن[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿الرَّحْمَٰنُ﴾[١] ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾[٢]

قوله عز وجل: **الرحمن علم القرآن**، قد عرفت العربُ وعلمتْ أن الرحمن على ميزان فَعْلان مشتق من الرحمة، لكن أحدا[2] من الخلائق لا يبلغ في الرحمة[3] مبلغا يستحق التسمية[4] به رحمانا. لذلك[5] خص الله تعالى نفسه بتسميته رحمانا وإن كان مشتقا من[6] الرحمة كالرحيم وجاز[7] تسمية غيره رحيما. ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **علم القرآن**، ذكر أن **الرحمن علم القرآن**، و لم يذكر لمن علمه. فجائز[8] أن يكون المراد منه أنه تبارك وتعالى علم القرآن رسولنا صلى الله عليه وسلم. ثم يُخرَج ذلك على وجوه. أحدها أنه أمر[9] جبريل عليه السلام حتى علمه، كقوله:[10] عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ،[11] لكن خرجت الإضافة إلى الله تعالى لما أنه علمه بأمره.

---

[1] ر – سورة الرحمن؛ ن: ذكر أن سورة الرحمن مكية وقيل مدنية؛ ث + وهي ست وستون آيات مكية؛ م + مكية وقيل مدنية.

[2] جميع النسخ: أحد.

[3] ر م: في الرحمن.

[4] ر م: تسمية.

[5] ر: كذلك.

[6] ث – مشتقا من.

[7] م: وجائز.

[8] جميع النسخ: فجاز. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨١و.

[9] ر م – أمر.

[10] ر ث م – علمه كقوله.

[11] سورة النجم، ٥٣/٥-٦.

والثاني أضاف التعليم إلى نفسه لما أنه هو الذي أثبته في قلبه حتى لا ينساه، كقوله عز وجل: سَنُقْرِؤُكَ فَلَا تَنْسَى،[1] وقوله تعالى: لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ،[2] وقوله: كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ.[3]

والثالث أضاف إلى نفسه وإن علمه جبريل عليه السلام لأنه هو الخالق لفعل التعليم من جبريل عليه السلام.

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾[٣] ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **خلق الإنسان علمه البيان**، قال بعضهم: **خلق الإنسان**، أي آدم عليه السلام، **وعلمه البيان**، أي الأسماء التي ذكر في آية أخرى: وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا،[4] إذ لا سبيل إلى معرفة[5] الأسماء إلا بالتلقين ليس كالأشياء التي تعرف وتدرك[6] بالاستدلال. ويحتمل أن يكون المراد بقوله تعالى: **خلق الإنسان**، / أي خلق كل إنسان، **وعلمه البيان**، أي علمه بيان ما [٧٦٧ظ] يمتحنهم به من الأمر والنهي ليعلم أنه لم يخلق الإنسان ليتركه[7] سُدًى. ويحتمل علّم كل إنسان ما غاب عنهم حتى عرفوا بما شاهدوا من الطعم واللون[8] واللذة طعم ما غاب عنهم من جنسه ولونه ولذته استدلالا بما شاهدوا.[9] ويحتمل الاستدلالَ بالشاهد على معرفة الله تعالى، وهو أنهم لما شاهدوا الإنسان[10] محتاجا عاجزا محاطا بالحوائج والحوادث عرفوا أن له خالقا عالما قادرا أنشأه كذلك. ويحتمل ما ذكر من تعليم البيان بيانَ القرآن وذلك راجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه علمه[11] القرآن، وعلمه **البيان**، هو بيان القرآن حتى يبين[12] للناس

---

[1] سورة الأعلى، ٦/٨٧.
[2] سورة القيامة، ١٦/٧٥-١٧.
[3] سورة الفرقان، ٣٢/٢٥.
[4] سورة البقرة، ٣١/٢.
[5] ر: المعرفة.
[6] جميع النسخ: يعرف ويدرك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨١و.
[7] م: ليترك.
[8] ر ث م: من اللون والطعم.
[9] جميع النسخ: بما شاهد. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] جميع النسخ: الأشياء. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ر م: علم.
[12] ن: تبين.

كلَّ ما يحتاجون إليه وما لهم وما عليهم. وجائز أن يُصرَف بعضه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله: ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ ٱلْقُرْآنَ[١] وبعضه إلى آدم عليه السلام وهو قوله: **خلق الإنسان علمه البيان**، وتفسيره ما ذكرنا. وقال بعضهم: **خلق الإنسان**، آدم، **وعلمه البيان**، بيان الدنيا والآخرة. وجائز أن يكون **خلق الإنسان**، كلَّ إنسان علّم القرآن **وعلّمه البيان**، أي علّم شيئا من بيان القرآن من الأحكام[٢] والشرائع ونحو ذلك. وقال القُتَبي: **علمه البيان**، أي الكلام.[٣] *والله أعلم*.

﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **الشمس والقمر بحسبان**، قال أهل التأويل [فيه][٤] بوجهين. أحدهما أي يُحْسَب بهما عددُ الأوقات والأزمنة ويعرف بهما حساب ذلك. والثاني يحسب بهما حساب[٥] منازلهما التي يَطلُعان منها ويغيبان فيها ومجاريهما[٦] التي[٧] يجريان فيها لا يجاوزانها في شتاء ولا صيف. وقال أبو عَوْسَجَة: قوله:[٨] **بحسبان**، جمع الحساب. وقال القُتَبي: **بحسبان**، بحساب ومنازل لا يعدوانها.[٩] وفيه زيادة معنىً أن الله تعالى جعلهما بحيث تُعرَف[١٠] بهما حقيقة أعين الأشياء لما جعل فيهما من النور والضياء الذي بهما[١١] يتجلى للخلق الأشياء المستورة. فيقال لمنكري الرسالة وتفضيل بعض البشر على بعض: لمّا شاهدتم أشياء خُصّت بفضل ضياء وتجلٍّ[١٢] لم يكن ذلك لغيرها فَلِمَ أنكرتم فضل بعض البشر بفضل بيان وعلم ورسالة؟[١٣] *والله أعلم*.

---

[١] الآية ١-٢ من هذه السورة.
[٢] م: والأحكام.
[٣] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٣٦.
[٤] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٨١و.
[٥] ن + منازل.
[٦] ر: ومجازيهما.
[٧] ر ث م – التي.
[٨] ن – قوله.
[٩] ر ث م: لا يعدوا بها؛ ن: لا تعدونها. *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٣٦.
[١٠] جميع النسخ: يعرف.
[١١] جميع النسخ: بها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨١و.
[١٢] ن ث م: وتجلى.
[١٣] ر م: وعلم رسالة.

﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **والنجم والشجر يسجدان**، النجم يحتمل وجهين. أحدهما الكواكب، فإن كان هو المرادَ فكأنه يقول: يسجد له ما به زينة السماء [وهو الكواكب][١] وما به زينة[٢] الأرض وهو الأشجار.[٣] ويحتمل النجم كل نَبْت يَنْبُت في الأرض لا ساق له والشجرُ هو الذي له ساق، كأنه يقول: يسجد له كل ما يظهر من الأرض ويخرج، ما ارتفع وعلا وما لم يرتفع. ثم سجودهما يحتمل وجوها. أحدها[٤] سجود خلقة، قد جعل الله تعالى في خِلْقة.[٥] كل شيء دلالة السجود له والشهادةَ له بالوحدانية.

والثاني سجود هذه الأشياء المواتِ طاعتُها له عن اضطرار وتسخير، نحوَ قوله تعالى: اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ.[٦]

والثالث سجود حقيقة يجعل الله تعالى في سِرِّية[٧] هذه الأشياء معنى يسجدون به لله تعالى يعلمه هو ولا يعلمه[٨] غيره، كقوله تعالى: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ.[٩]

وقال بعض الناس: سجودهما هو تمثيل ظلالهما،[١٠] كقوله تعالى: يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلّٰهِ.[١١]

ثم لا يلزم السجود بتلاوة هذه الآية وأمثالها مما فيه[١٢] ذكر سجود الموات وطاعتها لأنها[١٣] مواتٌ ليست بأهل للسجود[١٤] وإنما سجودها عن اضطرار، وكل[١٥] مخلوق في معناه

---

[١] الزيادة من الشرح، ورقة ١٨١و.
[٢] ن – زينة.
[٣] جميع النسخ: وهي الكواكب وهي. والتصحيح من المرجع السابق.
[٤] ر ن: أحدهما.
[٥] ث: في خلقه.
[٦] سورة فصلت، ١١/٤١.
[٧] ر م: في سيرته؛ ث: في سيرة.
[٨] ر: يعلم.
[٩] سورة الإسراء، ٤٤/١٧.
[١٠] ر ث م: ظلالها.
[١١] ﴿أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون﴾ (سورة النحل، ٤٠/١٦).
[١٢] ر م – فيه.
[١٣] ن: لا أنها.
[١٤] ر م: السجود.
[١٥] ر م: كل.

في الدلالة على السجود. وإنما يلزم السجود بتلاوة آيات ذكر فيها سجود مَن هو من أهل السجود. *والله أعلم*.

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **والسماء رفعها**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما أراد حقيقة الرفع أي رفعها بلا عمد من الأسفل ولا تعليق من الأعلى، أي أنشأها كذلك مرفوعة لا أن كانت موضوعة فرفعها وأمسكها كذلك، ليعلم أن قدرته خلاف قدرة الخلق وقوتهم.[١] والثاني **رفعها**، أي رفع قدرها ومنزلتها في قلوب الخلق حتى يرفعوا[٢] أيديهم وأبصارهم إليها عند الحاجة لما جعل فيها لهم من الأرزاق والبركات التي تنزل من السماء. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ووضع الميزان**، يحتمل حقيقة الميزان[٣] الذي يزن الناس به الأشياء وبه يتحقق الإيفاء والاستيفاء. امتحنهم بذلك ليعرفوا[٤] بذلك قبح التقصير فيما أمروا به والمجاوزةِ عما نُهوا عنه. وذلك يحتمل في الأحكام والشرائع والتوحيد وصرف الألوهية والعبادة إلى غير الذي يستحقه ليعلموا التقصير في ذلك. *والله أعلم*. ويحتمل المراد بالميزان[٥] الأحكام التي وُضعت بين الخلق والشرائعَ التي جعلت عليهم ليقوموا بوفائها وينتهوا عن التقصير فيها والتعدي عن حدودها. وقيل: الميزان العدل وهو ما ذكرنا. *والله أعلم*. وذكر أن الموازين ثلاثة. أحدها العقول وهي التي يعرف بها محاسن الأشياء ومساوئها وقبح الأشياء وحسنها. والثاني الميزان الذي جُعل بين الخلق لإيفاء الحقوق والاستيفاء. والثالث الذي جعل في الآخرة ليُوفَّى[٦] به ثواب الأعمال وجزاؤها. *والله أعلم*.

﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾[٨] ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾[٩]

وقوله عز وجل: / **ألا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان**، [٧٦٨و] قوله: **ألا تطغوا في الميزان ... ولا تخسروا**، أي لا تنقصوا في الميزان. وقوله: **وأقيموا الوزن**،

---

[١] ن: وقوهم.
[٢] ر: يرفعها.
[٣] ر – يحتمل حقيقة الميزان.
[٤] ن: ليوفوا.
[٥] ر ن م + أن.
[٦] جميع النسخ: ليوفا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨١ظ.

أَمَر بإقامة الوزن، والإتمام في الوزن أَمْرٌ بالإتمام ونهي عن النقصان، والأمر بالشيء نهي عن ضده، وهاهنا جمع بينهما صريحا تأكيدا لباب الوزن والميزان. وإنه[1] يحتمل الوجوه الثلاثة التي ذكرنا. وعن قتادة: كان ابن عباس رضي الله عنه يقول: يا معشر الموالي إنكم قد وُلِّيتم أمرين بهما[2] هلك الناس قبلكم هو المِكْيال والميزان.[3] وقال مجاهد في قوله تعالى: **وأقيموا الوزن بالقسط،** أي الميزانَ[4] باللسان،[5] أي لسان الميزان. وقيل: لابن عمر رضي الله عنهما: إن أهل المدينة لا يُوفُون الكيل. قال: وما يمنعهم وقد قال الله تعالى: وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ؟[6]

﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **والأرض وضعها للأنام،** قال بعضهم: الأنام[7] هو كل ذي روح، وقال بعضهم: الأنام هو جميع الخلق. ولكنْ عندنا الأنام كأنه البشر هاهنا[8] لأنه أخبر أن الأرض أنشأها للبشر: وضعها[9] لهم، وهو ما ذكر في مواضع: خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ،[10] وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ[مَا فِي] الْأَرْضِ [جَمِيعًا مِنْهُ].[11]

﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام،** يذكِّرهم نعمه[12] التي أنشأها[13] لهم في الأرض من الفواكه وأنواع الثمار والحبوب التي جعلها رزقا لهم وقوتا. وقوله عز وجل: **ذات الأكمام،** أي ذات الغُلُف[14] والأغطية.

---

[1] ر م – أنه.
[2] ر م – بهما.
[3] انظر: *تفسير ابن أبي حاتم،* ٢٢٣٠/٧؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢٨٥/٥.
[4] ر م: في الميزان.
[5] *الدر المنثور* للسيوطي، ٦٩٢/٧.
[6] سورة المطففين، ١/٨٣.
[7] ن: للأنام.
[8] ر م: الآية؛ ث – هاهنا.
[9] ر م: وصفها.
[10] سورة البقرة، ٢٩/٢.
[11] سورة الجاثية، ١٣/٤٥.
[12] ر ن: نعمة.
[13] ن: أنشأ.
[14] ر ن م: العلف.

﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾[١٢]

وقوله[1] عز وجل: **والحب ذو العصف والريحان**، قرئ الريحان[2] برفع النون وكسرها.[3] فمن كسرها ذهب إلى أن الريحان هو الرزق[4] الذي يرتزقون [به][5] من الحبوب والثمار، والعَصْف الوَرَق. فيكون المعنى والْحَبُّ ذو الورق والرزق. ومن رفعها فعلى الابتداء عطفا على الحَبّ. واختلفوا في تفسير العصف والريحان. منهم من قال: العصف[6] ورق الزرع من الحنطة والشعير وغيرهما، وقيل هو التين، وقيل هو أول ما ينبت من الزرع، وقيل العصف هو الزرع نفسه ولكن أضاف العصف إلى الحب لما منه ينشأ الحب ومنه يخرج. وأما الريحان [قال بعضهم]:[7] هو خُضْرَة[8] الزرع، وقيل هو الذي يُشمّ،[9] وقيل هو الرزق[10] الذي يرتزقون من الحبوب والثمار.[11] كذلك[12] روي عن ابن عباس رضي الله عنهما الريحان هو[13] الحب. وقال القُتَبي: الريحان الرزق، يقال: أُطلب ريحان الله[14] أي رزقه. ***والله أعلم***.[15]

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **فبأي آلاء ربكما تكذبان**، هذا خطاب للجن والإنس. وفيه دلالة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا إلى الإنس والجن جميعا. ألا ترى أنه قال في آية أخرى:[16]

---

[1] ن: قوله.
[2] ر ث م - قرئ الريحان.
[3] انظر: *المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٢٣.
[4] ر ث: الورق؛ م: العدق.
[5] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٨١ظ.
[6] ث - العصف.
[7] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.
[8] ر م: حضرة.
[9] ر ن: يشتم.
[10] ر ث م: الورق.
[11] ر م: في الثمار.
[12] ن: وكذلك.
[13] ن - هو.
[14] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٣٧.
[15] ر م: الله أعلم.
[16] ن - أخرى.

يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ.[1] وقيل: ليس أن يخاطبهما جملة لكن يخاطب كل إنسي وجني في نفسه، كقوله[2] تعالى: وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا،[3] ليس أن قال الفريقان جميعا، كونوا هودا تهتدوا ولكن[4] قال اليهود: كونوا هودا تهتدوا، وقال النصارى: كونوا نصارى تهتدوا، فعلى ذلك هذا. ثم قوله عز وجل: **فبأي آلاء ربكما تكذبان،** يخرج على وجهين. أحدهما أي لأي آلاء ربكما تكذبان التي ذُكر من وضع الأرض لكم وجعْل الفاكهة والنخل والحَبّ ونحو ذلك أنها ليست من الله تعالى، فإذا عرفتم أنها من الله تعالى فكيف تصرفان الشكر إلى غيره؟ والثاني فبأي نعمه وآلائه[5] تكذبان: التوحيدِ والرسل أو العبادةِ،[6] أي لأي[7] نعمة تكذبان؟[8] وعن جابر[9] بن عبد الله قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها[10] فسكتوا فقال: «لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودا[11] منكم، كلما قرأت عليهم **فبأي آلاء ربكما تكذبان،** قالوا: لا شيء من آلاء ربنا نكذب فلك الحمد».[12]

ثم فيما ذكر من قوله: وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ فِيهَا فَاكِهَةٌ،[13] إلى آخره، يذكر نعمه وقدرته وتدبيره وعلمه ووحدانيته. أما نعمه[14] فإنه بسط الأرض لهم بما فيها ما أحبوا من[15] أنواع الحبوب

---

[1] الآية ٣٣ من هذه السورة.

[2] م: كقو.

[3] سورة البقرة، ١٣٥/٢.

[4] ن – لكن. صح هـ.

[5] ن: نعمة وآلاء. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٢و.

[6] ن: والرسل له والعبادة. والتصحيح من المرجع السابق.

[7] ن: لا. والتصحيح من المرجع السابق.

[8] ر ث م – يخرج على وجهين أحدهما أي لأي آلاء ربكما تكذبان التي ذكر من وضع الأرض لكم وجعل الفاكهة والنخل والحب ونحو ذلك أنها ليست من الله تعالى فإذا عرفتم أنها من الله تعالى فكيف تصرفان الشكر إلى غيره والثاني فبأي نعمه وآلائه تكذبان التوحيد والرسل أو العبادة أي لأي نعمة تكذبان.

[9] ث: عن جابر.

[10] ر ث م – إلى آخرها.

[11] م: ردودا.

[12] *سنن الترمذي*، التفسير ٥٥؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٦٩٠/٧.

[13] الآية ١٠ و١١ من هذه السورة.

[14] ن: نعمة.

[15] ر – من؛ ن: فيها أحبوا من؛ ث م: فيها من. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٢و.

والفواكه التي بها قوامهم والعصف وأنواعِ النبات التي بها قوام دوابهم. وأما بيان قدرته وسلطانه [فإنه] أنشأ هذه الفواكه والحبوب في أكمامها ما يُعجز الخلق عن إحداث شيء وفعله في الغُلُف[١] والأغطية،[٢] ليعلم أن صنعه وفعله خارج عن المعالجات والمماسّات التي لا يتحقق مع الأغطية وأن قدرته[٣] وفعله غير مَقيسَين بأفعال الخلق وقدرتهم. وكذلك[٤] الأولاد في البطون والفِراخُ في البيض وأمثالُها في الظلمات ليعلم أنه لا يخفى عليه شيء. ثم أنشأ هذه الثمار والحبوبَ في الوقت الذي لا يحتمل البرد والحرّ في الأكمام من وراء الحجب وأمسكها فيها في حال ضعفها فإذا اشتدت وقويت[٥] أخرجها من الغُلُف.[٦] وفي[٧] ذلك لطف منه ونعمة عظيمة على خلقه.

وفيه إثبات البعث من وجهين. أحدهما أن من قدر على إنشاء هذه الأشياء لقادر على إعادة الخلق. والثاني أنه لما أنشأ لهم ما ذكر، ثم منهم من شكر هذه النعم ومنهم من كفر ثم استويا في هذه الدنيا -وفي الحكمة التفريق بينهما- فلا بد من دار أخرى فيها يفرَّق بينهما.

وفيه لزوم الامتحان إذ لا يحتمل أن ينشئ لهم هذه النعم ثم يتركهم سدى لا يستأدي شكر ما أنعم عليهم. ثم معرفة الشاكر[٨] منهم والكافرِ لا تعرف[٩] إلا بمعرِف يُعرِفهم[١٠] لأن مقدار الشكر وكيفيته لا يعرف بمجرد العقل فيضطرهم إلى رسول يخبرهم عن الله تعالى ذلك،[١١] فيكون فيه إثبات الرسالة.

ثم في إخراج هذه الحبوب والفواكه كلّها في وقت واحد من المشرق والمغرب على سَنَنٍ واحد في زمان / واحد من غير تفاوت دليلٌ أن علمه وتدبيره أزليان ذاتيان إذ لم يمنعه[١٢] شيء عن شيء. [٧٦٨ظ]

[١] ر م: العلف.
[٢] ر م - والأغطية.
[٣] ر ث م: وأن قدر به.
[٤] ر م: كذلك.
[٥] جميع النسخ: اشتد وقوي.
[٦] ر م: في العلف.
[٧] ر م: في.
[٨] جميع النسخ: الشكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٢و.
[٩] جميع النسخ: لا يعرف.
[١٠] ث - يعرفهم.
[١١] ن - ذلك.
[١٢] م: لم يمتنعه.

ثم اتساق ذلك واتصال ما ذكر[1] من منافع الأرض بمنافع السماء من غير منع[2] من أحد دليل على وحدانيته، إذ لو كان ذلك فعل عدد ما جرى ذلك على سنن واحد على ما هو التدافع والتمانع في الأمر القائم بين اثنين عند الاختلاف. **والله الموفق.**

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **خلق الإنسان من صلصال كالفخار**، ذكر في خلق[3] الإنسان أحوالا مختلفة، مرة قال: خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ،[4] والتراب هو الذي لم يصبه الماء؛ ومرة قال: خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ،[5] والطين هو الذي أصابه الماء واعتجن؛ ومرة قال: مِنْ طِينٍ لَازِبٍ،[6] واللازب هو الذي يلتصق باليد ويَلْزَقه وهو الجِير[7] الخالص. وقال مرة مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ،[8] وهو الذي اسودّ وتغير[9] لطول المكث. ومرة قال: **من صلصال كالفخار**، والصلصال هو الذي له صوت إذا حُرِك، وهو من صلصلة الحديد. ويحتمل **صلصال**، أي مُنْتِنٍ، يقال: صَلَّ البئر إذا أَنْتَنَ، **والفخار** هو الذي ينكسر[10] إذا يبس.[11] وقال أبو عَوْسَجَة: الفخّار[12] الذي طُبِخ.

فجائز أن تكون[13] هذه الأحوال التي[14] ذكرت على اختلافها في ذلك الإنسان: كان في الابتداء ترابا ثم صار طينا[15] ثم صار لازبا -لأنه كان من جيّد الطين وحرّه- ثم صار مسنونا مُنْتِنا أسودَ لطول مُكثه، وصلصالا لكثرة[16] تربيته ولجودته يكون له صوت. وتشبيهُه بالفخار يحتمل وجهين.

---

[1] ن: ملك. صح هـ.
[2] ر م: مدخل؛ ث – منع.
[3] ن + ذلك.
[4] سورة آل عمران، ٥٩/٣.
[5] انظر مثلا: سورة الأعراف، ١٢/٧؛ وسورة ص، ٧٦/٣٨.
[6] سورة الصافات، ١١/٣٧.
[7] ر ن ث: الحر؛ م: الجر. الجير: الجص، فإذا خلط بالنورة فهو الجيّار (*لسان العرب*، «جير»).
[8] سورة الحجر، ٢٦/١٥.
[9] ن: ويغير.
[10] جميع النسخ: تكسر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٢ظ.
[11] ن: أنتن.
[12] م + هو.
[13] جميع النسخ: أن يكون.
[14] ن: الذي.
[15] ر م – ثم صار طينا.
[16] ث: لكبره.

أحدهما[١] لتكسُّره[٢] ويُبْسه، أو لأنه كان[٣] ذا جوف كالفخّار، أو لطول المُكْث وكثرة التربية، إذ طين الفخار له هذه الصفات. *والله أعلم*.

﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **وخلق الجان من مارج من نار**، الجان[٤] ذُكر أنه أبو الجن وأنه لفظ الوُحْدَانِ، والجن جماعة؛ وكذا قال أبو عَوْسَجَة: **الجان**، الجن. وقوله: **من مارج من نار**، قال بعضهم: المارج هو لهب النار صافٍ[٥] لا دخان فيه؛ يقال: مَرَجَت النار إذا الْتَهَبَت، فالمارج على هذا هو[٦] النار التي[٧] فارقت الحطب والْتَهَبَت وارتفعت منه. وكذا قال أبو عَوْسَجَة: المارج هاهنا اللهب من قولك مَرِج الشيء إذا اضطرب ولم يستقرّ. وعلى ما قال بعضهم في قوله: مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ:[٨] أي خلط وجمع بينهما. يجيء أن يكون خلق الجان من نار غير منقطعة من الحطب ولا خاليةٍ من الدخان. وكذا قال أبو عبيدة:[٩] **من مارج من نار**، أي من خلطٍ من النار.[١٠] وعلى تأويل من قال في قوله: مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ، أي أرسل أحدهما في الآخر، فهو يكون من نار منقطعة من الحطب. وليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة، إنما الحاجة إلى معرفة ما أودع من الحكمة فيما ذكر من خلق آدم من التراب وخلْقِ الجان من النار والفائدة في ذلك. *والله أعلم*. يخبر عن قدرته أن من قدر على خلق الإنسان من ذلك التراب وإخراج جميع ما في الدنيا من الناس من نفس واحدة لا يحتمل أن يُعجزه شيء؛ وكذلك ما ذَكر من خلق الجانّ[١١] من النار وإخراج ما أخرج منه من النسل حتى أَخَذ الدنيا بأسرها لا يُعجزه شيء، ولا ما لو اجتمع حكماء البشر والجن أدركوا[١٢] المعنى الذي به أنشأ الإنسان منه وأخرج هذا الخلق منه.

---

[١] ن – أحدهما.
[٢] ن: ليكسره.
[٣] ن – كان.
[٤] ر ث م: الآية.
[٥] جميع النسخ: صافي.
[٦] جميع النسخ: هي.
[٧] ن – التي.
[٨] الآية ١٩ من هذه السورة.
[٩] جميع النسخ: أبو عبيد.
[١٠] *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢/٢٤٣.
[١١] جميع النسخ: ألوان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٢ظ.
[١٢] أي وكذلك لو اجتمع حكماء البشر والجن ما أدركوا.

وفي ذلك وجهان من الحكمة. أحدهما ما ذكرنا من القدرة على البعث. والثاني أن كل ما ذكر من النقل والتغيير[1] من حال إلى حال وإخراج ما أخرج منه لا يحتمل أن يفعل ذلك عبثا باطلا، ولو لم يكن بعثٌ لكان إنشاء هذا الخلق عبثا باطلا. *ولا قوة إلا بالله*.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **فبأي آلاء ربكما تكذبان**، يقول -والله أعلم-: إذا لم تنكروا شيئا من آلائه أنه ليس منه فما لكم تنكرون قدرته في البعث وغيره؟

﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾[١٧] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **رب المشرقين ورب المغربين**، وقال في موضع آخر: ﴿بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾[2] وقد ذكرنا فيما تقدم.[3] ثم دل قوله: **رب المشرقين ورب المغربين**، ورب المشارق والمغارب[4] وذِكرُ الحد لهما أعني الشمس والقمر في الشروق والغروب على أنهما طلعا حيث طلعا[5] بأمر وغربا حيث غربا بأمر، إذ لو كان ذلك لا بأمر لكن بأنفسهما لكانا[6] يطلعان ويغربان في جميع الأوقات والأطراف ولا يرجعان إذا بلغا مكانا ولا يزدادان ولا ينقصان في وقت من الأوقات. ثم هذا كله مُنْشَأٌ للبشر مسخَّر لهم. فيقول -والله أعلم-: ما بال المجعول لكم أطْوَعُ لله تعالى منكم حيث لا يجاوز الحد الذي جعل لهم ولا يتعدون أمر خالقهما، وأنتم تجاوزون أمره ونهيه وتتعدون[7] حدوده.

وفي الآية دليل على أن تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي ما عداه. ألا ترى أنه خصّ أنه[8] رب المشرقين ورب المغربين[9] ولم يدلَّ على أنه ليس برب ما بينهما، أَوَ ليس برب ما سوى المشارق والمغارب؟ *والله أعلم*.

---

[1] جميع النسخ: والتغير. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٢ظ.
[2] سورة المعارج، ٤٠/٧٠.
[3] انظر تفسير الآية ٥ من سورة الصافات.
[4] ر ث م: ورب المغارب.
[5] ر م - حيث طلعا.
[6] م: لكان.
[7] ر ن م: ويتعدون.
[8] ر م - أنه.
[9] ث: المشرقين.

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾[١٩]

وقوله: **مرج البحرين**، قيل جمع بينهما وخلط، وقيل أرسل أحدهما في الآخر. وقوله تعالى: **يلتقيان**، قيل: **يلتقيان**، يُماسّ أحدهما الآخر[١] أحدهما العذب والآخر المالح، وقيل: **يلتقيان**، أي يتقابلان.[٢]

﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾[٢٠] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٢١]

وقوله عز وجل: **بينهما برزخ لا يبغيان**، أي بين البحرين حجاب وحاجز، **لا يبغيان**، قيل: لا يختلطان ولا يمتزجان[٣] ولا يتغير طعم كل واحد منهما. / يخبر عن لطفه في منعهما [٧٦٩و] عن الامتزاج ومن طبع الماء الامتزاج والاختلاط. فمن قدر على هذا لا يُعجزه شيء. وقيل: **لا يبغيان**، أي لا يجاوزان حد الله تعالى الذي حد لهما.

ثم اختلف في البحرين. قال بعضهم: أحدهما بحر روم والآخر[٤] بحر هند، **وبينهما برزخ**، أي سكان، **لا يبغيان**، أي لا يختلطان، وهو قول الأصم. ومنهم من قال: أحدهما بحر روم والآخر بحر فارس، **بينهما برزخ**، أي جزيرة العرب.[٥] وقيل: أحدهما بحر السماء والآخر بحر الأرض، كقوله: فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ،[٦] **وبينهما برزخ**، وهو الهواء والأرض وسكان الأرض، وهذا أيضا لطف منه تعالى.

﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾[٢٢] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان**، منهم من قال: يخرج من العذب والمالح جميعا[٧] كما هو ظاهر الآية، ومنهم من قال: يخرجان من المالح خاصة دون العذب وإن كانت[٨] الإضافة إليهما وذلك جائز في اللغة، كقوله: يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ،[٩] ولم يأت من الجن رسل، وذلك كثير في القرآن.

---

[١] ر ث م – أرسل أحدهما في الآخر وقوله تعالى يلتقيان قيل يلتقيان يماس أحدهما الآخر.

[٢] ر م: يقابلان.

[٣] ر ث م: ولا يمزجان.

[٤] ث – بحر روم والآخر.

[٥] ر: العزير.

[٦] سورة القمر، ٥٤/١١-١٢.

[٧] ن م – جميعا.

[٨] ن: وإن كان.

[٩] سورة الأنعام، ٦/١٣٠.

ثم قرئ "يخرج" بنصب الياء ورفع الراء، وبرفع الياء ونصب الراء،[1] فالأول على جعل الفعل لهما، والثاني على جعل الفعل[2] لغيرهما، كقوله تعالى: وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا،[3] ولم يقل:[4] تخرج[5] منه حلية.

ثم اختلف في اللؤلؤ والمرجان. منهم من قال: اللؤلؤ ما عظم منه والمرجان ما صغر من اللؤلؤ، ومنهم من قال: على العكس، وأكثرهم[6] على الأول. كذلك روي عن ابن عباس والحسن وقتادة والضحاك.[7] وكذا قال أبو عَوْسَجَة: المرجان صغار اللؤلؤ والواحد مرجانة. وقيل: إن المرجان المختلطُ من الجواهر، من قولهم: مرجت أي خلطتُ. وقيل: إنه ضرب خاص من الجوهر يخرج من البحر. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إذا جاء القَطْر من السماء انفتحت الأصداف فكان من ذلك اللؤلؤ.[8] وقيل: إنما قال تعالى: **يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان**، وإنما يخرج اللؤلؤ من العذب دون المالح لأن العذب والمالح يلتقيان فيكون العذب لَقاحا للمالح، كما يقال: يخرج الولد من الذكر والأنثى، وإنما تلده الأنثى. *والله أعلم*.

﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَئَاتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **وله الجوار المنشئات في البحر كالأعلام**، عن إبراهيم رحمه الله أنه قرأ المنشِئات بكسر الشين.[9]

---

[1] ر م: بنصب الياء ورفع الياء ونصب الراء. قرأ أبو جعفر وأبو عمرو ويعقوب: ﴿يُخْرَجُ منهما اللؤلؤ﴾ بضم الياء وفتح الراء، وقرأ الباقون: ﴿يَخْرُجُ منهما﴾ بفتح الياء وضم الراء (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٢٣؛ *والنشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٨٤).

[2] ر ث م – لهما والثاني على جعل الفعل.

[3] سورة فاطر، ١٢/٣٥.

[4] ن – يقل. صح هـ.

[5] جميع النسخ: تخرج.

[6] م: وأكثر.

[7] *تفسير الطبري*، ٢٧/١٧٠؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٦٩٧/٧.

[8] *تفسير الطبري*، ١٧٢/٢٧.

[9] «أخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن إبراهيم النخعي والضحاك أنهما كانا يقرآن ﴿وله الجوار المنشِئات في البحر﴾ قال: أي الفاعِلات» (*الدر المنثور* للسيوطي، ٦٩٨/٧). «قرأ حمزة: ﴿المنشِئات﴾ بكسر الشين، وقرأ الباقون: ﴿المنشَئات﴾ بالفتح» (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٢٤».

وفسر بعض الناس **المنشئات**، أي ظاهراتُ السير. وعن الحسن أنه قرأها بفتح الشين. قال أبو عبيدة:[١] وبها يُقرأ لأن تفسيرها أنها التي قد رُفع قِلْعها[٢] في البحر فهي الآن مفعول[٣] بها. فقيل: المنشئات هي[٤] المرتفعات والتي لم يُرفع قِلعها[٥] فليست بمنشئات. وقيل: المخلوقاتُ، والجواري هي السفن المنشَئات. وقوله عز وجل: **كالأعلام**، أي هي في البحار كالجبال في البراري. وقيل: هي[٦] الأعلام أنفسها.[٧]

ثم في هذه الآيات التي ذكرت[٨] وجوه من الحكمة وإثبات القدرة لله تعالى وسبحانه. أحدها أن من قدر على تسخير البحار وإنشاء ما فيها [من المال النفيس][٩] وعلّم إخراج ما فيها للآدمي واتخاذ السفن وإجراءَها في البحار للوصول إلى المنافع التي في البلدان النائية لقادر على البعث وغيره. والثاني أن لا سبيل إلى معرفة ما في البحار من الأموال واتخاذ السفن وإجرائها في البحار ومعرفة ما وراء البحار من البلدان النائية وما فيها إلا بخبر الرسل. فيقول[١٠] -والله أعلم-: ما بالكم صدّقتم الرسل والأوائل[١١] فيما يرجع إلى منافعكم الدنيوية ولم تصدقوهم فيما يرجع إلى الدين والآخرة من الوعد والوعيد، أو[١٢] يقول: ما بالكم لا تنكرون شيئا من هذه النعم التي جعلها لكم أنها من الله تعالى فكيف تنكرون ما أتاكم به الرسل عليه السلام.

ثم في قوله: **وله الجوارِ المنشَئاتُ**، دلالة نقض قول المعتزلة في إنكارهم خلق أفعال العباد فإنه أضاف السفن إلى نفسه بقوله: **وله الجوار المنشئات**، وقد اتخذها بنو[١٣] آدم بأفعالهم، فلو لم يكن له في أفعالهم صنع[١٤] لكانت السفن لهم لا له. **والله أعلم**.

---

[١] ن ث: أبو عبيد.
[٢] القِلْع: شِراع السفينة، وجمعه: قُلُوع، وقِلاع، وقِلَعة (*لسان العرب*، «قلع» و*المعجم الوسيط*، «قلع»).
[٣] ر م: مقلوع.
[٤] جميع النسخ: وهي.
[٥] ر: لم يرتفع قلعهما؛ ث م: لم يرتفع قلعها.
[٦] ر م: قيل وهي؛ ث: وقيل وهي.
[٧] ر م: أنفسهما.
[٨] ن ث: ذكر.
[٩] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٨٣و.
[١٠] ن: فنقول.
[١١] ر م: أو الأوائل.
[١٢] ن + أو.
[١٣] ث: بنوا.
[١٤] جميع النسخ: صنعا. والتصحيح من المرجع السابق.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **فبأي آلاء ربكما تكذبان**، إذا[١] لم تكذّبا[٢] شيئا من آلاء ربكما أنه من الله تعالى ولم تكذبا[٣] ما أتاكم من الأخبار في منافع الدنيا فكيف تكذبان أخبار الرسل بعد ما جاءوا بالآيات والحجج.

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[٢٦] ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[٢٧] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٢٨]

وقوله عز وجل: **كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام**، يحتمل وجوها. أحدها أي مُلْكُ كلِّ مَن في الأرض فانٍ ويبقى ملك ربك أبدا دائما. والثاني يحتمل: سلطانُ كل من عليها أو قوة كل من عليها وقدرته فانٍ ويبقى سلطان ربك وقدرته وربوبيته ليعلم أن ملكه وسلطانه وقدرته[٤] بذاته لا بالخلق حتى يكون فناؤهم وذهابهم يُدخِل نقصا أو وهنا في ملكه خلافَ مُلك ملوك الأرض وسلطانهم. وجائز أن يكون قال هذا على الإياس للكفرة وقطع الرجاء عن عبادة من عبدوا دونه من الأصنام والملوك والرؤساء وما يخدمونهم، كأنه[٥] يقول: كل من عُبد دونه أو خدم أو عمل لا لوجه الله فكله فانٍ ذاهب إلا ما عُمل لوجه الله فإنه باق. *والله أعلم*.

[٧٦٩ظ] / والباطنية يقولون: **كل من عليها فان**، أي النفس الجسَدانية ويبقى النفس الروحانية أبدا، لأنهم يقولون: إذا فنيت هذه الأجساد[٦] ينشئ الله تعالى من أعمالهم الصالحات[٧] أنفسا روحانية يبقى أبدا.

ويحتمل **وجه ربك**، أي كُلُّ ما يُطلب من العمل وغيره رضاءُ الله تعالى فكَنى بالوجه عن الرضاء. وقوله عز وجل: **ذو الجلال والإكرام**،[٨] يخرج على وجهين. أحدهما على الخلق[٩]

---

[١] ن: إذ.
[٢] ر م: لم يكذبا.
[٣] ر م: ولم يكذبا.
[٤] ر ث م – وقدرته.
[٥] ر م: كأنهم.
[٦] ن – الأجساد.
[٧] ن: الصالحة.
[٨] ر م – ذو الجلال والإكرام.
[٩] ر م: على خلق.

إجلالُ حق الله وأمره وتعظيم ذلك. والثاني أي[1] يُجلّ الله تعالى من شاء من خلقه، أي منه إجلال من جَلّ في الدنيا وإكرام من أُكرم في الآخرة. ***والله أعلم.***

﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[٢٩] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **يسأله من في السماوات والأرض،** يخبر الله عز وجل عن فزع أهل السماء وأهل الأرض إليه عند الإياس عن الخلق[2] وانقطاع الرجاء عنهم.[3] يذكر أنه المفزع في الأحوال كلها وللخلائق كلهم ومنه يسألون الرزق والنجاة، وهو ما ذكر: قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، الآية، وقوله عز وجل: قُلِ اللّٰهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ،[4] وقوله: وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ،[5] وقوله تعالى: وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ.[6] [جائز أن يكون][7] هذا صلة قوله: كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ.[8] يقول -والله أعلم-: شأنه وأمره باقٍ دائمٌ أبدا وذهابُ الخلق لا يُدخل نقصا في شأنه وأمره ولا وَهْنا في سلطانه وملكه، بل هو في شأنه وأمره عند فنائهم كَهُوَ في حال قيامهم.[9] وجائز أن يكون ما قال بعض أهل التأويل: إن اليهود قالت: إن الله تعالى استراح يوم السبت لا يقضي بشيء ولا يحكم ولا يأمر ولا يفعل فعلا، فنزلت الآية عند ذلك: **كلَّ يوم هو في شأن،** من إحداث وإفناء وإحياء وإماتة.

وأصله أن الله تعالى إذا وُصف بشيء يوصف بالأزل يقال: عالم لم[10] يزل قادر لم يزل[11] رازق بذاته لم يزل. وإذا ذكر بأمر أو تدبير[12] مضاف إلى الخلق يوصف على ذكر الوقت

---

[1] م: أن.

[2] ن – عن الخلق.

[3] ر ث م + وهو.

[4] سورة الأنعام، ٦/٦٣-٦٤.

[5] سورة الزمر، ٣٩/٨.

[6] ﴿وإذا مسكم الضُّرُّ في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٦٧).

[7] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٨٣ظ.

[8] الآية ٢٦ و٢٧ من هذه السورة.

[9] ر ث م: فنائهم.

[10] ن – لم.

[11] ن + خالق.

[12] ر ن م: وتدبير.

فيكون الوقت للخلق لا له، نَحوَ أن يقال: إن الله تعالى لم يزل عالما[1] بجلوسك هاهنا أو في هذا الوقت،[2] أي لم يزل عالما أن تجلس[3] الآن أو تجيء[4] الآن أو في هذا الوقت. وإذا وصفته بالماضي قلت: لم يزل عالما بما كان، وبالمستقبل: لم يزل عالما بما يكون أنه يكون في وقتِ كذا. وللحال: لم يزل عالما بكونه كائنا للحال، ونحو ذلك، نفيا لوهم الخلق أن المخلوق كيف يكون في الأزل.[5] فعلى ذلك قوله عز وجل: **كلَّ يوم هو في شأن**، ذكر اليوم والوقت لئلا يتوهم تَكَوُّن[6] الخلق قديما. *والله أعلم*.[7]

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾[٣١] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٣٢]

وقوله عز وجل: **سنفرغ لكم أيها الثقلان**، الآية،[8] قرئ سنفرغ بالنون والياء برفع الراء في الحالين. قال أبو عبيد: بالياء نقرأها[9] كقوله تعالى: يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[10] ذكر على المغايبة فكذلك هذا الذي بُنِيَ عليه. قال الزجاج قوله تعالى: **سنفرغ لكم**، ليس هو الفراغَ عن الشغل لكن كما يقول الرجل لآخر: سأفرغ لك[11] كذا أي سأجعل لك، أو كلام نحوه.[12] ومنهم من يقول هذا على الوعيد في كلام العرب، يقول الرجل: سأفرغ لك وإني لفارغ، على الوعيد. وقال أبو بكر الكيساني: إن الفراغ ليس يستعمل في الفراغ[13] عن الشغل خاصة لكن يستعمل له ولغيره من نحو إنجاز ما وعد وأوعد؛ كأنه قال: سنُنْجز لكم ما أوعدتكم: **أيها الثقلان**.

---

[1] ر ث م: عالم.
[2] ن - الوقت.
[3] جميع النسخ: يجلس.
[4] جميع النسخ: أو يجيء.
[5] ر ث م: في الأول.
[6] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٣ظ.
[7] ن ث: والله الموفق.
[8] ن - الآية.
[9] جميع النسخ: يقرأها. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] الآية ٢٩ من هذه السورة.
[11] ن: لكم.
[12] «وقال الزجاج: الفارغ في اللغة على ضربين، أحدهما الفراغ من شُغلٍ، والآخر القصد للشيء، تقول: قد فرغت مما كنت فيه، أي قد زال شغلي به، وتقول: سأَتَفرغ لفلانٍ، أي سأجعل قصدي له» *معاني القرآن* للزجاج، ٩٩/٥؛ وبحر *العلوم* للسمرقندي، ٣٠٨/٣).
[13] ر ث م: عن الفراغ؛ ن: غير الفراغ.

وعندنا أن الفراغ هو[١] اسم لانقضاء الفعل وتمامه لا للفراغ عن الشغل، يقال: فلان فرغ من شغله[٢] إذا فرغ من بناء داره إذا أتمه وانقضى[٣] ذلك. ألا ترى أنه وإن فرغ من شغل تلك الدار وذلك العمل فهو مشغول بغيره،[٤] دل أنه ليس باسم للفراغ من الشغل إذ لو كان اسما للفراغ من الشغل لا يوصف به وهو مشغول بغيره،[٥] دل أنه اسم للتمام والانقضاء. لكن فَهِمَ الخلق بعضهم[٦] من بعض الفراغ من الشغل لما أن فعلهم للشيء لا يلتئم إلا بالشغل[٧] في ذلك ففُهِم[٨] ذلك من فعلهم. فأما الله سبحانه وتعالى حيث لا يَشغله فعل عن فعل ولا شيء عن شيء لم يجز أن يُفهَم من فراغه الفراغ[٩] من الشغل.[١٠] ***وبالله العصمة والتوفيق.***

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾[٣٣] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٣٤]

وقوله عز وجل: **يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان**، له تأويلان. أحدهما كأنه يقول: لو مُكِّن لكم النَّفاذ من أقطار السماوات والأرض ونواحيها فَتَنفذون[١١] فتجدون هنالك وتَرَون[١٢] من آيات مَن كذّب بالرسل[١٣] وما حل بهم بالتكذيب. ثم قال: **لا تنفذون إلا بسلطان**، أي لا تنفذون لو مُكِّن لكم من النفاذ إلا[١٤] وتجدون[١٥] حجج من أُهلك منهم ظاهرةً أنه بم[١٦] أهلكهم.

---

[١] ر م: هم.
[٢] ن + يقال.
[٣] ر: وانقض.
[٤] ن: لغيره.
[٥] ر: مشغوله بغيره؛ ث: مشغول لغيره.
[٦] ث - بعضهم.
[٧] ن: لا بالشغل.
[٨] ث: وفهم.
[٩] ر ث م - الفراغ.
[١٠] ر م + فراغه.
[١١] م - فتنفذون.
[١٢] جميع النسخ: فتجدوا هنالك وتروا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٤و.
[١٣] م: الرسل.
[١٤] ر: الذي.
[١٥] ن: ويجدون.
[١٦] ن: ظاهره أنه ثم؛ م: ظاهره أنه بم.

وهو كقوله تعالى: قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ،[1] أمرهم بالسير في الأرض والتدبر في آثار من أهلك بماذا أُهلك من أهلك منهم وبماذا نجا من نجا منهم.[2] *والله أعلم*. والثاني على الإعجاز، أي لا تستطيعون أن تخرجوا[3] أو تنفذوا[4] من أقطار السماوات والأرض، ولو مُكّن لكم من النفاذ والخروج منها لوجدتم ثَمّ سلطاني وحجتي وملكي هنالك قائما. أي لا تقدرون الخروج من سلطاني وملكي حيث ما كنتم. بل حيث ما سرتم وكنتم كنتم[5] في سلطاني وملكي فلا تتخلصون[6] / من الموت والهلاك، وهو كقوله تعالى: فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ،[7] الآية.[8] [٧٧٠و]

وقال الضحاك في حرف ابن مسعود رضي الله: **يا معشر الجن والإنس**، قد جاء أجلكم فانفذوا من أقطارهما[9] **لا تنفذون إلا بسلطان**، يعني أنه لا يجيركم[10] أحد من الموت وأنتم ميتون، أي لا تأتون[11] قُطرًا من أقطار السماوات والأرض إلا تجدون هنالك سلطان الله وملكوته.[12] يقول: لا تستطيعون فرارا من الموت ولا محيصا وإن نفذتم[13] من أقطار السماوات والأرض فلم تخرجوا من سلطاني[14] وأنا آخذكم بالموت حيث كنتم، وهو كقوله: [أَيْنَمَا تَكُونُوا] يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ.[15] وقال بعضهم:[16] يبعث[17] الله تعالى ملائكة

---

[1] سورة الأنعام، ٦/١١.
[2] ر ث م – منهم.
[3] ن: لا يستطيعون أن يخرجوا.
[4] ر: وينفذون؛ م: أو ينفذوا.
[5] ر م – كنتم.
[6] ن: يتخلصون.
[7] ﴿وإن كان كَبُرَ عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية﴾ (سورة الأنعام، ٦/٣٥).
[8] وفي *الشرح*: أي لا تستطيع ذلك. فعلى هذين التأويلين يخرج الآية. والله أعلم. ورقة ١٨٤و.
[9] ر: من أقطارها.
[10] جميع النسخ: لا يخبركم. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ن: لا يأتون.
[12] جميع النسخ: وملائكته.
[13] ر: ولا محيطا وإن نفذتم؛ ن ث: ولا محيصا وإن تقدتم.
[14] ر م: من سلطان.
[15] سورة النساء، ٤/٧٨.
[16] ن: وقال تعالى.
[17] ر م: بعث.

عند الحشر فتحيطون[١] بالدنيا يكونون[٢] في أقطارها،[٣] فلا يستطيع[٤] شيطان ولا إنس ولا جان أن يخرج من الأقطار ولو خرجوا كانوا في سلطان الله. وقيل: **إلا بسلطان**، أي بحجة،[٥] وقال قتادة: إلا بملك،[٦] وقال بعضهم:[٧] إلا بقدرة الله تعالى.[٨] *والله أعلم*.

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾[٣٥] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٣٦]

ثم أوعدهم فقال: **يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران**، قرئ شواظ بضم الشين وكسرها،[٩] روي عن الحسن بالكسر، وكذا عن مجاهد. وقرئ **نحاس**، بكسر السين وضمه،[١٠] فمن رفع **نحاس**، عطفه على قوله: **شواظٌ**، ومن كسره عطفه على قوله: **من نار**. ثم اختلف في تأويل الشواظ والنحاس، عن ابن عباس رضي الله عنه النحاس الدخان،[١١] وقيل: الشواظ هو لهب النار الذي لا دخان فيه والنحاس هو الدخان. وعن الكلبي: الشواظ[١٢] لهب النار، والنحاس الصُّفْر الذي يذاب فيعذبون به. وقيل: الشواظ هو الذي فيه الدخان، والنحاس هو النحاس المعروف يذاب فيُصَبّ[١٣] على رءوسهم. وقال الضحاك: الشواظ الدخان الذي[١٤] يخرج من اللهب ليس بدخان الحطب،[١٥] والنحاس الصفر. فمن قرأ بالخفض يقول:

---

[١] ن: فيحيطون.
[٢] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٤و.
[٣] ر م: في أقطارهما.
[٤] ر م: فلا تستطيع.
[٥] جميع النسخ: الحجة. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] *الدر المنثور* للسيوطي، ٧/٧٠١.
[٧] ر ث م – بعضهم.
[٨] ن – الله تعالى.
[٩] ن: وكسره. «قرأ ابن كثير ﴿شِواظ﴾ بكسر الشين، وقرأ الباقون ﴿شُواظ﴾ بضمها» (*النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٨٥).
[١٠] «قرأ ابن كثير وأبو عمرو وروح: ﴿ونحاسٍ﴾ بخفض السين، وقرأ الباقون ﴿ونحاسٌ﴾ برفعها» (*النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٨٥).
[١١] *تفسير الطبري*، ٢٧/١٨٢.
[١٢] ن – هو لهب النار الذي لا دخان فيه والنحاس هو الدخان وعن الكلبي الشواظ.
[١٣] ر م: ويصب.
[١٤] جميع النسخ: التي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٤و.
[١٥] *تفسير الضحاك*، ٢/٨٢٠.

لهب من نار ومن دخان، ومن قرأ بالرفع أراد به الصفر. يقول: **يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس**، ذائب[1] في النار، وقيل: النحاس في القراءتين يحتمل الدخان ويحتمل الصفر. ***والله أعلم***.
وقوله عز وجل: **فلا تنتصران**، قيل: لا تمتنعان من[2] ذلك، ويحتمل: أي لا ناصر لكما كما يكون في الدنيا.

فإن قيل: إنه قد ذكر في أول الآيات الآلاء[3] والنِعَم فقرن بآخرها[4] **فبأي آلاء ربكما تكذبان**، وقد انقطع ذكر الآلاء هاهنا وذَكَر[5] المواعيد في هذه الآيات، فما فائدة قِران قوله: **فبأي آلاء ربكما تكذبان** بآخرها؟ قيل: إن في الوعد ترغيبا وفي الوعيد ترهيبا. فيَرغب[6] في الوعد ويخاف ويرهب من الوعيد فيرتدع ويمتنع عما يوعَد، فيكون في ذلك نعمة عظيمة، إذ بالوعد والوعيد يتم المحنة وبالمحنة[7] يتم النعمة، لذلك ذكر على إثر الوعيد: **فبأي آلاء ربكما تكذبان**.[8]

﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾[٣٧] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٣٨]

وقوله عز وجل: **فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان**، يذكر تغير هذا العالم يومئذ لهول ذلك اليوم، وهو كما ذكر من تبديل السماء والأرض حيث قال: يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ،[9] وقوله: يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ،[10] وغير[11] ذلك من الآيات؛ وكذلك ما ذكر من تغيير الجبال من قوله: هَبَاءً مُنْبَثًّا،[12] وقوله: كَثِيبًا مَهِيلًا،[13] وقوله: كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ،[14] ونحو ذلك.

---

[1] جميع النسخ: ذابت. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٤و.
[2] ن: لا يمتنعان من ذلك؛ م: لا تمتنعان عن ذلك.
[3] ر: آلاء.
[4] ر م: بأحدهما؛ ن ث: بأحدها. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ن: فذكر.
[6] ر ث م: فرغب.
[7] ر ث م: والمحنة.
[8] ن + والله أعلم.
[9] سورة إبراهيم، ٤٨/١٤.
[10] سورة الأنبياء، ١٠٤/٢١.
[11] جميع النسخ: في غير. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٤ظ.
[12] جميع النسخ: هباء منثورا. والتصحيح من المرجع السابق. سورة الواقعة، ٦٥/٥٦.
[13] ﴿يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا﴾ (سورة المزمل، ١٤/٧٣).
[14] ﴿وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾ (سورة القارعة، ٥/١٠١).

ثم قوله تعالى: **فكانت وردة كالدهان**، منهم من قال: شبه السماء لكثرة تلونها بالفرس[1] الوَرْد يكون في الربيع بلون ثم يصير[2] إلى لون آخر ثم إلى آخر، فعلى ذلك ما ذكر من تغيير السماء وتلونها. ومنهم من قال: شبهها بالدهان وهو الدُّهن لِلينِها وضعفها، وهو كما ذكر في آية أخرى: يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ.[3] والمهل هو دُرْدِيّ الزيت، لكنَ التشبيه بالمهل إنما يكون لكثرة التلون لا للين[4] فيكون في هذا التأويل نوع وهْيٍ.[5] *والله أعلم*. وقيل: إنها[6] تَحْمَرّ[7] وتذوب كالدهن. وروي أن سماء الدنيا من حديد فإذا كان يومُ القيامة صارت من الخُضْرة إلى الاحمرار من حر جهنم كالحديد إذا أُحْمي بالنار. ثم قال بعضهم: الدِهان جمع الدُّهْن، ويقال: الدهان الأديم الأحمر. *والله أعلم*.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ﴾[٣٩] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٤٠]

وقوله عز وجل: **فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان**، اختلف في تأويله. قال بعضهم: أي لا يسأل إنسي ولا جني عن ذنب غيره إنما يسأل [كل][8] عن ذنب نفسه، نحو أن لا يُسأَل من أضل غيره عن ضلال ذلك الغير إنما يسأل الذي أضله عن إضلاله ويسأل الضال عن ضلاله، كقوله: رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا،[9] الآية. ومنهم من قال: لا يسأل بعض عن بعض، أي لا يسأل جني عن ذنب إنسي ولا إنسي عن ذنب جني. ومنهم من قال: لا يسألون سؤال استخبار واستفهام، أي: لماذا فعلتم ما فعلتم، ولكن يسألون لم فعلتم؟

---

[1] جميع النسخ: بفرش. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٤ظ. «معنى ﴿وَرْدَةً﴾ صارت كلون الورد، وذلك في يوم القيامة، ومعنى ﴿كالدهان﴾ تَتلوّن من الفزع الأكبر تَلَوّنَ الدهان المختلفة، والدِهان جمع دُهْن، ودليل ذلك قوله ﴿يوم تكون السماء كالمُهْلِ﴾ أي كالزيت الذي قد أُغلي. وقيل ﴿فكانت وردة كالدهان﴾ أي فكانت كلون فرسٍ وَرْدٍ، و[قال] الكميت: الورد يَتلوّن فيكون في الشتاء لونه خلاف لونه في الصيف، ويكون في الفصل لونه غير لونه في الشتاء والصيف» (*معاني القرآن* للزجاج، ١٠١/٥).

[2] ن ث: تصير.

[3] سورة المعارج، ٨/٧٠.

[4] ر: لا اللين.

[5] جميع النسخ: وهاء. أي نوع انشقاق.

[6] ر م: إنما.

[7] ر: تخمر؛ م: تحمز.

[8] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٨٤ظ.

[9] سورة فصلت، ٢٩/٤١.

يطلبون عن الحجة لا عن نفس الفعل لأن كل ذي مذهب ودين إنما يفعل لحجة تكون له.[1] [ومنهم من قال: لا يسألون في وقت ويسألون في وقت آخر].[2] ومنهم من قال: لا يسألون عن ذنوبهم لما يكون في وجوههم من الأعلام من الاسوداد وزَرَقِ العيون وغير ذلك مما ذكر في الكتاب أنها تكون[3] / للكفار، كقوله تعالى: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ،[4] وقوله تعالى: فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ،[5] الآية؛ وما ذَكَر من أعلام المؤمنين من قوله: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ،[6] وقوله تعالى: [وَأَمَّا الَّذِينَ] ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ.[7] وقال بعضهم: لا يُسأل الملائكة عن المجرمين لأنهم يعرفون بسيماهم.[8]

[٧٧٠ظ]

﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾[٤١] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٤٢]

وقوله عز وجل: **يعرف المجرمين بسيماهم**، ذكر الله تعالى في كتابه للمجرمين أعلاما يعرفون في الآخرة بها على ما ذكرنا من اسوداد الوجوه وقال: [قُلُوبٌ] يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ،[9] وقال:[10] نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا،[11] أي على أعقابها. فهو -والله أعلم- يكون وجوههم في أول الأحوال خاشعة ثم غَبِرةً[12] ثم مُسْوَدَّة ثم تُطْمَس[13] من بعد[14] ذلك. فنعوذ بالله من ذلك[15] الأحوال التي ذكر.

---

[1] جميع النسخ: يكون له.
[2] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٨٤ظ.
[3] ر ث م: يكون.
[4] سورة عبس، ٤٠/٨٠.
[5] سورة آل عمران، ١٠٦/٣.
[6] ن - إلى ربها ناظرة. سورة القيامة، ٢٢/٧٥-٢٣.
[7] سورة آل عمران، ١٠٧/٣.
[8] يشير إلى الآية التالية.
[9] سورة النازعات، ٨/٧٩-٩.
[10] جميع النسخ: وقوله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٤ظ.
[11] ﴿يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها﴾ (سورة النساء، ٤٧/٤).
[12] ن: غيده؛ ث: غيره.
[13] جميع النسخ: يطمس.
[14] جميع النسخ: نظر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٤ظ.
[15] ث: من هذه.

وقوله عز وجل: **فيؤخذ بالنواصي والأقدام**، قيل: يكسر[١] أضلاعهم وظهورهم فيجمع أقدامهم ونواصيهم فيُرْمَى بهم في النار. وقال[٢] بعضهم: يُغَلّ أيديهم إلى أعناقهم ثم يجمع بين[٣] نواصيهم وأقدامهم ثم يدفعون إلى النار.[٤]

﴿هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾[٤٣]

وقوله عز وجل:[٥] **هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون**، أي إذا دُفعوا[٦] على الوصف الذي[٧] ذكر عند ذلك يقال لهم:[٨] هذه جهنم التي كنتم تكذبون بها في الدنيا.

﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾[٤٤]

وقوله عز وجل: **يطوفون بينها وبين حميم آن**، أي يطوفون بين[٩] جهنم وبين حميم. فيجوز أن يكون كَنّى بجهنم عما يأكلون وهي النار، وبالحميم عما يشربون. كأنه يقول -والله أعلم-: يطوفون بين ما يأكلون وبين ما يشربون، لا يشبعون عما يأكلون ولا يَرْوَوْن عما يشربون، بل كلما أكلوا زاد بهم[١٠] جوعا وكلما شربوا[١١] زادتهم عطشا. والحميم هو الشراب الذي جعل لهم. والآني[١٢] هو الذي قد انتهى حره غايته ونهايته.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٤٥]

وقوله: **فبأي آلاء ربكما تكذبان**،[١٣] ومن الناس من قال في قوله: **فبأي آلاء ربكما تكذبان**، على إثر الوعيد إنما يقال لهم في الآخرة: أي بأي[١٤] آلاء ربكما تكذبان في الدنيا،

---

[١] ر ن م: بكسر.
[٢] ث: فقال.
[٣] ر ث م: به.
[٤] ن: في النار.
[٥] ن - وقوله عز وجل.
[٦] ر م: وقعوا.
[٧] ر م - الذي.
[٨] جميع النسخ: له. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٤ظ.
[٩] ر: أي بين يطوفون بين؛ ن: يطوفون بينها بين.
[١٠] ر ث م: زادتهم.
[١١] ر م: يشربون.
[١٢] جميع النسخ: والآن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٥و.
[١٣] ر ث م + الآية.
[١٤] ر م: فبأي.

كقوله عز وجل: وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا -إلى قوله- وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ،[1] الآية.

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[٤٦] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٤٧]

وقوله عز وجل:[2] **ولمن خاف مقام ربه جنتان**، ذكر الخوف عن المُقام بين يدي ربه ولم يبين خوفه من[3] ماذا ولا أنه إذا خافه تَرَكَه أو لا؟ فجائز أن يكون ما ذكر من الخوف عن المقام بين يدي ربه ما بيّن في آية أخرى وهو قوله: وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى،[4] [قوله: وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى][5] يحتمل وجهين. أحدهما نهى النفس عما تهواه،[6] والثاني منع النفس عن أن تهوى[7] ما نُهيت عنه. ***والله أعلم***. وجائز أن يكون في هذه[8] الآية بيان ما ذكر في تلك[9] الآية من الخوف من المقام بين يدي ربه؛ أي خاف مُقام ربه وترك ما هَمّ من المعصية أو ما هوت نفسه.

ثم لسنا نعرف ما فائدة ذكر الجنتين له، ليس ذلك[10] في ثلاث وأربعٍ. قال أهل التأويل: إنما ذكر جنتين لأن الجنان أربع:[11] جنة عدنٍ وفردوسٌ وجنة المأوى وجنة النعيم. فجنة العدن وجنة النعيم للمقربين والشهداء والصديقين، والجنتان[12] الأخريان لمن دونهم من المؤمنين الذين هم أصحاب[13] اليمين.[14] وجائز أن يخرج على وجهين. أحدهما أن يكون

---

[1] ﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٧١).

[2] ن: وقوله تعالى.

[3] ر م - من.

[4] ﴿...فإن الجنة هي المأوى﴾ (سورة النازعات، ٧٩/٤٠-٤١).

[5] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٨٥و.

[6] ر ن م: يهواه.

[7] ر ن م: يهوى.

[8] ث: أن تكون هذه.

[9] ن: وتلك.

[10] ر م: لك.

[11] جميع النسخ: أربعة.

[12] ر ث م: فالجنان؛ ن: فالجنتان. والتصحيح من المرجع السابق.

[13] ر ث: لأصحاب.

[14] جميع النسخ: التميز. والتصحيح من المرجع السابق.

بصره إذا نظر يمينا وشمالا لا يقع إلا على جنته[١] لا يقع على جنة غيره، وكذلك إذا نظر من الأعلى أو من الأسفل يقع بصره على ملكه لا يقع على ملك غيره. فليس ذلك على تحقيقٍ إخبارا عن عدد الجنتين ولكن إخبارا أن بصره حيث نظر لا يقع إلا على ملكه وجنته. *والله أعلم*. والثاني يكون له جنتان[٢] إحدى الجنتين لترك المساوئ والأخرى لإتيان المحاسن.

وذكر القُتَبي عن الفراء في قوله: **ولمن خاف مقام ربه جنتان**، قال قد يسمّي العرب الشيء الواحد باسم الاثنين إذا كان في رءوس الكلام أو مقاطعه[٣] لتحقيق الموافقة في المقاطع. فعلى ذلك جائز أن يكون ذكر **جنتان**، لموافقة مقاطع الآية والمراد منه جنة واحدة. لكن القُتَبي أنكر عليه ذلك، وقال[٤] إنما يقال ذلك إذا انقطع الكلام فأما إذا كان الكلام غير منقطع فإنه لا يقال ذلك.[٥] *والله أعلم*.

ثم سمى البعثَ مُقاما بين يدي ربه وسماه رجوعا إليه ومصيرا[٦] وبروزا[٧] فهو يخرج[٨] على وجهين. أحدهما أنه سماه بما ذكر لأن البعث هو نهاية هذا العالم. والثاني سماه بذلك لأنه يظهر لكل أحد في ذلك اليوم[٩] أن الأمر لله تعالى وأن التدبير[١٠] له في الدنيا والآخرة وأن لا تدبير لأحد سواه، كقوله عز وجل: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلّٰهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ.[١١]

ثم جائز أن يكون ما ذكر من الجنتين للسابقين والشهداء على ما ذكره بعض أهل التأويل، وما ذكر من قوله: وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ،[١٢] لأصحاب اليمين.

---

[١] م: جنة.
[٢] ر ث: جنان.
[٣] ر ن ث: في رءوس الآية ومقاطعها؛ م: في رءوس الآية ومقاطعهما.
[٤] ر ث م: وذلك؛ ن – وقال.
[٥] *معاني القرآن* للفراء، ١١٨/٣؛ و*تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٣٩.
[٦] ن + إليه. انظر: *المعجم المفهرس* لمحمد فؤاد عبد الباقي، «رجع»، «صار».
[٧] ﴿وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا...﴾ ﴿...وبرزوا لله الواحد القهار﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/ ٢١، ٤٨).
[٨] ر م – يخرج.
[٩] جميع النسخ: لأن لكل أحد يظهر في ذلك اليوم.
[١٠] ن: وأن التدبر.
[١١] سورة المؤمن، ١٦/٤٠.
[١٢] الآية ٦٢ من هذه السورة.

﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾[٤٨] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٤٩] ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾[٥٠] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٥١]

ثم نعت ووصف ما جعل لكل فريق؛ فأما نَعْتُ ما جعل للسابقين والصديقين[١] والشهداء ما ذكر حيث قال: **ذواتا أفنان**، قال عامة أهل التأويل: ذواتا أغصان.[٢] ولكن ليس في هذا كبير[٣] حكمة، لكن يحتمل أن [يكون] قوله: **ذواتا أفنان**، من الفنون،[٤] أي فيهما من كل فن وكل[٥] نوع. وقال مقاتل:[٦] ذلك في الجنتين اللتين جعلهما لأصحاب اليمين: مُدْهَامَّتَانِ،[٧] والمدهام[٨] هو الذي يضرب خضرته لشدته إلى السواد،[٩] وهو دون الأول في الوصف إذ لم يصفهما إلا بصفة[١٠] واحدة ووصف تَيْنِك الجنتين بالفنون؛ وقال في تينك: **فيهما عينان تجريان**، [٧٧١و] / وقال في أصحاب اليمين: فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ.[١١] والناضخ هو الذي لا يتبين[١٢] جَرَيانه، ووصف تَينك بالجريان، والنضخُ[١٣] دون الجريان.

وقال القُتَبي: نَضَّاخَتَانِ، اللتان تفوران بالماء والنَّضْح، دون النَّضخ[١٤] وهو الرشّ.[١٥] وقال في جنتين السابقتين:[١٦] فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ،[١٧] أي صنفان[١٨] أو لونان أيِّ شيء كان؛

---

[١] ن – ثم نعت ووصف ما جعل لكل فريق فأما نعت ما جعل السابقين والصديقين، صح هـ.
[٢] ن: أفنان.
[٣] ر ث م: كثير.
[٤] ر م: من العيون.
[٥] ث – وكل.
[٦] انظر: *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٣/٣٠٨–٣١٠.
[٧] هي الآية ٦٤ من هذه السورة.
[٨] جميع النسخ: والمدهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٥و.
[٩] إدْهَامَّ الشيء إدْهِيمَامًا: أي إسْوادّ، وإدهام الزرع: علاه السواد ريًّا. وفي التنزيل العزيز ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾، أي سوداوان من شدة الخضرة من الريّ، يقول: خضراوانِ إلى السواد من الرِّيّ. وقال الزجاج: يعني أنهما خضراوان تَضْرب خُضرتُهما إلى السواد، وكل نَبْت أخضر فتَمامُ خِصْبِهِ وريِّهِ أن يَضرب إلى السواد (*لسان العرب*، «دهم»).
[١٠] م – إلا بصفة.
[١١] الآية ٦٦ من هذه السورة.
[١٢] جميع النسخ: تبين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٥و.
[١٣] ر م: أو النضيخ.
[١٤] ث: الجريان.
[١٥] ر م: الرأس. *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٤٣.
[١٦] جميع النسخ: السابقين.
[١٧] الآية ٥٢ من هذه السورة.
[١٨] ر م: صنعان.

وقال في أصحاب اليمين: فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ.[1] ذكر أشياء معدودة وعم[2] الأشياء في تَيْنِك، حيث قال: مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ، لتفضيل أولئك على هؤلاء. وجائز أن يذكر في كل واحدة منهما حكمة على حِدَة قوله: **ذواتا أفنان**، ما ذكرنا أن فيهما من كل فن وكل نوع. وإحدى العينين[3] هي العين المعروفة الموعودة والأخرى التي لا يَعرفون ولا يوعَدون.

﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾[٥٢] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٥٣]

وقوله عز وجل: **فيهما من كل فاكهة زوجان**، أي صنفان ولونان على غير تغير الطعم ولا فسادٍ[4] يدخل في ذلك، لأن تغير اللون في الدنيا لا يكون للفواكه إلا بعد دخول فساد فيها،[5] فيخبر أن تغير لونه لا لفساد[6] يدخل في ذلك. ***والله أعلم***. وقال[7] بعضهم: إنما ذكر الزوجين من الفواكه لما أن قلوب البشر قد خطرت بأحد الزوجين وتُمَنّيهم[8] أنفسهم، والزوج الآخر هو لطف الله تعالى على عباده فضلا منه إليهم من[9] غير أن يَخْطُر على بالهم ولا وقعت عليه أبصارهم ولا انتهت إليه آمالهم إكراما[10] لهم بها وامتنانا. وقال بعضهم: ليس المراد في هذه الآيات تبيين ما لأهل الجنة [في الجنة]،[11] ولكن فيه تبيان فضل السابقين على أصحاب اليمين أن أولئك يُعطَون من الفضل ضِعفَيْ ما أعطي هؤلاء. ***والله أعلم***.

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾[٥٤] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٥٥]

وقوله عز وجل: **متكئين على فرش بطائنها من إستبرق**، قال الفراء: يجوز أن يكون البطانة والظِهارة جميعا من شيء واحد ومن جهة واحدة، لكن سَمَّى الجهة التي تلي أجسادهم

---

[1] الآية ٦٨ من هذه السورة.
[2] ر: وعمر.
[3] ر م: الفنتين؛ ث: الفنين.
[4] ر: والفساد؛ م: وفساد.
[5] ر م: فيهما.
[6] ن: أن يغير لونه لا الفساد.
[7] ن: قال.
[8] م: وتمنهم.
[9] ن – من.
[10] م: إلراما.
[11] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٨٥ظ.

بِطَانةً والأخرى ظهارةً كالسماء: إن الجهة التي تَلِي الملائكة هي بطانتهم وظهارتنا،[1] وما يلينا[2] ظهارتهم وبطانتنا. وكذلك كل شيء تلي إنسانا فهو[3] بطانة والجانب الذي لا يليه ظِهارة، يقال: هذا ظهر السماء للجانب الذي نراه والآخر بطن[4] السماء.[5] *والله أعلم*. وقال القُتَبي: لا، ولكن ذكر البطانة من إستبرق ولم يذكر الظِّهارة، والعرف في الناس أن ظهارة[6] فرشهم أنفسُ من البطانة والبطانة دون الظهارة. فعلى ذلك في ذكر البطانة ووصفها بأنها من الإستبرق دلالةٌ أن ظِهارتها أرفع وأنفس من البطانة.[7] لكن ما قاله الفراء صحيح وما ذكره القُتَبي هو من صنيع الناس في الدنيا من اتخاذ الظهارة فوق البطانة لما لا يحتمل أملاكهم التسوية بين ما بطن وما ظهر في النفاسة والرفعة. فأما الله سبحانه وتعالى فلا نفاد لخزائنه يفعل ما يشاء كيف شاء. وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: قد أُخبِرتم[8] بالبطائن فكيف بالظَّهائر.[9]

ثم الإستبرق اختلف فيه، قيل: هو ما غَلُظ منه بلسان قوم، وقال بعضهم: هو ما دق ورق. *والله أعلم*. ولا نفسره نحن أنه ما هو وكيف هو ولكن نعلم أنه شيء وعد لهم ربهم وهو شيء ترغب[10] فيه أنفسهم. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وجنى الجنتين دانٍ**،[11] جائز أن يكون ذَكَر هذا في حق السابقين الذين سارعوا في الخيرات واستبطئوا ما وعد لهم، بما لم يروا لطاعاتهم قيمة ولغلبة[12] خوفهم في التقصير في العمل لله تعالى الواجب عليهم[13] وفي أوامره ونواهيه فقال: **وجنى الجنتين**، الذي[14] وعد لكم **دانٍ**.

---

[1] ر م: وظهارتها.
[2] ر ث م: وما تلينا؛ ن: وما بيننا.
[3] م: فهي.
[4] ث + بطن.
[5] انظر: *معاني القرآن* للفراء، ١١٨/٣.
[6] ث: ظها.
[7] انظر: *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٤٢.
[8] ر ث م: اخترتم.
[9] ر م: بالظهارة؛ ن ث: بالظهار. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٥ظ. «روي عن ابن مسعود في قوله: ﴿فرشٍ بطائنها من استبرق﴾ قال: قد أخبرتم بالبطائن، فكيف لو أخبرتم بالظواهر؟» (*تفسير الطبري*، ١٩٣/٢٧، و*الدر المنثور* للسيوطي، ٧٠٩/٧).
[10] جميع النسخ: يرغب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٥ظ.
[11] ر م – دان.
[12] جميع النسخ: ويغلبه. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] ر ث م: عليه.
[14] ر م: الذين.

وقال[١] أهل التأويل: أي الشجر دان منهم قريب حتى[٢] يتناولها الرجل كيف شاء. لكن يذكر هذا –والله أعلم– أن الجنتين وإن بعدتا[٣] فإن الثمار منهم دانية. قال أبو عَوْسَجَة: الجَنْيُ الحمل، وأَجْنَتَ[٤] الشجرة تُجْنِي:[٥] إذا حملت وأدركتْ[٦] حِمْلَها.

﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾[٥٦] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٥٧]

وقوله عز وجل: **فيهن قاصرات الطرف**، أي قَصَرْن[٧] طَرْفَهنّ على أزواجهن ولا ينظرن إلى غيرهم ولا تشتهيهم، وقال في آية أخرى: حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ،[٨] ذكر[٩] هذا لأن أهل الدين يكونون من[١٠] أهل غيرة[١١] لا يريدون أن ينظر أزواجهم إلى غيرهم ولا غيرهم ينظرون إليهن، فأخبر بالآيتين أنهن لا ينظرن إلى غير أزواجهن ولا غيرهم إليهن حيث وصفهن بأنهن قاصرات مقصورات في الخيام.

وقوله عز وجل: **لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان**، قرئ **لم يطمثهن** بضم الميم وكسره.[١٢] قال الفراء: **لم يطمثهن**، أي لم يفتَضَّهن،[١٣] والطَّمْث النكاح بالتَّدْمِية.[١٤] وقال أهل التأويل:

---

[١] ر م: قال.

[٢] ر ث م: قربت حين؛ ن: قريب حين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٥ظ.

[٣] ر ن م: وإن يعدنا.

[٤] جميع النسخ: واجتنت.

[٥] ر م: تجى؛ ن: يجنى.

[٦] ر ن م: وأدرك.

[٧] م: فصرن.

[٨] الآية ٧٢ من هذه السورة.

[٩] م – ذكر.

[١٠] ن ث – من.

[١١] ر: غيره.

[١٢] قرءوا: ﴿لم يَطْمِثْهُنَّ إنسٌ﴾ بكسر الميم في الحرفين [أي في هذه الآية وفي الآية ٧٤] إلا الكسائي، فإنه كان يكسر الميم في أحدهما، ويضمه في الآخر، وقال أبو حمدونَ عن الكسائي: الأول ﴿لم يَطْمُثْهُنَّ﴾ بضم الميم، والثاني ﴿لم يَطْمِثْهُنَّ﴾ بكسر الميم (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران ٤٢٤).

[١٣] جميع النسخ: لم يقبضهن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٥ظ.

[١٤] جميع النسخ: بالرومية. والتصحيح من مصادر الرواية. «قال الفراء: ﴿لم يطمثهن﴾ لم يفتضَّهن. و"الطَّمْث": النكاح بالتَّدْمِية، ومنه قيل للحائض: طامث» (*تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٤٢). وانظر: *معاني القرآن* للفراء، ١١٩/٣. طَمِثَت الجارية إذا دَمِيَت بالاقْتِضاضِ. والطَّمْث: الدمُ والنكاح. وطَمَثْت الجاريةَ. إذا افْتَرَعْتَها (*لسان العرب*، «طمث»).

لم يجامعهن إنس قبلهم ولا جان. وقال أبو عَوْسَجَة: أي لم يَمْسَسْهن.[1] [قال أبو عبيدة: وعندنا جائز **لم يطمثهن**، أي لم يمَسَّهن][2] إنس في التربية كما يُرَبَّى الأولاد، ولا جانٌّ[3] على ما تمس الجن الأولاد فيُفسدهم ولكنهن[4] كما وصف: إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أَتْرَابًا لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ.[5]

﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾[٥٨] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٥٩]

وقوله عز وجل: **كأنهن الياقوت والمرجان**، قال أهل التأويل: شبههن بالياقوت لصفائهن[6] وبالمرجان لبياضهن، وهو كما قالوا. ***والله أعلم***.

﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾[٦٠] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٦١]

[٧٧١ظ] وقوله عز وجل: **هل جزاء الإحسان / إلا الإحسان**، قيل: **هل جزاء الإحسان** في الدنيا **إلا الإحسان**، لهم في الآخرة، أي هل جزاء فعل الحسن في الدنيا إلا إعطاء الحسن في الآخرة وهي الجنة. ولكن غيره كأنه أقرب، أي هل جزاء إحسان الله تعالى بما أنعم عليهم في الدنيا إلا الإحسانُ له بالشكر والقبول، أي إلا إتيان[7] فعل الحسن وهو الشكر له وحسن القبول، لأنه ليس يستوجب أحد قِبَلَ الله تعالى بإحسانه في الدنيا جزاءً في الآخرة إنما الجزاء لهم بحق الفضل والإنعام لا بحق الاستحقاق. ويحتمل أن يكون قوله تعالى: **هل جزاء الإحسان**، [أي هل جزاء من صحب نعم الله بالإحسان][8] في الدنيا **إلا الإحسان** له في الآخرة. ***والله أعلم***.

واستدل أبو يوسف ومحمد رحمهما الله بهذه الآية على أن للجن ثوابا كما للإنس، فإنه[9] جرى الخطاب من أول السورة إلى آخرها للجنك[10] والإنس من قوله: يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ،[11]

---

[1] ر: لم يسمعهن.
[2] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٨٥ظ. *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢/٢٤٥؛ وتفسير *غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٤٢.
[3] ن ث: ولا الجان.
[4] جميع النسخ: ولكنهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٥ظ.
[5] سورة الواقعة، ٥٦/٣٥-٣٨.
[6] ر: لصفاتهن.
[7] جميع النسخ: أي إتيان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٦و.
[8] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.
[9] ن: بأنه.
[10] ن: للحق.
[11] الآية ٣٣ من هذه السورة.

وقوله عز وجل: لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ،[١] فعلى ذلك يشتركون في الوعد والوعيد. لكنْ أبو حنيفة رحمه الله يقول: لا ثواب للجن، وذهب إلى أن ما ذكر من النعم[٢] إنما ذكر أكثرها[٣] للإنس لا حظ للجن[٤] في ذلك من نحو الفواكه والسفن[٥] الجواري،[٦] فعلى ذلك ما ذكر من الثواب لهم بحق[٧] الثواب وللجن بحق[٨] العين. *والله أعلم*. وقد ذكرناه في غير هذا الموضع.[٩]

﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾[٦٢] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٦٣]

وقوله عز وجل: **ومن دونهما جنتان**، فإن كانت الجنتان اللتان سبق ذكرهما[١٠] للسابقين والصديقين فهاتان اللتان ذكر هما[١١] هاهنا لأصحاب اليمين على ما ذكره بعض أهل التأويل. فجائز أن يكون قوله: **ومن دونهما**، أي في الفضل والقدر والمنزلة لفضل أولئك على أصحاب اليمين. وإن كانت[١٢] الجنتان جميعا لكل فريق منهم فجائز أن يكون قوله: **ومن دونهما جنتان**، في المكان والموضع لا في الفضل والقدر، فكأنه قال: من أي جهة وقع بصرهم يقع في جناتهم[١٣] مِن فوق ومن تحتُ وعن يمين وشمالٍ، أي[١٤] يكونون وَسْطَ الجنان لا يحتاجون إلى التحول[١٥] من مكان إلى مكان، كقوله تعالى: لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا.[١٦]

---

[١] الآية ٧٤ من هذه السورة.
[٢] ن + إنما ذكر من النعم.
[٣] ن: أكثر ما. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٦و.
[٤] ر ث م – وذهب إلى أن ما ذكر من النعم إنما ذكر من النعم إنما ذكر أكثرها للإنس لا حظ للجن.
[٥] م: واللمس.
[٦] م: بالجواري. يشير الآية ٢٤ من هذه السورة.
[٧] جميع النسخ: يجوز. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٦و.
[٨] ر ث: يجوز؛ ن م: بحور. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] انظر: "فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية" أواخر المجلدات، «الجن».
[١٠] أي في الآية ٤٦ من هذه السورة.
[١١] ر م: ذكرلها.
[١٢] ر ث م: وإن كان.
[١٣] ن: في حياتهم.
[١٤] ن: أهو.
[١٥] ر م: إلى التحويل.
[١٦] سورة الكهف، ١٠٨/١٨.

﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾[٦٤] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٦٥]

وعلى هذا يخرج قوله تعالى: **مدهامّتان**، على ما ذكرنا[١] أن المدهام[٢] هو شديد الخُضْرة الذي يضرب إلى السواد، فوصف هاتين دون وصف تينك الجنتين بقوله تعالى: ذَوَاتَا أَفْنَانٍ،[٣] على التأويل الأول.

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾[٦٦] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٦٧]

وكذلك قوله تعالى: **عينان نضاختان**، على ما ذكرنا أنهما[٤] دون الجاريتين،[٥] وكذلك[٦] روي عن البراء[٧] [بن عازب] قال: العينان تجريان أفضل من النضاختين،[٨] وقيل:[٩] **نضاختان**، لأنهما تَنْضَخان[١٠] بالخير والبركة لأهل الجنة، وقيل: تنضخان[١١] بالماء[١٢] وأنواع الفواكه. وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: تنضخان[١٣] بالمسك والعنبر[١٤] كما ينضخ طير الماء على بيوت أهل الدنيا.[١٥]

﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾[٦٨] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٦٩]

وقوله عز وجل: **فيهما فاكهة ونخل ورمان**، من الناس من احتج لأبي حنيفة رحمه الله فيمن حلف لا يأكل فاكهة فأكل رمانا لا يحنث في يمينه لأنه احتج[١٦] بهذه الآية في أن الرمان

---

[١] انظر: تفسير الآية ٥٠ من هذه السورة.
[٢] ر م – أن المدهام؛ ن ث: المدهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٦و.
[٣] الآية ٤٨ من هذه السورة.
[٤] ر م: أنها.
[٥] انظر: تفسير الآية ٥٠ من هذه السورة.
[٦] ر ث م: ولذلك.
[٧] جميع النسخ: الفراء. والتصحيح من مصدر الرواية.
[٨] *تفسير ابن أبي حاتم*، ٣٣٢٧/١٠، و*الدر المنثور* للسيوطي، ٧١٦/٧ .
[٩] ر م: بقوله.
[١٠] جميع النسخ: ينضخان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٥ظ.
[١١] جميع النسخ: ينضخان. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] ن: بالياء.
[١٣] جميع النسخ: ينضخان. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٤] ر ث م: والغير.
[١٥] *تفسير ابن أبي حاتم*، ٣٣٢٨/١٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٧١٦/٧. انظر لتفسير ﴿عينان نضاختان﴾: تفسير الآية ٥٠ من هذه السورة.
[١٦] ن ث – احتج.

والرُّطَب ليسا من الفاكهة لأنه عطفهما على الفاكهة، والشيء لا يعطف على نفسه إنما يعطف على غيره. هذا هو ظاهر الكلام إلا أن تقوم[1] الدلالة على انفراده[2] بالذكر وإن كان من جنسه لضرب من التعظيم أو غيره، كقوله تعالى: مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ [وَرُسُلِهِ] وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ.[3] *والله أعلم.*

﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾[٧٠] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٧١]

وقوله عز وجل: **فيهن خيرات حسان**، قيل: حسان[4] الخُلُق وحسان الوجوه، يقال: امرأة خَيِّرَة وخَيْرَةٌ ونسوة خَيْرَات يقرأ بالتثقيل والتخفيف جميعا. وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: لكل مؤمن خَيْرَةٌ ولكل خيرة خيمة.[5]

﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾[٧٢] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٧٣]

وقوله عز وجل: **حور مقصورات في الخيام**، قيل: أي محبوسات في الخيام لا يخرجن عن الخيام. وأصله ما ذكرنا أنهن يَكُنَّ[6] في الخيام لا يراهن غير أزواجهن. وقَاصِرَاتُ الطَّرْفِ،[7] أي لا يرفعن بصرهن إلى غير أزواجهن ولا يبغين غيرهم. ***والله أعلم.***

﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾[٧٤][8] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٧٥]
﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾[٧٦] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٧٧]

وقوله عز وجل: **متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان**، هو قراءة العامة بغير ألف.[9]

---

[1] ن: أن يقوم.
[2] ر ث م: على أن مراده.
[3] سورة البقرة، ٩٨/٢.
[4] ر م: الحسان.
[5] ث: خيره ولكل خيره ختمه. «روي عن ابن مسعود أنه قال: إن لكل مسلم خَيرة، ولكل خَيرة خيمة، ولكل خيمة أربعة أبواب، يدخل عليها كل يوم تحفة وكرامة وهدية لم تكن قبل ذلك، لا مَرَاحات ولا طَمَّاحات، ولا بَخِرات ولا ذَفِرات، حور عين، كأنهن بيض مكنون» (*تفسير ابن كثير*، ٤٨٣/٧؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٧٢٠/٧).
[6] ث: تكن.
[7] الآية ٥٦ من هذه السورة.
[8] مر تأويلها في الآية ٥٦ من هذه السورة.
[9] ر ث م: الألف.

وعن عاصم الجحدري رَفَارِفَ[1] وعَبَاقِرِيّ.[2] قيل:[3] الرفرف المجلس، وقيل: المجالس،[4] وقيل: الرياض الخُضْر، وقيل: الخيام، وقيل: هو فضول[5] الفُرُش والبُسُط. وأما العبقريّ قيل: هو الزَّرابِيّ[6] وهو بالفارسية النخ. وقال أبو عبيدة: العبقري الطَّنافِسُ الثِّخان،[7] وقيل: لكل شيء من البسط عبقري.[8] وقال القُتَبِي[9] وأبو عَوْسَجَة: العبقري في غير القرآن ثياب يتخذ بعَبْقَرَ[10] وهي بلدة فينسب إليها.[11]

﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[٧٨]

وقوله[12] عز وجل: **تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام**، قال أبو بكر الأصم: تَعظَّم[13] اسم ربك من[14] أن يستحق غيره اسمه. وقوله: **ذي الجلال**، أي استحق على الخلق أن يُجِلّوه ويعظِّموه من أن يُسَمُّوا غيره باسمه، **والإكرام** هو أن لا يُلحقوا[15] به ما لا يليق به من الولد والشريك وغيره.

ثم قيل في فائدة تكرار قوله عز وجل: **فبأي آلاء ربكما تكذبان**: فبأي آلاء ما في السماوات والأرض تكذبانه في الدلالة على وحدانية الله تعالى والشهادة له بأنه خالقهما[16] ومرسل رسله وما جاءت به عنه. وذلك أن جميع ما فيهما [أنْفعُ][17] من المال والطعام والشراب على ما ذكرنا.

---

[1] م: رفاف.
[2] انظر: معجم *القراءات* لعبد اللطيف الخطيب، ٩/٢٨٣-٢٨٤.
[3] ث: وقيل.
[4] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٣/٢٧٣.
[5] ن: فصول.
[6] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٣/٢٧٣.
[7] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٤٤٤.
[8] *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢/٢٤٦.
[9] ن – القتبي.
[10] ر ث م: بعبقري.
[11] انظر: *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٤٤.
[12] ن: قوله.
[13] ر م – تعظم.
[14] ث + غير.
[15] جميع النسخ: أن يلحقوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٦ظ.
[16] جميع النسخ: خالقه.
[17] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.

وذلك / كما يقول الرجل لآخر يلومه ويعاتبه: ألم تكن جائعا فأطعمتك، أفتنكر هذا؟ ألم [٧٧٢و]
تكن ظمآن[١] فسقيتك، أفتنكر[٢] هذا؟ [ألم تكن عريانا فكسوتك، أفتنكر هذا][٣] ونحو ذلك.
وجائز أن تكون[٤] فائدة التكرار غير هذا، وهو أنه خرج مخرج العِظَة والتذكير؛ ومن شأن الموعظة والذكرَى التكرار والإعادة ليكون أنجع وآخذَ للقلوب[٥] وأقرب إلى القبول. **والله أعلم**.[٦]

---

[١] جميع النسخ: ظمآنا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٦ظ.
[٢] ن ث: فتنكر.
[٣] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.
[٤] جميع النسخ: أن يكون.
[٥] ن: القلوب.
[٦] ن + بالصواب.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الواقعة[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿**إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ**﴾ [١]

قوله: **إذا وقعت الواقعة**، هذا مما لا يبتدأ به الخطاب، وإنما هو جواب سؤال وخطاب لم يذكر. فيحتمل أن يكون المؤمنون ذكروا كراماتهم التي وُعدوا في الآخرة، فقال لهم أولئك الكفرة: متى يكون ذلك لكم؟ فقالوا: **إذا وقعت الواقعة**، كما يسأل الرجل: متى يكون أمر كذا؟ فيقول: إذا كان كذا، فهو حرف جواب لسؤاله. وعلى هذا يُخرج جميع ما ذكر في القرآن من هذا النوع من نحو قوله تعالى: إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا،[2] ونحو ذلك. وقوله: **الواقعة**،[3] جائز[4] أن يكون تأويلها:[5] إذا وقعت المثوبة والعقوبة؛ فتكون[6] الواقعة كنايةً عنهما.[7] وجائز أن تكون[8] الواقعة اسما من أسماء البعث كالقيامة والساعة وغير ذلك. ***والله أعلم***.

---

[1] ر – سورة الواقعة؛ ن م: ذكر أن سورة الواقعة مكية؛ ث + وهي ست وتسعون آيات مكية.

[2] سورة الزلزال، ١/٩٩.

[3] ر م + كناية عنها.

[4] ن: جائزة.

[5] جميع النسخ: تأوله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٦ظ.

[6] جميع النسخ: فيكون. والتصحيح من المرجع السابق.

[7] ر ث م: عنها.

[8] جميع النسخ: أن يكون. والتصحيح من المرجع السابق.

﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾[٢]

وقوله عز وجل: **ليس لوقعتها كاذبة**، قال بعضهم: أي ليس لوقعتها مثنوية[١] ولا تَرْداد.[٢] يقال: حَمَل عليه فما كَذَبَ أي فما رجع. وقال بعضهم: أي هي حقٌّ ليست بكذب. وقال بعضهم: أي لا يكذِّب بها أحد إذا وقعت ليست كالآيات التي عاينوها في الدنيا مع ما عرفوا أنها آيات كذبوها، كقوله تعالى: وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ،[٣] وغير ذلك يكذبونها[٤] مع العلم بأنها آيات. يقول الله[٥] تعالى: إذا عاينوا القيامة يُقرّون بها ويصدّقونها ولا يكذّبون بها، كقوله: رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ،[٦] ونحوه. ويحتمل أن يكون قوله:[٧] **ليس لوقعتها كاذبة**، أي ليست الأنباء[٨] والأخبار التي جاءت على وقوعها وقيامها كاذبةً بل هي صادقة.

﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾[٣]

وقوله تعالى: **خافضة رافعة**، قال بعضهم: **خافضة**، تُسمِع القريب **رافعة** تُسمع[٩] البعيد. وقال صاحب هذا التأويل: إنّ تفسير[١٠] الواقعة هو الصيحة وتلك **خافضة رافعة**. وقال بعضهم: **خافضة** أناسا في النار، **ورافعة** أناسا في الجنة. ويحتمل **خافضة** لمن تكبّر وتعظّم على الخلق ورده، **ورافعة** لمن تواضع للحق[١١] وانقاد له وقَبِله. وقيل: **خافضة** لأهل النار في النار، كقوله تعالى: يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ،[١٢] **ورافعة** لأهل الجنة، كقوله:[١٣] فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ،[١٤] وقوله: [أَنَّ] لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ.[١٥]

---

[١] ر م: مثبوتة؛ ن ث: مشوبة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٦ظ. مثنوية: أي رجوع.
[٢] ن: ولا تزداد.
[٣] سورة الحجر، ١٥/١٤-١٥.
[٤] ن: يكذبوها.
[٥] ر ث م - الله.
[٦] سورة فاطر، ٣٥/٣٧.
[٧] ن - ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل ونحوه ويحتمل أن يكون قوله.
[٨] ن ث: للأنباء.
[٩] جميع النسخ: خافضة يسمع القريب رافعة يسمع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٦ظ.
[١٠] جميع النسخ: أن يفسر. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] ر م: للخلق.
[١٢] ﴿يوم يسحبون في النار على وجوههم ذُوقوا مَسَّ سَقَرَ﴾ (سورة القمر، ٥٤/٤٨).
[١٣] ن: لقوله.
[١٤] ﴿إن المتقين في جنات ونَهَرٍ في مَقْعَدِ صدقٍ عند مليك مقتدرٍ﴾ (سورة القمر، ٥٤/٥٤-٥٥).
[١٥] سورة يونس، ١٠/٢.

﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا﴾[٤]

وقوله عز وجل: **إذا رجت الأرض،**[١] على السؤال، كأنهم لمّا سمعوا وصف القيامة والواقعة من المؤمنين فقالوا عند ذلك: متى[٢] تكون[٣] الواقعة فعند ذلك قال:[٤] **إذا رجت الأرض رجا،** وهو كقوله عز وجل: إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا،[٥] فزلزلت حتى تُلقيَ[٦] ما في بطنها.

﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾[٥]

وقوله عز وجل: **وبست الجبال بسا،** قيل: فُتِتَتْ حتى صارت[٧] كالدقيق[٨] المبسوس. والبَسيسة [عند العرب: دقيق أو][٩] سويق يُلَتّ به الزيت[١٠] ويخلط به.[١١] وقال الحسن: **بُست الجبال،** أي سُيِّرت تسييرا.[١٢]

﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾[٦]

وقوله عز وجل: **فكانت هباء منبثا،** قيل: الهباء الذي يكون فوق النار إذا خَمَدت[١٣] لا يكون غيره، **منبثا،** أي متفرقا. وقيل: **هباء منبثا،**[١٤] أي ترابا منتشرا. وقيل: الهباء المبثوث هو ما يَسْطَع من سَنابِك[١٥] الخيل. وقيل: الهباء الغبار الذي تراه[١٦] في الشمس إذا دخلت من الكَوّة.

---

[١] «هذا أيضا يخرج على ما ذكرنا في قوله: ﴿إذا وقعت الواقعة﴾، يخرج على إثر سؤال، فعلى ذلك قوله: ﴿إذا رجة الأرض﴾»، (شرح *التأويلات*، ورقة ١٨٦ظ).

[٢] ن: حتى.

[٣] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٦ظ.

[٤] م – قال.

[٥] سورة الزلزال، ١/٩٩.

[٦] جميع النسخ: يلقي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٦ظ.

[٧] جميع النسخ: فتت حتى يصير. والتصحيح مستفاد من *تفسير الطبري*، ٢١٧/٢٧.

[٨] جميع النسخ + ومنه يقال للسويق.

[٩] الزيادة مستفاد من *تفسير الطبري*، ٢١٧/٢٧.

[١٠] ن: تلت بالزيت.

[١١] ر ث م: والخلط.

[١٢] م: تسيير. روي عن محمد بن كعب. *النكت والعيون* للماوردي، ٤٤٦/٥؛ و*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٩٧/١٧

[١٣] ن: إذا جمدت.

[١٤] ث – قيل الهباء الذي يكون فوق النار إذا خمدت لا يكون غيره منبثا أي متفرقا وقيل هباء منبثا.

[١٥] السُنبُك: طرف الحافر وجانباه من قُدُم، وجمعه سنابك (*لسان العرب*، «سنبك»).

[١٦] ر ث م: يراه.

فيه إخبار[1] عن شدة ذلك اليوم وهَوْلِه أنه يُفعل بالجبال كذا مع صلابتها وطاعتها لله تعالى، فكيف يفعل بكم يا بني آدم مع ضعفكم وكفركم ومعصيتكم. *والله أعلم*.

﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾[٧] ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾[٨] ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾[٩] ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **وكنتم أزواجا ثلاثة**، أي أصنافا ثلاثة. والأصناف الثلاثة[2] ما فَسّر عقيبه، حيث قال: **فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون**، الآية. وقيل: الأصناف الثلاثة المكذبون والمحسنون والسابقون.

وقوله عز وجل: **فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة**، يحتمل وجهين. أحدهما أصحاب الميمنة من اليُمْن وأصحاب المشأمة من الشُّؤْم. والثاني سُمُّوا أصحابَ الميمنة لأنهم أصحاب الطيبات. واليمين هي[3] التي تستعمل[4] في الطيبات؛ والكفرةُ أصحابُ الشمال لأنهم أصحاب الخبائث، والشمال تستعمل[5] في الخبائث. وعلى ذلك قوله: فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ،[6] لأن في كتبهم طيبات وخيرات، وفي كتب[7] الكفرة خبائث فتؤتى[8] بشمالهم. وقيل: سُمُّوا أصحاب الميمنة والمشأمة لِما ذكر الله تعالى: فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا،[9] / [٧٧٢ظ] وقوله: وأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ،[10] فكذا كل[11] من أوتي كتابه بيمينه فهو من[12] أصحاب اليمين ومن أوتي كتابه بشماله فهو من[13] أصحاب المشأمة.

---

[1] ن: إخبارا.
[2] ر م – والأصناف الثلاثة.
[3] ر م: وهي.
[4] جميع النسخ: يستعمل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٧و.
[5] جميع النسخ: يستعمل.
[6] سورة الحاقة، ١٩/٦٩؛ وسورة الانشقاق، ٧/٨٤.
[7] ر: وفي الكتب.
[8] جميع النسخ: فيؤتى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٧و.
[9] سورة الانشقاق، ٧/٨٤–٨.
[10] سورة الانشقاق، ١٠/٨٤.
[11] ر ث م: فكل.
[12] ر م – من.
[13] ر م – من.

وكذا قوله:[١] **والسابقون السابقون**، يحتمل وجهين أيضا. أحدهما السابقون في الخيرات يسبقون الناس في كل خير. والثاني السابقون في الإجابة لله ورسوله في ما[٢] دعاهم إليه.

ثم جائز أن يكون الخطاب به للناس كافةً الأولين والآخرين؛ فيكون الناس كلهم أصنافا ثلاثة: السابقون[٣] وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال. وجائز أن يكون الخطاب بهذه الآية[٤] لهذه الأمة خاصة[٥] ففيهم السابقون، وفيهم أصحاب اليمين وهم أصحاب النظر في الحجج والآيات والتأملِ فيها، وأصحاب[٦] الشمال وهم الكفرة.

ثم قوله: **وأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة**، على التعجيب[٧] لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما يُكرمهم أو على التعظيم لأولئك لعِظَم ما يُعطيهم. وكذلك قوله:[٨] **وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة**، يخرج على هذين الوجهين. على التعجيب[٩] والتعظيم لما يحل[١٠] بهم. وكذلك قوله: **والسابقون السابقون**، يخرج على هذا أيضا. يقال:[١١] فلانٌ ما أمرُ فلان. ويقال:[١٢] فلانٌ فلانٌ على تعظيم أمره وشأنه، فعلى ذلك هذا.[١٣]

ثم في قوله تعالى: **وكنتم أزواجا ثلاثة** [دلالة][١٤] لقول[١٥] أصحابنا رحمهم الله في جعلهم الكفرَ كلّه ملة واحدة؛ لأنه جعل الله[١٦] تعالى أهلَ الكفر على اختلاف مذاهبهم وأديانهم زوجا واحدا،[١٧] وأهلَ الإسلام زوجين، حيث جعل الكلَّ أزواجا ثلاثة. ***والله أعلم***.

---

[١] ر م: وقوله.
[٢] جميع النسخ: إلى ما.
[٣] ن + السابقون.
[٤] ن- بهذه الآية.
[٥] ر ث م: عامة.
[٦] ر م: أصحاب.
[٧] ر ن م: على التعجب.
[٨] ر م: وقوله.
[٩] ر ث م: وجهين على التعجب.
[١٠] جميع النسخ: ما يحل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٧و.
[١١] ر م – يقال.
[١٢] ر م: فيقال.
[١٣] ن – هذا.
[١٤] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.
[١٥] جميع النسخ:يقول. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٦] ن – الله.
[١٧] ر م – واحدا.

﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **أولئك المقربون**، يحتمل أن يكون وصفُ التقريب[1] لهم لمسابقتهم[2] في الخيرات في الدنيا. ويحتمل أنهم مقرّبون في الآخرة بالكرامات والمنزلة لسبقهم في الخيرات[3] أو في الإجابة. والسبقُ فعلُهم والتقريبُ بلطف من الله تعالى وفضل منه. ***والله أعلم***.

﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **في جنات النعيم**، جميع الجنان نعيم لأن فيها نعيما. وله أن يسمي واحدة منها نعيما والأخرى عَدْنًا[4] والفردوسَ والمأوى لما له أن يسمِّي ما شاء بما شاء[5] وكيف شاء.

﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾[١٣] ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **ثلة من الأولين وقليل من الآخرين**، اختلف في ذلك. قال بعضهم: أي **ثلة من الأولين** ممن شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقَرُبوا منه. **وقليل من الآخرين** ممن بَعُد من هذه الأمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبته[6] وإدراك[7] زمانه. **وقليل** من المقربين **من الآخرين**. وهو ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «خير الناس قرني[8] ثم الذين يَلُونهم ثم الذين يلونهم»[9] وعلى ذلك قوله تعالى: لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ،[10] على ما يذكر. ***والله أعلم***. ومنهم من قال: **ثلة من الأولين**، أي جماعة من المؤمنين الذين كانوا في الأمم الماضية، **وقليل من الآخرين**، أي من هذه الأمة. وهكذا يكون لو اجتمع أهل الإيمان من هذه الأمة مع الأمم الماضية يكون هؤلاء أقل منهم.

---

[1] ر ث م: القريب.

[2] ث: لمسابقيهم.

[3] ن + في الدنيا ويحتمل أنهم مقربون في الآخرة.

[4] ن: عذبا.

[5] ر م: ما شاء ثم ما شاء؛ ن: ما شاء ثم شاء؛ ث: ما شاء بم شاء. والتصحيح من المرجع السابق.

[6] ن ث: وصحبه.

[7] ر ث م: وأدرك.

[8] ن ث: قربي.

[9] ر م – ثم الذين يلونهم. صحيح *البخاري* الشهادات، ٩؛ وصحيح *مسلم* فضائل الصحابة، ٢١٢.

[10] سورة الحديد، ١٠/٥٧.

ويحتمل أيضا أن السابقين المقربين من الأمم الماضية أكثر من السابقين المقربين[1] من هذه الأمة لأن الأنبياء عليهم السلام كلهم من الأمم السالفة.

وقال أهل التأويل: لما نزل قوله تعالى: **ثلة من الأولين وقليل من الآخرين**، وجد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وَجْدا شديدا، وقالوا: لن يدخل الجنة منا إلا قليل[2] فنزل قوله تعالى: ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ.[3] لكنَ هذا لا يحتمل لأنه خبر ولا يَرِد[4] في الأخبار نسخ،[5] وما قالوه[6] فهو نسخ. والوجه فيه ما ذكرنا. ويحتمل قوله تعالى: ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ[7] مِنَ الْآخِرِينَ، هم أصحاب اليمين من الأولين والآخرين جميعا أي جماعة، كثيرة من الأولين وجماعة كثيرة من الآخرين. ثم يحتمل أن يكون الأولون والآخرون من هذه الأمة. ويحتمل أن يكون الأولون[8] من الأمم الماضية والآخرون من هذه الأمة وهم المؤمنون. وقوله: **ثلة من الأولين وقليل من الآخرين**، في المقربين خاصة. ***والله أعلم.***

﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **على سرر موضونة**، وقال في آية أخرى: عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ.[9] والسرر قد تكون[10] في الدنيا مصفوفة ولكن لا تكون[11] موضونة أي منسوجة.[12] والوَضْن هو[13] النسج.[14] يخبر أنه لا يكون بين السرر في الآخرة انفصال ولا فروج كما يكون في الدنيا لكن موصولةٌ بعضها ببعض.

---

[1] ث - من الأمم الماضية أكثر من السابقين المقربين.
[2] ر م: قليلا.
[3] سورة الواقعة، ٥٦/٣٩-٤٠.
[4] جميع النسخ: ترد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٧ظ.
[5] ن: فنسخ.
[6] م: قالوا.
[7] ن: وقليل. صح هـ.
[8] ن - والآخرون من هذه الأمة ويحتمل أن يكون الأولون.
[9] سورة الطور، ٥٢/٢٠.
[10] جميع النسخ: قد يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٧ظ.
[11] جميع النسخ: لا يكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] ن: أي منسوخة.
[13] ر م: وهو.
[14] ن: النسخ.

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **متكئين عليها**، أي على السرر التي ذكر أنها مصفوفة موضونة. وقوله: **متقابلين**، أي يقابل بعضهم[١] بعضا ولا يُعرضون ولا ينظر بعضهم إلى بعض بالقفا كما يفعل أهل المجالس في الدنيا يعرض بعضهم عن بعض ويجفو[٢] بعضهم بعضا. يخبر أنهم يكونون[٣] في الآخرة خلاف ما [يكونون][٤] في الدنيا بحيث لا يتأذى بعضهم[٥] من بعض بوجهٍ مّا.

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **يطوف عليهم ولدان مخلدون**. فيه أنهم يعطون في الجنة على ما يستحبون في الدنيا من الشرف وطواف الولدان، وكذلك ما ذكر من السرر والفرش وغير ذلك من أنواع ما ترغب[٦] أنفسهم في الدنيا. ثم ذكر أنهم ولدان وإن لم يكن في الجنة وِلاد. فهو يخرّج على وجهين. أحدهما أن يكونوا[٧] على هيئة الولدان وإن لم يولدوا. أو سُمُّوا ولدانا لولادهم في الدنيا وإن لم يولَدوا في الجنة لأن التوالد في الدنيا لحاجة البقاء، وأهل الجنة باقون. وقوله عز وجل: [٧٧٣و] **مخلدون**، قال بعضهم: أي المقرَّطون. والخَلَدَة:[٨] القُرط، وجمعه / الخِلَدَة. وقال بعضهم: هو من الخلود، كقوله تعالى: خَالِدِينَ فِيهَا،[٩] أي باقين[١٠] ويقال: مُسوَّرون[١١] من السِّوار.

﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾[١٨]

وقوله: **بأكواب وأباريق**، قيل: الأكواب[١٢] هي الكيزان المدوَّرَةُ الرءوسِ التي لا عُرَى لها، والأباريق التي لها عُرًى وخَراطيم. وجائز أن تكون الأكواب الأقداح[١٣] التي يشربون بها

---

[١] ر م – بعضهم؛ ن: أي يقابل بعضهم.
[٢] ر: ويحقر؛ ن: ويجفوا؛ م: يحضر.
[٣] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٧ظ.
[٤] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.
[٥] جميع النسخ: بعض. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] ر ث م: ما يرغب؛ ن: ما رغب.
[٧] جميع النسخ: أن يكون. والتصحيح مستفاد من المرجع السابق.
[٨] جميع النسخ: والخلد. والتصحيح مستفاد من *المعجم الوسيط*، «خلد».
[٩] سورة البقرة، ١٦٢/٢؛ وسورة آل عمران، ١٥/٣، ٨٨.
[١٠] ر ن م: باقون.
[١١] جميع النسخ: مسور. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٧ظ.
[١٢] ر ث م – قيل الأكواب.
[١٣] جميع النسخ: أن يكون الأكواب القداح.

لأن في الدنيا يكون لأهل الشراب الأباريق والأقداح يصبون من الأباريق في القَدَح ويشربون منه لا يشربون من الأباريق فعلى ذلك وعدوا في الجنة. وقوله عز وجل: **وكأس من معين**، الكأس: هو القدَح المملوء من الشراب، وأما المعين فقال[١] بعضهم: هو الظاهر من الماء الذي يقع عليه البصر لأن أهل الدنيا يستحبون شرب[٢] الشراب الذي يقع عليه البصر[٣] فوعد لأهل الجنة ذلك. *والله أعلم.*[٤]

﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **لا يصدعون عنها ولا ينزفون**، قرئ بكسر الزاي ونصبه[٥] أي لا تُصدِّع[٦] خمورُهم في الجنة رءوسَهم كما تصدِّع[٧] خمور الدنيا أهلها. وقوله: **ولا ينزفون**، قيل: بكسر الزاي لا يَنفد شرابُهم، وبالفتح لا يَسكَرون فيه؛ إنه ليس في خمورهم الآفةُ التي تكون في خمور الدنيا من ذهاب العقل والصُّداع والنَّفاد.

﴿وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾[٢٠]

وقوله: **وفاكهة مما يتخيرون**، جميع فواكه[٨] الجنة مختارة لكن يخرج على وجهين. أحدهما[٩] أن جميع فواكهها مما يتخيرون.[١٠] والثاني أن[١١] العرف في الفواكه أن تقدم[١٢] من أجناس مختلفة وألوان لا من لون واحد ونوع واحد[١٣] فيتخيرون من أي نوع اشتهَوْا وشاءوا.[١٤]

---

[١] جميع النسخ: قال.
[٢] ن: شراب.
[٣] ر م - لأن أهل الدنيا يستحبون شرب الشراب الذي يقع عليه البصر.
[٤] ر: الله أعلم.
[٥] ﴿ولا يُنْزِفون﴾ (بكسر الزاي) عاصم وحمزة والكسائي وخلف ووافقهم الأعمش. ﴿ولا يُنْزَفون﴾ الباقون (*الميسر في القراءات الأربع عشرة* لمحمد فهد خاروف، ٥٣٥).
[٦] جميع النسخ: لا يصدع.
[٧] جميع النسخ: كما يصدع.
[٨] م: فاكهه.
[٩] م: أحدها.
[١٠] ن: فواكههما مما يتخير؛ ث: مما يتخير.
[١١] ر م - أن.
[١٢] جميع النسخ: أن يقدم.
[١٣] م - ونوع واحد.
[١٤] ر: أو شاءوا.

﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾[٢١]

وقوله عز وجل: **ولحم طير مما يشتهون**، إن أهل الجنة إنما يتناولون ما يتناولون على الشهوة لا على الحاجة لأن ما يؤكل على الشهوة يكون أكله على اللذة، وما يتناول لحاجة يكون لدفع الحاجة[١] وسدّ الجوع وهو كما ذكر: وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ.[٢]

﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾[٢٢] ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون**، يحتمل تشبيه الحور العين باللؤلؤ وجهين. أحدهما لِما لا شيء أصفى من اللؤلؤ والياقوت، فَضَرب مَثَلَهن بذلك لصفائه وبياضه، وإلا ما خَطَرُ اللؤلؤ حتى يُشبَه[٣] الموعود في الجنة من الجواري[٤] به. والثاني أن للؤلؤ والياقوت فضل قدر ومنزلة عند العرب، وليس ذلك الخطر[٥] لغيره من الأشياء، فيُشْبه ضرب مثلهن به لفضل خطر ذلك عندهم ليس[٦] ذلك لغيره، وهو كقوله تعالى: وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللّٰهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ،[٧] ضَرَب مَثَل منْ يشرك بالله بالذي خرّ من السماء، والشرك بالله أعظم مما ذكر، لكن ليس [عندهم] شيء أعظم وأبعد[٨] من الخر من فوق السماء السابعة؛[٩] فعلى ذلك الأول. *والله أعلم*.

﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٢٤]

وقوله: **جزاء بما كانوا يعملون**، إن الله تعالى ذكر لأعمال العباد[١٠] جزاءً كأنهم عملوا له فضلا منه وكرما في حق عباده وإن كانوا في الحقيقة عاملين لأنفسهم، كقوله تعالى: إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ، الآية.[١١] وكذلك ما ذكر من شرائه أنفسهم وأموالهم منهم[١٢]

---

[١] ر ث م – لأن ما يؤكل على الشهوة يكون أكله على اللذة وما يتناول لحاجة يكون لدفع الحاجة.

[٢] سورة الزخرف، ٧١/٤٣.

[٣] ر م: تشبه؛ ث: شبه.

[٤] ر ث: من الحواري.

[٥] ر ث م: أن للؤلؤ فضل ومنزلة عند العرب وليس الخطر.

[٦] ن – ليس.

[٧] سورة الحج، ٣١/٢٢.

[٨] ن + عنهم مما ذكر من الخبر من السماء فيشبهه وإن كان الشرك به أعظم وأبعد.

[٩] جميع النسخ: السابع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٨و.

[١٠] ر ث م: الأعمال.

[١١] ر ث م – الآية. سورة الإسراء، ٧/١٧.

[١٢] يشير المؤلف رحمه الله إلى قوله تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فَيَقْتُلون ويُقْتَلُون وَعْدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن﴾ (سورة التوبة، ١١١/٩).

وما ذكر من الإقراض بقوله تعالى: وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا،[١] وإن كانت أنفسهم وأموالهم له. ولكن[٢] عاملَ[٣] عبادَه في أنفسهم وأموالهم كأنها ليست له فضلا وكرما؛ فعلى ذلك ذَكَر لأعمالهم جزاء كأن منهم إلى الله تعالى صنعا[٤] وإحسانا[٥] وإن كانوا عاملين لأنفسهم ومنافعُ أعمالهم ترجع[٦] إليهم، بفضله[٧] وكرمه. *والله أعلم*.[٨]

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما**، هذا يرجع إلى وصف خمور أهل الجنة، أي ليس فيها الآفات التي تكون[٩] في خمور الدنيا من ذهاب العقل وقول[١٠] اللغو والهذيان مثل ما يجري على ألسنتهم في الدنيا حين يشربون[١١] الخمور وما يأثمون به. وذَكَر لهم هذه الخمور في الجنة لأن قوما يرغبون فيها في الدنيا فوعد لهم ليرغبوا فيها ويطلبوها[١٢] بالامتناع عن شربها[١٣] في الدنيا من الخمور المحرمة. *والله أعلم*.

﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **إلا قيلا سلاما سلاما**، يخرج هذا على وجهين. أحدهما أي إلا كلاما فيه سلامة عن جميع الآفات التي ذكر. والثاني **إلا قيلا سلاما سلاما**، أي يُحيِّي بعضهم بعضا بالسلام، كقوله تعالى: تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ.[١٤]

---

[١] سورة الحديد، ١٨/٥٧.
[٢] ر ث م - ولكن.
[٣] ر م + على.
[٤] جميع النسخ: صنع.
[٥] جميع النسخ: وإحسان.
[٦] جميع النسخ: يرجع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٨و.
[٧] ن: لفضله.
[٨] ن ث: والله الموفق.
[٩] ر ث م: يكون.
[١٠] ث + اللهو.
[١١] جميع النسخ: شربوا.
[١٢] ن: ويطلبونها.
[١٣] ن ث: شبهها.
[١٤] سورة إبراهيم، ٢٣/١٤.

﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾[٢٧] ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾[٢٨] ﴿وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود،** الآية، أصحاب اليمين هم المؤمنون على ما ذكرنا. ثم اختلف في ذكر شجر السدر لهم وما ذكر من الطلح وغير ذلك. منهم من قال: إنما ذكر هذا لهم لتفضيل المقرّبين على أصحاب اليمين لأنه قال في المقربين: وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ،[1] إلى آخر ما ذكر من عِظَم[2] الكرامات التي ذكر لهم. ثم ذكر لأصحاب اليمين دون ذلك ليعلم تفضيل المقربين على أصحاب اليمين. ومنهم من قال: إن قوما من العرب ينتفعون بذلك لأن لها ثمرةً لكن ليست بمرغَبة ولها شوك، فأخبر الله تعالى أن لهم في الجنة ذلك بلا شوك ولا أذى بل مرغَب[3] فيه. وهو كما وعد لهم من الخمور ثم نفى عن خمورها الآفات فعلى ذلك جائز أن يكون شجر السدر فيها بغير آفات. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وطلح منضود،** منهم[4] من قال: هو طلح منضود متراكم كما ذَكَر في آية أخرى: طَلْعٌ نَضِيدٌ.[5] ذكر في إحدى الآيتين فعيل وفي الأخرى مفعول، وذلك جائز في اللغة. وقيل: **طلحٍ** بالحاء هو المَوْز. وذكر أن عليا رضي الله عنه سمع قارئا يقرأ: **وطلح منضود**. فقال علي رضي الله عنه: ما[6] شأن الطلح إنما هو طلع. فقيل له: / إن في المصحف [٧٧٣ظ] **وطلحٍ**، أفلا نغيره فقال: إن المصحف لا يغيّر اليوم.[7] وهذا يؤيد التأويل الأول. وقال أبو معاذ: الطلح[8] في كلام العرب شجر عظام كثير الأغصان، واحدها طلحة. وقوله عز وجل:[9] **مَخْضودٍ،** أي مقطوع الشوك خلقت هنالك هكذا بلا شوك. ومنه قوله عليه السلام في شجر الحرم: «لا يُخضَد شوكُها ولا يُعضَد شجرُها».[10]

---

[1] سورة الواقعة، ٥٦/١٠-١٢.
[2] جميع النسخ: من عظيم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٨و.
[3] ر: يرغب.
[4] ر م: ومنهم.
[5] ﴿والنخلَ باسقاتٍ لها طلع نضيد﴾ (سورة ق، ٥٠/١٠).
[6] ن ث - ما.
[7] *تفسير الطبري*، ٢٧/٢٣٤.
[8] ر ث م: الطلع.
[9] ر ن م: وقال.
[10] *صحيح البخاري*، العلم، ٣٩.

﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **وظل ممدود**، يصف أنه ليس فيها شمس يؤذي حرُّها ولا برد يؤذي بل ظل، لأن الظل شيء لطيف لا أذى فيه ولا [هو] شيء يثقل[1] على الأبدان بل هو شيء يوافق البدنَ ويخفّ عليه. وقيل: **ممدود**، لأنه لا شمس فيها فتنسخه[2] وبالشمس يعرف الظل هاهنا، وظل الآخرة ممدود أبدا.

﴿وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ﴾[٣١]

وقوله عز وجل: **وماء مسكوب**، قيل: جارٍ غير منقطع، وهو قول القُتَبِي.[3] وقال أبو عَوْسَجَة: أي مصبوب. والأول كأنه أقرب، أي جارٍ[4] أبدا ليس كمياه الدنيا إلا أن يراد بالانصباب صبه من الأعلى إلى الأسفل وذلك مما يرغب[5] إليه في الدنيا. ثم قوله: **وماء مسكوب**، جائز أن يكون ذكر هذا لأصحاب اليمين، وما ذكر من قوله تعالى: عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ،[6] وقولِه: وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ.[7] يكون[8] للمقربين.[9] وكذلك ما ذكر من [قوله:] جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ،[10] للمقربين؛ يكونون في العليين وتكون[11] الأنهار تحتهم.[12] وما ينسكب وينصبّ من الأعلى لأصحاب اليمين لأنهم يكونون دونهم في الدرجة. *والله أعلم*.

﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾[٣٢] ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾[٣٣]

وقوله عز وجل: **وفاكهة كثيرة لا مقطوعة**، كانقطاع فواكه الدنيا. يخبر أنها لا تنقطع[13] في الجنة في وقت من الأوقات وأنها كلما قُطعت مرة خرجت أخرى مكانَها بهيئة الأكل من غير

---

[1] ر ث م: أثقل.

[2] جميع النسخ: ينسخه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٨ظ.

[3] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٤٨.

[4] ن: جاري.

[5] ر ث: رغب.

[6] سورة الإنسان، ٦/٧٦.

[7] سورة المطففين، ٢٧/٨٣.

[8] جميع النسخ: فيكون.

[9] جميع النسخ + قوله عينا يشرب ولأصحاب اليمين ومزاجه من تسنيم.

[10] سورة البقرة، ٢٥/٢؛ وسورة آل عمران، ١٥/٣، ١٣٦.

[11] جميع النسخ: ويكون.

[12] ر: تحيتهم؛ ن: تجبهم.

[13] ر ن م: لا ينقطع.

أن يحتاج فيه إلى وقت النضج، كما في الدنيا تنقطع[1] في وقت[2] خروجها إلى وقت نضجها، وبعد النضج والإدراك تنقطع[3] إلى وقت وجود حمل آخر. وقوله عز وجل: **ولا ممنوعة**، أي لا آفة بها[4] تصير[5] ممنوعة كفواكه الدنيا إذ هي ربما تُمْنَع[6] بآفة تصيبها.[7] وقال القُتَبِي وأبو عَوْسَجَة: **لا مقطوعةٍ**، أي لا تحبس[8] كما يمنع في الدنيا بعضهم من بعض.

﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾[٣٤]

وقوله عز وجل: **وفرش مرفوعة**، أي مرفوعة القدر والمنزلة أو مرفوعة بنفسها[9] في القامة،[10] وهو ما ذكرنا في قوله تعالى: وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا.[11] وقيل: **وفرش مرفوعة**، النساءُ، يقال: امرأةٌ فَرِيش[12] ونساء فُرُشٌ.

﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً﴾[٣٥]

وقوله عز وجل: **إنا أنشأناهن إنشاء**، قال الأصم[13] وغيره: إن هذا صلة قوله: وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ،[14] كأنه قال على إثره. وقال القُتَبِي: إنه لمَا ذكر على إثر قوله: وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ،[15] **إنا أنشأناهن**، دل أن الفرش كناية عن الأزواج إذ هن[16] اللواتي[17] تُفْرَش.[18]

---

[1] جميع النسخ: ينقطع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٨ظ.
[2] ر ن ث: من وقت.
[3] جميع النسخ: ينقطع. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] ر: لها.
[5] ن ث: يصير.
[6] ر ث م: يمتنع؛ ن: يمنع. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ن: يصيبها.
[8] ر م: لا يحبس؛ ن: أي لا بحر حتى ينقطع ولا ممنوعة؛ ث: أي يحبس.
[9] ن: نفسها.
[10] ر ث م: في القيامة.
[11] ﴿والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا في الميزان﴾ (سورة الرحمن، ٥٥/٧-٨).
[12] م: فرش.
[13] ر: الأمم.
[14] الآية ٢٢ و٢٣ من هذه السورة.
[15] الآية السابقة.
[16] ن: إذ بين.
[17] ر م: اللؤلؤ؛ ث: اللوائي.
[18] جميع النسخ: يفرش. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٨ظ.

وواحدة الفُرُش فَريش. وقيل: قد استَفرشتِ الناقةُ إذا اشتهت الفحل.[1] والأشبه أن يكون هذا[2] صلة: وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ، إذ ذَكَر قوله:[3] وَحُورٌ عِينٌ، على ذكر إثر المجالس والزوجات، لا معنى لذكرهن في هذا الموضع. ثم قوله:[4] **إنا أنشأناهن إنشاء**، أي أنشأناهن في الابتداء على هيئة الاستمتاع ليس كنساء الدنيا. وهو كما ذكرنا في قوله في صفة الفواكه أنها غير مقطوعة ولا ممنوعة أي أنها تخرج أول ما تخرج على هيئة الأكل لا كثمار الدنيا.

﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾[٣٦] ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾[٣٧] ﴿لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾[٣٨] ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾[٣٩] ﴿وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾[٤٠]

وقوله عز وجل: **فجعلناهن أبكارا عربا أترابا**، قيل: أي خلقناهن كذلك ويكنَ أبدا كذلك: كلما ذهبت عُذْرَتهن عادت فيكنَ[5] أبدا على تلك اللذة لأنهن أنشئن[6] هكذا. ***والله أعلم***. وقال عامة أهل التأويل في قوله تعالى: إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً،[7] **فجعلناهن أبكارا**، أي خلقنا نساء الدنيا من الثيبات والأبكار خلقا جديدا سوى الخلق الذي كان في الدنيا **فجعلناهن أبكارا**، وكنَ في الدنيا عجائز[8] وثيبات. ورووا[9] على ذلك خبرا[10] عن النبي صلى الله عليه وسلم -إن ثبت أنه قال- في قوله: إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً: «الثيب والبكر». وفي بعض الأخبار قال: «إن العجوز لا تدخل الجنة»[11] ثم تلا[12] قوله: إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً، **فجعلناهن أبكارا**.[13] ومن قال: هو صلة قوله: وَحُورٌ عِينٌ،[14] هنَ[15] لسنَ نساء الدنيا. ***والله أعلم***.

---

[1] ر م: العمل.
[2] ر م + على.
[3] جميع النسخ: في قوله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٨ظ.
[4] ر م: وقوله.
[5] ن: فتكن.
[6] ر ن م: أمسين.
[7] الآية السابقة.
[8] جميع النسخ: عجاز. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ر ث م: روي.
[10] ر م: خبر.
[11] ن - الجنة.
[12] ر م - تلا.
[13] *تفسير ابن كثير*، ٨/٩؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٨/١٥.
[14] الآية ٢٢ من هذه السورة.
[15] جميع النسخ: هو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٨ظ.

وقوله عز وجل: **عُرُبا أترابا**، بجزم الراء مخففة وضمها.[1] قال[2] أبو عُبيد: نقرأها[3] بالضم لوجهين. أحدهما[4] التفخيم. والثاني أنها أقيس في العربية لأن واحدها عَرُوب وهو مثل صَبُور وصُبُر وشَكُور وشُكُر. وأما الوجه الآخر التخفيف. وقيل في تأويله: عرُبا، [أي] عاشقاتٍ لأزواجهن.[5] وقال أبو عَوْسَجَة: العروب المَرِحَة. وقال القُتَبِي: هي المتحبِّبَة إلى زوجها.[6] وقيل: الغَنِجات لأزواجهن. وقيل: إن أهل مكة يسمونها العَرِبَة وأهل مدينة غَنِجَة[7] وأهل العراق الشَكِلَة.[8] وقال سعيد بن جبير: **عربا**، أي ضَبَعَاتٍ[9] والضبعات هي التي تَعرض للزوج من الشهوة. ويقال للناقة إذا اشتهت الضِراب:[10] ضَبِعَة. وقوله عز وجل: **أترابا**، أي مستويات الأسنان. وقال القتبي: التِرب واللِدة[11] واحدة وهو بالفارسية هَمْزَاذ.[12] وأصله: أنهن انشئن بلا وِلاد يتقدم ويتأخر -كما يكون في الدنيا يتفاضلن[13] في الأسنان- فصرن[14] في الآخرة أترابا.

ثم قال: **وثُلَّةٌ من الآخِرين**، قد ذكرنا تأويله أنه يخرج على الوجهين. وروي عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «هما جميعا من أمتي»[15] / [٧٧٤و] وكذلك تأويل قوله تعالى: ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ.[16]

---

[1] جميع النسخ: ومضمومة.
[2] ر م: وقال.
[3] جميع النسخ: يقرأها. والتصحيح من *الشرح*، نفس الورقة.
[4] ث: أحدها.
[5] «العَرِبة والعَروب: كلتاهما المرأة الضحاكة. وقيل: هي المتحبِّبَة إلى زوجها المظهرة له ذلك؛ وبذلك فُسّر قوله عز وجل: ﴿عُرُبا أترابا﴾. وقيل: هي العاشقة له. فأما العُرُب فجميع عَروب، وهي المرأة الحسناء المتحببة إلى زوجها (*لسان العرب*، «عرب»).
[6] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٤٩.
[7] ن: المدينة الغنجة.
[8] ث: الشكله.
[9] ر م: عربا ضبعات. وقد تستعمل الضَبَعَة في النساء (*تاج العروس*، «ضبع»).
[10] ر ن م: الضرات.
[11] ن ث: والذلذة.
[12] «التِرْب اللِدَة والسِنُّ. يقال: هذه تِرْبُ هذه أي لِدَتُها. وأكثر ما يكون ذلك في المونث. وقوله تعالى: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾، فسره ثعلب فقال: الأتراب هنا الأمثال. وهو حسن إذ ليست هناك وِلادةٌ (*لسان العرب*، «ترب»). ومعنى «همزاد»: اللتان وُلدتا في نفس الوقت.
[13] ن: يتفاصلن.
[14] ن: فيصرن.
[15] *تفسير الطبري*، ٢٧/٢٤٩؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٨/١٩.
[16] الآية ١٣ و١٤ من هذه السورة.

﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾[٤١]

وقوله عز وجل: **وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال**، وذَكَر في أصحاب اليمين مثله من التعجب[١] وأخبر عما يكرمهم به[٢] ويعطيهم من أنواع النعم، وذكر أصحابَ الشمال وذكر على إثره ما أعدّ[٣] لهم من العذاب والهوان بقوله: ﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾،[٤] الآية. ثم ذكر في أول السورة أصحاب الميمنة والمشأمة و لم يذكر لهم الثواب ولا العذاب، وذلك -والله أعلم- لأن في ذكر الميمنة والمشأمة دلالةَ ما لهم؛ لأن الميمنة من اليمن والمشأمة من الشؤم ففي ذكر ذلك بيان ما[٥] لهم من الكرامات وما لأولئك من العقوبات. وليس في ذكر اليمين والشمال بيان العقاب فذكر على إثر ذلك ليُعرَف ما لكل[٦] فريق من الجزاء. ***والله أعلم***.

﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾[٤٢]

وقوله عز وجل: **في سموم وحميم**، قيل: السموم هو فَيْح جهنم، والحميم هو الذي قد انتهى حرُّه[٧] غايته؛ وقيل: السموم هو[٨] حر النار، وقيل: هو ريح باردة، وقيل: ريح[٩] حارة. وأصله أنه لمّا أصابهم السموم اشتد بهم العطش فعند ذلك يشربون الحميم رجاء أن يسكن به[١٠] عطشهم ويذهب ذلك عنهم، فلا يزداد لهم بذلك إلا شدة عطش على ما كان. ***والله أعلم***.

﴿وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾[٤٣]

وقوله تعالى: **وظل من يحموم**، قيل:[١١] هو دخان أسود. وقال بعضهم: اليحموم هو من الحميم. وقال أبو بكر: أي ظل من بخار[١٢] يجعل اليحموم بخارا. ثم الظل الذي ذكر هاهنا

---

[١] ن ث: من التعجيب.
[٢] ر م - به.
[٣] جميع النسخ: ما أوعد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٩و.
[٤] الآية التالية.
[٥] ر م - ما.
[٦] ن: ليعرف بالكل.
[٧] ن: بحرة.
[٨] م: هي.
[٩] ث - ريح.
[١٠] ر ث م: بهم؛ ن - بهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] ر م: وقيل.
[١٢] م: من بحار.

يحتمل أن يكون هو الظل الذي ذكر في قوله: اِنْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ،[1] وقوله: لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ.[2] وقيل: هو السرادق من النار.

﴿لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾[٤٤]

وقوله عز وجل: **لا بارد ولا كريم**. لا بارد لأنه من النار ولا كريم لأنه لهوانهم ليس للكرامة. وقال الحسن وقتادة: **لا باردِ** المنزل **ولا كريم** المنظرِ.[3]

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾[٤٥]

وقوله عز وجل: **إنهم كانوا قبل ذلك مترفين**، أي هذا الجزاء لهم لأنهم كانوا يقولون في الدنيا: نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ،[4] وإنما قال ذلك مترفوهم دون السفلة والأتباع لقوله تعالى: إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ.[5]

﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ﴾[٤٦]

وقوله عز وجل: **وكانوا يصرون على الحنث العظيم**، اختلف فيه. قال بعضهم: **كانوا يصرون على الحنث**، أي على الإثم العظيم وهو الشرك. وقيل: **الحنث العظيم**، الكبائر والإصرار،[6] [و]هو الإدامة عليها. وقال بعضهم: **يصرون**، على القَسَم:[7] يُقسمون ويَحْنَثُون[8] فيه، كقوله تعالى: وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ، أقسموا أنهم لا يُبعَثون فحنثوا[9] في ذلك لأنه تعالى أخبر أنهم يبعثون، حيث قال: بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا.[10] ويحتمل أن يكون قسمهم ما ذكر: وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا،[11]

---

[1] سورة المرسلات، ٣٠/٧٧.
[2] سورة الزمر، ١٦/٣٩.
[3] *تفسير ابن كثير*، ١٥/٨؛ و*تفسير الطبري*، ٢٥١/٢٧.
[4] سورة سبأ، ٣٥/٣٤.
[5] سورة سبأ، ٣٤/٣٤.
[6] ن: والأضرار.
[7] جميع النسخ: أنفسهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٩و.
[8] ر ن: ويخشون.
[9] ن: فحشوا.
[10] سورة النحل، ٣٨/١٦.
[11] سورة الأنعام، ١٠٩/٦.

وقوله:[١] لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ،[٢] وقد جاءهم النذير[٣] فلم يكونوا أهدى، وجاءتهم الآيات فلم يؤمنوا بها فحنثوا[٤] فيها. فإن كان قسمهم بأنهم لا يبعثون حنثوا[٥] حين فراغهم من[٦] اليمين لأنهم أيسوا عن ذلك. وفيه دلالة لصحة مذهب أصحابنا أنّ من حلف لَيَمَسَّنّ[٧] السماء أنه يحنث عند فراغه من اليمين.

﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾[٤٧] ﴿أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾[٤٨]

وقوله عز وجل: **وكانوا يقولون أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون**،[٨] قالوا هذا القول[٩] على الاستهزاء والاستبعاد للبعث. ألا ترى أنه أجابهم فقال:

﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ﴾[٤٩] ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾[٥٠]

قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم. ثم قوله:[١٠] **إن الأولين والآخرين**، يخرج على[١١] وجهين. أحدهما أي يجمع الأولين والآخرين[١٢] في التخليق، أي جمع بين الأولين والآخرين في التخليق،[١٣] حيث خلق الآخرين[١٤] على إثر الأولين وإلا لم يكونوا وقت ما قال: **لمجموعون**، إذ الآخرون لم يكونوا مخلوقين بعدُ. والثاني مجموعون في الأرض أي في القبور **إلى ميقات يوم معلوم**.

---

[١] ت: وقولهم.
[٢] سورة فاطر، ٤٢/٣٥.
[٣] ن: اليدين.
[٤] ن: فحشوا.
[٥] ن: خشوا.
[٦] ن – من.
[٧] ر م: للمس.
[٨] ر ت م – الأولون.
[٩] ر م – القول.
[١٠] ر: ثم وقوله.
[١١] ت + على.
[١٢] ن – يخرج على وجهين أحدهما أي يجمع الأولين والآخرين.
[١٣] ت – أي جمع بين الأولين والآخرين في التخليق.
[١٤] ر ن م: الأخرى.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ﴾[٥١]

وقوله عز وجل: **ثم إنكم أيها الضالون المكذبون**، أي الضالون المكذبون[١] بآيات الله[٢] الدالة على توحيده ورسله والبعث.

﴿لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ﴾[٥٢]

وقوله: **لآكلون من شجر من زقوم**، أخبر أن المكذبين يكونون[٣] آكلين من الشجر الزقومِ فيكون كما أخبر. ثم شجرة الزقوم هي التي ذكر: إِنَّهَا [شَجَرَةٌ] تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ،[٤] وقد ذكرنا تأويله[٥] في موضعه.

﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾[٥٣]

وقوله: **فمالئون منها البطون**، يخبر أنْ[٦] ليس لهم مما يأكلون ويشربون إلا امتلاء البطون لا يدفع عنهم ما يأكلون من الزقوم وغيره الجوعَ،[٧] ولا ما يشربون من الحميم العطشَ عنهم، بل يزداد لهم بذلك[٨] جوع وعطش[٩] على ما كان. *والله أعلم*.

﴿فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ﴾[٥٤] ﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾[٥٥]

وقوله: **فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم**، قيل: الهيم هو إبل يأخذه الداء فيشرب حتى يملأ البطن فلا يَرْوَى أبدا[١٠] للداء الذي فيه، فعلى ذلك أهل النار يشربون ويأكلون حتى تمتلئ[١١] بطونهم فلا يَرْوَوْن ولا يشبعون. *والله أعلم*. وقيل: الهِيم الإبل الذي يهيم[١٢] في الأرض ولا يَرِد الماءَ أياما ثم إذا ورد الماء فيشرب فيمتلئ بطنه حتى يهلك لامتلاء البطن، وهو قول الأصم.

---

[١] ر ث م – أي الضالون المكذبون.
[٢] ن – الله.
[٣] ن: يكونوا.
[٤] سورة الصافات، ٣٧/٦٤-٦٥.
[٥] ن ث: تأويلها.
[٦] ر: أنه.
[٧] ر م: الجموع.
[٨] ر: عنهم يزداد لهم بذلك؛ م: عنهم يزداد بذلك لهم.
[٩] جميع النسخ: جوعا وعطشا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٩ظ.
[١٠] ن – أبدا.
[١١] جميع النسخ: يمتلئ. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] ر ث م: يهم.

﴿هٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾[٥٦]

وقوله عز وجل: **هذا نزلهم يوم الدين**، أي الذي[١] / ذكر غذاؤهم ورزقهم يوم الدين. [٧٧٤ظ]

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾[٥٧]

وقوله عز وجل: **نحن خلقناكم فلولا تصدقون**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما يقول -والله أعلم-: لما صدقتموني ورسلي بأنا خلقناكم في الابتداء فهلّا صدقتمونا ورسلنا بأنا نعيدكم تارة أخرى، إذ الأعجوبة[٢] في ابتداء الإنشاء[٣] أكثر[٤] منها في الإعادة[٥] وهو ما قال: وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ.[٦] والثاني إنكم صدقتموه ورسله أنه أنشأكم[٧] في بطون أمهاتكم في الظلمات الثلاث[٨] ونقّلكم من حال إلى حال لا يحتمل أن يترككم سُدًى بلا عاقبة، فيكون فيه إثبات البعث؛ إذ لولا ذلك لكان خلقهم وتحويلهم من حال إلى حال عبثا كما قال تعالى: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا.[٩] *والله أعلم*.

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾[٥٨] ﴿أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾[٥٩]

وقوله عز وجل: **أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون**، قد علموا أنهم لم يخلقوا ما يُمْنون[١٠] ولا خلقوا أنفسهم؛ فيقول -والله أعلم-: قد أقررتم أنكم لم تخلقوا ما أمنيتم[١١] ولا أنفسكم ولا تملكون[١٢] ذلك، فقد عرفتم أن الله هو خالقكم وخالق ذلك كله وهو المالك لذلك.

---

[١] ر م: الذين.
[٢] ر: إذ لا أعجوبة.
[٣] جميع النسخ: الأشياء. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٩ظ.
[٤] ث: أكبر.
[٥] ن: منها والإعادة.
[٦] ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾ (سورة الروم، ٢٧/٣٠).
[٧] ر م: أنشأ لكم.
[٨] يشير المؤلف رحمه الله إلى قوله تعالى: ﴿خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون﴾ (سورة الزمر، ٦/٣٩).
[٩] سورة المؤمنون، ١١٥/٢٣.
[١٠] جميع النسخ: تمنون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٩ظ.
[١١] ر: أنيتهم؛ ن م: أمنيتهم.
[١٢] ر م: ولا يملكون.

فإذا[1] عرفتم ذلك وأنتم أهل تمييز وأكمل عقلا من غيركم فإذ[2] لم تملكوا[3] خلق أنفسكم فالذين هم دونكم أحق أن لا يملكوا خلق أنفسكم وخلق ما ذكر؛ ثبت أن الله تعالى هو خالق ذلك كله، فكيف عبدتم غيره وصرفتم الألوهية إلى غيره؟

﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾[٦٠] ﴿عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٦١]

وقوله عز وجل: **نحن قدرنا بينكم الموت،** يحتمل وجوها. أحدها أنه لما كان هو الذي خلقكم وما ذكر ثم قدّر بينكم الموت وفيكم الولي له والعدو وقد سوّى في الدنيا بين الولي والعدو وفي الحكمة التفريق بينهما،[4] دلّ أن هنالك دارا أخرى يُفرّق بينهما.

والثاني **نحن قدرنا بينكم الموت،** أي المعجل والمؤجل، أي لم يجعل موت جميعكم في وقت واحد بل جعل معجلا ومؤجلا في الأصل، وقدّر أن تكون[5] مدة أجل هذا أكثر من مدة أجل الآخر. وقيل: **نحن قدرنا بينكم الموت،** أي سوينا بينكم في الموت بين عزيزكم وذليلكم ورفيعكم ووضيعكم لا يَسلم[6] أحد عنه.

ويحتمل وجها آخر هو أولى [به][7] وهو أنه لما قدّر بينكم الموت، وكلُّ واحد منكم يكره[8] الموت ثم لم تملكوا[9] دفع الموت عن أنفسكم، دلّ أن هاهنا غيرا[10] قاهرا قادرا يجب القول بوجوده والانقياد لأوامره ونواهيه.

[٧٧٤و س١٨] * وفي قوله تعالى: **نحن قدرنا بينكم الموت،** نقض قولهم من أن المقتول لم يمت بأجله؛ لأنه تعالى أخبر أنه قدّر الموت بينهم، وعندهم أنّ من قُتِل لم يمت بما قدّر الله تعالى و لم يمت بأجله،

[1] ن ث: فإذ.
[2] ر م: فإذا.
[3] ن ث: لم يملكوا.
[4] ر + أن.
[5] جميع النسخ: أن يكون.
[6] ن: لا تسلم.
[7] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٨٩ظ.
[8] ن: بكرة.
[9] ن: لم يملكون؛ ر م: لم تملكون.
[10] ر ن م – غيرا.

وقد أخبر أنه[١] قدّر ذلك، وأنه لا يسبق في ذلك، لقوله:[٢] **وما نحن بمسبوقين**، ولو كان على ما تقوله[٣] المعتزلة: إن المقتول[٤] يموت قبل أجله فقد قالوا: إنه لم يقدّر[٥] له الموتَ وإن القاتل[٦] قد سبقه ومنعه عن وفاء ما جعل له من الأجل والبلوغ إلى ذلك الأجل الذي جعل له وكذّبه في خبره أنه يبلغ إلى ذلك الأجل. ***والله الموفق***.* [٧٧٤و س ٢٢]

وقوله: **وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم**، أي وما نحن بمغلوبين في تبديل أمثالكم. أو يقول: وما نحن بعاجزين على أن نبدل[٨] أمثالكم. وقوله: **وننشئكم فيما لا تعلمون**، قال أبو بكر الأصم: **وننشئكم**[٩] **فيما لا تعلمون**، من تبديلكم إلى صورة ذميمة قبيحة كصورة القِرَدَة والخنازير ونحوهما.[١٠] وقيل: **ننشئكم فيما لا تعلمون**، في أيّ خلقٍ شاء، وهو قريب[١١] من الأول. وجائز أن يكون معناه **وننشئكم فيما لا تعلمون** في ظلمات ثلاث[١٢] الذي لا يبلغه علم البشر ولا تدبير الحكماء إلى أن بلغوا ما بلغوا، فمن ملك[١٣] ذلك لا يحتمل أن يعجز عن بعث أو غيره. ***والله أعلم***.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾[٦٢]

وقوله عز وجل: **ولقد علمتم النشأة الأولى**، فهو على ما ذكرنا أنكم لما عرفتم أنه هو الذي أنشأكم النشأة الأولى[١٤] لا عن أصل سبق لا يحتمل أن يَعْجِز عن النشأة الآخرة

---

[١] ر ث م + هو.
[٢] ر ث م: بقوله.
[٣] ن: يقوله.
[٤] ر م – إن المقتول.
[٥] ن + إنه لم يقدر.
[٦] ن: وإن العامل.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٧٠، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٧٧٤و /سطر ١٨-٢٢.
[٨] ن: يبدل.
[٩] ر ث م – وننشئكم.
[١٠] جميع النسخ: ونحوها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٠و.
[١١] ر م: أقرب.
[١٢] يشير المؤلف رحمه الله إلى قوله تعالى: ﴿خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٦).
[١٣] ر م: تلك.
[١٤] ن – فهو على ما ذكرنا أنكم لما عرفتم أنه هو الذي أنشأكم النشأة الأولى.

لأنها مثل الأولى بل في وهمكم أسهل وأهون. وقوله عز وجل: **فلولا تَذَكَّرون**، يخرّج على ما ذكرنا: هلّا تذكرون وحدانيته وربوبيته؛[1] أو هلا تذكرون أنه قادر على البعث؛ أو [لو]لا تذكرون[2] أنه هو المستوجب لشكر ما أنعم عليكم؛ أو هلا تذكرون[3] نعمه وإحسانه. ومن الناس من قال: النشأة الأولى هاهنا نشأة آدم عليه السلام وخلقه، أي علمتم نشأته لا من أصل ولا احتذاء[4] بغير،[5] فمن قدر على ذلك فهو على النشأة الأخرى لقادر، وعلى تقدير وهمكم أقدر. ***والله الموفق.***

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾[٦٣] ﴿أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾[٦٤]

وقوله عز وجل: **أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون**، جائز أن يكون هذا[6] صلة ما تقدم من قوله: أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ،[7] كأنه يقول: **أفرأيتم ما تحرثون**، أأنتم[8] تخلقون الزرع أم نحن الخالقون له؛ فيكون فيه الذي ذكرنا في ذلك. ***والله أعلم.*** والثاني **أفرأيتم ما تحرثون**، أأنتم جعلتم الحِراثة بحيث تُنبت أم نحن الجاعلون بحيث تنبت.[9]

[٧٧٣ظ س٣٥ * وأهل التأويل يقولون: **أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون**، أي تُنبتونه[10]

٧٧٣ظ س٣٥] أم نحن المنبتون، وأصله ما ذكرنا.*

﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾[٦٥]

ثم قال: **لو نشاء لجعلناه حطاما**، أي يابسا، وقال أبو عَوْسَجَة: أي[12] متكسرا. يذكر[13] نعمه[14] التي أنعمها عليهم. يقول: هو الذي جعله بحيث ينتفع [به] ويبقى ولو شاء لجعله بحيث

---

[1] ر: وحدانية وربوبية.
[2] ن: يذكرون.
[3] ن: يذكرون.
[4] ر ن: ولا احتذا.
[5] جميع النسخ: لغير. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٠و.
[6] ر: هذه؛ ن ث: هذه الآية.
[7] الآية ٥٨ من هذه السورة.
[8] ن: لأنتم.
[9] جميع النسخ: ينبت أم نحن الجاعلون بحيث ينبت. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ن: ينبتونه.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٧٧٣ظ/ سطر ٣٥.
[12] ن – أي.
[13] جميع النسخ: متكسر ليذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٠و.
[14] ر: نعمته؛ ن: لنعمه.

لا يُنتفع به. أو يخبر عن قدرته أنه قادر على الإنبات وعلى الإهلاك؛[1] فعلى ذلك قادر على الإنشاء والإعادة.*

وقوله عز وجل: **فظَلْتم تفكهون**، قيل: تَعَجَّبون،[3] وقيل: تَنَدَّمون،[4] وهي لغة عُكْل.[5] وقال أبو بكر الأصم: أي صرتم تتنعمون وتتلذذون،[6] كما يقول الرجل لآخر: لو أخذتُ[7] مالك أو سلبتُه صرتُ غنيا[8] أو استغنيت. ولكن[9] لا ندري أيقال ما ذكر أم لا؟ فإن كان يقال ذلك يصير تقديره: كأنه يتلذذ لكثرة ما يذكره[10] في كل وقت؛ لأن الرجل إذا ذهب ماله لا يزال يذكره[11] كالمتلذذ به والمتنعم. وعن ابن عباس رضي الله عنه:[12] **فظَلْتم تفكهون**، أي تَلَاومون.[13] / وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: فظِلْتم[14] تفكهون. وقوله: **فظلتم**، [٧٧٥و] يستعمل في زمان النهار دون الليل.

﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾[٦٦] ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾[٦٧]

وقوله عز وجل: **إنا لمغرمون بل نحن محرومون**، أي فَظَلْتم تقولون:[15] **إنا لمغرمون**. ثم اختلف فيه، قيل: إنا لمعذبون، بقوله: إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا.[16] وقيل: إنا لَمُذَمُّون المُلْقَوْن للشر[17] ونحو ذلك.

---

[1] ن: على الإثبات وعلى الإهلاك؛ م: على الإنبات والإهلاك.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة فنقلناه إلى هنالك. انظر: ورقة ٧٧٣ظ/ سطر ٣٥.

[3] ن: يعجبون.

[4] ن: يندمون.

[5] ر م: عكيل. عُكْلُ، وتَيْمٌ، وَعَدِيٌّ قبائل من الرِّباب (*لسان العرب*، «عكل»)؛ وقال ثعلب: الرِّباب هم خمس قبائل: ضَبَّةُ، وثَورٌ، وعُكْلُ، وتَيْمٌ: وَعَدِيٌّ (*لسان العرب*، «ربب»).

[6] ن: يتنعمون ويتلذذون.

[7] ن: لو أحدث؛ م: لو أخذته.

[8] ن: عينا.

[9] ر: ولا كن.

[10] ث: يذكر.

[11] ر م: ذكره.

[12] ن – رضي الله عنه.

[13] نسبه الطبري إلى عكرمة (*تفسير الطبري*، ٣٤٩/٢٢).

[14] جميع النسخ: فصرتم. والتصحيح من *تفسير القرطبي*، ٢١٩/١٧.

[15] ر م: يقولون.

[16] ﴿والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما﴾ (سورة الفرقان، ٦٥/٢٥).

[17] ر: للبشر؛ ن: للسرت.

لكنه من الغُرْم الظاهر لأن من لحقه[1] خسران في ماله أو هلاك تلحقه[2] الغرامة لما يحتاج إلى غيره. وأصله كأنه يقول -والله أعلم- لو جعله حطاما يابسا [بحيث][3] لا تنتفعون[4] به ظَلْتم تقولون: **إنا لمغرمون.** وقوله: **بل نحن محرومون،** قيل: المحروم هو الذي يُمنع[5] عنه المال أو ما ينتفع به. وقال بعضهم: محدودون، وقيل: مُحارَفون،[6] لكن المحروم ظاهر لا يحتاج إلى التفسير. ***والله أعلم.***

﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾[٦٨] ﴿أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾[٦٩] ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾[٧٠]

وقوله عز وجل: **أفرأيتم الماء الذين تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون،** يذكر نعمه عليهم بما أنزل لهم من الماء العذب فيشربونه،[7] وأخبر أنه لو شاء لجعله أجاجا مالحا ما تهلك[8] به[9] الأنفسُ ولا تقوم[10] له. وكذلك قوله: لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا،[11] حتى يَخرجَ من أن يكون غذاءً[12] لهم[13] فيه، ولكن بفضله ورحمته أبقى لهم ذلك أغذية وأشربة ولذلك قال في آخره: **فلولا تشكرون،** أي هلا تشكرون ما أنعم عليكم.

ثم في هذه الآيات دلالة نقض قول المعتزلة في أفعال العباد حيث قال: أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ،[14] والإمناء[15] هو فعل العبد؛ إذ هو دفق المَنِيِّ، ثم أخبر أنه هو خالق ذلك حيث قال: أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ. وكذلك الحِراثة والزراعة فعل العباد، وأخبر أنه خالق ذلك.

---

[1] جميع النسخ: مرتجعه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٠و.
[2] جميع النسخ: يلحقه.
[3] الزيادة من المرجع السابق.
[4] جميع النسخ: لا ينفعون. الزيادة والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ر م: ينتفي.
[6] وفي الصحاح: رجل مُحارَف -بفتح الراء- أي محدود محروم، وهو خلاف قولك: مبارك (*لسان العرب*، «حرف»).
[7] ر م: فيشربون.
[8] جميع النسخ: ما يهلك.
[9] ر م - به.
[10] جميع النسخ: ولا يقوم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٠و.
[11] الآية ٦٥ من هذه السورة.
[12] ن ث: غدا.
[13] ر ث م - لهم.
[14] الآية ٥٨ و٥٩ من هذه السورة.
[15] م: والإمنار.

وفي قوله[1] تعالى: لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا،[2] و[قوله: **لو نشاء جعلناه]**[3] **أجاجا**، نقض قولهم في الأصلح. فإنه يقال لهم: إن قوله: لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا و[قوله: **لو نشاء جعلناه] أجاجا**، لا يخلو إما أن يكون الأصلح لهم في ترك ما ذكر أنه لو شاء[4] لجعل[5] كذا ثم لم يفعل ذلك فقد ترك الأصلح لهم؛ أو يكونَ الأصلح لهم في إبقاء[6] ذلك فيصير كأنه قال: لو شاء لجعل ما هو حق وعدل جورا، ولا يجوز أن يقال: إن الله تعالى لو شاء أن يجور لجار.[7] فعلى أيّ الوجهين حُمِل كان في ذلك نقضُ مذهبهم.* ثم قوله:[9] **أأنتم أنزلتموه من المزن**، اختلف في تأويل المزن. قال عامة أهل التأويل والأدب: المزن هو السحاب. وقال أبو بكر الأصم: المزن هو الماء[10] العذب، فعلى قوله يكون حرف "مِن" صلة كأنه قال: أأنتم أنزلتم[11] المزن. والظاهر ما ذهب إليه أولئك أنه ينزل من السحاب. ***والله أعلم***.

﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾[٧١]

وقوله عز وجل: **أفرأيتم النار التي تورون**، قال بعضهم: توقدون، وقال بعضهم: تَقدَحون.[12] يقال: قدحتُ[13] النار وأَوْرَيْتُها،[14] أي أخرجتها. يقال: وَرَتِ[15] النارُ تَرِي[16] وَرْيا فهي[17] وارية، أي أضاءت.

---

[1] ر م: في قوله.
[2] الآية ٦٥ من هذه السورة.
[3] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٩٠ظ.
[4] ر ث م - حطاما وأجاجا لا يخلوا ما أن يكون الأصلح لهم في ترك ما ذكر أنه لو شاء.
[5] ر ث م: لجعله.
[6] ن: إتقاء.
[7] ن: أن يجوز لجاز.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة برقم ٦٠، فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ٧٧٤و/ سطر١٨-٢٢.
[9] ر: ثم وقوله.
[10] ن + هو الماء.
[11] ث + من.
[12] ر م: تفرحون.
[13] ر م: قرحت.
[14] ن: وأورثتها.
[15] ر م: وزت.
[16] ر م: يري.
[17] جميع النسخ: فهو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٠ظ.

﴿أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ﴾[٧٢]

وقوله[١] عز وجل: **أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون**، قيل: هي الشجرة التي تُجعل[٢] حطبا وتوقد بها النار وتُحرَق[٣] وقيل: هي الشجرة التي فيها النار وهي التي تتخذ منها الزُّنُود.[٤] والأول أقرب. *والله أعلم*.

﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾[٧٣] ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾[٧٤]

وقوله عز وجل: **نحن جعلناها تذكرة**، قال بعض أهل التأويل: أي جعلنا هذه النار تذكرة للنار الكبرى وهي نار الآخرة. ويحتمل أن يكون قوله:[٥] **نحن جعلناها**، أي هذه النعم الحاضرة **تذكرة** للنعم[٦] الموعودة، أو جعلنا هذه الشدائد والبلايا في الدنيا تذكرة لما أُوعدوا[٧] في الآخرة. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **ومتاعا للمقوين**، قال بعض أهل التأويل: أي متاعا للمسافرين؛ خصّ المسافرين لنزولهم[٨] القَوَاء وهو القَفْر، وهو قول القُتَبِي.[٩] وقيل: المقوين المستمتعين. وقال أبو عَوْسَجَة: المقوي الذي[١٠] لا زاد له. وقيل: الذي يقع في أرضٍ قَوَاءٍ، والقَوَاء الخالية من الناس. وقال أبو عبيد: لا أرى[١١] الذي لا زاد[١٢] معه أولى بالنار ولا أحوج إليها مِن الذي معه الزاد[١٣] بل صاحب الزاد[١٤] إليها أحوج. ويقال: رجلٌ مُقوٍ[١٥] إذا كانت معه مطية قوية.

---

[١] ن: قوله.

[٢] ن: يجعل.

[٣] جميع النسخ: ويوقد بها النار ويحرق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٠ظ.

[٤] جميع النسخ: يتخذ منها الربود. والتصحيح من المرجع السابق. الزَّنْد: العود الأعلى الذي يقتدح به النار. والجمع: أَزْنُد وأَزْناد وزُنُود وزِناد. وأزانِد جمع الجمع (*لسان العرب*، «زند»).

[٥] ر ث م – قوله.

[٦] ث: المنعم.

[٧] ر م: أوعدها.

[٨] ن: ليزولهم.

[٩] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٥١.

[١٠] ن – الذي.

[١١] جميع النسخ: أرى. والتصحيح من *الشرح*، ١٩٠ظ.

[١٢] ر م – له.

[١٣] ن: الراد.

[١٤] ن: الراد.

[١٥] جميع النسخ: مقوى. والتصحيح من المرجع السابق.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾[٧٥] ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾[٧٦]

وقوله عز وجل: **فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم**، عن ابن مسعود وإبراهيم [النخعي][1] أنهما قرءا[2] "بموقع النجوم" على الوُحْدان. وعن الحسن أنه قرأها: **بمواقع النجوم**،[3] على الجمع[4] وبه أخذ أبو عبيد. وقال: إن بعض أهل التأويل يتأولونها على منازل القرآن، وبعضَهم على مغائب الكواكب[5] ومساقطها، وأي الوجهين كان فالجمع فيه أولى من الوحدان. ثم اختلف في قوله: **فلا أقسم**، منهم من قال: إن حرف "لا" هاهنا صلة كأنه قال: أقسم بمواقع النجوم. وذلك جائز في اللغة كقوله:[6] / مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ،[7] ونحوه، يكون [٧٧٥ظ] على الصلة والزيادة على التوكيد. ومنهم من قال: على إثبات حرف "لا" لكنه جعل ذِكْره لرد قولٍ كان من أولئك الكفرة ولدفع منازعةٍ كانت منهم، لكن لم يَذكر ذلك لِما كانت معروفة بينهم فردّ ذلك بقوله: **فلا**، ثم ابتدأ القسم بقوله: **أقسم**، كأنه قال: أقسم قسما بمواقع النجوم.

ثم اختلف في تأويل قوله: **بمواقع النجوم** على الوجهين اللذين ذكرناهما. قال[8] بعضهم: **بمواقع النجوم**، أي بمواقع نزول القرآن نجوما، دليله ما ذكر على إثره: إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ.[9] والثاني **بمواقع النجوم**، النجوم المعروفة على ما قال بعضهم. ثم إن كان المراد منه الكواكب فالقسم بها يكون[10] على وجوه. أحدها لعظم موقع النجوم ومحلها في القلوب وجليل قدرها عند الناس حتى يجعلُها بعض الملحدة[11] مدبرةَ العالم. أو لكثرة منافع الخلق بها من معرفة الطرق[12] بها والسبل، ومعرفة كثرة الأنداء[13] والمياه ومعرفة الأوقات والأزمنة وغيرها مما يكثر ذكرها.

---

[1] ر ث: قرأ. كتاب المصاحف للسجستاني، ٣٣٧؛ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ١٧/ ٢٢٤.
[2] هو أبو عمران (أبو عمار) إبراهيم بن يزيد بن الأسود، الفقيه الكوفي النخعي، أحد الأئمة، تابعي. توفي سنة ٩٦هـ/٧١٤م. انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان، ١/٢٥-٢٦.
[3] ر ث م – النجوم. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ١٧/ ٢٢٤.
[4] ن: على الجميع.
[5] ر م: الكوكب.
[6] جميع النسخ: لقوله. والتصحيح من الشرح، ورقة ١٩٠ظ.
[7] سورة الأعراف، ١٢/٧.
[8] ر م: وقال.
[9] الآيتان التاليتان.
[10] ن: يقع.
[11] م: الملاحدة.
[12] ث: الطريق.
[13] ر م: الأنداد. النَّدَى: المطر والبلل، وجمعه أنداء (الصحاح، «ندى»).

أو **بمواقع النجوم**، أي بمساقطها[1] وفي ذلك إخبار وإنباء[2] عن شدة طاعة[3] النجوم له[4] وتسخيره إياها للخلق حيث يملك قطع مسيرةِ خمسَمِائَةِ عامٍ بيوم واحد أو ليلة[5] واحدة ما لا يتوهم قطع ذلك مَن سواها من ذوي الأرواح[6] والأجنحة التي[7] هي أسرع لقطع المسافات والوصول إلى مقاصدها. *والله أعلم.*

ثم قال أهل التأويل بأجمعهم بأن القسم بها[8] من الله تعالى. وجائز أن يكون القسم بذلك[9] من الرسول صلى الله عليه وسلم[10] لكن أضاف إلى نفسه تعليما منه لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقسم برب هذه الأشياء، وكذلك تعليم لغيره من الرسل القسم برب هذه الأشياء؛[11] إذ لم يقع التنازع[12] بينهم وبين الله لِيُقْسَمَ، وإنما وضع القسم لتأكيد الخبر عند الإنكار والتنازع ولكن التنازع فيما بينهم وبين الرسل عليهم السلام. وكذلك ما ذكر من قوله:[13] فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ،[14] [جائز أن يكون القسم برب المشارق والمغارب][15] ليس من الله تعالى ولكن من الرسول؛ إذ لا يحتمل أن يكون الرب عز وجل هو الْمُقسِم ويقولَ:[16] بِرَبِّ الْمَشَارِقِ، فظاهره[17] أن يكون الرسول هو المقسم بها، فعلى ذلك الأول. *والله أعلم.*

---

[1] ر م: مساقطها.

[2] م: إنباء وإخبار.

[3] ث: إطاعة.

[4] ر ث م – له.

[5] ر ث م: خمسمائة يوم وليلة (ث: أو ليلة).

[6] ث: الأزواج.

[7] ن: أي.

[8] م: بهما.

[9] ر ث م – بذلك.

[10] ن – صلى الله عليه وسلم.

[11] ر – وكذلك تعليم لغيره من الرسل القسم برب هذه الأشياء.

[12] ر م: إذ المتنازع؛ ث: إذ لم التنازع.

[13] ر ث م – من قوله.

[14] ر م: والمشارق. سورة المعارج، ٧٠/٤٠.

[15] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٩١و.

[16] ن: وتقول.

[17] ر ث م: بظاهره.

ومن الناس من قال: إن الأقسام التي جرى ذكرها في القرآن بالأشياء التي ذكرها لو لم يكن القسم بها لكانت تلك الأشياء تؤكد وتوجب القسم وتؤكد[١] أن لو وقع بها القسم، لأن الأقسام فيه[٢] إنما جرى أكثرها في إيجاب البعث والتوحيد وإثبات الرسالة ونحوها. وما جرى ذكرها لو لم يكن القسم بها لكان يوجب ما يوجب القسم لأن في هذه الأشياء دلالاتٍ على البعث والتوحيد والرسالة. **والله الموفق**.

﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾[٧٧]

وقوله عز وجل: **إنه لقرآن كريم**، على قول من يجعل القسم بالقرآن فهو ظاهر.[٣] يقول: **إنه لقرآن كريم**، أي الذي أقسم به وأنزله نجوما[٤] هو كريم. وعلى التأويل الذي يجعل القسم بالنجوم المعروفة[٥] يجعل قوله: **إنه لقرآن كريم**، ابتداءَ ذكرٍ منه له. ثم تسمية القرآن كريما يخرج على وجوه. أحدها وصفه بالكرم لما هو محل لقضاء الحوائج الدنيوية والأخروية، وفي العرف الكريم: مَنْ نَصَب نفسَه وأعدّها[٦] لقضاء حوائج الخلق والقيام لإنجاحها.[٧] أو وصفه بالكرم لأن من اتبعه كَرُم وشَرُف. أو كريم عند الله عظيم لذلك وصفه بالكرم. **والله أعلم**.

﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾[٧٨]

وقوله عز وجل: **في كتاب مكنون**، قال أهل التأويل: في اللوح المحفوظ. سماه مكنونا لأنه مستور عن خلقه عند الله.

﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾[٧٩] ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٨٠]

وقال عز وجل: **لا يمسه إلا المطهرون**، يقول: لا يمس ذلك إلا المطهرون. وقال بعضهم: هم الملائكة الذين يجري ذلك على أيديهم، كقوله تعالى: بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ،[٨]

---

[١] جميع النسخ: يؤكد ويوجب القسم ويؤكد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩١و.
[٢] أي في القرآن.
[٣] ر م + أن.
[٤] ر م: نحو ما.
[٥] م: والمعروفة.
[٦] ث: وأعد.
[٧] ر: لإنجاها. يقال: أُنجِحت الحاجةُ أي قضيت (*المعجم الوسيط*، «نجح»).
[٨] سورة عبس، ٨٠/١٥-١٦.

طُهِّروا من الذنوب والآثام، وكان ذكر هذا ليأمنوا عن تحريف هذا الكتاب وتبديله. وهو ما قال على إثره: **تنزيل من رب العالمين**، أي إنه مكنون عمن يحرفه ويبدّله وإنه **لا يمسه إلا المطهرون**، من الذنوب، إذ التحريف[1] إثم وذنب وإنه تنزيل[2] من رب العالمين، وهو كما ذكر في آية أخرى: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ،[3] وقال: عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى.[4] أخبر أن الذي[5] نزل به من السماء أمين لا يكون منه التحريف ولا التبديل، وأنه قويّ لا يقدر أحد من جني أوإنسي[6] أخذَه من يده[7] ولا تحريفَه.[8] ثم تمام الأمن بقوله[9] تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ،[10] وَكَّلَ حفظَه إلى نفسه لا إلى أحد من خلقه فصار محفوظا عن التبديل والتحريف. ***والله أعلم.***

﴿أَفَبِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ﴾[٨١] ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾[٨٢]

وقوله:[11] **أفبهذا الحديث أنتم مدهنون**، قال بعضهم: أفبهذا[12] القرآن أنتم كافرون. **وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون**. الله تعالى جعل هذا القرآن حياة الدين وقوامه[13] والرزقَ حياة الأبدان والأنفس[14] وما به قوامها، فكذبوا الأمرين جميعا: ما به حياة الدين والأبدان[15] جميعا. ثم يخرج ما ذكر من تكذيب الرزق على وجوه. أحدها ما ذكر بعض[16] أهل التأويل أنهم كانوا يقولون: رزقنا بنوء كذا، كانوا ينسبون الرزق إلى[17] ذلك النَّوء. [لكن إن أرادوا بقولهم:

[1] جميع النسخ: والتحريف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩١و.
[2] ن ث + وإنه تنزيل.
[3] سورة الشعراء، ٢٦/١٩٣-١٩٤.
[4] سورة النجم، ٥٣/٥.
[5] ر + أخبر.
[6] ر ن م: وإنسي.
[7] ن – ولا التبديل وأنه قوي لا يقدر أحد من جني وإنسي أخذه من يده.
[8] ث + وقوله عز وجل.
[9] ر ث م: لقوله.
[10] سورة الحجر، ١٥/٩.
[11] ن: قوله.
[12] ر م: فبهذا.
[13] جميع النسخ: قواما.
[14] ر م – والأنفس.
[15] ث: حياة الأبدان والدين.
[16] ر م + الناس.
[17] ر م – إلى.

رُزقنا بنوء كذا أنّ فِعل الرزق من النوء][1] فهذا يخرج على قول[2] / المنجمة: إن النجوم هي[3] |٧٧٦و| مدبرة العالم وأرزاقِهم، لا يجعلون لله في ذلك تدبيرا. فأما من ينسب الرزق إلى الله تعالى ويقول: رَزَقَنا اللهُ بنوء كذا، فليس في ذلك تكذيبه. إنما يخرج ذكر النوء ذكرَ[4] سبب من الأسباب التي يرزق الله تعالى بها. وكذلك من رأى الرزق من الأسباب خاصة. وأما من يقول: رزقنا الله[5] تعالى بسبب كذا فكذا[6] فذلك جائز القول به. وقال بعضهم: **وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون**، أي تجعلون[7] شكر الرزق التكذيب، وبه قال أبو عبيدة.[8] وجائز أن يكون تكذيبهم الرزقَ صرفَ تسمية الألوهية إلى غير الذي رزقهم، والعبادةَ لغير المستحق لها. *والله أعلم*.

وقال الحسن: **وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون**، بِئسما أَخَذَ[9] القومُ لأنفسهم حتى لم يُرْزَقُوا من كتاب الله تعالى إلا التكذيب.[10] يقول: صار حظكم من القرآن التكذيب، ويجعل هذه الآية مع الآية الأولى:[11] **أفبهذا الحديث أنتم مدهنون**. وقال أبو بكر الأصم في هذه الآية: **وتجعلون رزقكم**، وهو هذا القرآن الذي خصكم به دون آبائكم ورُزقتم به ما لم يُرزق آباؤكم منه، ثم جعلتم تكذبون ذلك الرزق الذي خُصصتم به ورزقتم، أو كلام[12] نحوه، وهو كقوله تعالى: وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ.[13] وقال في قوله تعالى: **أفبهذا الحديث أنتم مدهنون**، [المدهن][14] هو الذي يُرِي الموافقة ويحتال[15] في دفع حجة ما يُلزمه ويَردّ عليه، أو كلام يشبه معناه هذا. *والله أعلم*.

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٩١ظ.
[2] ر م: قوله.
[3] جميع النسخ: هن. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] م – ذكر.
[5] ر م – الله.
[6] ر ث م – فكذا.
[7] جميع النسخ: يجعلون. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ن ث: عبيد. تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٤٥٢.
[9] ر ن م: أجد.
[10] *الدر المنثور* للسيوطي، ٣٠/٨.
[11] ر: أولى.
[12] ر ث م + من.
[13] سورة الأنعام، ٩١/٦.
[14] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٩١ظ.
[15] ر: ويختال.

وقال أبو معاذ: مُدهِن ومُداهِن[1] لغتان. ثم أصل المداهنة[2] المخادعة. يقال: داهنتُه وأدهنته واحد.[3] ثم الفرق بين المداهنة والمداراة، كأن المداهنة لطمع له فيه يخادعه[4] حتى يصل إلى ما يطمع. والمداراة الشفقة يداريه إشفاقا عليه ليتحقق عنده الحق لِيَسلم له دينُه، وإلا هما في الظاهر واحد وهما الملاينة وخفض[5] الجناح، لكن الفرق بينهما ما ذكرنا. *والله أعلم*.

﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾[٨٣] ﴿وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ﴾[٨٤]

وقوله عز وجل: **فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون**، ليس هذا الكلام صلة ما تقدم من الكلام. ثم يشبه أن يكون صلةَ ما قال أولئك الكفرة: لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا.[6] يقول -والله أعلم-: لو كانوا عندكم لم يموتوا و لم يقتلوا على ما زعمتم، فهلا إذا كانوا عندكم فبلغت الأرواح الحلقوم أن ترجعوها وتردوها[7] إلى الأجساد التي كانت لو كنتم صادقين في قولكم: لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا، الآية، على هذا جائز أن يخرج تأويل الآية. *والله أعلم*.

وقوله تعالى: **وأنتم حينئذ تنظرون**، يخرج على وجهين. أحدهما تنظرون أي تنتظرون[8] خروج الروح أنها متى تخرج؟ لا تملكون[9] ردها إلى حيث كانت ولكن تنتظرون[10] خروجها متى تخرج؟ والثاني **وأنتم حينئذ تنظرون**، على حقيقة النظر أي تنظرون[11] إلى سلطاني وقدرتي. وقيل: هو من الانتظار أي تنتظرون أن يَحُلّ[12] بكم الموت، وهو[13] ما ذكرنا. وجائز أن يكون قوله:

---

[1] جميع النسخ: ومدهن. والتصحيح من *الشرح*، ١٩١ظ.
[2] ر ث م + من.
[3] ر – وأدهنته واحد.
[4] ر م: مخادعة.
[5] ر: وحفض.
[6] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غُزًّى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٥٦).
[7] ر م: أن يرجعوها ويردها؛ ن: أن يرجعوها ويردوها.
[8] ر ن م: ينظرون أي ينتظرون.
[9] جميع النسخ: لا يملكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩١ظ.
[10] جميع النسخ: ينتظرون. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ر م: ينظرون.
[12] ن: يجعل.
[13] ر م: هو.

وأنتم حينئذ تنظرون، لأنهم كانوا يعبدون هذه[١] الأصنام رجاء أن تشفع[٢] لهم في ضيق الحال، وإنما يضيق[٣] عليهم الأمر عند حلول الموت بهم؛[٤] إذ لا بعث عندهم. فيقول: فلولا إذا بلغت الأرواح الحلقوم فتشفع[٥] لكم[٦] الأصنام التي تعبدونها[٧] وترد الأرواح إلى المكان الذي كانت فيه؛[٨] فإذا لم تملك[٩] ذلك فكيف عبدتموها؟ *والله أعلم*.

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾[٨٥]

وقوله عز وجل: **ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون**، قال بعض أهل التأويل: **ونحن أقرب إليه منكم**، أي ملائكتي ورسلي في ذلك الوقت أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون الملائكة، لكن أضاف إلى نفسه لما أن الملائكة بأمره وتسليطه يعملون. وقيل: **ونحن**[١٠] **أقرب إليه منكم**، أي أولى به منكم[١١] في ذلك الوقت لما يعلم هو خطأه ويتبين[١٢] له الحق في ذلك الوقت من الباطل **ولكن لا تبصرون** أنتم، أي لا تعلمون ذلك. *والله أعلم*.

﴿فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾[٨٦] ﴿تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[٨٧]

وقوله عز وجل: **فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين**، قال بعضهم: **غير مدينين**، أي لو كنتم غير مملوكين لله تعالى على ما زعمتم، ترجعون الأرواح وتردونها إلى الأجساد التي كانت فيها إن كنتم صادقين أنكم غير مملوكين فإذ[١٣] كنتم عندكم غير مملوكين تكونون[١٤] مالكين؛

---

[١] ر م – هذه.
[٢] جميع النسخ: أن يشفع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩١ظ.
[٣] ر م + الحال.
[٤] ر ث م – بهم.
[٥] ن: فيشفع؛ ر ث م: فينتفع.
[٦] جميع النسخ: لهم.
[٧] ر ث م: يعبدونها.
[٨] ر ث م – فيه.
[٩] جميع النسخ: لم يملك. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] جميع النسخ: وتبين. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] ر ث م – منكم.
[١٢] جميع النسخ: وتبين. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٣] ر م: فإذا.
[١٤] ن: يكونون.

إذ ليس إلا المملوك أو المالك فإذا لم تكونوا[1] مملوكين تكونون[2] مالكين فتملكون[3] ردها إلى ما فيها فإذ[4] لم تملكوا[5] كنتم مملوكين. ***والله أعلم.***

وقال بعضهم: **غر مدينين،** أي غير محاسَبين ولا مجزيِّين ولا مبعوثين. من قولك: كما تَدِينُ تُدانُ،[6] وكذلك الدين[7] يستعمل في الحساب. وإنه يخرج على تسفيه عقولهم وتحقيق سفههم من وجهين. أحدهما يقول -والله أعلم-: إن كنتم غير محاسبين ولا مجزيين[8] فرُدُّوا النشأة الأولى[9] واجعلوها بأنفسكم حتى تكونَ[10] النشأة الأولى حكمةً؛ إذ لم تملكوا[11] ردَّ هذه الأرواح إلى الأنفس. أو اجعلوا النشأة الأولى لغير الذي يكوّن النشأة الأخرى حتى تكون[12] النشأة الأولى[13] حكمة. ***والله أعلم.***

﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[٨٨] ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾[٨٩] ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾[٩٠] ﴿فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾[٩١] ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ﴾[٩٢] ﴿فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾[٩٣] ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾[٩٤]

وقوله عز وجل: **فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم،** إلى آخره.[14] اختلف[15] في وقت ما ذكر لمن ذكر[16] ذلك. قال بعضهم: إنّ ذلك يقال لهم عند الموت بِشارةً لهم

---

[1] ر م: والمالك فإذا لم يكونوا؛ ن: لم يكونوا.
[2] ن: يكونون.
[3] ر ن م: فيملكون.
[4] جميع النسخ: فإذا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٢و.
[5] ر م: يملكوا.
[6] يروى حديثا مرفوعا ومرسلا، وفي إسناده ضعف. انظر: كشف *الخفاء* للعجلوني، «كما تدين».
[7] ن: ولذلك الذي.
[8] ر ث م – ولا مبعوثين من قولك كما تدين تدان وكذلك الدين يستعمل في الحساب وإنه يخرج على تسفيه عقولهم وتحقيق سفههم من وجهين أحدهما يقول والله أعلم إن كنتم غير محاسبين ولا مجزيين.
[9] ن: التي؛ ث: الأخرى.
[10] ر ن م: يكون.
[11] ر ن م: لم يملكوا.
[12] ن: يكون.
[13] ر ث م – لغير الذي يكون النشأة الأخرى حتى تكون النشأة الأولى.
[14] ن: إلخ؛ م: الآية.
[15] ر م: واختلف.
[16] ث – لمن ذكر.

بما يكون لهم[١] في الجنة. ومنهم من يقول: إنما يقال ذلك إذا دخل هؤلاء الجنة وأولئك النارَ أعني الكافرين، وهو ما ذكر / **وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم**. وجائز أن يكون يقال ذلك[٢] لهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة. وَصَف لرسول الله صلى الله عليه وسلم محلهم[٣] عنده في الجنة ومكانَهم لديه على ما كانوا عنده في الدنيا: السابقون كانوا في الدنيا المقربين[٤] عنده، ومكانهم لديه أقرب من مكان غيرهم من المؤمنين. فعلى ذلك يخبر أن السابقين في الإجابة يكونون في الآخرة عنده أقرب، ويكون قوله: **فَرَوْحٌ وَرَيْحان**، أي يستأنس هو بهم[٥] ويستأنسون به لا يفارقونه ولا يفارقهم على ما كانوا في الدنيا. وسائر المؤمنين يسلّمون عليه في أوقات وهو ما ذكر: **فسلام لك من أصحاب اليمين**، على ما كانوا يفعلون في الدنيا وهو أقرب من الوجهين اللذين ذكرناهما. ويحتمل ما ذكروا من البِشارة عند الموت أعني المؤمنين والكافرين: في حق[٦] المؤمنين: **فأما إن كان من المقربين فروح وريحان [وجنة نعيم] وأما إن كان من أصحاب اليمين** فكذا.[٧] وفي حق الكفرة: **وأما إن كان من المكذبين الضالين فنُزُلٌ من حميم**، الآية. ويحتمل ما ذكر[٨] بعضهم أن ذلك يقال لهم بعد ما دخل أهل الجنة الجنةَ[٩] وأصحاب[١٠] النار النارَ. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **فروحٌ وريحان وجنةُ نعيم**، اختلف في تلاوته [وتأويله].[١١] أما تلاوته [فقد] روي عن عائشة رضي الله عنها [أنها] قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ هذا الحرف فرُوح وَرَيْحان يعني بضم الراء.[١٢] وعن الحسن أنه قرأها بالضم أيضا.[١٣]

---

[١] ن – بما يكون لهم، صح هـ.
[٢] م – ذلك.
[٣] ر م – محلهم.
[٤] جميع النسخ: المقربون.
[٥] ن: هونهم.
[٦] م: وفي حق.
[٧] ر ن م: كذا.
[٨] ر م: ويحتمل ذكر.
[٩] ر: والجنة.
[١٠] ر: أهل الجنة والجنة أصحاب النار النار؛ م: أهل الجنة الجنة وأهل النار النار.
[١١] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٩٢و.
[١٢] *مسند أحمد بن حنبل*، ٦/٦٤؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٨/٣٦؛ و*النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٨٦.
[١٣] *تفسير الطبري*، ٢٧/٢٧٥؛ و*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٢٨.

وعن الضحاك بفتح الراء.[1] وعليه[2] جميع القراء. وقال أبو عبيد: لولا كراهة خلاف الأمة وإلا ما قرأتها إلا بالضم ولكن لا أجد[3] أحدا عليها،[4] فاستوحش من مفارقة الناس، ولا يجمع الله تعالى أمة محمد صلى الله عليه وسلم على ضلالة.[5] وأما تأويله فعلى قراءة الرفع عن الحسن قال: الرُوح الرحمة، والريحان ريحاننا.[6] وعن أبي عبيدة[7] قال: بالرفع هو الحياة والبقاء.[8] وعن الضحاك بالفتح: الرَّوح الاستراحة والريحان الرزق.[9] وقال بعضهم: الرَّوح كناية عن دوام النعمة والسعة؛ يقال: فلان[10] في رَوْحٍ إذا كان في سعة ونعمة. والريحان كناية عن الشرف والمنزلة؛ يقال: فلان ريحانيّ وذلك لشرفه ومنزلته عنده. ومنهم من قال: الرّوح الراحة، والريحان الرزق في الجنة. وقال بعضهم: الرُّوح بالرفع من الرحمة وبالنصب من الراحة.[11] ونحن نقول: جائز أن يكونا جميعا -بالنصب والرفع- من الرحمة لقوله: لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ،[12] أي من رحمته. وقال في موضع آخر: وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ،[13] أي برحمة منه. يخبر[14] الله تعالى أن المقربين يكونون في الجنة في رحمة الله ونعمته. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلامٌ لك من أصحاب اليمين**، يحتمل ما وَصَفْنا أنّ أصحاب اليمين يسلّمون على النبي صلى الله عليه وسلم ويُحَيّي بعضهم بعضا بالسلام.

[1] *تفسير الطبري*، ٢٧/٢٧٥؛ *والمبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٢٨.
[2] ر م: عليه.
[3] ر ث م + عليها.
[4] ث – عليها.
[5] ر م: الضلالة. يروى حديثا مرفوعا: «لا تجتمع أمتي على الضلالة». انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٦/٣٩٦؛ وسنن *ابن ماجة*، الفتن ٨؛ وكشف *الخفاء* للعجلوني، ٢/٤٨٨.
[6] ث: ريحانيا. *الدر المنثور* للسيوطي، ٨/٣٧.
[7] ر ث: أبي عبيد؛ ن: ابن عبيد.
[8] *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢/٢٥٣.
[9] *تفسير الطبري*، ٢٧/٢٧٦؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٨/٣٧.
[10] ث + فلان.
[11] ر ث م: وبالنصب الراحة.
[12] سورة يوسف، ١٢/٨٧.
[13] سورة المجادلة، ٥٨/٢٢.
[14] ر م + أن.

ويحتمل **فسلام لك**، أي السلامة لك منهم من جميع الآفات والأذى. وذكر في حرف ابن مسعود رضي الله عنه: فسلام إنك من أصحاب اليمين. فهذا إن ثبت فهو يخرج على البشارة له عند الموت. *والله أعلم*. وقيل: يسلّم عليهم الملائكة. *والله أعلم*.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾[٩٥]

وقوله عز وجل: **إن هذا لهو حق اليقين**، يقول: هذا الذي ذكرنا للمقرَّبين ولأصحاب اليمين وللمكذِّبين[١] هو الحق اليقين، أي كائن لا محالة، لا شك فيه. مثلُ هذا يقال على التأكيد وتحقيقِ ما سبق ذكرُه ووصفُه.

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾[٩٦]

وقوله عز وجل: **فسبح باسم ربك العظيم**، يقول -والله أعلم-: فسبح ربك باسم[٢] لا يُسمَّى به غيره، أي نزِّهه عن جميع ما قالت الملحدة[٣] فيه من الولد والشريك وتسميةِ مَنْ دونه إلها وغيرِ ذلك. *والله الموفق للصواب وبه نستعين*.[٤]

---

[١] ث - وللمكذبين.

[٢] ن: باسم ربك.

[٣] م: الملاحدة.

[٤] ر ن ث - للصواب وبه نستعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الحديد[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[١]

قوله[2] عز وجل: **سبح لله ما في السماوات والأرض**، يجوز أن يقرأ: "سبَّح للهِ" و"سبَّحَ اللهَ"، كما يقال[3] في الكلام: شكر للهِ وشكر اللهَ، ونصح لِلهِ ونصح اللهَ.[4] ويجوز أن يكون معناهما في الظاهر مختلفًا ويتفق في الحقيقة والباطن، لأن التسبيح هو التخليص والتنزيه والتبرئة،[5] فمتى أضيف الفعل إلى الله تعالى ووقع عليه فيقال: "سبّح اللهَ"، فمعناه أنه نزّهه وبرّأه عن جميع معاني الخلق وخلّصه عن شبه المخلوقين. وإذا قيل: "سبّح للهِ" فقد وقع الفعل على الأشياء المخلوقة، أي خلَّص الأشياء كلها له وبرأها عن غيره. وإذا وَصَف[6] بأن كل الأشياء له وهو المالك لها وهم عبيده ومماليكه خاضعون أذلّاء [له][7] فقد وَصف بالغِنى ونَفَى الحاجة عنه وأنه متبرّئ عن الشَّبه بمماليكه ومخلوقاته. فهما جميعًا من هذا الوجه يُنظّمان معنى[8] واحدًا

---

[1] ر – سورة الحديد؛ ن + وهي مكية؛ ث + وهي تسع وعشرون آيات مكية؛ م: ذكر أن سورة الحديد وهي مكية.

[2] ر: وقوله.

[3] ن – كما يقال.

[4] ن ث: شكر الله وشكر لله ونصح الله ونصح لله؛ م: شكر الله وشكر لله ونصح الله ونصح.

[5] ن: والتنزيه.

[6] جميع النسخ: وإذا أضيف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٢ظ.

[7] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.

[8] ن + من هذا الوجه ينظمان معنى.

وإن كانا[1] في الظاهر[2] [مختلفين على سبيل ما قلنا في الإيمان والإسلام أنهما في الظاهر][3] مختلفان[4] وفي الباطن مؤتلفان. فإن[5] الإسلام هو أن يُجعَل كل شيء من الخلق لله تعالى خالصًا سالمًا له، والإيمان هو التصديق بالربوبية [له][6] في كل شيء. فمتى صدّق الله تعالى بالربوبية في الخلق والأمر فقد جعل الخلق[7] سالمًا له، ومتى[8] جعل سالمًا له فقد صدّقه في الربوبية، فقد اتفقا من حيث المعنى وإن اختلفا من حيث الظاهر، / فعلى ذلك هذا. *والله الموفق*. [٧٧٧و]

ثم يحتمل ما ذكر من التسبيح [له][9] هو تسبيح الخلقة، تشهد له[10] خلقة كل شيء بالوحدانية والألوهية، فهذا على خلقة الكافر والمؤمن جميعًا وغيرهما من المخلوقات. ويحتمل أن يكون أراد الممتحنين الذين في السماوات والأرض فيرجع[11] إلى تسبيح خاص، وهو تسبيح النطق واللسان عن اختيار. وجائز أن يرجع إلى كل ذي روح يجعل الله في سرية هذه الأشياء من التسبيح له ما يعلمه هو ولا يعلمه[12] غيره إلا بإعلام الله تعالى إياه ذلك. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وهو العزيز الحكيم**، يخرج على وجوه. أحدها، **العزيز**، هو الذي أفقرَ الخلق وأحوجهم إليه، **والحكيم**، هو المحكِم للأشياء المُتقِن لها،[13] أو **العزيز**،[14] القاهر الغالب، **الحكيم**، هو العالِم بالأشياء على حقيقتها، أو **العزيز** هو مالك[15] كلّ ملك، كقوله: مَالِكَ الْمُلْكِ،[16] **الحكيم** هو[17] الواضع كلّ شيء موضعه.

---

[1] ر م: وإن كان.
[2] ر ث م - في الظاهر.
[3] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٩٢ظ.
[4] ث: مختلفين.
[5] جميع النسخ: وإن. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.
[7] ر م: خلق.
[8] ر م: فمتى.
[9] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.
[10] جميع النسخ: يشهد له. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] جميع النسخ: ويرجع. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] ر م: لا يعلمه.
[13] ر م: المتفق به لها.
[14] ر م: والعزيز.
[15] جميع النسخ: المالك؛ ر ث + هو. والتصحيح من المرجع السابق.
[16] ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء﴾ (سورة آل عمران، ٣/٢٦).
[17] ر ن ث - هو.

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٢]

وقوله عز وجل: **له ملك السماوات والأرض**، جائز أن يكون [قوله]:[١] **له ملك السماوات والأرض**، تفسيرًا[٢] لقوله: ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ.[٣] وقوله عز وجل: **يحيي ويميت**، أي يملك أن يحيي هذا ويميت غيره، أو يحيي من شاء ويميت من شاء، ويملك إحياء من شاء وإماتة من شاء. **وهو على كل شيء**، من الإحياء والإماتة[٤] وغيرهما، **قدير**.

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **هو الأول والآخر والظاهر والباطن**. قالت الباطنية: **الأول**، معناه المبدَع الأول، **والآخر**، هو المبدَع الثاني، **والظاهر**، هو الناطق، وهو الرسول صلى الله عليه وسلم، **والباطن**، هو صاحب التأويل. يقولون: إن المبدَع الأول يُمِدّ[٥] للمبدَع الثاني المعونة، فيستعين بها المبدَع الثاني على خلق هذا العالم وإنشائهم، لأنهم يقولون: إن المبدَع الثاني هو الذي دبّر هذا العالم وأنشأهم[٦] بإعانة المبدَع الأول، والناطق هو الذي دبر الشرائع، والباطن -وهو صاحب التأويل- هو الذي يبيّن الشرائع التي دبّرها الناطق، وهو الرسول صلى الله عليه وسلم. ولا يصفون أن الله تعالى **هو الأول والآخر والظاهر والباطن**، ويقولون: لا يجوز أن يوصف بهذه الأشياء، لأن الأوّليّة ينفي الآخريّة، والظاهر ينفي الباطن، كل حرف[٧] من هذه الحروف يبطل الآخر في الشاهد.

وجوابنا أن ما قلتم من المبدَع الأول والثاني والناطق والباطن ليس بشيء له معنى على ما ذكرنا في موضعه.[٨] وأما عندنا فإن قوله: **هو الأول والآخر والظاهر والباطن**، هو حرف[٩] التوحيد: هو الأول بذاته والآخر بذاته والظاهر بذاته والباطن بذاته، قال هذا لئلا يعلم

---

[١] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٩٢ظ.
[٢] جميع النسخ: تفسير. والتصحيح من المرجع السابق.
[٣] من الآية السابقة.
[٤] ر: الإماتة.
[٥] ر م: ثم؛ ث: ثمر.
[٦] ن - لأنهم يقولون إن المبدع الثاني هو الذي دبر هذا العالم وأنشأهم.
[٧] م: حرف.
[٨] انظر: *تأويلات القرآن*، ٥/٣٧٠.
[٩] ر: حرفي.

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٢]

وقوله عز وجل: **له ملك السماوات والأرض**، جائز أن يكون [قوله]:[١] **له ملك السماوات والأرض**، تفسيرًا[٢] لقوله: ٱلْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.[٣] وقوله عز وجل: **يحيي ويميت**، أي يملك أن يحيي هذا ويميت غيره، أو يحيي من شاء ويميت من شاء، ويملك إحياء من شاء وإماتة من شاء. **وهو على كل شيء**، من الإحياء والإماتة[٤] وغيرهما، **قدير**.

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **هو الأول والآخر والظاهر والباطن**. قالت الباطنية: **الأول**، معناه المبدَع الأول، **والآخر**، هو المبدَع الثاني، **والظاهر**، هو الناطق، وهو الرسول صلى الله عليه وسلم، **والباطن**، هو صاحب التأويل. يقولون: إن المبدَع الأول يُمِدّ[٥] للمبدَع الثاني المعونة، فيستعين بها المبدَع الثاني على خلق هذا العالم وإنشائهم، لأنهم يقولون: إن المبدَع الثاني هو الذي دبّر هذا العالم وأنشأهم[٦] بإعانة المبدَع الأول، والناطق هو الذي دبر الشرائع، والباطن -وهو صاحب التأويل- هو الذي يبيّن الشرائع التي دبّرها الناطق، وهو الرسول صلى الله عليه وسلم. ولا يصفون أن الله تعالى **هو الأول والآخر والظاهر والباطن**، ويقولون: لا يجوز أن يوصف بهذه الأشياء، لأن الأوّليّة ينفي الآخريّة، والظاهر ينفي الباطن، كل حرف[٧] من هذه الحروف يبطل الآخر في الشاهد.

وجوابنا أن ما قلتم من المبدَع الأول والثاني والناطق والباطن ليس بشيء له معنى على ما ذكرنا في موضعه.[٨] وأما عندنا فإن قوله: **هو الأول والآخر والظاهر والباطن**، هو حرف[٩] التوحيد: هو الأول بذاته والآخر بذاته والظاهر بذاته والباطن بذاته، قال هذا لئلا يعلم

---

[١] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٩٢ظ.

[٢] جميع النسخ: تفسير. والتصحيح من المرجع السابق.

[٣] من الآية السابقة.

[٤] ر: الإماتة.

[٥] ر م: ثم؛ ث: ثمر.

[٦] ن - لأنهم يقولون إن المبدع الثاني هو الذي دبر هذا العالم وأنشأهم.

[٧] م: حرف.

[٨] انظر: *تأويلات القرآن*، ٥/٣٧٠.

[٩] ر: حرفي.

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٢]

وقوله عز وجل: **له ملك السماوات والأرض**، جائز أن يكون [قوله]:[١] **له ملك السماوات والأرض**، تفسيرًا[٢] لقوله: اَلْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.[٣] وقوله عز وجل: **يحيي ويميت**، أي يملك أن يحيي هذا ويميت غيره، أو يحيي من شاء ويميت من شاء، ويملك إحياء من شاء وإماتة من شاء. **وهو على كل شيء**، من الإحياء والإماتة[٤] وغيرهما، **قدير**.

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **هو الأول والآخر والظاهر والباطن**. قالت الباطنية: **الأول**، معناه المبدَع الأول، **والآخر**، هو المبدَع الثاني، **والظاهر**، هو الناطق، وهو الرسول صلى الله عليه وسلم، **والباطن**، هو صاحب التأويل. يقولون: إن المبدَع الأول يُمِدّ[٥] للمبدَع الثاني المعونة، فيستعين بها المبدَع الثاني على خلق هذا العالم وإنشائهم، لأنهم يقولون: إن المبدَع الثاني هو الذي دبّر هذا العالم وأنشأهم[٦] بإعانة المبدَع الأول، والناطق هو الذي دبر الشرائع، والباطن -وهو صاحب التأويل- هو الذي يبيّن الشرائع التي دبّرها الناطق، وهو الرسول صلى الله عليه وسلم. ولا يصفون أن الله تعالى **هو الأول والآخر والظاهر والباطن**، ويقولون: لا يجوز أن يوصف بهذه الأشياء، لأن الأوّليّة ينفي الآخريّة، والظاهر ينفي الباطن، كل حرف[٧] من هذه الحروف يبطل الآخر في الشاهد.

وجوابنا أن ما قلتم من المبدَع الأول والثاني والناطق والباطن ليس بشيء له معنى على ما ذكرنا في موضعه.[٨] وأما عندنا فإن قوله: **هو الأول والآخر والظاهر والباطن**، هو حرف[٩] التوحيد: هو الأول بذاته والآخر بذاته والظاهر بذاته والباطن بذاته، قال هذا لئلا يعلم

---

[١] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٩٢ظ.

[٢] جميع النسخ: تفسير. والتصحيح من المرجع السابق.

[٣] من الآية السابقة.

[٤] ر: الإماتة.

[٥] ر م: ثم؛ ث: ثمر.

[٦] ن - لأنهم يقولون إن المبدع الثاني هو الذي دبر هذا العالم وأنشأهم.

[٧] م: حزف.

[٨] انظر: *تأويلات القرآن*، ٥/٣٧٠.

[٩] ر: حرفي.

وقوله عز وجل: **وهو معكم أينما كنتم**، هذا الحرف يخرج على وجهين. أحدهما **وهو معكم**، أي عالم بكم وبأفعالكم ومحيط بكم وحافظ عليكم. والثاني **وهو معكم**، يتوجه المعنى فيه لاختلاف الأحوال، يقول: إن كنتم محبين له خاضعين مطيعين فهو معكم بالنصر[1] لكم والمعونة على أعدائكم، وإن كنتم معرضين عنه معاندين فهو معكم بالسلطان عليكم والانتقام منكم. ***والله أعلم***.

وقوله: **والله بما تعملون بصير**، وقال بعض أهل التأويل: أي علمه وسلطانه وقدرته معكم أينما كنتم. وأصله ما ذكرنا فيما تقدم أنه إذا ذُكر جل وعلا بلا ذكر الخلق معه ولا ضم أحد[2] إليه سواه يوصف بالأزل فيقال: لم يزل عالما قادرا خالقا، بلا ذكر وقت ولا حدّ ولا شيء من المكان وغيره. وإذا ذكر معه شيء من الخلق يذكر على ما عليه أحوال الخلق من الوقت والمكان وغير ذلك، ويكون ذكر الوقت والمكان[3] والأحوال للخلق دون الله تعالى فيقال: لم يزل عالما للخلق وقت كونهم، لم يزل خالقا للعالم وقت كونه حتى لا توهم قدم المخلوق. وعلى ذلك قوله تعالى: حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ،[4] الآية، وقوله تعالى: لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ،[5] وقوله: وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ،[6] وقوله: وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ،[7] الآية، وقوله تعالى: وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ،[8] ونحوه مما كثر[9] ذكره، كذلك على ما عليه أحوال الخلق فعلى هذا قوله: **وهو معكم أينما كنتم**. ***ولا قوة إلا بالله***.

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **له ملك السماوات والأرض**، الملك إنما ينسب [إلى ما ينسب][10] بحق نفاذ المشيئة والأمر والولاية. فجائز أن يكون قوله: **له ملك السماوات والأرض**، أي له نفاذ المشيئة وله الولاية في السماوات والأرض وعلى أهلهما وله السلطان عليهم. ***والله أعلم***.

---

[1] ن: بالبصر.
[2] م - أحد.
[3] ر م - وغير ذلك ويكون ذكر الوقت والمكان.
[4] سورة محمد، ٤٧/٣١.
[5] سورة المائدة، ٥/٩٤.
[6] سورة الحديد، ٥٧/٢٥.
[7] سورة البقرة، ٢/١٥٥.
[8] سورة العنكبوت، ٢٩/١١.
[9] ن ث: يكثر.
[10] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٩٣ظ.

وجائز أن يكون قوله: **له ملك السماوات والأرض**، أي له خزائن السماوات والأرض يعطي من يشاء ويَحرِم من يشاء. *والله أعلم*. وقوله[١] عز وجل: **وإلى الله ترجع الأمور**، أي إلى الله يرجع[٢] تدبير الأمور من إحداث وتكوين وإعطاء وبذل ومنع وحرمان ليس تدبير ذلك إلى الخلق. *والله أعلم*. وجائز أن يكون قوله: **وإلى الله ترجع الأمور**، أي إلى الله ترجع[٣] أمور[٤] الممتحَنين في الآخرة من الحساب والسؤال والثواب والعقاب وغير ذلك. *والله أعلم*.

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل**. إيلاج الشيء في الشيء[٥] إنما هو إدخاله فيه على إبقاء المدخل فيه، هذا هو المعروف. لكن ما ذكر هاهنا من إيلاج هذا في هذا وهذا في هذا[٦] أنْ جَعَل ما كان في حال الاستواء في حد الليل نهارا، وجعل ما كان في حال الاستواء في حد النهار ليلا على إتلاف[٧] كل واحد منهما بالآخر لا على الإبقاء. وفي ذلك[٨] وجوه من الدلالة.[٩] أحدها[١٠] يدل ذلك على أنه فعل واحد عليمٍ له تدبير لا فعلُ عددٍ لا تدبيرَ له،[١١] لأنه لو كان فعل عدد لكان لا يجري على سَنَن واحد[١٢] وتدبير واحد[١٣] منذ كان إلى أبد الآبدين، بل يقع في ذلك تمانع وتغالب يمنع كل واحد ما له مما لغيره ويَقْلِبه[١٤] عليه

---

[١] ر: قوله.
[٢] جميع النسخ: ترجع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٣ظ.
[٣] ن م + تدبير.
[٤] جميع النسخ: الأمور. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٣ظ؛ ن + من إحداث وتكوين وإعطاء وبذل ومنع وحرمان ليس تدبير ذلك إلى الخلق والله أعلم وجائز أن يكون قوله وإلى الله ترجع الأمور أي إلى الله ترجع تدبير الأمور؛ م + من المحدث.
[٥] ر م - في الشيء.
[٦] ر م - في هذا.
[٧] ر ث م: على إيلاف.
[٨] جميع النسخ + دلالة.
[٩] ر: من الدلالاة.
[١٠] ر ن: إحداها.
[١١] جميع النسخ: ولا تدبير له. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] ن - واحد.
[١٣] ث - وتدبير واحد.
[١٤] ر ن ث: ولغلبه؛ م: ويغلبه. والتصحيح من المرجع السابق.

ولا يوافقه في تدبيره على ما يكون من عادة الملوك على ما قال: لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا،[1] وقال: إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ.[2] *والله الموفق*. وفيه دلالة البعث، وهو[3] إتيان الليل بعد ذهاب أثر النهار وإتيان النهار بعد ذهاب أثر الليل ونحو ذلك على ما تقدم ذكره.

وقوله: **وهو عليم بذات الصدور**، قال[4] أهل التأويل: أي عليم بما في الصدور. وجائز أن يكون تأويله وهو عليم بما في صدور[5] أرباب الصدور وهم البشر الذين لهم الصدور والتدبير، لأن الصدور إنما يقال للذين لهم تدبير وتمييز وهم البشر. *والله أعلم*.

﴿آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [٧]

وقوله عز وجل: **آمنوا بالله ورسوله**، الإيمان بالله هو أن تجعله[6] رب كل شيء وأن له الخلق والأمرَ، والإيمان برسوله هو أن تصدقه في كل ما يخبر عن الله تعالى وفي كل قول وفعل وأنه صادق وأنه محق، وتعلمَ[7] أنه بأمر الله تعالى ونهيه يأمر وينهى ويفعل لا من ذات نفسه. هذا هو الإيمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم. وقوله عز وجل: **وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه**، يقول -والله أعلم- وأنفقوا من المال الذي جعلكم فيه خلفاء من تقدمكم لأن الناس يَخلُف بعضهم بعضا في هذه الأموال، كأنه يقول: أنفقوا من المال الذي جعلكم خلفاء من تقدمكم قبل أن يَخلُفكم مَن بعدَكم [وتأخَّركم، ولا تتركوا الإنفاق مما صرتم فيه خلفاء من تقدمكم][8] كما ترك الإنفاق من تقدمكم، إذ هي إنما أُنشئت للإنفاق / والانتفاع بها لا للترك كما هي. *والله أعلم*. [٧٧٨و]

---

[1] سورة الأنبياء، ٢١/٢٢.

[2] ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/٩١).

[3] ر م: هو.

[4] ر م: وقال.

[5] ر ث م: الصدور.

[6] جميع النسخ: أن يجعله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٣ظ.

[7] جميع النسخ: ويعلم. والتصحيح من المرجع السابق.

[8] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.

ثم أخبر تعالى بقوله: **فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير**، أن من كان آمن[١] به وأنفق فله أجر كبير. [ثم][٢] ما وعد[٣] لهم من الأجر على جهة الإنعام منه والإفضال دون الاستحقاق،[٤] إذ المال ماله وهم عبيده ولا يلزم للعبد أجر على سيده. *والله الموفق.*

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [٨]

وقوله[٥] عز وجل: **وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم**، في الظاهر[٦] متناقض لأنه يقول: **ما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم**، ولو كانوا لا يؤمنون بالله كيف يقرون بالله وبالرسول[٧] ويصدقونه أنه رسول الله[٨] إذ[٩] التصديق بالرسول تصديق بالمرسِل وهم لا يؤمنون بالله فكيف يصدقون الرسول؟ لكنه يخرج على وجهين. أحدهما أي ما لكم لا تؤمنون بالله أي بقدرة الله على بعثكم وإحيائكم بعد موتكم[١٠] [والرسول][١١] قد أتاكم ودعاكم وأتاكم بما يبين[١٢] لكم من قدرته وسلطانه على البعث فما لكم لا تؤمنون بقدرته؟ على هذا جائز أن يُخَرَّج، لأن أهل مكة كانوا أصنافا، منهم من يذهب مذهب الدهر، ومنهم من يذهب مذهب الشرك، ومنهم من يقر بالتوحيد وينكر البعث. *والله أعلم.*

والثاني يقول أيُّ عذر لكم في ترك الإيمان بالله تعالى والرسولُ دعاكم وقد أتاكم من الآيات والحجج ما يدفع عنكم العذر ويزيح عنكم الشُّبَه، فأي عذر لكم من ترككم الإيمان به، فما لكم لا تؤمنون؟[١٣]

---

[١] ر ن م: أمر.
[٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٩٣ظ.
[٣] ر م: أوعد.
[٤] ن: الاستيجاب.
[٥] ر: قوله.
[٦] ر م: في ظاهر.
[٧] ن:يقرون بالرسول؛ م: والرسول.
[٨] ن ت – الله.
[٩] ر: إذا.
[١٠] ر م: موتها.
[١١] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٩٤و.
[١٢] ر ث: وإياكم بما تبين؛ ن: وآباكم.
[١٣] ن: عما لكم لا لا يؤمنون.

وقوله عز وجل: **وقد أخذ ميثاقكم،** قد ذكرنا فيما تقدم أن أخذ الميثاق من الله تعالى يخرج على وجوه. أحدها[1] على ألسن الرسل عليهم السلام كقوله تعالى: وَقَالَ اللهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي،[2] إلى آخر ما ذكر وغير ذلك من أمثاله.

والثاني أَخْذُ الميثاق[3] ما جعل في خلقة[4] كل أحد من شهادة الوحدانية له.[5]

والثالث عَهِد إليهم[6] حيث ركّب فيهم العقول والأفهام وجعلهم بحيث يميزون ما لهم مما[7] عليهم وبما[8] لا يحتمل إهمال مثلهم وتركهم سدى.

ويحتمل ما ذكر بعض أهل التأويل من إخراجهم من صلب آدم عليه السلام. والوجوه الأول أقرب.

وجائز أن يكون قوله: **وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم،** في أهل[9] الكتاب الذين كانوا مؤمنين بالله ورسوله محمد عليه الصلاة والسلام[10] قبل أن يبعث فلما بعث كفروا به، يقول -والله أعلم-: ما لكم لا تؤمنون بالله[11] والرسول الذي كنتم مؤمنين به وقد أخذ ميثاقكم يدعوكم لتؤمنوا[12] بربكم؟[13] ***والله أعلم.***

ويحتمل أن يكون الآية في أهل النفاق[14] الذين كانوا يظهرون الإيمان به ولا يحققونه، يقول: ما لكم لا تحققون[15] الإيمان بالله والرسولُ يدعوكم لتحققوا[16] الإيمان بربكم، وهو كقوله تعالى:

---

[1] ن: أحدهما.
[2] سورة المائدة، ١٢/٥.
[3] ث + أخذ الميثاق.
[4] ن: في خلقه.
[5] ن - له.
[6] ر: إليكم.
[7] رم: فما.
[8] جميع النسخ: فيما. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٤و.
[9] ر ث م: من أهل.
[10] ر ث م: من أهل.
[11] ث - ورسوله محمد عليه الصلاة والسلام قبل أن يبعث فلما بعث كفروا به يقول والله أعلم ما لكم لا تؤمنون بالله.
[12] جميع النسخ: ليؤمنوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] ر ث م - وقد أخذ ميثاقكم يدعوكم ليؤمنوا بربكم.
[14] ث: في المنافقين.
[15] ن: لا يحققون.
[16] ن: ليحققوا.

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ،[١] أي لا عذر لكم في الكفر بالله ورسوله وترك الإيمان بهما، فعلى ذلك الأول. *والله أعلم.*

وقوله تعالى: **إن كنتم مؤمنين،** يحتمل: **إن كنتم مؤمنين**[٢] بالآيات والحجج، أو يذكر هذا لا على الشرط بل على التأكيد، كقوله تعالى: وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ،[٣] لأنهن إذا كن أذعنّ[٤] الإيمان لم يَحلَّ لهن أيضا كتمان ما في أرحامهن.

﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [٩]

وقوله عز وجل: **هو الذي ينزل على عبده آيات بينات،** الآيات في الحقيقة هي الأعلام، لكن فسرت الآيات بالحجج لأن الآيات حجج من عند الله تعالى جاءت، لا أنها مفتَعَلات[٥] من الخلق. وقوله:[٦] **بيناتٍ،** أي[٧] واضحات أنها من عند الله جاءت لا من عند[٨] الخلق، أو **بينات** أمره ونهيه وما لهم وما عليهم وما يؤتَى وما يُتَّقَى.

وقوله عز وجل: **ليخرجكم من الظلمات إلى النور،** ما أضيف إلى[٩] الله تعالى من الإخراج فهو على وجهين. أحدهما على حقيقة الإخراج وهو أن يوفق لهم على الإيمان ويُعطيَهم المعونة والعصمة، فيَخرجون مما ذكر من الكفر إلى الإيمان. والثاني يخرج على الأمر به والدعاء إلى الإيمان ليس على حقيقة الإخراج وهو كقوله: **ليخرجكم من الظلمات إلى النور،** في هذه الآية. ونظير[١٠] حقيقة الإخراج قوله: اَللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ،[١١]

---

[١] سورة آل عمران، ٣/١٠١.
[٢] ر ث م – يحتمل إن كنتم مؤمنين.
[٣] سورة البقرة، ٢/٢٢٨.
[٤] ن ث: إذا غير.
[٥] ر م: معتقلات.
[٦] ن: قوله.
[٧] ر م + أي.
[٨] ن + الله.
[٩] م: من.
[١٠] م: ونظيره.
[١١] سورة البقرة، ٢/٢٥٧.

وعلى هذا يخرج إضافة الهداية إلى الله تعالى على التوفيق وإنشاء فعل الهداية منهم. والثاني على الدعاء والبيان. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وإن الله بكم لرءوف رحيم**، جائز أن يكون معناه وإن الله بمن خرج من الظلمات إلى النور لرءوف رحيم، وهو يرجع إلى المؤمنين خاصة. وجائز[1] أيضا أن[2] يوصف بالرحمة[3] والرأفة على الكل أي: **بكم لرءوف رحيم**، بما أرسل إليكم الرسول وأنزل عليكم الكتاب وإن كان في أنفسكم وعقولكم كفايةٌ على معرفة وحدانية الله تعالى وربوبيته بدون إنزال الكتاب وإرسال الرسول، لكن بفضله ورحمته أرسل الرسل وأنزل الكتب ليكون ذلك[4] أدعى لهم وأوصل إلى إدراك ما دُعوا إليه وأقربَ في دفع الشبه والعذر. *والله أعلم*.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلِلهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[١٠]

وقوله[5] عز وجل: **وما لكم أن لا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السماوات والأرض**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما[6] ما قال أهل التأويل: إن الخلق يَفنَون كلهم ويبقى الله تعالى، كقوله تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا،[7] فعلى هذا قوله: **وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله**، / أي ما لكم لا تنفقون[8] في سبيل الله قبل أن يزول ملككم وصار ميراثا لله تعالى. وجائز أن يكون قوله: **ولله ميراث السماوات والأرض**، إضافة وِراثة بعضهم من بعض إليه لما أنهم عبيده وإماؤه ومال العبد يكون لسيده، فيصير كأنه يقول: ما لكم ألا تنفقوا لأنفسكم وما يرجع[9] إلى منافعكم قبل أن يصير ذلك ميراثا لغيركم. *والله أعلم*.

[٧٧٨ظ]

---

[1] ن + أن يكون.
[2] ر م – أن.
[3] ن + والرحمة.
[4] ث – ذلك.
[5] ر: قوله.
[6] ن – أحدهما.
[7] سورة مريم، ٤٠/١٩.
[8] جميع النسخ: لا تنفقوا.
[9] ن ث: يرفع.

وقوله عز وجل: **لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك**[١] **أعظم درجة**، الآية، قال بعضهم: **لا يستوي منكم من أنفق**، أي لا يستوي منكم من آمن قبل الفتح، لأن قبل الفتح[٢] كان على من آمن خوف الهلاك وأنواعُ العقوبات لأن الغلبة في ذلك الوقت كان لأهل الكفر، لذلك لم يستو من آمن منهم قبل الفتح ومن آمن منهم بعد الفتح. وعلى ذلك يخرج ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لو وُزن إيمان أبي بكر بإيمانهم لرَجَحَ».[٣] لأن إيمانه رضي الله عنه في وقت الخوف على متبعي[٤] الإسلام، أو لما يكون بإيمانه إيمان نفر كثير لأنه كان رئيسهم. وكذلك الإنفاق في ذلك الوقت أفضل وأعظم لما في الإنفاق في ذلك الوقت معونة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن تابعه، أو لما أن الإنفاق من بعد الفتح يقع به طمع الوصول إلى المنافع والأبدال من الصدقات والمغانم، وقبل الفتح لم يكن ذلك المعنى فهو كله خالص بلا بدل[٥] ولا طمع كان منه.[٦] ***والله أعلم***.[٧]

وقيل: لا يستوي من هاجر و[من][٨] لم يهاجر ولا هجرة بعد فتح مكة وكذلك[٩] روي عنه صلى الله عليه وسلم:[١٠] «لا هجرة بعد اليوم ولكن جهادٌ ونية».[١١]

وقوله عز وجل: **وكلا وعد الله الحسنى**، أي وعد الله لِكِلَي[١٢] الفريقين: من أنفق[١٣] قبل الفتح وبعده الجنة والثواب الحسن. وقال[١٤] بعض أهل التأويل: هذه الآية نزلت[١٥] في فتح الحديبية.

---

[١] ن + أولئك.
[٢] م - لأن قبل الفتح.
[٣] *الكامل* لابن عدي، ٥/٣٣٥. ورواه البيهقي في *الشعب الإيمان* عن عمر من قوله، ١/٦٩؛ وانظر: *كشف الخفاء* للعجلوني، ٢/٢٣٤.
[٤] ر م: سعي.
[٥] ن: بذل.
[٦] ر م: كان معه.
[٧] ث + وقوله عز وجل.
[٨] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٩٤ظ.
[٩] ر م: فلذلك؛ ن ث: فذلك. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ن + من.
[١١] صحيح *البخاري*، الجهاد ٢٧؛ وصحيح *مسلم*، الحج ٤٤٥.
[١٢] ث م: لكلا.
[١٣] ن + من أنفق.
[١٤] ن ث: قال.
[١٥] ن: أنزلت.

فقيل: يا رسول الله فتح هو؟ قال: «نعم فتحٌ عظيم».[1] وعن قتادة: هو فتح مكة.[2] *والله أعلم*.
وقوله عز وجل: **والله بما تعملون خبير**، فيه ترغيب وترهيب فيما يرغب فيه ويرهب عنه.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم**. قد ذكرنا فيما تقدم أنه جل وعلا عامل عباده بكرمه وجوده معاملة من لا حق له ولا ملك في أنفسهم وأموالهم، لا معاملة من [له][3] حقيقة أملاكهم وأموالهم وأنفسهم:[4] من نحو ما ذكر من الإقراض له،[5] وما ذكر من شرائه أنفسهم وأموالهم[6] منهم بأن لهم الجنة[7] وما ذكر لأعمالهم من الأجر؛ وهم عبيده وأعمالهم التي يعملون[8] لأنفسهم كأنهم عاملون له، وما يمسكون لأنفسهم ويدخرونها في وقت الحاجة لهم سماه قرضا، وما يكتسبون به الحياة[9] الدائمة والنعم الباقية فهم المنتفعون بها. ولا أحد في الشاهد يستقرض مال نفسه من آخر ببدل[10] ثم يعطي له الأجر على ذلك. هذا كله خارج عن عادة[11] الخلق وطبعهم وصنيعهم[12] بعضهم مع بعض. لكن عاملهم بما يليق بكرمه[13] وجوده ووعد لهم[14] بما أمسكوا لأنفسهم أضعافا مضاعفة. ثم جائز تسمية ما يمسكون لوقت حاجتهم قرضا لئلا يَمُنُّوا على الفقراء وأهل الحاجة بما أعطوهم منةً،[15]

---

[1] سنن *أبي داود*، الجهاد ١٤٤.
[2] تفسير *الطبري*، ٢٢/٣٩٣.
[3] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٩٤ظ.
[4] جميع النسخ + له.
[5] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٤٥).
[6] م – وأموالهم.
[7] يشير إلى قوله: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ...﴾ (سورة التوبة، ٩/١١١).
[8] ن – يعملون.
[9] جميع النسخ: للحياة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٤ظ.
[10] ر ث م: يبذل؛ ن: يبدل.
[11] ن: عبادة.
[12] ن: وصنعهم.
[13] ث: كرمه.
[14] جميع النسخ: وعد لهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[15] ر ن م: منه.

لما عرف جل وعلا من طبعهم الامتنانَ عليهم أو لما يدفع[١] عنهم مؤنة حفظ ذلك إلى وقت حاجتهم إليه[٢] من السَّرِقة والغصب[٣] وغير ذلك من أنواع ما يخاف التلفُ منها. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وله أجر كريم**، قال أهل التأويل: أي أجر حسن. *والله أعلم*. وجائز تسميته كريما لما أن من ناله يصير كريما أو لما يؤمَّل ويرجى أن يكون لهم ذلك.[٤] والكريم في الشاهد هو الذي يرجى منه كل خير ويؤمل. *والله أعلم*.

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم**، جائز أن يكون قوله: **يسعى نورهم**، أي كتبهم التي يُعطَون في الآخرة،[٥] فإنه يُعطَى كتاب المقربين والسابقين من أمامهم وقُدّامهم، وكتاب سائر المؤمنين من أيمانهم، وكتاب أهل الشرك[٦] من وراء ظهورهم؛ يؤيده حرف حفصة رضي الله عنها: نورهم يسعى بين أيديهم وفي أيمانهم، كقوله: فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ،[٧] الآية. وجائز أن يكون نور إيمانهم ودينهم[٨] الذي كانوا عليه[٩] في الدنيا. وجائز أن يكون نورهم الذي ذكر كناية عن الطريق الذي يسلكون فيه: السابقون يرون ما أمامهم وسائر المؤمنين عن أيمانهم على ما سلكوا في الدنيا، وأهل الشرك بشمالهم وأهل النفاق من ورائهم. وجائز أن يكون قوله: **بأيمانهم**، كناية عن اليمن[١٠] والبركة فإن بالأيمان[١١] ينال اليمنَ[١٢] والبركات فسماها بذلك. ويحتمل ما ذكر أهل التأويل أنه يُرفع لهم نور فيمشون بذلك.

---

[١] وفي *الشرح*: يرفع، نفس الورقة.
[٢] ر ث م - إليه.
[٣] ر: والغضب.
[٤] ن - ذلك.
[٥] ث + فإنها.
[٦] ر م: المشركين.
[٧] سورة الحاقة، ١٩/٦٩؛ وسورة الانشقاق، ٧/٨٤.
[٨] ث: دينهم.
[٩] ر م: عليهم.
[١٠] ر ث م: عن اليمين؛ م: عن اليمن اليمن به. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٥و.
[١١] ر: الأيمان.
[١٢] ن: اليمين.

وقوله: **بشراكم اليوم جناتٌ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها**، إنما يقال ذلك قبل[1] دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، وهذا يدل أن النور المذكور لهم يكون[2] قبل دخول أهل الجنة الجنة[3] وأهل النار النار. وقوله: **ذلك هو الفوز العظيم**، لأنه لا هلاك بعده ولا تَبِعَة ولا انقطاع[4] لذلك.

[٧٧٩و] ثم قوله: **يوم ترى المؤمنين والمؤمنات**، ليس أن يراه هو خاصة / لا يرى غيره ذلك ولكن يرى ذلك جميع المؤمنين، فيبطل به قول من جعل التنصيص على الشيء دالا على التخصيص ونفي غيره. وعن قتادة أنه قال: ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن من المؤمنين من يُضيء نورُه من المدينة إلى عَدَنَ وإلى صنعاءَ فدون ذلك حتى إن من[5] المؤمن[ين] من لا يضيء نوره إلا موضع قدميه، وللمؤمنين منازل لأعمالهم».[6]

وروي في بعض الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ[7] ما أفرطوا من أولادهم».[8]

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم**، منهم من قرأ: **للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم**، موصولة[9] ومنهم من قرأ مقطوعةً مِن أنظرتُ.[10]

---

[1] ر – قبل؛ م: عند.
[2] ر + يكون.
[3] ر م – الجنة.
[4] ر م + ذلك.
[5] ن ث – من.
[6] *تفسير عبد الرزاق*، ٢/٥٧؛ و*تفسير الطبري*، ٢٧/٢٨٩؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١٤/٢٦٧.
[7] سورة التحريم، ٦٦/٨.
[8] أفرط فلانٌ ولدا: إذا مات له ولد صغير قبل أن يبلغ الحلم (*لسان العرب*، «فرط»).
[9] ر م – موصولة.
[10] قرأ حمزة وحده: ﴿للذين آمنوا أَنظِرونا﴾ بقطع الألف وكسر الظاء، وقرأ الباقون: ﴿للذين آمنُوا انْظُرونا﴾ بوصل الألف وضم الظاء (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٢٩؛ و*النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٨٧).

قال أبو عبيد:[١] فالاتصال[٢] أحب إلينا لأن تأويلها –والله أعلم–: انتظرونا، يقال منه: نظرت فلانا أَنْظُره. وأما القراءة الأخرى فإنها من التأخير يقال منه: أنظرت فلانا أُنْظِره إذا أخرته ولا أعرف للتأخير هاهنا موضعا. وقال أبو عَوْسَجَة: أنظرته ونظرته: أي انتظرتُه،[٣] يقال منه: نَظَره[٤] نَظِرةً.[٥] ثم الآية دلت على أن أهل النفاق يكونون ببعد من المؤمنين وأن لا ينتفعون[٦] بنور المؤمنين ولكن يرون ذلك النور[٧] من بُعْد حيث قالوا: **انظرونا نقتبس من نوركم**، ولو كانوا[٨] بقربٍ[٩] منهم أو ينتفعون بنورهم لكانوا لا يطلبون منهم الانتظار لهم[١٠] والاقتباس من نورهم. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا**. من الناس من يقول إن هذا هو الاستهزاء الذي ذكر في آية أخرى أنه يستهزئ بهم حيث قال: ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ،[١١] وقوله:[١٢] **ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا**، هو ذلك الاستهزاء. وقلنا نحن في قوله: **الله يستهزئ بهم**، أي يجزيهم جزاء استهزائهم الذين استهزءوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين. وجائز أن يكون قوله: **ارجعوا وراءكم**، ليس على الأمر بالرجوع من وراءَ والتماس النور ولكن على التوبيخ والتعيير، أي النور إنما يطلب من وراء هذا اليوم، أي من قبل هذا اليوم، لا يطلب فيه. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فضرب بينهم بسُور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قِبَلِه العذابُ**، الآية،[١٣] جائز أن يكون السور الذي ذُكِرَ[١٤] ضُرب بينهم ما ذكر في سورة الأعراف حيث قال:

---

[١] جميع النسخ: أبو عبيدة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٥و.
[٢] ن: فالإيصال.
[٣] جميع النسخ: أنظرته. والتصحيح من المرجع السابق.
[٤] جميع النسخ: نظر. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ن: فطره.
[٦] ن ث: وأن لا ينتفعوا.
[٧] ر ث م: اليوم.
[٨] م: كان.
[٩] ر ن: يقرب.
[١٠] ث – لهم.
[١١] سورة البقرة، ١٥/٢.
[١٢] جميع النسخ: بقوله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٥و.
[١٣] ن – الآية.
[١٤] ر ث + الذي؛ ن + أنه.

وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ،[1] السور هو الأعراف التي ذَكَر أنها تكون حجابا[2] بين أهل النار وأهل الجنة يرفع ذلك السور بينهم لئلا ينتفعوا بنور المؤمنين.

وقوله: **له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره مِن قِبَلِه العذابُ**، جائز أن يكون قوله: **له باب**، ليس على حقيقة الباب ولكن الباب كناية عن الطريق والسبيل. يقول: هو طريق وسبيلُ مَن يأخذ ذلك السبيل أفضاه إلى الرحمة ومن سلك ظاهره أفضاه إلى العذاب. وجائز أن يفتح من النار إلى الجنة باب فيرون ما حل بهم من العذاب ويرى[3] أهل النار أهل الجنة على ما هم[4] عليه من النعيم ليزداد لهم حسرة وندامةً. أو يكون اطّلاعا لا من باب ولكن من السور والأعراف الذي ذكر وهو ما قال: فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ،[5] والاطلاع في الظاهر إنما يكون من مكان عليّ[6] مرتفع إلى موضع منحدر. *والله أعلم*.

﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللهِ وَغَرَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **ينادونهم ألم نكن معكم**، أي ينادي أهل النفاق المؤمنين **ألم نكن معكم قالوا بلى**، جائز أن يكون هذا[7] القول منهم **ألم نكن معكم**، تغريرا[8] منهم للمسلمين يومئذ كما كانوا يغرّونهم[9] في الدنيا. وهو ما أخبر عنهم أنهم[10] يكْذبون في الآخرة كما كانوا في الدنيا حيث قال: يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ،[11] ثم أخبر أنهم هم الكاذبون في حَلِفهم. فعلى ذلك جائز أن يكون قولهم: **ألم نكن معكم**، يخرج على تغريرهم إياهم.

---

[1] سورة الأعراف، ٤٦/٧.
[2] جميع النسخ: حجاب.
[3] جميع النسخ: ويرون.
[4] ر م: على ما هو.
[5] سورة الصافات، ٥٥/٣٧.
[6] م: أعلي.
[7] ن – هذا.
[8] ر: تقرير؛ ن ث م: تغرير. والتصحيح من *الشرح*، ورقة، ١٩٥ظ.
[9] ن: يغروبهم.
[10] ر م – أنهم.
[11] ﴿يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون﴾ (سورة المجادلة، ١٨/٥٨).

ثم الإشكال والكلام قول المؤمنين: **بلى**، وقد علموا أنهم لم يكونوا معهم فكيف **قالوا بلى**؟ فنقول: جائز أن يكون جوابهم خرج لأولئك على ما عرفوا من خطابهم ومرادهم فأجابوا هم[١] على ذلك. أو أن يكون[٢] قولهم: **بلى**، أي[٣] كنتم تقولون[٤] بأنا معكم ولكن لم تكونوا[٥] معنا. أو يخرج جوابهم على ظاهر ما يرون من أنفسهم الموافقة دون الحقيقة.

وقوله عز وجل: **ولكنكم فتنتم أنفسكم**، يخرج على وجوه. أحدها امتحنتم أنفسكم في الرجوع إلى من جعل لكم المنافع. أي امتحنتم أنفسكم فجعلتموها حيث كانت المنافع أو حيث كانت العاقبة[٦] كقوله تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ،[٧] أي شدة. وقال القُتَبِي: **فتنتم أنفسكم**، أي آثمْتُموها.[٨]

وقوله: **وتربصتم**، يخرج على وجهين. يحتمل: **تربصتم**، [عواقب الأمور وصرتم إلى ما صار عواقب الأمور. والثاني تربصتم][٩] برسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سيموت عن قريب، أو أنه يرجع عن الإسلام إلى دين أولئك الكفرة. وقوله: **وارتبتم**، أي شككتم وإن قام[١٠] لكم ما يدفع الارتياب والشك عنكم[١١] والشبه. وقوله[١٢] عز وجل: **وغرتكم الأماني**، يحتمل الأماني[١٣] وجهين. أحدهما ما ذكرنا من اتباعهم المنافع التي كانوا يتوقعونها فكيف ما كان يتبعون غرضهم[١٤] في ذلك. والثاني ما تمنت / أنفسهم من موت رسول الله صلى الله عليه وسلم [٧٧٩ظ]

---

[١] ن م: فأجابوهم.
[٢] ن: أو أن تكون.
[٣] ر م: ان.
[٤] ر: يقولون.
[٥] ر ث م: لم يكونوا.
[٦] ث + المنافع و.
[٧] سورة الحج، ١١/٢٢.
[٨] ر ث: أثيتموها؛ ن م: آثنتموها. وفي *الشرح*: أثَّمتموها، ورقة ١٩٥ظ. *تأويل مشكل القرآن* لابن قتيبة، ٤٧٣.
[٩] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٩٥ظ.
[١٠] ر م: وإن أقام.
[١١] ن: عنهم.
[١٢] ر: قوله.
[١٣] ن – يحتمل الأماني.
[١٤] ن ث: عرضهم.

وهلاكه أو عَوده إلى دينهم. وقوله: **حتى جاء أمر الله**، أي الأمر باهلاك أو يوم القيامة. وقوله:[1] **وغرّكم بالله الغَرور**، أي غركم عن دين الله الشيطانُ.

﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا**، قرئ بالياء والتاء[2] وأكثرهم على الياء،[3] ومعناهما[4] واحد. أي لا يكون لهم فدية يومئذ، ليس أنْ[5] يكونُ لهم فدية ولا يؤخذ. أو أن يقول على التمثيل: أي لو كان لهم فدية لكان لا يقبل[6] منهم. يخبر أن أمر الآخرة على خلاف ما يكون في الدنيا، إذ في الدنيا ربما يُحتال لدفع البلاء بالفِداء مرة وبالشفعاء[7] ثانيا. وقوله عز وجل: **مأواكم النار**، أي تأوون[8] إليها. وقوله:[9] **هي مولاكم**، أي أولى بكم وأحق.[10] وقوله:[11] **وبئس المصير**، أي بئس ما يصيرون إليه.[12]

ثم في الآية دلالة نقض قول المعتزلة في تخليد أصحاب[13] الكبائر في النار، لأنه تعالى جعل الناس على ثلاث فرق وأنزلهم منازلَ ثلاثةٍ: المنافقين، والكافرين كُفرَ تصريحٍ،[14] والمؤمنين؛ وجعل النار لأهل الكفر وأهل النفاق و لم يجعلها لغيرهما. وصاحب الكبيرة ليس هو بمنافق ولا كافر عندهم. وكذلك ما قَسَم الله تعالى الناس أقساما ثلاثة: السابقين وأصحاب اليمين وأصحابَ الشمال؛

---

[1] ر: قوله.

[2] ن: بالتاء والياء.

[3] «قرأ أبو جعفر وابن عامر ويعقوب ﴿لا تُؤخَذُ منكم فدية﴾ بالتاء على التأنيث، وقرأ الباقون ﴿لا يُؤخَذُ منكم فدية﴾ بالياء على التذكير» (*النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٨٧).

[4] ر م: معناهما.

[5] ر م: أنه.

[6] ر ث م: لا تقبل.

[7] ر م: وبالشفاء.

[8] ر ن م: يأوون.

[9] ر: قوله.

[10] ر م: وأحقه.

[11] ن: وهو.

[12] جميع النسخ: إليها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٥ظ.

[13] ن + أصحاب.

[14] ث: صريح.

وأصحاب الشمال[1] هم المكذبون وأصحاب الكبائر ليسوا بمكذبين عندهم، وهو ما جعل النار إلا للمكذبين. ألا ترى أنه قال في آخره: فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ [أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ] الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ.[2] جعل الجنة للمقربين وأصحاب اليمين، والنار للمكذبين خاصة لم يجعلها لغيرهم، فمن جعلها لغيرهم فهو مخالف لظاهر هذه الآيات التي ذكرنا. *والله أعلم.*

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **ألم يأنِ للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق،** [قوله:][3] **وما نزل،** قرئ مخففا ومثقلا،[4] فمن شدد شدد لما سبق من ذكر الله تعالى ومن خفف جعل الفعل للحق. ثم الآية تحتمل[5] وجوها. أحدها ما قال بعض أهل التأويل: إنها نزلت في المنافقين الذين[6] أظهروا الإيمان وأضمروا الكفر: **ألم يأن،** أي قد أنَى للذين آمنوا ظاهرا وأظهروا الموافقة للمؤمنين، **أن تخشع قلوبهم لذكر الله،** أي إذا ذُكر الله، **وما نزل من الحق،** أي القرآن إذا تتلى عليهم،[7] أي تَرِق[8] قلوبهم وتؤمن[9] به، لأنهم كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم الدوائر[10] ويطمعون هلاكه.[11] آمن الله تعالى المؤمنين من ذلك الخوف[12]

---

[1] ر ن م - وأصحاب الشمال.

[2] سورة الواقعة، ٥٦/٨٨-٩٤.

[3] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٩٦و.

[4] م: مثقلا. «قرأ نافع وحفص ﴿وما نَزَل﴾ خفيفة الزاي، وقرأ الباقون ﴿وما نَزَّل﴾ مشددة الزاي» (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٣٠).

[5] جميع النسخ: يحتمل.

[6] ن: الذي.

[7] ن: عليه.

[8] جميع النسخ: يرق.

[9] ن ث: ويؤمن.

[10] ر م: والدوائر.

[11] ث: الهلاك.

[12] ر م: والخوف.

وأيأس[1] أولئك عما تربصوا فيه من نزول الدوائر فقال: **ألم يأن للذين آمنوا**، ظاهرا **أن تخشع قلوبهم لذكر الله**، والقرآن وترِق لذلك وتؤمن به.[2] ***والله أعلم***. ثم[3] قوله[4] عز وجل: **ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم**، على[5] هذا التأويل، أي لا تكونوا كأولئك الذين[6] تمادَوا في الضلال وقساوة القلوب لِما طال عليهم الوقت وتركوا النظر في الكتب.

و[الثاني] يحتمل أن تكون[7] الآية في أهل الكتاب الذين كانوا مؤمنين برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث فيقول:[8] **ألم يأن للذين آمنوا**، به من قبل أن يبعث، **أن تخشع قلوبهم لذكر الله**،[9] أي كتابِهم **وما نزل من الحق**، وهو القرآن أن يؤمنوا به كما كانوا آمنوا به لِما وجدوا نعته في كتابهم. ثم قوله عز وجل: **ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل**، الآية، أي لا تكونوا كالذين كانوا من قبلكم من أهل الكتاب **فطال عليهم الأمد**، أي[10] طال عليهم أن ينظروا في كتبهم، **فقست قلوبهم**، بطول ترك نظرهم فيها. ***والله أعلم***.

و[الثالث] يحتمل أن تكون[11] الآية في المؤمنين الذين حققوا الإيمان بالله ورسوله،[12] وهو يخرج على وجهين. أحدهما **ألم يأن**، أي قد أَنَى **للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم**، عند ذكر الله بالنظر والتأمل[13] في ذلك فيحملهم ذلك على خشوع قلوبهم، كقوله: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا،[14] جعل وصف المؤمنين

---

[1] جميع النسخ: وآيس. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٦و.
[2] ث: ويؤمن به.
[3] ن – ثم.
[4] ن: وقوله.
[5] ر – على.
[6] ن: لا تكونوا كالذين.
[7] جميع النسخ: أن يكون.
[8] ن: ويقول.
[9] ر ث م – لذكر الله.
[10] ر ث م: إن.
[11] جميع النسخ: أن يكون.
[12] ن ث: وبرسوله.
[13] ر: والتأويل.
[14] سورة الأنفال، ٢/٨.

أن تَوجَل[1] قلوبهم عند ذكر الله تعالى ويزداد لهم الإيمان واليقين للنظر فيه والتفكر وفهم ما فيه. *والله أعلم*. والثاني[2] **ألم يأن**، أي قد أنى **للذين آمنوا أن**، تَقَطَّعَ[3] شهواتهم وأمانيُّهم في الدنيا وتخشع قلوبهم لذكر الله، **ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب**، أي لا تَغفُلوا عن كتاب الله وذكره ولا تتركوا النظر فيه والتفكر [كالذين أوتوا الكتاب من قبل فتركوا النظر فيه والتفكر][4] فغفلوا عما فيه، **فقست قلوبهم**، فلا تكونوا أنتم كَهُمْ فتقسُو[5] قلوبكم كما قست قلوبهم.[6]

وقوله عز وجل: **وكثير منهم فاسقون**، أي كثير من أولئك الذين أوتوا الكتاب فاسقون لتركهم النظر في الكتاب. وجائز أن يكون[7] **وكثير منهم فاسقون**، أي المعاندون والقليل منهم المقلدون، وهو كقوله: وَأَكْثَرُهُمْ [لِلْحَقِّ] كَارِهُونَ،[8] أي معاندون وهم الرؤساء والقادة الذين كابروا رسل الله وعاندوهم إلا قليلاً[9] منهم اتبعوهم وقلدوهم.

﴿اِعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها**، ذكر هذا ليس على أنهم لم يكونوا علموا أن الله هو يحيي الأرض بعد موتها بل كانوا عالمين بذلك، لكنه ذكر كما ذكر لرسول الله / صلى الله عليه وسلم حيث قال: فَاعْلَمْ[10] أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ،[11] أي أَشْعِرْ قلبك [٧٨٠و] في كل وقت وساعة الربوبية لله عز وجل والوحدانية له. فعلى ذلك[12] يحتمل قوله: **اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها**، أي أشعروا قلوبكم في كل وقت جَعْلَ الألوهية والربوبية لله تعالى

---

[1] جميع النسخ: أن يوجل.
[2] ن ث + يقول.
[3] جميع النسخ: أن يقطع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٦و.
[4] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.
[5] ر م: فتقسوا.
[6] ن - كما قست قلوبهم، صح هـ.
[7] ر ث م - أن يكون.
[8] ﴿بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون﴾ (سورة المؤمنون، ٧٠/٢٣).
[9] جميع النسخ: إلا قليل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٦و.
[10] ن - فاعلم، صح هـ.
[11] سورة محمد، ١٩/٤٧.
[12] ر م: هذا.

وصَرْفَ العبادة إليه والتنزيه والتبرئةَ[1] له عما لا يليق به مما يوصف به الخلق، إذ علمتم أنه يحيي الأرض بعد موتها[2] فاعلموا أنه يمتحنكم بأنواع المحن إذ لا يحتمل إحياءُ ما ذكر بغير فائدة وترككم[3] سُدًى. أو نقول:[4] قد علمتم أن الله تعالى هو يحيي الأرض بعد موتها وأنتم ترغبون فيما أحياه وتصيبون منه وتجتهدون[5] في نيل ذلك وإصابته، فاجتهدوا في إصابة البركات الدائمة في الحياة الباقية. أو نقول:[6] لَمّا علمتم أنه قادر على إحياء الأرض بعد موتها فاعلموا[7] أنه قادر على البعث. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون**، قد ذكرنا فيما تقدم أن حرف "لعل" من الله تعالى يخرج على الإيجاب، لكن يخرج هاهنا على الترجي وإطماع العقل للآيات والفهمِ لها إذا نظروا فيها وتأملوا أنها آيات من الله تعالى. أو أن يرجع ذلك إلى خاص من الناس لو خرج حرف "لعل" للإيجاب دون الترجي، وهم الذين علم الله تعالى أنهم يعقلون أنها آيات ويؤمنون بها. *والله أعلم*.

﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾[١٨]

وقوله[8] عز وجل: **إن المصدقين والمصدقات**، قرئ مشدَّدَ[9] الصاد والدال ومُخَفَّفَ الصاد.[10] فمن شدده[11] جعله من التصدق، أي المتصدقين[12] والمتصدقات فيدغم[13] التاء في الصاد، فيصير المصّدّقين مثل المزّمّل والمدّثّر. يؤيد ذلك ما ذكر في حرف أُبيّ بن كعب رضي الله عنه

---

[1] ن: والتنزيه.
[2] ث + أو يقول أو علمتم أنه يحيي الأرض بعد موتها.
[3] ن ث: وتركهم.
[4] ر ث م: أو يقول.
[5] ن ث: ويجتهدون.
[6] ر ث م: أو يقول.
[7] جميع النسخ: فاعلم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٦و.
[8] ر: قوله.
[9] م: مشددة.
[10] «قرأ ابن كثير، وأبو بكر عن عاصم: ﴿إن المصَدِّقين والمصَدِّقات﴾ خفيفة الصاد في الحرفين، وقرأ الباقون: ﴿إن المصّدّقين والمصّدّقات﴾ مشددة الصاد فيهما» (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٣٠).
[11] ر م: شده؛ ن ث: شدد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٦ظ.
[12] ث: أي المتصدقون.
[13] جميع النسخ: فأدغم. والتصحيح من المرجع السابق.

أنه قرأ بالتاء: إن[١] المتصدقين والمتصدقات.[٢] ومن خففه جعله[٣] من التصديق والإيمان. وقوله:[٤] **وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم أجر كريم**، قد ذكرنا تأويله فيما تقدم.[٥]

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون**، سَمَّى المؤمنين صديقين، والصدّيق لا يقال إلا لمن يكثر منه التصديق، وقد يكثر من كل[٦] مؤمن التصديق وإن كان ما يأتي به إنما هو شيء واحد، نحوَ أنه إذا صدق الله صدّق رسله[٧] فيما أخبروا عن الله تعالى وفيما دعوهم إلى ما دعَوا وبلّغوا عن الله إلى الناس، وصدّق الخلائق جميعا فيما شهدوا على وحدانية الله تعالى وألوهيته من حيث شهادةُ الخلقة وشهادة الاختيار[٨] في حق المؤمنين. فتصديقه يكثر وإن كان الكلام في نفسه يقِلّ. وهو كما قلنا لأبي حنيفة رحمه الله في جواز الخطبة بتسبيحه أو تهليله:[٩] إنها كلمة وجيزة لو فسرت وبسطت صارت خطبة طويلة. ***والله أعلم***.

فإن قيل: إن أبا بكر رضي الله عنه فُضّل باسم الصدّيق على غيره من الأمة فإذا استحق غيره من المؤمنين هذا الاسم لم يختص[١٠] هو بتلك الفضيلة.

قيل: إن أبا بكر رضي الله عنه سُمي صديقا وخُصّ به من بين سائر الصحابة والمؤمنين لمعنى اختص به من غيرهم، وغيره من المؤمنين سُمّوا صديقين من بين سائر أهل الأرض جميعا إلا في مقابلته فهو[١١] اختص[١٢] بهذا الاسم من بين سائرهم إلا في مقابلة النبي وسائر الأنبياء عليهم السلام.

---

[١] ر: أي.
[٢] حجة *القراءات* لابن زنجلة، ٧٠١.
[٣] جميع النسخ: جعلها.
[٤] ر: قوله.
[٥] انظر مثلا: تفسير الآية ١١ من هذه السورة.
[٦] ر: موكل.
[٧] ر ث م: رسوله.
[٨] جميع النسخ: الأخبار. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٦ظ.
[٩] ر ن م: بتسبيحة أو تهليلة.
[١٠] ث: لم يخص.
[١١] جميع النسخ: كهو. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] م – اختص.

هذا هو معنى تفضيله، والفضل عند المقابلة يكون. ويحتمل أن يكون ذلك الاختصاص له للاعتقاد والمعاملة جميعا، وسائر المؤمنين سُمّوا صديقين للاعتقاد خاصة، ومن وَفَى الأمرين جميعا كان أفضل ممن وَفَى أمرا واحدا.[1]

وقوله: **والشهداءُ عند ربهم**، من الناس من جعل قوله: **والشهداء عند ربهم** على الابتداء مقطوعا من قوله: **أولئك هم الصديقون**، ومنهم من وصله به. فمن قطع عنه فإنه يقول: الشهداء هم الرسل، لقوله تعالى: فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا،[2] ثم أخبر أن لهم أجرهم ونورَهم.[3] ومن قال: إنه موصول بالأول ذهب[4] إلى أن المؤمنين شهداء على الناس، كقوله: لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا،[5] الآية، سماهم شهداء[6] على غيرهم من الأمم. *والله أعلم*.

ولأهل الاعتزال أدنى تعلق بظاهر هذه الآية، وذلك أنهم يقولون: إن الله تعالى إذا ذكر المؤمنين على الإطلاق ذكر على إثر ذلك ما وعد لهم من الكرامات والثواب الجزيل، وإذا ذكرهم مع جريمتهم ذكر الوعيد لهم؛ يستدلون بذكر الوعيد على إثر ذلك على[7] أنه قد خرج من الإيمان. لكن ليس لهم بذلك دليل لأنه ذكر مقابل ما ذكر للمؤمنين من الكرامات للكفار الجحيمَ. *والله أعلم*.

﴿اِعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[٢٠]

وقوله: **اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد**، ففي ظاهر ما ذكر من هذه[8] الآية ونحوها من الآيات لأهل الإلحاد طعن عظيم فإنهم يقولون:

---

[1] ن ث + والله أعلم.
[2] سورة النساء، ٤/٤١.
[3] ر م – ونورهم.
[4] ر م: موصولة ذهب.
[5] جميع النسخ: لتكونوا على الناس شهيدا. ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ (سورة البقرة، ٢/١٤٣).
[6] ر ث م: شهيدا.
[7] ث – إثر ذلك على.
[8] ث: في هذه.

إن كانت الحياة الدنيا لعبا ولهوا فلِم أنشأها[1] الله لعبا ولهوا[2] ولا منشئ سواه؟ فلهم موضع الطعن على هذا الوجه ولهم دعوى التناقض أيضا فيه لما ذكر في بعض الآيات فقال: وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ / وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ،[3] وقال: وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا،[4] [٧٨٠ظ] وقال في هذه الآية وغيرها: **أنما الحياة الدنيا لعب ولهو**.

فنقول: إن الآية تخرج[5] على وجوه. أحدها على التقديم والتأخير مع الإضمار كأنه قال: اعلموا أن مثل الحياة الدنيا وزينتها وتفاخرها وتكاثرها[6] ولعبها ولهوها، أي ما[7] يتزينون بها ويتفاخرون بالأولاد والأموال ويتلهّون بها ويلعبون كمثل غيث[8] أعجب الكفار نباته ثم يصير ما ذكر حتى لا ينتفع به، فعلى ذلك حياة الدنيا. ***والله أعلم***.

والثاني إنما الحياة الدنيا[9] على ما هي عندكم وعلى ما اتخذتموها وعلى[10] ما ظننتم أنه لا بعث ولا حياة بعده كان إنشاؤها عبثا ولهوا، إذ لو كان على ما ظنوا لم يكن إنشاؤها إلا للإفناء والإهلاك خاصة. وبِنَاء[11] البِنَاء المحكم للإفناء خاصة عبث وسفه ليس بحكمة، وهو ما ذكر: وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا،[12] وكان ظنهم أن لا بعث ولا حياة بعده. فعلى ما كان ظنهم كان إنشاؤها لعبا ولهوا. فأما الحياة الدنيا على ما هي عند أهل التوحيد حكمة وحق وصواب، فعلى ما كان عند أهل الإلحاد هو[13] سفه وباطل، وقد رد الله تعالى عليهم بقوله:[14] أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ.[15]

---

[1] ر ث م: أنشأه.
[2] ث – فلم أنشأه الله لعبا ولهوا.
[3] سورة الدخان، ٣٨/٤٤.
[4] سورة ص، ٢٧/٣٨.
[5] جميع النسخ: يخرج. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٦ظ.
[6] ن – وتكاثرها.
[7] ر م – ما.
[8] ر ث م: وتلعبون كمثل الغيث.
[9] ر ث م – الدنيا.
[10] ر م: وعلم.
[11] ن: وبنى.
[12] سورة ص، ٢٧/٣٨.
[13] ر ث م: وهو.
[14] ر ث م + تعالى.
[15] سورة المؤمنون، ١١٥/٢٣.

وجائز أن يكون معنى قوله: **أنما الحياة الدنيا لعب ولهو**، أي لو قوبلت بحياة الآخرة لكانت[1] لعبا[2] ولهوا. لأن الدنيا بنيت على الفناء والانقطاع والزوال عن قريب والآخرة على الدوام والبقاء، وهو ما ذكر: قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى،[3] لأنها باقية والدنيا فانية. أو نقول:[4] **أنما الحياة الدنيا**، للدنيا خاصة، **لعب ولهو**، أي من جعل الحياة الدنيا للدنيا خاصة يكون لعبا ولهوا ومن جعل الحياة الدنيا زادا للآخرة وبُلْغَةً إليها وهي ليست بلعب، وهو ما قال تعالى: مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ [فَأَهْلَكَتْهُ]،[5] أخبر أن الإنفاق للدنيا كمثل ريح فيها صر. وقال[6] في النفقة التي تكون[7] في الدنيا لحياة الآخرة: مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ [فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ]،[8] الآية. *والله أعلم*.

وقوله: **كمثل غيث أعجب الكفارَ نباتُه**، والإشكال أنه كيف خص الكفار[9] بإعجابهم[10] النبات وقد يُعجَب[11] النباتُ لأهل الإيمان؟ فنقول: لأن الكفار يعجبهم[12] ظاهر ذلك النبات وما يرون من النُّزْهة لا ينظرون[13] إلا ما ضُمِّن في ذلك النبات وجعل فيه من المنفعة في العاقبة لكن ينظرون إلى ظاهره. وأما المؤمنون إنما يعجبهم[14] ما في ذلك النبات من المنفعة في العاقبة وإلى[15] ذلك يكون نظرهم لا إلى ظاهره.[16] وهو كما شبّه إنفاق الكفرة بالريح التي فيها صر

---

[1] جميع النسخ: لكان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٧و.
[2] ر م: عبثا.
[3] سورة النساء، ٤/٧٧.
[4] ر ث م: يقول.
[5] سورة آل عمران، ٣/١١٧.
[6] ر م – وقال.
[7] ر م: في النفقة التي يكون؛ ث: في البقعة التي تكون.
[8] سورة البقرة، ٢/٢٦١.
[9] ن: للكفار.
[10] ر ث م: تعجبهم؛ ن + ظاهر ذلك.
[11] جميع النسخ: وقد تعجب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٧و.
[12] جميع النسخ: تعجبهم.
[13] جميع النسخ: لا يرون. والترجيح من المرجع السابق.
[14] ر م: تعجيبهم؛ ث: تعجبهم.
[15] ن – وإلى.
[16] ن: نظر إلى ظاهره.

يصيب حرث قوم لما لا يقصدون بإنفاقهم سوى نفس الإنفاق،[1] وشبه نفقة أهل الإيمان بالحبة التي تُنبت:[2] سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ،[3] لِما كان مقصدهم في الإنفاق عاقبته[4] لا عينَ الإنفاق.

ويحتمل أن يكون المراد من الكفار الزراعَ وبه فسر بعض أهل الأدب وهو كقوله: يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ،[5] فعلى هذا التأويل يرجع[6] إلى الكل. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وفي الآخرة عذاب شديد**، أي لهؤلاء الذين اتخذوا الدنيا لعبا ولهوا وصيروها تفاخرا وتكاثرا دون أن يتخذوها زادا وبُلْغة إلى الآخرة. وقوله: **ومغفرة من الله ورضوان**، فهو للمؤمنين الذين اتخذوا الحياة الدنيا للآخرة وعقلوا الآيات التي بيّنها لهم للنظر فيها والتفكر والتأمل فتأملوها[7] ووضعوها[8] مواضعها. *والله أعلم*. وقوله: **وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور**، هو يخرج على الوجوه التي ذكرنا في قوله تعالى: **اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو**.

قال {إمام الهدى رضي الله عنه} في قوله: **وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور**: إن الحياة الدنيا وحُبها لنفسه[9] وعلى ما أنشئت[10] وجعلت له حكمة[11] وحق وسرور ليس بغرور. وأما اختيارها وحبها لغيره واستعمالها لغير الذي أنشئت وجعلت غرورٌ ولعب ولهو، لأن من أحب شيئا استكثر منه وحبسه لنفسه[12] وحفظه عن تلفه وضَياعه واستبقاه لوقت حاجته ويوم[13] فقره. فعلى ذلك مَن جمع الدنيا لنفسه وأحبها واستعملها فيما أذن له وأُمر، وهو أن يجعلها زادا للآخرة وبُلغةً إليها، فإذا علم ذلك استكثر منها عند الله ليوم فاقته. فمن أحبها واختارها لهذا فهو ليس بغرور

---

[1] الآية سبقت قريبا.

[2] ن: ينبت.

[3] سورة البقرة، ٢/٢٦١.

[4] ر: عاقبة.

[5] ﴿ذلك مَثَلُهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شَطْأَه فآزَرَه فاستغلظ فاستوى على سُوقه يُعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار﴾ (سورة الفتح، ٤٨/٢٩).

[6] ن: رجع.

[7] جميع النسخ: فتأملوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٧و.

[8] ث: ووضعوا.

[9] ن: في نفسه.

[10] ن + الدنيا.

[11] ن + وهو.

[12] ر م: نفسه.

[13] ر: في يوم.

ولا لعب بل سرور وبهجةٌ. ومن طلبها لغيره واستعملها في غير[1] ما أنشئت كان غرورا ولعبا على ما ذكر. فخرج قوله: **وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور**، على ما يختارون هم ويحبونها. وذلك أن الله تعالى أنشأ لنا هذه النعم حيث قال: خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا،[2] وقال: وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ،[3] يجب أن ينظر[4] إلى ذلك بالتعظيم لها والإجلال لا بعين الاستخفاف والهوان. / [٧٨١و] ألا ترى أن ملكا من ملوك الأرض لو أكرم أحدًا بكرامة وأهدى بهدية ثم علم منه الاستخفاف بهديته يسلب منه هديته ويستحقره. فعلى ذلك يجب أن يَتلقى نعمة الله تعالى بالتعظيم والتبجيل والقبول[5] الحسن لا على الاستخفاف بها والإهانة.

ثم الناس بعد هذا رجلان: رجل يرغب في نعمة الدنيا وجمعها وجَعْلِها عند الله ذُخرا[6] وزادا ليوم فقره وحاجته،[7] ورجل زهِد فيها خوفا للتقصير في عبادة الله تعالى وفي حقوقه[8] أن يشتغل بها ويمنعه ذلك عن أداء ما عليه والاقتداءِ برسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أمره وله أسوة حسنة بنبيه صلى الله عليه وسلم.

وأما من ترك الدنيا وما أنشأ الله تعالى فيها من النعم استخفافا بها وهوانا فهو الجاهل المستخِفّ بنعم الله تعالى الغافلُ عما أنشئت له الدنيا وما فيها. فهذا والذي طلب الدنيا للدنيا مذمومان، والذي طلبها لنفسه زادا للآخرة والذي زهد فيها محمودان. *والله أعلم*.

وعلى ذلك[9] يخرج ما ذكر[10] أن: «حب الدنيا رأس كل خطيئة»[11] أنّ من أحبها لغيره ولغير الذي جعلت له يكون رأس كل خطيئة،[12] ومن أحبها لنفسه ويتخذها زادا للآخرة فهي رأس كل حسنة وطاعة. *والله أعلم*.

---

[1] ن: لغير.
[2] سورة البقرة، ٢/٢٩.
[3] سورة الجاثية، ٤٥/١٣.
[4] ر م: أن ينظروا.
[5] ن: والقول.
[6] ر: زخرا.
[7] ن ث: وفاقته.
[8] ر م: في حقوقه؛ ن: أو في حقوقه.
[9] ن: هذا.
[10] ر ث م – ما ذكر.
[11] *جامع الأصول في أحاديث الرسول* لابن الأثير، ٤/٥٠٦؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ١٠/٢٤٥؛ *وكشف الخفاء* للعجلوني، ١/٤١٢.
[12] ن – أن من أحبها لغيره ولغير الذي جعلت له يكون رأس كل خطيئة.

﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[٢١]

وقوله عز وجل: **سابقوا إلى مغفرة من ربكم**، يقول:[١] اجعلوا المسابقة فيما بينكم في مغفرة ربكم وإلى جنته[٢] لا إلى جمع الأموال والأولاد. وكان أهل الكفر[٣] جعلوا المسابقة في الدنيا في جمع الأموال والتفاخر والتكاثر بها فيقول لأهل الإيمان: اجعلوا أنتم المسابقة في طلب مغفرة الله وجنته. ***والله أعلم***. ويحتمل سابقوا[٤] آجالكم بأعمالكم التي توجب[٥] لكم المغفرة [من ربكم قبل أن تسابق الآجال الأعمال التي توجب لكم المغفرة].[٦] ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وجنةٍ عَرْضُها كعرض السماء والأرض**، الآية،[٧] ذَكَّر سعة الجنة لأن العَرْض إنما يذكر لسعة يكون للشيء وقد ذكر سعة فيها حيث قال: وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ،[٨] وقال أيضا: وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ،[٩] ونحو ذلك ذكر ما فيها من السعة وسعتها. ***والله أعلم***. ثم ذِكْرُ عرضها كعرض السماء والأرض ليس يخرج على التحديد والتقدير أن عرضها مثل عرض السماوات والأرض، لكن لما لا شيء أوسعَ في أوهام الخلق مما ذكر، وهو كقوله: خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ،[١٠] ذكر دوامها لما[١١] لا شيء أبقى وأدوم منها في الأذهان[١٢] وإلا كانتا[١٣] تفنيان.[١٤] ويحتمل أن يقول:[١٥] **عرضها كعرض السماء والأرض**،

---

[١] ر: لقول.
[٢] ر م: وإلى جنة.
[٣] ر م: الكفرة.
[٤] ر م: سابقون.
[٥] ر ن م: يوجب.
[٦] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٩٧ظ.
[٧] ن - الآية.
[٨] سورة الواقعة، ٥٦/٣٢-٣٣.
[٩] سورة الزخرف، ٤٣/٧١.
[١٠] سورة هود، ١١/١٠٧، ١٠٨.
[١١] ر م - لما.
[١٢] ن ث: في الأوهام.
[١٣] م: كانت.
[١٤] ن: يفنيان.
[١٥] ن: يكون.

أي يصير السماء[1] والأرض جميعا جنة لهم. ثم وصَفَ[2] الجنة بالسعة ووصف النار بالضيق حيث قال: إِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا،[3] وذلك أنه ليس في فضل النار على قدر المجعول عذابا لم يصل إلى المعذَّب بها فائدةٌ فضُيِّقت، ولفضل[4] الجنة على قدر الحاجة لذة وسرور ومنفعةٌ فوُسِّعت لذلك. *والله أعلم*.

ثم أخبر أنها **أعدت للذين آمنوا بالله ورسله،**[5] والإيمان بالله تعالى هو أن يُصدِّق كلَّ شيء يشهد على وحدانيته وألوهيته، والإيمان برسله هو أن يصدقهم فيما أخبروا عن الله تعالى، وكل صاحب كبيرة مصدق بالذي ذكرنا فهو مؤمن وذلك على المعتزلة.

وقوله[6] عز وجل: **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء،** دلت الآية أن ما يعطي من الثواب لعبيده فضل منه وإن سماه جزاء[7] وأجرا لما سبق منه إليهم من الإحسان والنعم[8] ما يصير تلك الأفعال -وإن كثرت- شكرا لأدنى نعمه وإن طال عمره فأنى يستوجب الجزاء والثواب على تلك الأعمال، ولكن بفضله ورحمته جعل لتلك الأعمال[9] ثوابا وجزاء. *والله الموفق*.

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **ما أصابكم من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها،** أي ذَكَرها في كتاب كان ذلك الكتاب قبل أن نبرأ تلك المصائب، أي نَخلقَها،[10] إذ لا يحتمل كون أنفس تلك المصائب في الكتاب قبل خلقها، فدل أنه على كون ذكر المصائب فيه، وهو كقوله: وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ،[11] ليس عين تلك الشجرة في القرآن[12]

---

[1] ر: السماوات.
[2] ث: وصفه.
[3] سورة الفرقان، ١٣/٢٥.
[4] ن: وأفضل.
[5] م: ورسوله.
[6] ر: قوله.
[7] ن ث: جرا.
[8] ن + والنعم.
[9] ر م – ولكن بفضله ورحمته جعل لتلك الأعمال.
[10] ن: بخلقها.
[11] ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن﴾ (سورة الإسراء، ٦٠/١٧).
[12] ر ث م – ليس عين تلك الشجرة في القرآن.

ولكن ذكرها فيه. وعلى ذلك ما روي في الخبر أنه نهى أن يسافر[١] بالقرآن إلى أرض العدو،[٢] أي نهى أن يسافِر بالذي كُتب فيه القرآن وإلا لم يكن عين القرآن في ذلك المصحف، فعلى ذلك ما ذكر من المصائب وذلك يخرج على المجاز دون الحقيقة. *والله أعلم*. ثم اختلف في قوله: **من قبل أن نبرأها**، منهم من قال: من قبل أن نخلق[٣] تلك المصائب، ومنهم من قال: من قبل[٤] أن نبرأ[٥] تلك الأنفس والأرض، والأول أظهر.

وقوله[٦] عز وجل: **إن ذلك على الله يسير**، يخرج على وجهين. [أحدهما][٧] كثرة ما يصيب الخلقَ في أنفسهم وأموالهم يسير على الله غير شديد عليه، ليس كملوك الأرض لأن ما يصيب حشمهم وخدَمَهم من المصائب يشتد عليهم لما أن قوامهم بحشمهم وخدمهم ولهم[٨] منافع منهم[٩] فيخبر الله تعالى بهذا أن ليس له في بقاء الخلق منفعة ولا في ذهابهم وفنائهم ضرر فذلك يكون عليه يسيرا.[١٠]

والثاني أن كتابة ما لم يكن بعدُ ولم يُخلَق وعلمَه قبلَ كونه على الله يسير هيّن. يخبر أنه عالم في الأزل بكون الأشياء في أوقاتها لا يصعب عليه ولا يشتد العلم بها قبل كونها وقبل ظهورها / كما يشتد على الخلق ويصعب عليهم. *والله أعلم*. [٧٨١ظ]

وفي الآية دلالة خلق أفعال العباد لأن اسم المصائب يقع على ما للخلق فيه صنع كما يقع على ما لا صنع لهم فيها. ثم أضاف الله تعالى خلقها إلى نفسه[١١] مطلقا بقوله: **من قبل أن نبرأها**، دل أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى. ألا ترى أن الله تعالى سمى ما يصيب بأيدي الخلق مصيبة فقال: هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا،[١٢]

---

[١] ر م: سافر.
[٢] صحيح *البخاري*، الجهاد ١٢٩؛ وصحيح *مسلم*، الإمارة ٩٢-٩٤.
[٣] ن: يخلق.
[٤] ن – من قبل.
[٥] ر: نبرأها.
[٦] ر: قوله.
[٧] جميع النسخ: أي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٨و.
[٨] ن: أن قوامهم حشمهم ولهم.
[٩] ر م – منهم.
[١٠] ر ن م: يسير.
[١١] ر ن م: إلى نفسها.
[١٢] سورة التوبة، ٩/٥٢.

وقال في آية أخرى:[1] قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ.[2] الآية. قالت المعتزلة: يقال: أصابنا كذا، فيما[3] لا صنع للخلق في ذلك، فأما فيما فيه[4] صنع للخلق يقال: أصبنا. لكن هذا فاسد فإنه جائز أن يقال في كل ما أصابك: أصبتَه، وما أَصَبْتَه أصابك[5] لأنه إذا أصابك شيء فقد أصبته،[6] وذلك جائز في اللغة. **والله أعلم**.

﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[٢٣]

وقوله[7] عز وجل: **لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم**، جعل الله تعالى في طباع الخلق الحزنَ والأسَى على ما فاتهم من النعمة وينزل[8] بهم [من][9] البلاء والشدة، والسعةَ والفرح والسرور بما ينالون من النعمة، هذا هو المُنْشأ والمجعول في طباعهم.

ثم يخرج تأويل الآية بالنهي عن الأسى والحزن بفوت النعمة وعن الفرح والسرور عند إصابتها على وجوه. أحدها يقول -والله أعلم-: لكيلا تستكثروا[10] من الأسى والحزن على ما فاتكم فيحملكم[11] ذلك على الشكوى من الله تعالى: **ولا تفرحوا بما آتاكم**، أي لا تستكثروا الفرح والسرور حتى يحملكم ذلك[12] على الطغيان والعدوان. ومثله ذكر في الخبر: «أعوذ بالله[13] من الفقر المُنْسِي والغِناء المُطغِي».[14] **والله أعلم**.

---

[1] ر م + قاتلوهم يعذبهم الله بأيدينا وقال في آية أخرى.
[2] سورة التوبة، ٩/١٤.
[3] ر م - فيما.
[4] ر ث م - فيه.
[5] جميع النسخ: إصابتك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٨و.
[6] ن - فقد أصبته.
[7] ر: قوله.
[8] ر م: وينزلهم.
[9] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.
[10] ر ن م: لكي لا يستكثروا.
[11] ن + على.
[12] ن: كذلك.
[13] ن - بالله.
[14] «وعن أنس قال: ما صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة مكتوبة قط إلا قال حين أقبل علينا بوجهه: "اللهم إني أعوذ بك من كل عمل يُخزيني وأعوذ بك من صاحب يؤذيني وأعوذ بك من كل أمل يلهيني وأعوذ بك من كل فقر ينسيني وأعوذ بك من كل غِنىً يُطغيني"» (*مجمع الزوائد* للهيثمي، ١٠/١٤٥). وانظر: *المبسوط* للسرخسي، ٣٠/٢٨٢.

والثاني يقول: لكيلا يَشغلَكم الأسى والحزن على ما فاتكم من النعمة حتى يفوتكم[١] أضعاف ذلك وهو ما وعد لهم من الثواب إذا صبروا، كقوله تعالى: وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ -إلى قوله-[٢] وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ،[٣] ثم قال: أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ.[٤] يقول: لا يَشْغَلَنَّكم[٥] الجزع وترك الصبر على ما[٦] وعد لكم من الصلوات[٧] والرحمة والاهتداء. ولذلك قيل: الجزع في المصيبة أعظم المصيبتين. ويقول أيضا: ولا يشغلنكم[٨] شدة الفرح والسرور بما آتاكم عن الشكر حتى يفوتَكم الزيادة على ذلك، لأن الله تعالى وعد الزيادة على النعمة إذا شكر بقوله: لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ.[٩] *والله أعلم*.

والثالث يقول: **لا تأسوا على ما فاتكم**، ولكن انظروا إلى ما كان منكم من الجريمة حتى فاتكم ذلك حيث قال: مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ.[١٠] يقول: **لا تَأْسَوْا على ما فاتكم**، ولكن انظروا إلى تفريطكم في جَنْب الله وارجعوا[١١] عن ذلك، ولذلك[١٢] يقول: **ولا تفرحوا بما آتاكم**، ولكن انظروا إلى إحسان الله الذي كان إليكم. *والله أعلم*.

ويحتمل أن يقول: **لا تَأْسَوْا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم**، أو لكن انظروا إلى ما امتحنكم به وابتلاكم،[١٣] إذ هو امتحن بعضا بالشدائد والبلايا وأمرهم بالصبر على ذلك، وبعضا بالسعة والرخاء وأمرهم بالشكر على ذلك. فاصبروا ولا تجزعوا إن فاتكم النعم وأصابتكم المصائب، واشكروا له ولا تفرحوا[١٤] عند النعم فَرحًا يكون بَطَرًا وأَشَرًا.

---

[١] جميع النسخ: يقويكم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٨و.

[٢] ر ث م - إلى قوله.

[٣] ﴿ولَنَبْلُوَنَّكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين﴾ (سورة البقرة، ١٥٥/٢).

[٤] سورة البقرة، ١٥٧/٢.

[٥] ر ث م: لا يشغلكم؛ ن: لا تشتغلنكم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٨و.

[٦] ن + فاتكم حتى يفوتكم ما؛ ث + فاتكم حتى نقويكم ما.

[٧] ر م: من الصلاة.

[٨] ر ث م: ولا يشغلكم.

[٩] سورة إبراهيم، ٧/١٤.

[١٠] سورة الشورى، ٣٠/٤٢.

[١١] ر: وارجوا.

[١٢] م: لذلك.

[١٣] جميع النسخ: وابتلاؤكم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٨و.

[١٤] ن + بما.

أو يقول:[1] **لا تَأْسَوْا على ما فاتكم**، فإن الذي أُخذ منكم لم يكن في الحقيقة لكم إنما هو لغيركم، ومن كان عنده مال لآخر فيأخذه لا يجب[2] أن يحزن على ذلك. **ولا تفرحوا بما آتاكم** فإن الذي آتاكم يجوز أن يكون لغيركم لا لكم. ***والله أعلم***.

وقوله: **ولا تفرحوا بما آتاكم**، قرئ ممدودا ومقصورا.[3] فمن مده رد الفعل[4] إلى الله تعالى، ومن قصره[5] جعل[6] الفعل لذلك الشيء لموافقة قوله: **على ما فاتكم**، ولم يقل أفاتكم.

[٧٨٢و س٤] * ثم في قوله: **لِكيلا تَأْسَوْا على ما فاتكم**، وجوه أيضا. أحدها أن المصائب ربما يجري على أيدي الناس ويصيبهم منهم فقال: **لِكيلا تَأْسَوْا على ما فاتكم**، ما جرى ذلك على أيدي الناس لأن لا يروا ذلك[7] منهم فيحملَهم ذلك على العداوة والبغضاء ولكن يروا ذلك مكتوبا عليهم من الله تعالى، وكذلك ما ذكر فيما يؤتيهم من النعم على أيدي الخلق فلا يرون[8] ذلك منهم فيَشغلَهم عن القيام بشكر الرب جل وعلا ولكن يرون[9] من فضل الله تعالى ومَنّه فيشكرونه.

والثاني يحتمل أن يكون النهي عن الحزن أمرا[10] بالفرح، أي لا تأسَوا على ما فاتكم ولكن افرحوا بما لعل الذي فاتهم، فإنهم[11] لو لم يفتهم لكان يشغلهم عن القيام بحقوق الله تعالى وأداء ما عليهم من الفرائض. ***والله أعلم***.

وفي قوله تعالى: **ولا تفرحوا**، أمرٌ بالحزن، وقد يذكر الشيء ويراد به إثبات ضده، كقوله تعالى: فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ،[12] أي خسرت[13] تجارتهم. وينبغي أن يُتلقَّى نعم الله على وجهين.

---

[1] ن: ويقول.
[2] ث: لا يحب.
[3] قرأ أبو عمرو وحده: ولا تفرحوا بما أتاكم مقصورة الألف، وقرأ الباقون: بما آتاكم ممدودة الألف (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٣٠).
[4] ر: العقل.
[5] ن: قصرها.
[6] ر م: وجعل.
[7] ر م: لا يزول؛ ث: لا يزول ذلك.
[8] ر م: فلا يزال؛ ث: فلا يزول.
[9] ر ث م: يزول.
[10] ر ث م: أمر.
[11] ن - فإنهم.
[12] سورة البقرة، ١٦/٢.
[13] م: أي حسرت.

أحدهما بحسن القبول لها والتعظيم والشكر للمنعم إذ أغناه[1] بذلك عن النظر بما في أيدي الناس ورفع الحاجة إليهم[2] وذلك من أعظم النعم.[3]

والثاني يخاف لما لعله فَعَل[4] ذلك به استدراجا وامتحانا، إذ[5] الأموال ربما تكون[6] فتنة وبلاء، أو تشغله[7] عن أداء[8] ما عليه وكذلك هذا فيما يفوت عنه يفرح بذلك من وجهين لما يحتمل[9] أن كان ذلك[10] سببَ استدراجه وبلائه فأُخذ منه، أو لما يصل بذهابه إلى أداء الفرائض من العبادات وكان ذلك يمنعه. ويحزن من وجهين أيضا. أحدهما لما لعل فوته يُحوجه إلى ما في أيدي الناس وكان غنيا[11] عنهم، أو لما لعل ذلك عقوبةُ لتفريط كان منه، كقوله: وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ.[12] *والله أعلم.*

ثم أضاف ما نالوا من النعم إلى نفسه، حيث قال: **ولا تفرحوا بما آتاكم**، ولم يضف[13] ما فاتهم إلى نفسه، وهو كما قال في آية أخرى: مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ.[14] وهو ما ذكرنا أنه جائز أن يكون ما يفوتهم من النعم باكتساب وبسبب كان منهم. *والله أعلم.** [٧٨٢و س ٢٠]

وقوله عز وجل: **والله لا يحب كلَّ مختال فخور**، ولكن يحب ضد ذلك وخلافه. المختالُ المتكبر[16] فيحب المتواضع الخاضع؛ والفخور هو الذي يفتخر بما أنعم الله تعالى عليه على[17] الناس،

---

[1] ن ث: إذ أعناه.
[2] ر م − إليهم.
[3] ر − النعم.
[4] ر م: فعله.
[5] ر: إذا.
[6] ر م: يكون.
[7] جميع النسخ: أو يشغله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٨ظ.
[8] ر ث: نحن إذا؛ م: نحو إذا.
[9] ر ث م − وكذلك هذا فيما يفوت عنه يفرح بذلك من وجهين لما يحتمل.
[10] ن − ذلك.
[11] ن: غيبا.
[12] سورة الشورى، ٣٠/٤٢.
[13] م ن: ولم يضفه.
[14] سورة النساء، ٧٩/٤.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٧٨٢و/ سطر ٤-٢٠.
[16] م: التكبر.
[17] ر ث م: وعلى.

فيحب[1] الشكور[2] الذي يشكر على نعمه[3] بالتوسيع على عباده. وجائز أن يكون هذا كله وصف الكفّار، كأنه يقول: لا يحب كل كفّار، كقوله: يحب كل صبار شكور، أي يحب المؤمن لأن المؤمن يكون صبارا على المصائب شكورا لنعمائه.[4] *والله أعلم*.

﴿اَلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[٢٤]

وقوله[5] عز وجل: **الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل**، جائز أن يكون هذا صلة قوله: لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ،[6] [فيكون][7] تفسيرا له. وجائز أن يكون على الابتداء وهو كقوله: وَكَذٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ. اَلَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ،[8] كان قوله تعالى: اَلَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ مفصولا من الأول وكذلك[9] هذا. ثم قوله: **يبخلون ويأمرون الناس بالبخل**، يحتمل ما ذكر من بخلهم في آية أخرى فقال: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللهُ أَطْعَمَهُ،[10] بخلوا بالإنفاق على المؤمنين أو بخلوا بالإنفاق على[11] أتباعهم ليبقى الكبر[12] والرياسة عليهم. وجائز أن يكون ما ذكره بعض أهل التأويل أن ذلك نزل في الرؤساء من أهل الكتاب،[13] بخلوا ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم الذي[14] كان[15] في كتبهم وأمروا أمثالهم وأشكالهم بكتمان ذلك. [٧٨٢و] / *والله أعلم*.

[1] ر م: فيجب.
[2] ر م: الشكر.
[3] ن: على نعمة.
[4] ر م: نعمائه.
[5] ر: قوله.
[6] الآية السابقة.
[7] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٩٨ظ.
[8] سورة المؤمن، ٤٠/٦-٧.
[9] ن ث: كذلك.
[10] سورة يس، ٣٦/٤٧.
[11] م – المؤمنين أو بخلوا بالإنفاق على.
[12] جميع النسخ: الكرم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٨ظ.
[13] ث + بيان.
[14] م: الذين.
[15] ر ث م: كانوا.

وقوله عز وجل: **ومن يَتولَّ فإن الله هو الغني الحميد**، أي ومن يعرض عن[1] ذلك فالله هو الغني الحميد، **الغني** عن عبادتكم وعما دعاكم إليه إذ لم يدعكم إلى ما دعاكم لحاجة نفسه إذ هو[2] الغني بذاته، **الحميد** بفعاله، أي بما علم منكم من الرد لرسالته[3] لا يخرج فعله من أن يكون محمودا، ولا يصير لفعله إلى أعدائه بما صنع غير حميد. ***والله أعلم***.*

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[٢٥]

وقوله[5] عز وجل: **لقد أرسلنا رسلنا بالبينات**، يحتمل وجهين. أحدهما أي أرسلنا بما يبين ويوضح أنهم رسل الله وأن تلك الآيات التي أتوا بها من عند الله لا باختراع[6] من عندهم لما هي خارجة عن وسع البشر. والثاني ما يبين صدق الرسل في خبرهم وعدلهم في حكمهم، أو يبين[7] ما لهم وما عليهم.

وقوله عز وجل: **وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط**، وقال في آية أخرى: اَللهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ.[8] ثم يحتمل **والميزان**، الموازين المعروفة التي بها تُستوفَى[9] الحقوق فيما بين الناس وبها[10] تُوفَّى وبها تحفظ[11] حقوق الأموال التي بينهم[12] وحدودها، فإن كان المراد هذا فكأنه قال: **وأنزلنا معهم الكتاب**، الذي به يحفظ الدين وحدوده، **والميزان** الذي به يُحفظ حدود الأموال لا يزاد على الحق ولا ينقص منه. ***والله أعلم***.

---

[1] ن: على.
[2] ر: هي.
[3] ر: لرسالة.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة فنقلناه إلى هنالك. انظر: ورقة ٧٨٢و/ سطر ٤-٢٠.
[5] ر: قوله.
[6] ر: للاختراع.
[7] ث: ويبين.
[8] سورة الشورى، ١٧/٤٢.
[9] جميع النسخ: يستوفى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٩و.
[10] ر م: وبما.
[11] جميع النسخ: يوفى وبها يحفظ.
[12] ر م: يبينهم.

وجائز أن يكون المراد بالميزان الحكمة إذ ذكره على إثر[1] الكتاب، كقوله: وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ،[2] كأنه يقول -والله أعلم-: وأنزلنا معهم الكتاب والحكمة، فتكون[3] الحكمة[4] بها تحفظ[5] حدود الأفعال والأقوال وتكون[6] الحكمة ما يقوم الناس بها بالقسط. أو أن[7] تكون[8] الحكمة ما أودع في الكتاب من المعاني. وقال الحسن في قوله: وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ:[9] إنهما[10] واحد.

ثم قوله عز وجل: **ليقوم الناس بالقسط**، يخرج على وجهين. أحدهما أنزل ما ذكر من الكتاب والميزان ليُلزمَ الناسَ القيامَ بالعدل وقد ألزمهم ذلك بما أنزل عليهم من الكتاب والميزان وبيّن الحدود. والثاني أنزل ما ذكر **ليقوم الناس بالقسط**، على وجود القيام بالعدل. فإن كان المراد منه الوجود فهو راجع إلى خاص من الناس، وإن كان على الإلزام فهو راجع إلى الكل، وهو كقوله تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ،[11] فإن كان على وجود العبادة فهو يرجع إلى خاص من الناس، وإن كان المراد بقوله: إِلَّا لِيَعْبُدُونِ، أي لِآمُرَهم أو أُلزِمَهم[12] فهو للكل فإنه قد خلقهم ليأمرهم ويلزمهم وقد أمرهم وألزمهم. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس**، خص الله تعالى ذكر الحديد بما جعل فيه من البأس من بين غيره[13] من الأشياء وإن كان يشاركه غيره في احتمال الأذى والضرر به بما[14] يُطعَن به فينفذ ويُضرَب به ويستعمل في الحروب والقتال. [لوجهين].[15]

---

[1] م: إثره.
[2] سورة آل عمران، ٤٨/٣.
[3] جميع النسخ: فيكون.
[4] ر م: الكتاب.
[5] جميع النسخ: يحفظ.
[6] جميع النسخ: ويكون.
[7] ر ن م: وأن.
[8] جميع النسخ: يكون.
[9] سورة آل عمران، ٤٨/٣.
[10] ن: إنها.
[11] سورة الذاريات، ٥٦/٥١.
[12] ر م: وإلزامهم.
[13] ث: من غيره.
[14] ر م: ما.
[15] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٩٩و.

أحدهما أنه هو الكامل في الظفر والنفاذ والجرح وإن كان قد يتحقق من غيره، ولذلك اعتاده الناس آلة القتال والحرب فيكون البأس فيه أشد. والثاني / لما يُتحصن به باتخاذ الدروع[1] لقوله: [٧٨٢ظ] وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ،[2] لهذا خص الحديد به. *والله أعلم*.

وقوله: **ومنافعَ للناس**، جعل الله تعالى في الحديد منافع ليست تلك في غيره وهو ما يتخذ منه ما يُخْرَز[3] به ويُخاط[4] من الخِفاف[5] وغيرها[6] ما[7] لا يحتمل هذا النوع بغيره.[8] وكذلك حوائج الخلق لا تقوم إلا به[9] في سائر أنواع الحِرَف والأعمال من التجارة والزراعة والبناء وغيرها. وفيه خصوصية في حق المحن وهو ما يظهر عند فرض القتال صدقُ إيمان المحقِّق ونفاقُ[10] المرتاب بقوله: فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً،[11] ونحو ذلك. فظهر الصادق من الكاذب في الحروب[12] وإنما ذلك بالحديد، فصار مخصوصا في حق المحنة وغيرها من المنافع حتى لا يَلتأم أمرٌ من أمور المعاش إلا به فلذلك خُصَّ. *والله أعلم*.

وقال أهل التأويل: أنزل من السماء المِطْرَقة والعَلاةَ والكَلْبَتَيْن، وعندنا ليس على حقيقة الإنزال من السماء كذلك. ومعنى[13] قوله تعالى: **وأنزلنا الحديد**، أي خلقنا، كقوله تعالى: وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ،[14] أي خلقها، وقوله تعالى: قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ،[15] ومعلوم أنه لم ينزل اللباس على ما هو[16] ولكن معناه خَلَقَه لباسا لكم،[17] كذلك هذا.

---

[1] ر م: الدرع.
[2] سورة الأنبياء، ٨٠/٢١.
[3] ن: يحذر.
[4] جميع النسخ: ويخاط. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٩و.
[5] ن: من الحفاف؛ ث: من الجفاف.
[6] ر م: وغيره.
[7] ر ن ث: مما.
[8] جميع النسخ: لغيره. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ر ث م: لا يقوم؛ ن: لا يقوم به. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ر م + في.
[11] سورة النساء، ٧٧/٤.
[12] ن ث: بالحروب.
[13] ر م: ومعنا.
[14] سورة الزمر، ٦/٣٩.
[15] سورة الأعراف، ٢٦/٧.
[16] ن ث + عليه.
[17] جميع النسخ: لباسا لهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٩ظ.

وقوله عز وجل: **وَلِيَعْلَم الله من ينصره ورُسُلَه**، يحتمل: **من ينصره**، أي دينه أو أراد بإضافة النصر إلى نفسه نصر رسوله محمد[1] وسائر رسله عليهم الصلاة والسلام. ثم نصرُ الرسل مرة يكون بتبليغ ما أمروا إلى أقوامهم[2] ينصرونهم ويعينونهم على ذلك. ونصر دينه إظهاره في الخلق والذب عن أهله[3] والمعونة لهم، هذا يحتمل. وعلى هذا يخرج قوله تعالى:إِنْ تَنْصُرُوا اللّٰهَ يَنْصُرْكُمْ.[4] *والله أعلم*. وجائز أن يكون المراد من إضافة النصر إليه نصر أنفسهم ودينهم، إذ هم المنتفعون بذلك ولهم يحصل ذلك النفع وتلك المعونة. لكنه بفضله وكرمه سمى ذلك نصره وأضافه[5] إلى نفسه؛ على ما جعل لأعمالهم التي يعملونها لأنفسهم ثوابا وذكر لهم على ذلك أجرا كأنهم عاملون له وهم المنتفعون بها المحتاجون إليها. فعلى ذلك جائز أن يكون ما عملوا لأنفسهم سماه نصرا له[6] وإن كان ذلك النصر لهم وإنه ناصرهم وناصر[7] الكل حيث قال: إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ،[8] أخبر أنه إذا نصرهم لا غالب لهم سواه وإذا خذلهم[9] [ف]لا[10] ناصر لهم دونه.[11] *والله أعلم*. ثم قوله عز وجل: **وَلِيعلمَ اللهُ من ينصره ورسلَه**، يخرج على وجهين. أحدهما ليعلم من قد علم أنه ينصر ناصرا وليعلم من قد علم بالغيب أنه يكون كائنا شاهدا؛ لأنه عالم الغيب والشهادة، عَلِمَه بالغيب أنه يكون، وإذا كان علمه شاهدا،[12] والتغير[13] على المعلوم لا على العلم. والثاني يريد بالعلم المعلومَ وذلك جائز في اللغة: ذكر العلم والفعل على إرادة المعلوم والمفعول، نحوَ ما يقال: الصلاة أمر الله، أي بأمر الله لأن الصلاة لا يكون أمره.

---

[1] ن + صلى الله عليه وسلم.

[2] ر م: إلى قومهم.

[3] ر: عن أصله.

[4] سورة محمد، ٧/٤٧.

[5] ن: وإضافة.

[6] ث – له.

[7] ر م – هم وناصر.

[8] ﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده﴾ (سورة آل عمران، ١٦٠/٣).

[9] ر م: أخذ لهم.

[10] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٩٩ظ.

[11] ن – دونه.

[12] ر ث م – لأنه عالم الغيب والشهادة علمه بالغيب أنه يكون وإذا كان علمه شاهدا.

[13] ر م: والتغيير.

وقوله عز وجل: **إن الله قوي عزيز**، ذكر هذا ليعلم أنه لم يأمر فيما أمرهم من القتال والنصر لحاجة نفسه، ولا استعملهم فيما استعمل من النصر والمعونة لنفسه، ولا أن يكتسب بذلك العِزَّ لنفسه، حيث أخبر أنه قويٌّ بنفسه عزيز بذاته، ولكن إنما أمرهم بما أمر[١] واستعملهم فيما استعمل لنصر أنفسهم ولقوتهم. *والله أعلم.*

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب**، وإنما ذكر نوحا وإبراهيم -والله أعلم- لما أخبر أنه جعل في ذريتهما النبوة والكتاب[٢] وإلا قد ذكر الرسل بجملتهم في قوله تعالى: لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ،[٣] فدخل نوح وإبراهيم عليهما السلام في قوله: لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ. ثم ذكر أن منهم من اهتدى، أي من قومهم، وكثير منهم فسقوا بقوله: **فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون**، يخبر رسوله صلى الله عليه وسلم أنه قد كان[٤] في قومهم من اتبعهم فصاروا مهتدين، ومنهم من ترك اتباعهم وخرجوا من أمر الله فصاروا فاسقين. يُصبّره ويسكّن[٥] قلبه على ما كان في قوم من تقدم من الرسل من المجيبين[٦] لرسله والتاركين للإجابة كقومك، أي لست أنت بأول من كذب ورُدّ قوله تعنتا وعنادا. *والله الهادي.*

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[٢٧]

وقوله: **ثم قفينا على آثارهم برسلنا**، أخبر أنه جعل في ذريتهما النبوة والكتاب وبعث منهم رسلا. ذكر في الآية الأولى أنه جعل في ذريتهما النبوة والكتاب ولم يذكر الرسالة،

---

[١] ت: أمروا.

[٢] ن - وإنما ذكر نوحا وإبراهيم والله أعلم لما أخبر أنه جعل في ذريتهما النبوة والكتاب.

[٣] الآية السابقة.

[٤] ن: أنه كان.

[٥] ن: ويشكر.

[٦] ن: من المجبين.

وذكر في هذه الآية الرسالة فيهم وفي ذريتهم. أي أرسلنا رسولا على إثر رسول وأتبعنا بعضهم بعضا، من "قفا يقفو"،[١] ثم ذكر أنه قفّى بعيسى ابن مريم لأن عيسى عليه السلام من أولاد إسحاق عليه السلام فبعث محمدا صلى الله عليه وسلم من بعدُ وهو من ولد إسماعيل عليه السلام. وقال بعض أهل التأويل:[٢] **وقفينا**، أي أتبعنا، يقال[٣] قفيتُ فلانا، أي عيّنته وسميّته. وقَفَوْتُه أَقْفوه قَفْوا وقُفُوًّا،[٤] واقْتفيتُ به[٥] أي لزمته.

وقوله عز وجل: **وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة**. وصف الله تعالى الذين [٧٨٣و] / اتبعوا الرسل وآمنوا بهم بالرحمة والرأفة[٦] فيما بينهم وهو كما ذكر في آية أخرى: إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا،[٧] وقال: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا،[٨] وقال في آية أخرى: أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ،[٩] وقال: أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ،[١٠] ونحو ذلك؛ وذلك لأن السبب الذي جمعهم واحد وهو التوحيد والإسلام.

فإن قيل: كيف وقع بينهم من العداوة والبغضاء ما وقع وسبب الجمع قائم حتى استحل بعضهم قتال بعض من نحو الخوارج والمعتزلة؟

قيل: إنما وقع ذلك فيما بينهم -وإن كان سبب الجمع قائما- لما كانت تلك الألفة والرأفة بلطف من الله تعالى وقد زال ذلك اللطف وارتفع وحدث بينهم ما حدث. أو نقول: إن الخوارج قد أحدثوا من أنفسهم أشياء حتى سَمَّوا المسلمين كفرةً بما ارتكبوا من الكبائر حتى نصبوا القتال والحرب معهم، وكذلك المعتزلة سمَّوا أصحاب الكبائر فَسَقة[١١] وفجرةً[١٢]

---

[١] ر ن: يقفوا.
[٢] وعبارة *الشرح* هكذا: «قال بعض أهل اللغة»، ورقة ١٩٩ظ.
[٣] ر ث م: ويقال.
[٤] ر ن م: وقفنا؛ ث: وقفيا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٩ظ.
[٥] ر: له.
[٦] ر م: بالرحمة والرحمة الرأفة؛ ث: وآمنوا بهم بالرأفة والرحمة الرأفة.
[٧] سورة آل عمران، ١٠٣/٣.
[٨] سورة مريم، ٩٦/١٩.
[٩] سورة الفتح، ٢٩/٤٨.
[١٠] سورة المائدة، ٥٤/٥.
[١١] ر: فسقه.
[١٢] ث + وكفرة.

وأنزلوهم[١] بين الكفر والإيمان. ومن سمى آخر كافرا أو فاسقا فلا شك أنه[٢] يَحدث بينهما عداوة وتباغض. فما حدث بيننا وبينهم من العداوة بتسميتهم إيانا فسقة وفجرة وكفرة بارتكاب الكبائر وإن كان السبب الذي جمعهم قائما عندنا. *والله الموفق.*

وقوله عز وجل: **ورَهبانيّة ابتدعوها ما كتبناها عليهم**، الآية،[٣] ذكر في القصة أن في الفترة التي كانت بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام كان على بني إسرائيل ملوك[٤] غيروا التوراة والإنجيل وبقي منهم أناس مؤمنون بعيسى[٥] عليه السلام ويعملون بما في الكتب. فهمَّ أولئك الملوك أن يقتلوهم لإبائهم اتباعهم والعود إلى مذهبهم فخرجوا من بينهم فترهبوا رجاء أن يتخلصوا منهم. فذلك قوله: **ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم**، أي ما فرضنا[٦] عليهم تلك الرهبانية و لم نأمرهم بها، ولكن فُرض عليهم وكتب في الجملة ابتغاء رضوان الله تعالى فابتدعوا تلك الرهبانية رجاء أن يكون فيها رضوانُ الله تعالى. *والله أعلم.*

قال: **فما رَعَوْها حق رعايتها**، أخبر أنهم ابتدعوا شيئا لم يكتب عليهم ثم ذكر أنهم لم يَرعَوا حق رعايته، ذمَّهم لتركهم الرعاية لما ابتدعوه. ففيه دلالة أن من افتتح قربة لم تُفْرَض[٧] عليه من صلاة أو صوم أو نحو ذلك ثم[٨] لم يقم بوفائه وإتمامه لحقه ذم كما لحق هؤلاء.

وقوله[٩] عز وجل: **فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون**، أخبر أن الذين آمنوا وثبتوا على الإيمان أن يؤتيهم أجرهم أي يوجب لهم، **أجرهم وكثير منهم فاسقون**[١٠] أي كافرون. كذلك ذكر في حرف ابن مسعود رضي الله عنه: وكثير منهم كافرون. وذكر أن بعضا منهم بعد ما[١١] ترهبوا اشتد عليهم[١٢] الترهب فعادوا ورجعوا ودخلوا في دين أولئك الملوك. *والله أعلم.*

---

[١] جميع النسخ: وأنزلهم.
[٢] ر م: أن.
[٣] ن – الآية.
[٤] جميع النسخ: ملوكا.
[٥] ن – بعيسى.
[٦] ر: أي فرضنا.
[٧] ر ث م: لم يفرض؛ ن: لم يعرض. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٠ظ.
[٨] ن – ثم.
[٩] ن: قوله.
[١٠] ث – أخبر أن الذين آمنوا وثبتوا على الإيمان أن يؤتيهم أجرهم أي يوجب لهم أجرهم وكثير منهم فاسقون.
[١١] ن – بعد ما.
[١٢] ن: منهم.

قال القُتَبِي: **ورهبانيةً**، أي العبادةَ يعني الخوف، **وابتدعوها**، الابتداع أن تفعل[1] شيئا لم يُفعَل قبلك، يقال منه: أبدعت وابتدعت وبَدَّعت أيضا. وقيل: الرهبانية اسم مبني من الرَّهْبَة لما أُفرِط فيه وهو ما نهى الله عنه[2] بقوله: لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ،[3] ويقال: دين الله بين المقصِّر والغالي. وقوله: **ما كتبناها عليهم**، أي ما أمرناهم بها. ***والله أعلم.***

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٢٨]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله**، يقول بعض أهل التأويل: يا أيها الذين آمَنوا بعيسى ابن مريم[4] آمِنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، ولكن هذا ضعيف [لأن من آمن بعيسى فقد آمن بمحمد وغيره من الرسل][5] إذ[6] الإيمان برسول من الرسل إيمان بجميع الرسل.[7] وتأويل الآية:[8] **يا أيها الذين آمنوا**، بالرسل جملة[9] على غير الإشارة والتفسير آمِنوا برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم على الإشارة به؛ لأن الإيمان بالرسل على غير الإشارة أمر سهل وإنما يَصعُب الإيمان به ويشتد بالإشارة إلى واحد، لأنه لما[10] آمن بالمشار إليه لزمه اتباع أمره ونهيه، ويلزمه موالاة من والاه واتبعه، ويلزمه معاداة من عاداه وخالفه في أمره ونهيه وترك اتباعه وإن كان له ابنًا وأبًا[11] وجدًّا، وكان يجب أن يكون أحب الناس إليه وأقربه[12] وأبره. فهذه معاملة الرسول الذي آمن به على الإشارة إليه وأنها تشتد وتصعب.[13]

---

[1] جميع النسخ: أن يفعل.
[2] ن – عنه.
[3] سورة النساء، ٤/١٧١.
[4] ث م: بعيسى بن مريم.
[5] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٠٠و.
[6] ر م: أن.
[7] لعل المؤلف يشير إلى آية البشارة وهي قوله تعالى: ﴿وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين﴾ (سورة الصف، ٦١/٦).
[8] ن: وتأويله.
[9] ر: حمله.
[10] ن – لما.
[11] ث: وأباء.
[12] ر م: وأقرب.
[13] جميع النسخ: يشتد ويصعب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٠و.

وأما عند الإجمال والإرسال فأمر سهل إنما فيه تصديق كل صادق وتكذيب كل كاذب، وكل الناس قد اعتقدوا في الأصل تصديق الصادق وتكذيب الكاذب وليس في الإجمال والإرسال إلا ذلك. وأما عند التعيين يوجب الامتحان وبه يظهر نفاق المنافقين وتحقيق المؤمنين المحققين، وذلك قوله: أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللهُ أَضْغَانَهُمْ، وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ،[1] ظهر نفاقهم بما أُمروا بالجهاد والخروج معه[2] على الإشارة إليه؛ وكقوله: وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ، فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ،[3] وقد وَعدوا في الجملة أنه لو أعطاهم كذا من فضله لَيَصَّدَّقُنَّ،[4] فلما أُوتوا / ذلك وأمروا بإخراجه أبَوا إخراج ذلك عند الإشارة إليه. [٧٨٣ظ]

فعلى ذلك جائز أن يكون قوله: **يا أيها الذين آمَنوا**، بالرسل جملة آمِنوا بهذا الرسول المشار إليه لما يصعب الأمر ولِما يَلزم في ذلك معاداة[5] من خالفه وتَرك اتباعه وإن كان أقرب الخلائق إليه. وكذلك عامل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أقاربهم وأرحامَهم لَمّا آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وصار عندهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إليهم من أنفسهم وآبائهم وأولادهم وعادَوا جميع أقاربهم الذين خالفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركوا اتّباعه. وفي ذلك آية عظيمة، ولذلك فضّل إيمان من آمن في أول خروجه على[6] إيمان من تأخر منهم عن ذلك الوقت. ***ولا قوة إلا بالله***.

وقوله عز وجل: **يؤتكم كِفْلَين من رحمته**، قوله: **يؤتكم**، أي يوجبْ لكم **كفلين من رحمته**، أي أجرين: أجر الإيمان بالرسل كلهم على الإجمال وأجرَ الإيمان بالرسول[7] على الإشارة والتفصيل.[8] ذكر هاهنا **كفلين من رحمته**، وقال في آية أخرى: يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا.[9]

---

[1] ﴿أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم﴾ (سورة محمد، ٤٧/٢٩-٣٠).

[2] ر م: ومعه.

[3] سورة التوبة، ٩/٧٥-٧٦.

[4] جميع النسخ: لنصدقن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٠و.

[5] ن: معاداه.

[6] جميع النسخ: عن. والتصحيح من المرجع السابق.

[7] ر م: بالرسل.

[8] ن: والتفضيل.

[9] سورة القصص، ٢٨/٥٤.

يحتمل قوله: **كفلين**، مرتين، وقوله: مَرَّتَيْنِ كِفْلَيْنِ فيكون أحدهما تفسيرا للآخر. ثم ذكر هاهنا الأجر لهم من رحمته وذكر هنالك[1] الأجر مطلقا ليعلم أن ما ذكر لأعمالهم من الأجر إنما هو فضل منه ورحمة لا استحقاقا على ما ذكرنا. ***والله الموفق***.[2] ثم يحتمل ما ذكر من الأجر مرتين يكون مرة في الدنيا والأخرى في الآخرة، كقوله تعالى: لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ،[3] الآية، وقوله: لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ.[4] ***والله أعلم***. ويحتمل أن يكون ما ذكر من الأجر مرتين يكون وعدا في الآخرة ويكون قوله: مَرَّتَيْنِ، أو[5] **كفلين** أي ضعفين، كقوله: يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ.[6] ثم قوله: **كفلين**، قال أكثر أهل التأويل: أي أجرين. وقال بعضهم: حظّين ونصيبين. وجائز أن يكون سماه كفلا لأنه كفله، ألا ترى أن ذا الكِفْل[7] ذُكر إنما سُمّي[8] به لأنه كان يَكفُل لفلان فعلى ذلك جائز تسمية هذا كفلا لأنه يكفل به. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ويَجْعَلْ لكم نورا تمشون به**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما النور كناية عما يُبصَر به وَيتّضح، والمشي كناية عن الأمور. يقول -والله أعلم-: يجعل ما تبصرون[9] به السبيل ويتضح لكم الأمور ويزول عنكم الشبه. فيكون المشي كناية عن الأمور والنور كناية عن البصر. ***والله أعلم***. وهو كقوله تعالى: أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ،[10] أي لا سواءً،[11] وهو كناية عما ذكرنا ليس بتصريح. والثاني على حقيقة إرادة[12] المشي وحقيقة النور وذلك يكون في الآخرة، كقوله:

---

[1] ر م: هاهنا لك.

[2] ن: والله أعلم.

[3] سورة النحل، ٣٠/١٦.

[4] جميع النسخ: لهم البشرى في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٠ظ. سورة يونس، ٦٤/١٠.

[5] ر ث م: أي؛ ن: إذ. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٠ظ.

[6] الآية ١٨ من هذه السورة.

[7] ر: ذالكفل.

[8] ن ث: يسمى.

[9] جميع النسخ: ما يبصرون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٠ظ.

[10] سورة الأنعام، ١٢٢/٦.

[11] ث: سوله.

[12] ث: إرادة حقيقة.

نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا،[١] الآية. وقال أهل التأويل: النور هاهنا هو[٢] القرآن، أي أعطاكم قرآنا ما[٣] يفضيكم إلى سبيل الخير. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **ويَغفِرْ لكم**، الغفران من الستر، كأنه يقول: يَسْتُر عليكم مساوئكم ويُنْسِيكم،[٤] لأن ذكر المساوئ ينغّصهم[٥] النعم ويحملهم على الحياء من ربهم. وقوله: **والله غفور رحيم**، أي يرحمهم ويُخلّدهم في جنته.

﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[٢٩]

وقوله: **لئلا يعلم أهل الكتاب**، أجمع أهل التأويل واللغة أن حرف "لا" زيادة هاهنا[٦] وصلة،[٧] أي ليعلم أهل الكتاب. وقد يزاد في الكلام حرف "لا" ويُسقَط بحق الصلة يعرفه[٨] أهل الحكمة والفقه، كقوله تعالى: يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا،[٩] ليس يبين لنا لِنَضِلَّ[١٠] ولكن يبين لنا[١١] لنعلم[١٢] ونهتدي. فعرف الحكماء والفقهاء أن كلمة "لا" أسقطت هاهنا فعلى ذلك عرفوا أن حرف[١٣] لا هاهنا في قوله: **لئلا يعلم**، زيادة، ومعناه:[١٤] ليعلم أهل الكتاب أن لا يقدرون على شيء من فضل الله. ثم لا يحتمل أن يكون ذِكرُ قوله: **لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله**،[١٥] على غير تقدم قول كان منهم [ولا سابقة شيء كانت منهم؛

---

[١] سورة التحريم، ٨/٦٦.
[٢] ر م – هو.
[٣] ر ث م – ما.
[٤] ر م: بينكم؛ ن ث: وينسئكم.
[٥] ر: يبغضهم.
[٦] ث: هنا.
[٧] ن: وصله.
[٨] ر ث م + ذلك.
[٩] سورة النساء، ١٧٦/٤.
[١٠] ر ث م: لنا أن نضل؛ ن: لنا أن ليضل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٠ظ.
[١١] م – لنا.
[١٢] ن: ليعلم.
[١٣] ث – حرف.
[١٤] ر م: معناه؛ ث: زياده ومعناه.
[١٥] ن – ثم لا يحتمل أن يكون ذكر قوله لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله.

ولسنا ندري ما الذي كان منهم][1] حتى خرج هذا جوابا لهم عن ذلك. ولكن نذكر[2] شيئا يشبه أن يكون الذي ذكر هو جوابَ ذلك الذي كان منهم. وهو أنهم كانوا أهل كتاب وأهل علم بالكتاب يرون لأنفسهم [بذلك][3] فضلا على غيرهم وخصوصية ليست لغيرهم عندهم. فلما بعث[4] الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا[5] إليهم وإلى الناس كافة وأنزل عليه كتابا وهو أمين عندهم وذكر في كتابه ما كان في كتبهم وأمرهم باتباعه والإنقياد[6] له والطاعة وأحوجهم[7] جميعا إليه وإلى ما في كتابه أنكروا فضل الله عليه وإحسانه إليه فعند ذلك قال: **لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء**، أي يفضّل من يشاء على من يشاء ليس ذلك إليهم.

ثم في[8] قوله تعالى: **لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله**، دلالة نقض قول المعتزلة في أن الله تعالى قد أعطى كل إنسان[9] ما يقدر على الوصول إلى جميع فضائله وإحسانه وقد أخبر ليعلموا أنهم لا يقدرون على شيء من فضل الله. والمعتزلة يقولون: بل يقدرون، / فهذا خلاف لظاهر[10] الآية. *والله أعلم*.[11] [٧٨٤و]

وفي قوله: **وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء**، أيضا دلالة نقض قول المعتزلة من جهة أخرى وهو أنه ذكر المشيئة في ما هو حقه فضل وما هو حقه عدل حيث قال: **وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء**، ولم يذكر المشيئة في ما هو حقه عدل وما هو ظلم وجور بل أطلق القول في ذلك فقال: وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ،[12] وقال: وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ،[13]

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٠١و.
[2] جميع النسخ: يذكر.
[3] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.
[4] ر م: فلما ثبت.
[5] ن - رسولا.
[6] رم: وانقياد.
[7] ن: وأخرجوهم.
[8] ر م - في.
[9] ر ث م: شيء.
[10] ر م: الظاهر.
[11] ث - والله أعلم.
[12] سورة فصلت، ٤١/٤٦.
[13] سورة المؤمن، ٤٠/٣١.

وقال: [إِنَّ اللهَ] لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ،[١] وقال: [إِنَّ اللهَ] لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا،[٢] وغير ذلك من الآيات، نفى أن يُلْحَق أحد منه الظلمَ والجورَ ليُعلَم أن فعل[٣] الهدي منه فضل[٤] إلى من هداه وأرشده والإضلال منه عدل، ولذلك[٥] قال: يُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ،[٦] أي من نال الهدى والرشد إنما ناله بفضله ورحمته ومن ضل فذلك عدل منه[٧] ولذلك قال: بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ.[٨] *والله الهادي ومنه الهداية والتوفيق*.[٩]

---

[١] سورة النساء، ٤/٤٠.

[٢] سورة يونس، ١٠/٤٤.

[٣] ث – فعل.

[٤] ر ث م: يصل؛ ن: فعل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠١و.

[٥] ر م: وكذلك.

[٦] سورة المدثر، ٧٤/٣١.

[٧] ر ث م: عنه.

[٨] سورة الحجرات، ٤٩/١٧.

[٩] ر: والله الهادي والله أعلم بالصواب؛ ن ث – ومنه الهداية والتوفيق.

الفهارس

فهرس الآيات المستشهد بها

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الأعلام

فهرس الشعوب والقبائل والأماكن

فهرس الأديان والفرق والمذاهب والجماعات

فهرس الأشعار

فهرس الكتب

فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- ***الأعلام***

قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين؛ تأليف خير الدين الزركلي، بيروت ١٩٨٠م.

- ***بحر العلوم***؛

تأليف أبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، تحقيق علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود – زكريا عبد المجيد النوتي، بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

- ***تاج العروس***

من جواهر القاموس؛ تصنيف السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، الكويت ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

- ***تأويل مشكل القرآن***؛

تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تعليق: السيد أحمد صقر، بيروت ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

- ***تفسير ابن أبي حاتم***

... المسمى *تفسير القرآن العظيم*؛ تأليف عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم، تحقيق أسعد محمد الطيب، مكة المكرمة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

- ***تفسير ابن كثير***

... المسمى *تفسير القرآن العظيم*، تأليف الحافظ أبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، إستانبول ١٩٨٤م.

- ***تفسير أبي حيان***

... المسمى *البحر المحيط*؛ تأليف أبي حيان أثير الدين محمد بن يوسف بن علي الأندلسي، الرياض بدون تاريخ (مكتبة ومطابع النصر الحديث).

- ***تفسير الحسن البصري***؛

جمع وتوثيق ودراسة محمد عبد الرحيم، القاهرة ١٩٩٢.

- ***تفسير الضحاك***؛

تأليف الإمام أبي القاسم ضحاك بن مزاحم الهلالي البلخي، تحقيق محمد شكري أحمد الزاوييّ، القاهرة ١٤١٩هـ/١٩٩٩.

- *تفسير الطبري*
... المسمى *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*؛ تأليف أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، بيروت ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

- *تفسير عبد الرزاق*؛
تصنيف عبد الرزاق بن هَمَّام بن نافع الصنعاني، تحقيق دكتور محمود محمد عبده، بيروت ١٩٩٩م.

- *تفسير غريب القرآن*؛
تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

- *تفسير القرطبي*
... المسمى *الجامع لأحكام القرآن*؛ تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي، بيروت بدون تاريخ (دار إحياء التراث العربي).

- *تفسير مقاتل بن سليمان*
تأليف أبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني، تحقيق أحمد فريد، بيروت ٢٠٠٣م.

- *تقريب التهذيب*؛
تأليف أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عوامة، حلب ١٤٠٦هـ.

- *تنوير المقباس*
من تفسير ابن عباس؛ بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

- *تهذيب التهذيب*؛
تأليف أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق خليل مأمون شيحة - عمر السلامي - علي بن مسعود، بيروت ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

- *جامع الأصول في أحاديث الرسول*؛
تأليف مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، دمشق ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

- *الجامع الصغير*؛
تأليف أبي عبد الله محمد بن حسن بن فرقد الشيباني الحنفي، بيروت ١٤٠٦هـ.

- *الجامع لأخلاق الراوي*
وآداب السامع؛ تأليف أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي، تحقيق محمد حجاج الخطيب، بيروت ١٤١٢هـ.

- *حجة القراءات*؛
تأليف الإمام أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق سعيد الأفغاني، بيروت ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

- *الدر المنثور*
في التفسير بالمأثور؛ تأليف أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، بيروت ١٩٨٣م.

– *روح المعاني*
في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني؛ تأليف أبي الثناء شهاب الدين محمود شكري بن عبد الله بن محمود الآلوسي، بيروت بدون تاريخ (دار إحياء التراث العربي).

– *سنن ابن ماجة*؛
تصنيف أبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

– *سنن أبي داود*؛
تصنيف أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي؛ نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م .

– *سنن البيهقي الكبرى*؛
تصنيف أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مكة المكرمة ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

– *سنن الترمذي*؛
تصنيف أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

– *سير أعلام النبلاء*؛
تأليف أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، بيروت ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

– *شرح التأويلات*؛
تأليف أبي بكر علاء الدين محمد بن أحمد بن أبي أحمد السمرقندي، نسخة مخطوطة بمكتبة سليمانية، قسم حميدية، رقم ١٧٦ [Süleymaniye ktp., Hamidiye nr. 176]؛ ومكتبة بايزيد، قسم ولي الدين، رقم ٤٢٦ [Beyazıt ktp., Veliyyüddin nr. 426].

– *شعب الإيمان*؛
تصنيف أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق محمد حسين بسيوني زغلول، ١٤١٠هـ.

– *الصحاح*
... *تاج اللغة وصحاح العربية*، تأليف أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، المملكة العربية السعودية ١٩٨٢.

– *صحيح البخاري*؛
الجامع الصحيح؛ تصنيف أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

– *صحيح مسلم*؛
الجامع الصحيح؛ تصنيف أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، نسخة مصورة ضمن – موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

– *الطبقات الكبرى*؛
تأليف أبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري المعروف بابن سعد، تحقيق علي محمد عمر، القاهرة ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

– *فيض القدير*
شرح الجامع الصغير؛ تأليف عبد الرءوف بن تاج العارفين بن علي المناوي، بيروت ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.

– *الكامل*
في ضعفاء الرجال؛ تأليف أبي أحمد عبد الله بن عدي بن عبد الله الجرجاني المعروف بابن عدي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود – علي محمد معوض، بيروت ١٩٩٧م.

– *كتاب الزهد*؛
تأليف أبي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت بدون تاريخ (دار الكتب العلمية).

– *كتاب المصاحف*؛
تأليف أبي بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق Arthur Jeffery، Leiden ١٩٣٧م.

– *كشف الخفاء*
ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس؛ تأليف أبي الفداء إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي العجلوني، تعليق أحمد القلاش، القاهرة بدون تاريخ (مكتبة التراث الإسلامي).

– *لسان العرب*؛
تأليف أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن منظور الإفريقي، تهران ١٤٠٥هـ.

– *لسان الميزان*؛
تأليف أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

– *المبسوط في القراءات العشر*؛
تأليف أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني، تحقيق سبيع حمزة حاكمي، بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م.

– *المبسوط*؛
تأليف أبي بكر شمس الأئمة محمد بن أحمد بن سهل السرخسي، بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

– *مجاز القرآن*؛
تأليف أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري، تحقيق فؤاد سزكين، القاهرة ١٩٨٨م.

– *مجمع الزوائد*
ومنبع الفوائد؛ تأليف نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق عبد الله الدرويش، بيروت ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤م.

– ***المحتسب***

في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها؛ تأليف أبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد عبد القادر عطا، بيروت ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

– ***المحرر الوجيز***

في تفسير الكتاب العزيز؛ تأليف أبي محمد ابن عطية عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن الأندلسي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

– ***مختصر قيام الليل***؛

تأليف أبي عبد الله محمد بن نصر المروزي، واختصار أحمد بن علي المقرزي، فيصل آباد، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

– ***المستدرك***

على الصحيحين؛ تصنيف أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

– ***مسند أحمد بن حنبل***؛

تصنيف أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

– ***مصنف ابن أبي شيبة***؛

تصنيف أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، بيروت ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

– ***مصنف عبد الرزاق***؛

تصنيف أبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

– ***معاني القرآن***؛

تأليف أبي إسحاق الزجاج إبراهيم بن السَّري بن سهل، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

– ***معاني القرآن***؛

تأليف أبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء؛ تحقيق أحمد يوسف نجاتي- محمد علي النجار، بيروت ١٩٥٥م.

– ***معجم القراءات***؛

عبد اللطيف الخطيب، دمشق ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

– ***المعجم الكبير***؛

تصنيف أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، الموصل ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

– ***المعجم المفهرس***

لألفاظ القرآن الكريم؛ إعداد محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م.

- **المعجم الوسيط**؛
تأليف إبراهيم مصطفى وآخرين، القاهرة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- **المفردات**
... المسمى *مفردات ألفاظ القرآن*؛ تأليف أبي القاسم الراغب الحسين بن محمد بن المفضل الإصفهاني، تحقيق صفوان عدنان داودي، دمشق ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- **المنجد**
في اللغة والآداب والعلوم، تأليف لويس معلوف، بيروت ١٩٦٦م.
- **الموطأ**؛
تصنيف أبي عبد الله مالك بن أنس بن مالك، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- **الميسر في القراءات الأربع عشرة**؛
تأليف محمد فهد خاروف، بيروت ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- **النشر في القراءات العشر**؛
تأليف أبي الخير ابن الجزري شمس الدين محمد بن محمد الجزري، تحقيق علي محمد الضباع، بيروت بدون تاريخ (دار الكتب العلمية).
- **النكت والعيون**؛
تأليف أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- **النهاية**
في غريب الحديث والأثر؛ تأليف أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري المعروف بابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، القاهرة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م.
- **الوافي بالوفيات**؛
تأليف أبي الصفاء صلاح الدين خليل بن آيبك بن عبد الله الصفدي، تحقيق هلموت ريتر، شتوتغارت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- **وفيات الأعيان**
وأنباء أبناء الزمان؛ تأليف أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم المعروف بابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

دار الميزان
MİZAN YAYINEVİ